يوسف الآغا

حزب الله

التاريخ الأيديولوجي والسياسي

(1978 - 2008)

ترجمة

نادين نصرالله



دراسات عراقية

هذا الكتاب

يتناول النقاش في هذا الكتاب كيفية تمكن حزب الله من تعديل هويته في المراحل الثلاث من عملية: مرحلة التأسيس كحركة إسلامية معترضة (١٩٧٨ - ١٩٨٤)، ثم حركة اجتماعية ناضجة (١٩٨٤ - ١٩٩١)، ثم حزب سياسي برلماني.

حاول حزب الله المحافظة على هويته الإسلامية والعمل في الوقت نفسه ضمن إطار سيادة الدولة. على هذه الأسس، أعترف حزب الله بالدولة اللبنانية.

وعلى الرغم من وجود تحالف استراتيجي إيديولوجي مع إيران وشراكة إستراتيجية سياسية مع سوريا، إلا أن هذا الكتاب يسعى إلى إثبات أن حزب الله لا يشكل أداة سياسية بين الأيدي السورية والإيرانية، بل واصل حزب الله نهجاً مستقلاً في اتخاذ القرارات يلائم خصوصية المعادلة السياسية اللبنانية. حتى تمكن في أيار الـ ٢٠٠٨، من الحصول على الثلث المعطل في مجلس الوزراء، ليفرض سيطرته على السلطة التنفيذية للحكومة وعلى السلطة السياسية بشكل أوسع.

من مقدمة المؤلف

يوسف الآغا: أستاذ الدراسات الإسلامية في الجامعة اللبنانية الأميركية في بيروت، حاز على درجة الدكتوراه من جامعة Free Amsterdam عام ٢٠٠٦، وله أبحاث عديدة تعنى بتأثير الديمقراطية والليبرالية على الحركات الإسلامية في المنطقة.



سعر الكتاب: ١٠ دولارات أميركية أو ما يعادلها.

يوسف الآغا

حزب الله

التاريخ الأيديولوجي والسياسي

(1978 - 2008)

ترجمة

نادين نصرالله



دراسات عراقية

الكتاب : حزب الله ـ التاريخ الايديولوجي والسياسي (١٩٧٨ - ٢٠٠٨)

المؤلف : يوسف الآغا

المترجم : نادين نصرالله

مراجعة الترجمة : دراسات عراقية

الطبعة : الأولى ٢٠٠٨ بغداد ـ أربيل ـ بيروت

توطئـة

تشهد حركة المقاومة الشيعية اللبنانية، حزب الله، تحولات سياسية وإيديولوجية مثيرة. تأسس حزب الله في العام ١٩٧٨ بواسطة عدد من رجال الدين والكوادر الشيعة اللبنانيين، بدعم إيراني كحركة إسلامية تعترض على الظروف الاجتماعية والسياسية. خلال السنوات الممتدة من العام ١٩٨٤/ ٨٥ وحتى العام ١٩٩١، أصبح حزب الله حركة اجتماعية ناضجة «بمعنى بروز منظمة وهيكلية وإيديولوجيا شاملة أكثر اتساعاً تهدف إلى التغيير الاجتماعي» والعدالة الاجتماعية. منذ العام ١٩٩٢، أصبح حزباً سياسياً رائداً يعمل ضمن إطار الحدود الضيقة لبرنامجه السياسي البراغماتي. يتناول النقاش في هذا الكتاب كيفية تمكّن حزب الله من تعديل هويته في المراحل الثلاث الآنف ذكرها عبر نقل التركيز بين مكوناته الثلاثة: أولاً من نشر إيديولوجيا حصرية دينية؛ إلى إيديولوجيا سياسية أكثر شمولية؛ وصولاً إلى برنامج سياسي أكثر واقعية.

غير أن هوية حزب الله كحركة جهادية إسلامية قد بقيت، في هذه المراحل الثلاث، إحدى ثوابته؛ لكن تبريرات المبادئ الإسلامية ولا سيما الجهاد قد تغيرت. تتطرق التغييرات المهمة في إيديولوجيا حزب الله في المراحل الثلاث إلى المواضيع التالية: المستضعفون والمستكبرون، مع تركيز خاص على الولايات المتحدة وإسرائيل؛ والجهاد والاستشهاد؛ والدولة الإسلامية؛

وعلاقات حزب الله مع المسيحيين اللبنانيين واللبننة (الاندماج) أو الانفتاح.

تقترح خلاصات هذا الكتاب أن الأسباب الكامنة وراء التغيرات في إيديولوجيا حزب الله تعود إلى التحولات في البعد اللبناني المحلي، فضلاً عن البعدين الإقليمي والدولي. لقد تغيرت ديناميكية حزب الله الداخلية فيما تبدلت السياسات الإيرانية وتحول الوضع الدولي. غير أن التركيز جاء على التغييرات في ديناميكيات حزب الله الداخلية.

يستند حزب الله إلى التوازن بين الواقع والممكن، مبدلاً موقفه من الرفض والمعارضة (الاستراتيجيات الدينية والسياسية) إلى التكيف والانسجام. وهذا الأمر من شأنه عادة أن يحمله على تبديل استراتيجياته، من استراتيجيات الصقور (خطاب الإيديولوجيا الدينية والسياسية) إلى سياسات الحمائم (خطاب البرنامج السياسي) وفق الظروف السياسية المتغيرة. منذ أن وضعت الحرب الأهلية أوزارها في العام ١٩٩٠، واجه حزب الله تطورات كبيرة في لبنان: أولاً بروز دائرة عامة تعددية وازدياد الانفتاح نحو الجماعات الأخرى والأحزاب السياسية ومجموعات المصالح في النسيج اللبناني. وقد نتج من هذا الأمر تغيير في خطاب الحزب وأولوياته. حملت المساحة الطائفية المختلطة حزب الله على تعديل موقفه من التهميش، ووصف الدولة اللبنانية بغير العادلة، إلى تحوله إلى الانفتاح. من خلال هذه العملية، أصبح الحزب لاعباً أساسياً في الوسط اللبناني. وواصل تعديل موقفه وتغيير قواعده السياسية من الأسلمة إلى اللبننة، الأمر الذي يعني مزيداً من الاندماج في الدائرة الشعبية. وقد أنجز هذا الأمر بواسطة المشاركة الفاعلة في في النظام السياسي من خلال النقاش والاندماج والتمكين. لذا، فإن منطق العمل ضمن حدود الدولة اللبنانية قد طغى على منطقة الثورة.

ومع أنه يبقي مبادئه العقائدية ظاهرة، إلا إن حزب الله مصرّ على تكريم برنامجه السياسي بشكل عام. وهكذا من وقت إلى آخر وكلما سنحت له

الفرصة، قد يضع الحزب جانباً ولفترة موقتة برنامجه الإيديولوجي عبر اتباع برنامج ديناميكي من دون تحديد برنامج سياسي صارم. يميل حزب الله إلى النموذج المزايد لاتخاذ القرارات ويستخدم هندسة اجتماعية تدريجية تتطلب نقاشاً مستفيضاً من جانب قيادة حزب الله لكل مسألة على حدة. ومع أنه يبدو أن حزب الله لا يملك صيغة جاهزة للتعامل مع كافة المشاكل والإمكانيات التي قد تطرأ، إلا أن مجلس شورى الحزب يقدم إجابات جاهزة على الأسئلة كافة. لكن بما أن أعداءه، وبخاصة إسرائيل، قد يستفيدون من هذه المعلومات، يحتفظ الحزب بحق عدم الكشف عن هذه الخيارات وإجراءات الطوارئ إلى الجمهور.

بصفته حزباً سياسياً رائداً، يعمل حزب الله وفق حسابات السياسة الواقعية القائمة على المنفعة والمصلحة. وتطرح مشاركة الحزب التدريجية في السياسات اللبنانية «الطبيعية» -عبر التحاقه بالبرلمان والمجالس البلدية والحكومة- مع القيود التي تفرضها تساؤلات حول مدى استعداده الانخراط في النظام السياسي اللبناني ومؤسسات الدولة. تشكل انتصارات الحزب السياسية في العام ٢٠٠٥ شاهداً على الطابع الوطني القومي لحزب لا يتلقى الدعم من دائرته الشيعية وحسب بل من العديد من السنّة والدروز والمسيحيين. يهدف حزب الله بحسب الدعم الشعبي الذي يتلقاه إلى توصيف نفسه على أنه أكبر قوة سياسية في لبنان. وعلى الرغم من أن الحزب ينكر ذلك، إلا أن نجاحه في الموازنة بين التزاماته الوطنية السياسية من جهة وخلفيته الإسلامية من جهة أخرى جاء على حساب التسوية (حتى على بعض المسائل العقائدية). من خلال المطالبة بالسلم الأهلي والحريات الاجتماعية وإرساء مجتمع مدني فاعل، حاول حزب الله المحافظة على هويته الإسلامية والعمل، في الوقت نفسه، ضمن إطار سيادة الدولة اللبنانية وداخل حدود دولة غير إسلامية وكيان سياسي متعدد الطوائف. على هذه الأسس، اعترف حزب الله بالدولة اللبنانية بحكم الواقع، ويعلم مناصروه ذلك. وهكذا انتهى الأمر بحزب الله بعدم تمكنه من تخطّي حدود حزب سياسي «عادي».

يجب التنبه إلى عدم التمعن في قراءة نتائج انتخابات العام ٢٠٠٥ النيابية، فضلاً عن مشاركة الحزب في الحكومة. والجدير ذكره هنا أنه بما أن الحكومة تعكس موازين القوى في البرلمان، فمن الواضح أن أي ترهيب يمارس من قبل البرلمان سيصل إلى الحكومة والعكس صحيح. غير أن نجاح حزب الله الانتخابي يوحي بأن الحزب قد تمكن من الفوز «بقلوب وعقول» العديد من الناخبين اللبنانيين، خاصة في دوائره الشيعية الكبرى، وبالتالي تأكيد فاعلية سياسة الانفتاح القائمة على الموافقة على المشاركة في عملية سياسية تعددية، مع الحفاظ على احترامه للاستقامة والأمانة في العمل الاجتماعي الاقتصادي. لقد نجح حزب الله، من خلال منظماته غير الحكومية، في توصيف نفسه كحزب سياسي لبناني وطني يعمل لمصلحة «المعدمين على الأرض»، من دون أي خوف أو مصلحة. وقد أدى اغتيال رفيق الحريري وانسحاب القوات السورية وتداعياته إلى مسارعة التغيرات السياسية داخل حزب الله. وبالتالي، فإن تجريده من السلاح وتحويله إلى حزب سياسي «عادي» لن يؤدي إلى زواله؛ بل على العكس سيعزز قوته السياسية الداخلية بشكل أكبر. . ومع ذلك، لم يكن حزب الله ليبرز بهذا الشكل وليعدل في الشؤون الداخلية اللبنانية لولا الطرفان الإقليميان الداعمان له، سوريا وإيران. وعلى الرغم من وجود تحالف استراتيجي إيديولوجي بين حزب الله وإيران من جهة وشراكة استراتيجية سياسية بين حزب الله وسوريا من جهة أخرى، إلا أن هذا الكتاب يسعى إلى إثبات أن حزب الله لا يشكل أداة سياسية بين الأيدي السورية والإيرانية. بل على العكس، واصل حزب الله نهجاً مستقلاً في اتخاذ القرارات والتحرك، يلائم خصوصية المعادلة السياسية اللبنانية عبر ممارسته برنامجاً سياسياً قائماً على اللبننة والانفتاح والاندماج في الدائرة اللبنانية العامة. في أيار/مايو الـ ٢٠٠٨، حصل حزب الله على الثلث المعطل في مجلس الوزراء، ففرض بالتالي سيطرته على السلطة التنفيذية للحكومة وعلى السلطة السياسية بشكل أوسع.

مقدمة

١ . الاعتبارات الشخصية: اهتمامي بالموضوع

يتألف لبنان من مجموعة أقليات معترف بها، يبلغ عددها ثماني عشرة أقلية تعايشت في سلم نسبي[1] حتى ١٣ نيسان/أبريل ١٩٧٥، تاريخ اندلاع الحرب الأهلية التي امتدت على مدى ست عشرة سنة. وفيما كان لبنان يُعتبَر «سويسرا الشرق الأوسط»، إذ به يغوص في شريعة الغاب، حيث قوّضت الميليشيات سيادة الدولة اللبنانية وتقوقعت في كانتوناتها الخاصة، معتمدة في أغلب الأحيان على الانتماءات الطائفية. إني أكتب من تجربة خاصة كأحد أفراد ما اصطُلِح على تسميته «جيل الحرب»، أي شخصٍ كان شاهداً على الحرب الأهلية بأكملها واستطاع أن ينجوَ منها ـ بكل فظاعتها وعبثيَّتها ـ من العام ١٩٧٥ وحتى العام ١٩٩٠. خلال سنوات الحرب عشْتُ مدنياً «محايداً» حيث لم أنتمِ إلى أي حزب سياسي، ولم تكن لديَّ أي دراية في استخدام أي نوع من الأسلحة، وبالتالي لم أشارك في الحرب الأهلية بأي شكل من الأشكال. عندما كنت طفلاً، تركت هذه الأحداث فيَّ شعوراً بالعجز، العجز على صعيد الوضع

---

(١) منذ إنشاء «دولة لبنان الكبير» في العام ١٩٢٠، وحتى العام ١٩٧٥، شهد لبنان على الأقل فتنتين أهليتين في العام ١٩٥٨ والعام ١٩٦١.

الداخلي (الحرب الأهلية)، والعامل الخارجي (الاجتياح الإسرائيلي). لاحقاً فيما كنت أكتسب المزيد من النضوج، سعيتُ إلى محاولة فهم لماذا قُتِل هذا العدد الكبير من الناس في هذه الحرب المروِّعة التي طالت ست عشرة سنة؟ هل كانت الحرب بلا جدوى؟ هل كانت لقضية ما؟ هل شُنَّت في سبيل سيادة لبنان ووحدة أراضيه؟ تمَّ توصيف الجيش الإسرائيلي على أنه «الجيش الذي لا يُقهَر» هل القضية إذاً قضية ضرب في الميت ليس إلا لمجرد مقارعتِه؟

كنت في الرابعة عشرة من عمري عندما احتلّت إسرائيل في ١٤ أيلول/ سبتمبر ١٩٨٢ بيروت بعد محاصرتها لثلاثة وثمانين يوماً. لقد خلّف الاجتياح الإسرائيلي في العام ١٩٨٢ فيّ أثراً كبيراً بسبب الإصابة الجسدية التي لحقت، بي والجروح المعنوية التي عانيت منها. فبينما كنت أجلب المياه من بئر كلية اللاهوت للشرق الأدنى Near East School of Theology، أُصِبتُ في كتفي وركبتي إصابات لم تُشفَ بالكامل حتى اليوم. في ٢٤ أيلول/ سبتمبر من العام نفسه، ذهبتُ مع أصدقائي إلى مسرح سينما الحمرا لمشاهدة فيلم لباد سبنسر وتيرينس هيل. في منتصف الفيلم، اقتحم الجيش الإسرائيلي المسرح وطردونا خارجاً وضربونا وهم يأمروننا بالعودة إلى منازلنا. كنت أتساءل ما الذي فعلناه حتى يعاملونا على هذا النحو؟ وكان الجواب بسيطاً: استهدف عضو في المقاومة اللبنانية جنوداً إسرائيليين في مقهى الويمبي المجاور فقتل ثلاثة منهم بمسدسه ولاذ بالفرار، من دون أن يصيبه أي مكروه. لقد حمل هذا الحادث، إلى حوادث أخرى، الجيش الإسرائيلي على الانسحاب بعد احتلاله بيروت لثلاثة عشر يوماً. اكتسبت المقاومة اللبنانية زخماً أكبر، وفي العام ١٩٨٥، انسحب الإسرائيليون إلى ما أعلنوه «الحزام الأمني» للعام ١٩٧٨ (الاحتلال الإسرائيلي الأول). بعد العام ١٩٨٥، قاد حزب الله المقاومة اللبنانية، وألحق جناحه المسلح أو [12] المقاومة الإسلامية إصابات بالغة عبر شنّه حرب استنزاف ضد الجنود الإسرائيليين الذين يحتلون الأرض اللبنانية. استخدم حزب الله تكتيك «اضرب واهرب» كما لجأ إلى العمليات الهجومية التي قادت في آخر المطاف إلى اندحار إسرائيل من لبنان في أيار/ مايو ٢٠٠٠.

لقد علمتني الحرب الأهلية أن أعيش كل يوم بيومه؛ فكان إنجازي الوحيد، خلال ذلك الوقت، البقاء على قيد الحياة. بعد انتهاء الحرب اللبنانية وإزالة الحواجز بين مختلف المناطق اللبنانية ولا سيما خط التماس الشهير بين بيروت الغربية (القطاع المسلم حيث أعيش) وبيروت الشرقية (القطاع المسيحي)، جلتُ في لبنان كي أعرف «الآخر». في البداية، كنت خائفاً ومنتقداً لمفهوم حزب الله عن الدولة الإسلامية، خاصة أنهم كانوا يجاهرون به على عَلَمهم في ذاك الوقت «الثورة الإسلامية في لبنان». وقع الحدُّ الفاصل في العام ١٩٩٦ كنتيجة مباشرة لعملية «عناقيد الغضب» الإسرائيلية العسكرية التي نتج منها تضامن وطني غير مسبوق مع حزب الله، ولا سيما لدى المسيحيين الذين ينتهجون إيديولوجيا متعارضة كلياً. استُبدِل الخوف من الآخر كما المتاريس أو غشاء المعتقدات الخاطئة بالحس الاجتماعي والتعاطف. شجعني هذا الأمر في العام ١٩٩٧ على البدء بحضور نشاطات حزب الله التي كانت مفتوحة أمام الجمهور. ثمة مصادفة أثارت اهتمامي في الحزب؛ لقد كان اهتمامي في «هويته القائمة على مبدأ المقاومة» وفي إنجازاته في أرض المعركة. ما زاد اهتمامي هو أنه بعكس الميليشيات والأحزاب السياسية الأخرى، لم يشارك حزب الله في الحرب الأهلية[1]، مركزاً طاقته كلها على إخراج الجيش الإسرائيلي من لبنان. هذا الأمر أدى بي إلى السعي للاتصال بـ«الإعلام المركزي» في حزب الله الذي شرّع لي الأبواب كي ألقي نظرة عن كثب على نشاطات حزب الله الاجتماعية والسياسية. أخيراً أدى بي هذا الأمر إلى كتابة نصّي حول حزب الله كي أشرح كيف يمكن أن يكون حزب الله وفياً لهويته الإسلامية من جهة، وفي الوقت نفسه أن يكون الحزب السياسي المحدِّد للاتجاه السائد والذي يعمل متبعاً نظاماً مذهبياً طائفياً. قاد بي هذا الاهتمام إلى البدء بإعداد بحث جديّ حول الحزب. يأتي هذا الكتاب نتيجة لهذا البحث. [13]

(١) لم يتصادم حزب الله مع الميليشيات المسيحية، كما لم يخطف مدنيين لبنانيين أو يستهدفهم بالسيارات المفخخة أو القنص.

٢ . هوية حزب الله ولمحة تاريخية موجزة

الهدف الأساسي من هذا الكتاب دراسة حزب الله، الحركة المقاومة الشيعية اللبنانية، كحركة مرتكزة على الهوية منذ تأسيسها المبدئي في العام ١٩٧٨ مروراً بافتتاحها الرسمي في العام ١٩٨٥ وصولاً إلى العام ٢٠٠٥، وبالتالي إجراء مسح لفترة زمنية تغطي أكثر من ربع قرن. أتساءل كيف حاول الحزب منذ انتقاله إلى حزب سياسي في العام ١٩٩٠ الحفاظ على هويته ودمجها من خلال التفاعل ما بين الدين والسياسة. يقوم بحثي على تحليل كيفية بناء هوية حزب الله عبر التركيز على عناصر ثلاثة: «الإيديولوجيا الدينية والإيديولوجيا السياسية والبرنامج السياسي. وبالتالي يتناول هذا البحث كيفية تغيُّر هوية حزب الله كـ«حركة جهادية إسلامية» في المراحل الثلاث التالية: (أولاً) من نشر إيديولوجيا دينية حصريّة إلى (ثانياً) إيديولوجيا سياسية أكثر شمولية و(ثالثاً) إلى ما يمكن أن يُعتبَر برنامجاً سياسياً براغماتياً.

يحدِّد حزب الله هويته كجركة جهادية إسلامية «يرتكز نشوؤها على مزيج إيديولوجي اجتماعي وسياسي واقتصادي، في إطار لبناني وعربي وإسلامي خاص.»[1] إني أدرس مكوِّنات أو عناصر هذه الهوية من خلال تطوُّر حزب الله التاريخي. يتناول صلب هذا الكتاب الأجزاء الثلاثة الواردة أدناه وقد تم تفسيرها في التسلسل التالي.

٢ . ١ تطوُّر إيديولوجيا حزب الله:

بروز الإيديولوجيا الدينية (١٩٧٨ ـ ١٩٨٤/ ٨٥)

بما أن حزب الله أعفى نفسه من مهمة الالتزام بتاريخ زمني محدد لولادته،

---

(١) «حزب الله، من هو وماذا يريد؟» هو آخر وصف ذاتي لحزب الله. راجع http// :www.hizbollah.org/english/frames/index_eg.htm. (تاريخ الزيارة الأخيرة للموقع: آب/ أغسطس ٢٠٠٤).

أرى أن الحزب تأسس في العام ١٩٧٨ على يد مختلف قطاعات رجال الدين والكوادر الشيعية اللبنانية كحركة إسلامية تهدف إلى الاحتجاج الاجتماعي والسياسي مع خلفية إيديولوجية إيرانية. تتلخص مكونات إيديولوجيا حزب الله الدينية في: أولاً الإيمان بالإسلام الشيعي؛ وثانياً ولاية الفقيه؛ وثالثاً الجهاد في سبيل الله(١). منذ نشوئه، كان حزب الله ولا يزال حزباً يضطلع فيه علماء الدين بدور مهم. في هذا الفصل، أحاول أن أكتشف ما هو محدَّد ومختلف في تفسير حزب الله للإيديولوجيا الدينية الشيعية. وبشكل خاص أقيس دور العلماء في تكوين إيديولوجيا حزب الله الإسلامية وتطويرها في ظل التأثير الإيراني المفترض. [14]

٢.٢ تطوُّر إيديولوجيا حزب الله:

بروز الإيديولوجيا السياسية (١٩٨٤/ ٨٥ ـ ١٩٩٠)

في العام ١٩٨٥، أعدَّ حزب الله «رسالة مفتوحة» أعلن فيها بيانه الرسمي السياسي للجمهور، منخرطاً بالتالي على نحو مباشر في الحياة السياسية اللبنانية بعد العمل سراً لسنوات عدة. وخلال الفترة الممتدة من ١٩٨٥ وحتى ١٩٩٠، أصبح حزب الله حركة اجتماعية ناضجة «بمعنى بروز منظمة وهيكلية وإيديولوجيا شاملة أكثر اتساعاً تهدف إلى التغيير الاجتماعي»(٢) والعدالة الاجتماعية. تتألف مكونات إيديولوجيا حزب الله السياسية من: المستكبرين والمستضعفين، النظام الإسلامي، العلاقات مع المسيحيين اللبنانيين؛ المنظور حول إسرائيل؛ وحدة المسلمين؛ الموقف من الغرب؛ والجهاد والاستشهاد. تهدف الأسئلة التي طرحتها إلى تسليط الضوء على الأسباب والوسائل التي

---

(١) راجع القسم الأول من الرسالة المفتوحة، ونعيم قاسم، حزب الله: المنهج، التجربة، المستقبل. بيروت: دار الهادي، ٢٠٠٢، ص. ٢٥ - ٧٨.

(٢) نيرا شاندهوك !Neera Chandhoke الدولة والمجتمع المدني: استكشافات في النظرية السياسية State and Civil Society: Explorations in Political Theory. لندن: منشورات ساج Sage Publications, 1995, ص. ٢٤.

حوَّل بواسطتها حزب الله تركيزه من الإيديولوجيا الدينية إلى الإيديولوجيا السياسية.

كيف وظَّف حزب الله رابطه ما وراء الوطني مع الإيديولوجيا الإيرانية السياسية في تعامله مع السياسات اللبنانية الداخلية وعلاقاته الإقليمية والدولية؟ هل هذا يفسِّر السبب الذي حمل حزب الله على اتباع مقاربة عنيفة متطرفة داخلياً تجاه الميليشيات المسيحية وسلوكاً متصلباً لاعناً النظام اللبناني السياسي ككل، معتبراً الحكومة اللبنانية كافرة؟ هل هذا يبرِّر نضال حزب الله الإقليمي والدولي ضد إسرائيل وفرنسا والولايات المتحدة؟

٢ . ٣ تطوُّر إيديولوجيا حزب الله:

الارتقاء إلى البرنامج السياسي (١٩٩١ إلى ٢٠٠٥)

منذ بداية التسعينات، تطوّر حزب الله أكثر فأكثر ليصبح حزباً سياسياً يقود الاتجاه السائد، ويحظى بشبكة واسعة من الخدمات الاجتماعية التي تفيد المسلمين والمسيحيين على حد سواء. شارك حزب الله في الانتخابات متحملاً المسؤولية النيابية والبلدية إلى جانب المسؤولية الحكومية، عبر التحاقه بالوزارة في العام ٢٠٠٥. يعتمد برنامج حزب الله السياسي على المكونات التالية: المستكبرون والمستضعفون؛ منظورات حول الدولة الإسلامية؛ الحوار مع المسيحيين اللبنانيين؛ شروط قانونية للعمل البرلماني والبلدي والحكومي؛ برنامج اجتماعي ـ اقتصادي: منظمات غير حكومية ومؤسسات مدنية؛ لبننة وانفتاح؛ العلاقات مع سوريا وإيران؛ المنظور حول إسرائيل؛ والجهاد والاستشهاد. آتي على ذكر السؤال التالي كي أسلِّط الضوء على الأسس والأسلوب الذي غيّر عبره حزب الله لهجته من الإيديولوجيا السياسية إلى البرنامج السياسي. [15]

تشير اللبننة أو الانفتاح إلى سياسة حزب الله القائمة على الاندماج في المجتمع اللبناني، أو انخراط الحزب في الحياة السياسية اللبنانية الداخلية، منذ

بداية التسعينات[1]. ما الموقع الذي يحتله الإسلام في فكرة حزب الله حول الاندماج والانفتاح أو اللبننة؟ هل يستطيع حزب الله بصفته حركة اجتماعية وحزباً سياسياً متكاملاً أن يؤثر بشكل حيوي على المجتمع ويصبح دافعاً قوياً للتغيير الاجتماعي، بينما يعمل في إطار النظام المذهبي الطائفي الذي لعنه لأكثر من عقد من الزمن؟ كيف يستطيع حزب الله تعديل هويته من حركة إسلامية جهادية إلى حزب سياسي يحظى بدور سياسي «بارز» في الوسط اللبناني عبر نشره برنامجاً سياسياً مفصّلاً؟ هل أثّرت عملية التحرُّر في إيران على المعيار الوطني اللبناني الذي يحاول حزب الله وصفه، أو هي أصالة لبنانية منذ البداية؟ كيف يسوِّق حزب الله لدى أتباعه التزامه بالهوية الإسلامية بينما ينتهج برنامجاً سياسياً براغماتياً؟ هل نجح حزب الله في المحافظة على شهرة إسلامية من خلال عمله البرلماني والبلدي والحكومي، أو ضحّى بهويته الإسلامية ومبادئه الإيديولوجية خلال مساومته الأطراف والأفرقاء السياسيين الآخرين والتوصل إلى تسويات معهم؟

بأي طريقة سعى حزب الله إلى اجتذاب الطبقات والقطاعات الشعبية ولا سيما المسيحيين والسنّة منهم الذين لم يستطع التقرّب منهم في السابق؟ ما هي تعقيدات إدراجهم في لوائح حزب الله الانتخابية؟ هل ثمة شروط لتمثيل حزب الله والكلام باسمه؟ هل هي «سياسة واقعيّة» أو براغماتية؟ هل ثمة تحالفات مستقرة عادية وتعاونٌ مع أطراف سياسية أخرى؟ كيف يلقي هذا بظلِّه على الحزب داخلياً؟ ما الذي حوَّل حزب الله إلى حزب سياسي يقود الاتجاه السائد وقد نجح في الحصول على أعلى نسبة تصويت في الانتخابات النيابية لعامي ٢٠٠٠ و٢٠٠٥؟ هل يعبّئ حزب الله كافة موارده وطاقاته للاندماج في المجتمع اللبناني؟

تشير هذه الأسئلة إلى عملية تعيد تحديد هوية حزب الله، وتقترح أن

(١) قاسم، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٨٦، ٢٩٤، ٣٢٠، ٣٢٧.

الحزب يمرّ في مرحلة تحوُّل ملحوظ. فكل من المكونات الثلاثة في هوية حزب الله ـ الإيديولوجيا الدينية والإيديولوجيا السياسية والبرنامج السياسي ـ ضروري في كل من المراحل الثلاث، الأمر الذي يساعد على تقديم شرح أفضل للتحولات من مرحلة إلى أخرى. [16]

٣. إطار العمل التحليلي

أقدم هنا التحديد العملي للفظة الإيديولوجيا التي أتناولها في هذا الكتاب، وأحاول شرح أهمية تعبئة الموارد لبقاء أي حركة اجتماعية على قيد الحياة.

٣.١ التحديد العملي للإيديولوجيا

الإيديولوجيا عبارة عن مجموعة أفكار متماسكة ومنظَّمة تتناول السياسة والمجتمع. يعمل هذا الكلُّ المنظّم كأساس منطقي للتحرك السياسي والاجتماعي. وبالتالي، تعني ضمناً نظرة إحدى المجموعات الاجتماعية تجاه العالم لتبرير أفعالها. يمكن أن تكون تلك النظرة حول العالم محور إعادة توصيف وصياغة وليس بالضرورة أن يتمّ قبولها بكليَّتها؛ إذ يمكن إدخال بعض التعديلات عليها وإعادة تفسيرها. غير أن النظرة الإيديولوجية لا تخضع لمعيار الاختبارات التجريبية الصارمة كما هي الحال بالنسبة للنظريات والفرضيات العلمية. فيتم تحديد الإيديولوجيا الفكرية على أنها نظام معتقدات رسمي ونظام أفكار متماسك يتضمن البرامج/البيانات السياسية والتوجهات الفلسفية والتشريعات الدينية(١). إني استخدم التحديد الأخير في تحليلي.

---

(١) كريس باركر Chris Barker وداريوز غالاسينسكي Dariusz Galasinski, الدراسات الثقافية وتحليل الخطاب: حوار حول اللغة والهويّة Cultural Studies and Discourse Analysis: Dialogue on Language and Identity, لندن: منشورات ساج Sage Publications, 2001, ص. ٣٠ - ٣١.

٣ . ٢ بقاء الحركة الاجتماعية ودور تعبئة الموارد

يتم تحديد الحركة الاجتماعية على أنها «تحركات جماعية هادِفة حيث تحوِّل نتيجتها، في حال النصر أو الهزيمة، القيم والمؤسسات في المجتمع»[١]. في معرض دراسة التحولات في إيديولوجيا الحركات الاجتماعية، أستخدم بشكل أساسي مفهوم تعبئة الموارد. ويشير هذا المفهوم إلى الطريقة التي تعبّئ فيها حركة اجتماعية قدراتها أو مواردها ـ كالمال والتأثير السياسي وإمكانية بلوغ وسائل الإعلام والأفراد ـ بغية مواجهة المصاعب والتحدّيات الاستراتيجية التي تواجهها، وتخطّيها. ثمة ميزة أساسية في نظرية تعبئة الموارد وهي أنها تعلّق أهمية بالغة على بقاء الحركة الاجتماعية على قيد الحياة، أي كيف تتأقلم مع المصاعب والتحديات الاستراتيجية بينما تحافظ على موقعها وثوابتها. لذا قد تحوِّل حركة اجتماعية إيديولوجيتها لتسهيل الانخراط في عالم يشهد ذوباناً مستمراً، وإلا تصبح عرضة للزوال، أو قد لا تقوى على البقاء حركة اجتماعية نابضة بالحياة[٢].

يناقش غرامشي Gramsci قائلاً إن مسائل علم الاجتماع الأساسية كلها تُختَصَر بمسائل علم السياسة[٣]. بمعنى آخر إذا ما أردنا تأويل غرامسكي، ما الحركات الاجتماعية سوى حركات سياسية[٤]. لا يهدف الإسلاميون كلهم إلى تعبئة المجتمع المدني عبر عملية من الأسفل إلى الأعلى وحسب، بل هدفهم الاستحواذ على السلطة والحكم عبر القضاء على الطبقة الحاكمة والحكم

---

(١) مانويل كاستلز Manuel Castells, قوة الهوية .The Power of Identity (عصر المعلومات: الاقتصاد والمجتمع والثقافة The Information Age: Economy, Society, and Culture, المجلد ٢). أكسفورد: شركة الناشرين بلاكويل Blackell Publishers Ltd., 1998, ص. ٣.

(٢) ريتشارد تي شافر Richard T. Schaefer وروبرت بي لام Robert P. Lamm, علم الاجتماع Sociology. الطبعة السادسة. نيويورك: شركات ماك غروهيل McGraw-Hill, Inc., 1998, ص.٥٨٤ - ٥٨٥.

(٣) شاندهوك Chandhoke في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٣٠.

(٤) المرجع نفسه، ص. ٢٣٣.

مكانهم. وبالتالي يمكن فهم الإسلام على أنه أبرز قوة تعبئة وتوحيد وراء التغيير والتحول السياسي في العالم العربي والإسلامي[(١)] . [17]

يبدو أن الإسلاميين فاعلون في الإشارة إلى المظالم والتعبير عنها، لكن يبقى هذا غير كافٍ. فلاجتثاث هذه المظالم، على الإسلاميين تحديث دورهم الممكن عبر مواجهة الاحتياجات الاجتماعية بشكل بنّاء، وذلك من خلال تخصيص مواردهم على نحو فاعل. فالإسلام شمولي في مقاربته بما أنه «إطار عمل سياسي ـ ثقافي ـ ديني للالتزام بمسائل تهمّ بكشل خاص المسلمين المنخرطين بالسياسة»[(٢)].

وهكذا، تنمو الحركات الاجتماعية بواسطة نشر شرعيتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، عبر تعبئة الموارد بشكل فاعل. يبدو أن هذا الأمر يحدد أسلوب تعبئتهم للحصول على تابعية ودعم حقيقي في المجتمع. في الواقع، فإن الطريقة ومدى اكتساب الحركات الاجتماعية مواردها من جمهورها يحدّدان أطر نشاطاتها. وهكذا يرتكز مفهوم تعبئة الموارد على مبدأ الحركة الاجتماعية بمعنى أكثر اتساعاً. فهو يغطي كافة النشاطات أو حتى المعتقدات (الإيديولوجيات) والتفضيلات (الهويات)، لتغيير المجتمع عبر التعبئة الجماعية.

٤ . المصادر

ترتكز أجزاء بحثي كلها على مصادر حزب الله الأولية. لقد قمتُ بتحليل إيديولوجيا حزب الله الدينية والإيديولوجيا السياسية والبرنامج السياسي، معتمداً بشكل خاص على المصادر الأولية باللغة العربية؛ بعض المصادر الثانوية جاءت باللغات العربية والإنكليزية والفرنسية؛ فيما أجريت مقابلات مع أفراد من حزب

---

(١) غراهام إي فولر Graham E. Fuller, مستقبل الإسلام السياسي The Future of Political Islam. نيويورك: بلغراف Palgrave, ماكميلان Mcmillan, 2003, ص.٢٤.

(٢) المرجع نفسه، ص. ١٩٣.

الله. يمكن إيجاد المصادر الأولية بوفرة في لبنان في المكتب الإعلامي لحزب الله، ومركز أبحاث حزب الله؛ والمركز الاستشاري للدراسات والتوثيق؛ ومركز الإمام الخميني الثقافي في بيروت؛ المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في لبنان[1]، إلى مؤسسات ودور نشر أخرى تابعة لإيران أو حزب الله. بالإضافة إلى العديد من الكتب العربية والمقالات ومواد الأرشيف والبيانات والوثائق والخطابات والإعلانات السياسية، ومنشورات أخرى لحزب الله، فإن المصادر الأولية التي قمت بدارستها وزوّدتني بالمعلومات حول إيديولوجيا حزب الله وبرنامجه هي: أولاً الرسالة المفتوحة أو البيان الرسمي السياسي؛ ثانياً برامج الانتخابات البرلمانية والبلدية للأعوام ١٩٩٢، ١٩٩٦، ١٩٩٨، ٢٠٠٠، ٢٠٠٤ و٢٠٠٥؛ ثالثاً «الآراء والمفاهيم»؛ رابعاً «تصريح الهدف» خامساً «حزب الله، من هو وماذا يريد؟»، وهو آخر وصف ذاتي لحزب الله[2]. كما لجأتُ إلى مواقع حزب الله الإلكترونية التي تتناول مواضيع بحثي. غير أن اعتمادي على المصادر الأولية الموضوعة في خدمة الجمهور لها حدودها التي لا يمكن تفاديها في عرضها لطبيعة حزب الله السريّة نظراً لطبيعة الحزب وعملياتها السرية بمعظمها. [18]

٥. تنظيم الفصول

تسلط فصول الكتاب الضوء على مختلف مستويات تحوّل إيديولوجيا حزب الله. يقدّم الفصل الأول مسحاً لتطوّر حزب الله التاريخي من العام ١٩٧٨ وحتى العام ٢٠٠٥. في الفصول الثاني والثالث والرابع تتمّ دراسة تطوّر إيديولوجيا حزب الله من مرحلة القوة الدينية (١٩٧٨ ـ ١٩٨٤/ ٨٥)، إلى مرحلة التوجّه السياسي (١٩٨٤/ ٨٥ ـ ١٩٩٠) وصولاً إلى مرحلة الانفتاح أو الاندماج

---

(١) المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في لبنان.

(٢) راجع الملاحق أ، ب، ج.

في المجتمع اللبناني (١٩٩١ إلى ٢٠٠٥). يسلّط الفصل الخامس الضوء على التحولات العامة في مقومات إيديولوجيا حزب الله في المراحل الثلاث. أما الفصل السادس فيقدّم خاتمة لأبرز نتائج التحليل المتعلقة بالتحولات في إيديولوجيا حزب الله. [19]

الفصل الأول

مسح لتاريخ حزب اللّه

تطوّره من أسسه البدائية من العام ١٩٧٨ وحتى العام ٢٠٠٨

مقدمة

يُقسَم هذا الفصل إلى أربعة أجزاء. يحاول الجزء الأول إعطاء خلفية تاريخة موجزة عن التطور السياسي لشيعة لبنان. يهدف الجزء الثاني إلى إجراء مسح لتاريخ حزب الله بين العام ١٩٧٨ والعام ١٩٨٤/ ٨٥. يعالج الجزء الثالث تاريخ حزب الله من السنوات ١٩٨٤/ ٨٥ ـ إلى ١٩٩٠. أما الجزء الرابع والأخير فيشير إلى تاريخ حزب الله من العام ١٩٩١ وحتى ٢٠٠٨. لذا أنا مهتم بتسليط الضوء على بعض العوامل الأساسية في تطوّر المجتمع الشيعي بشكل عام وحزب الله بشكل خاص، عبر دراسة المراحل والأرقام والتواريخ المهمة على امتداد حياة هذه الحركة الاجتماعية(١).

---

(١) غايتي فقط أن أقدّم انطباعاً موجزاً عما سبق تأسيس حزب الله. وتتوافر في الواقع كتب ومقالات كثيرة عن تاريخ الشيعة في لبنان. راجع على سبيل المثال سابرينا ميرفن Sabrina Mervin! إصلاح شيعي. علماء ومثقفو جبل عامل (جنوب لبنان فعلياً) من نهاية الأمبراطورية العثمانية وحتى استقلال لبنان Un réformisme chiite. Ulémas et letters du Jabal ’Amil (actuel Liban -Sud) de la fin de L’Empire Ottoman à l’indépendance du Liban! باريس: كرتالا -Karthala، مركز الدراسات والأبحاث حول الشرق الأوسط المعاصر -CERMOC، المعهد الفرنسي للدراسات العربية في دمشق IFEAD! 2000؛ أمل سعد-غريّب، «عوامل أدت إلى مشاركة شيعة لبنان في الحياة السياسية وظهور حزب الله =

I. خلفية تاريخية موجزة للتطور السياسي لشيعة لبنان

١ . شيعة لبنان

يعود أصل جزء من شيعة لبنان إلى دولة لبنان فيما يتحدّر آخرون من إيران. ويعود وجود الشيعة في لبنان إلى القرن التاسع في المنطقة بين نهر الأوّلي في الشمال إلى الجليل في الجنوب وهي منطقة تُعرف بجبل عامل(١). سكن آخرون في القسم الشمالي من سهل البقاع. أما تاريخ العلاقات بين الشيعة اللبنانيين ونظرائهم الإيرانيين فيعود إلى القرن الثاني عشر(٢). [20]

في القرن الرابع عشر، كان الشيعة أقلّية مقموعة، طردهم المماليك وتم

= «Factors Conducive to the Politicization of the Lebanese Shi'a and the Emergence of Hizbullah! مجلة الدراسات الإسلامية، المجلد ١٤ (أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٣) العدد ٣، ص. ٢٧٣ - ٣٠٧، غراهام إي فولر Graham E. Fuller ورند رحيم فرانك Rend Rahim Francke! الشعية العرب: المسلمون المنسيون. The Arab Shi'a: The Forgotten Muslims. نيويورك: منشورات سان مارتن St. Martin's Press! 1999؛ ماجد حلاوي، تحدي لبنان: موسى الصدر والطائفة الشيعية A Lebanon Defied: Musa al-Sadr and the Shi'a Coomunity. بولدر :Boulder منشورات ويست فيو Westview Press! 1992؛ أوغسطس ريتشارد نورتن Augustus Richard Norton! أمل ونضال الشيعة من أجل روح لبنان Amal and the Shi'a Struggle for the Soul of Lebanon. أوستن :Austin منشورات جامعة تكساس University Press of Texas! 1987؛ فؤاد عجمي: الإمام المغيّب: موسى الصدر وشيعة لبنان. The Vanished Imam: Musa al-Sadr and the Shia of Lebanon. إيثاكا Ithaca: منشورات جامعة كورنل Cornell University Press! 1986.

(١) للاطلاع على وصف جغرافي لحدود جبل عامل، راجع شبلي ملاط، الفكر الشيعي من جنوب لبنان .Shi'I Thought from the South of Lebanon، مقالات عن لبنان Papers on Lebanon: 7. أكسفورد: مركز الدراسات اللبنانية، ١٩٨٨، ص. ٣.

(٢) هيلينا كوبان Helena Cobban! «نمو النفوذ الشيعي في لبنان وانعكاساته على المستقبل" The Growth of the Shi'i Power in Lebanon and its Implications for the Future! لدى كول Cole ونيكي كيدي Nikki keddie (ناشرون)، المذهب الشيعي والاحتجاج الاجتماعي Shi'ism and Social Protest. نيو هافن :New Haven منشورات جامعة يال Yale University Press! 1986! ص. ١٣٨؛ حلاوي، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٠ - ٢١، ص. ٣٠ وما بعدها؛ عجمي، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٦٢. راجع أيضاً الإمام موسى الصدر، منبر ومحراب. بيروت: دار الأرقم، ١٩٦٩، ص. ١٨٧.

احتواؤهم في المناطق الحدودية بعيداً عن مركز حكم المماليك (١٢٨٢ ـ ١٥١٦)[١]. في القرن السادس عشر، استلم الصفويون الحكم في إيران وتبنّوا المذهب الشيعي كدين الدولة الرسمي للمرة الأولى في تاريخ إيران. ومذاك الحين، يربط الإيرانيين رابط فريد مع شيعة لبنان. وبالتالي تم تعزيز الروابط التاريخية القوية بين الشيعة في لبنان والإيرانيين خلال المرحلة الصفوية عندما ساعد علماء جبل عامل ـ معقل المذهب الشيعي في لبنان ومركز شيعي مهم للتعليم الأعلى ـ على تحوّل غالبية الإيرانيين من سنة إلى شيعة[٢]. تمت مكافأة علماء جبل عامل الشيعة عبر تسليمهم مواقع رفيعة في الدولة الصفوية. ومن بين هؤلاء بهاء الدين العاملي الذي تبوأ منصب شيخ الإسلام في أصفهان إلى شخصيات أخرى من عامل أمثال المحقِّق الكركي[٣] الذي هاجر في العام ١٥١٠ من لبنان إلى إيران مع عدد كبير من العلماء ومن بينهم الحُرّ العاملي، كاتب الفهرس الشيعي للحديث[٤].

بعد انهيار المماليك في العام ١٥١٦ أمام الأتراك العثمانيين وتكوين الإمبراطورية العثمانية، تم تقليص دور شيعة لبنان مرة أخرى كالشيعة الآخرين في الإمبراطورية إلى منزلة الدفاع عن أنفسهم ضد السنة. شجعت هذه المرحلة

---

(١) جوزيف أولمرت Joseph Olmert! «الشيعة والدولة اللبنانية The Shi'is and the Lebanese" State! لدى مارتن كرايمر Martin Kramer (ناشر)، المذهب الشيعي، المقاومة والثورة Shi'ism, Resistance, and Revolution! بولدر - Boulder كولورادو: منشورات ويست فيو Westview Press! 1987! ص. ١٨٩.

(٢) فولر Fuller وفرانك Francke! في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٣١.

(٣) جدير بالذكر أن الكركي (١٤٦٥-١٥٣٣)، الشهير بالمحقق الثاني، أرسى أسس ولاية الفقيه، سيّما أنه كان الرائد في افتراض أن علماء الفقه المسلمين كانوا الوكلاء العامين للإمام المهدي. راجع موجان مومن Moojan Momen! مقدّمة إلى الإسلام الشيعي: تاريخ وعقائد الشيعة الإثني عشرية An Introduction to Shi'I Islam: The History and Doctrines of Twelver Shi'ism. نيو هافن New Haven: ، منشورات جامعة يال Yale University Press! 1985! ص. ١٩٠.

(٤) الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة. بيروت: مؤسسة الحلول، بيت إحياء التراث، ١٩٩٣. توفّي الحر العاملي في العام ١١٠٤هـ/ ١٦٩٢ م.

تفوّق الزعامة (القادة الإقطاعيين) وأبقت على سيطرتهم على الرِقّ (الفلاحين) الذين وثقوا بقادتهم للمحافظة على علاقات جيدة مع الإمبراطورية العثمانية. برزت من بين الشيعة، عائلة حمادة في الهرمل بالقرب من البقاع وعائلة الأسعد في جبل عامل، فاستطاعوا تولي الزعامة والمحافظة على قيادتهم لوقت طويل(١). حكمت تلك العائلات الشيعية في إطار اتحادي أضفى صفة الرسمية على زعامتها. مرة أخرى، كان لا بد للانشقاق الشيعي المقموع من تخطي الإجراءات العثمانية التعسفية بأي وسائل ممكنة حتى لو عنى ذلك الوقوع تحت حماية الزعامة(٢).

مع تصاعد العداء بين الصفويين والعثمانيين وبلوغ الحدة جبل عامل والبقاع والهرمل، وجد العلماء في جبل عامل في إيران ملاذهم الآمن من التجنيد والاضطهاد والتعالي العثماني. كما في لبنان والعراق ومراكز دينية شيعية أخرى، كذلك الأمر في إيران حيث احتشد العلماء العامليون لكتابة ونشر عدد هائل من الكتب التي لا تزال تُعلَّم في الحوزة(٣) وفي الجامعات الدينية. وهكذا بدأت العلاقة بين الشعبين اللبناني والإيراني تأخذ منحى إيديولوجياً، فارضة التبادل الأخوي الديني الثقافي. وقد نتج من هذا الوضع تزاوج داخلي وموجة متبادلة من الهجرات(٤). [21]

---

(١) بحسب ديب، استمرت قيادتهم حتى أواسط ثمانينيات القرن العشرين. راجع ماريوس ديب Marius Deeb! «لبنان: التوقعات للمصالحة الوطنية في أواسط ثمانينيات القرن العشرين!Lebanon: Prospects for National Reconciliation in the mid-1980s مجلة الشرق الأوسط Middle East Journal العدد ٣٨ (١٩٨٤)، ص. ٢٦٨ - ٢٧٣.

(٢) حلاوي، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٩ - ٤٢.

(٣) حول هجرة العلماء العامليين وإيران، راجع ميرفن !Mervin في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٣٠ - ٣٣، والمراجع المشار إليها.

(٤) علي قصير، «العلاقات اللبنانية الإيرانية: التعاون والاندماج والشراكة" Lebanese -Iranian Relations: Cooperation, Coalescing, and Partnership Visions. جريدة الانتقاد، العدد ١٠٤٤ (١٣ شباط/ فبراير ٢٠٠٤). نجد حالياً العديد من العائلات اللبنانية من أصول إيرانية. ونذكر من هذه العائلات: الأصفهاني، العجمي، الشيرازي، الحمداني، الميرزا، =

بعد انهزام الإمبراطورية العثمانية في العام ١٩١٨ وتفككها، حلّت الحكومات العربية الموقتة يترأسها الزعماء مكان الحكم العثماني. لكن هذا التطور كان قصيراً ووجد الحلم القومي العربي للزعماء الشيعة نهايته المبكرة نتيجة لاتفاقية سايكس ـ بيكو في أيار/مايو ١٩١٦ التي قسّمت الشرق الأوسط بين البريطانيين والفرنسيين. وهكذا أنشأت فرنسا «دولة لبنان الكبير» في ١ أيلول/سبتمبر ١٩٢٠. بما أنهم كانوا يُعتبَرون من محمييها خلال الحكم العثماني، ركّزت فرنسا اهتمامها على الموارنة في لبنان. ولهذا السبب وسّعت من حدود لبنان على حساب سوريا ليضمّ جبل عامل والبقاع والمدن الساحلية السنية، وأعلنت استقلاله عن سوريا، فيما خاب أمل الشيعة الذين كانوا يتمنون الاتحاد مع سوريا[١]. غير أن دولة لبنان الكبير التي أُعلِنت في العام ١٩٢٠ قدّمت فرصة جديدة للشيعة، إذ إن الدولة اللبنانية كانت لترتكز على التمثيل النسبي المضمون لمختلف الأقليات الدينية. ومذاك اليوم أصبح التوزيع الرقمي للمجموعات الدينية بين اللبنانيين مسألة حساسة وسريعة الانفجار ومصدراً لانعدام المساواة والعدالة[٢]. لكن في ذاك الوقت، لم يكن الزعماء الشيعة، تحت أي ظرف من الظروف، ليأملوا الاضطلاع بدور سياسي بارز. فوحده لبنان

= الموسوي، الحسيني، مكتبي، آغا، الصدر، وعائلات أخرى كثيرة. هذا وتشكل عائلة الصدر العاملي واحدة من العائلات الإيرانية الأبرز التي تحمل اسماً لبنانياً. وبحسب محمد رضا وصفي، تُعتبر الموجة المعاكسة هي أيضاً بالغة الأهمية، لا سيّما أن نحو ١,٥ مليون عائلة إيرانية تعود إلى أصل لبناني. وتشكل هذه العائلات «جيشاً إيديولوجياً». لكن هذه العائلات ليست كلها شيعية؛ فحتى بعض العائلات اللبنانية المسيحية البارزة، مثل عائلتي الجميّل وأخوان، هاجرت إلى إيران وساهمت في نهضتها الثقافية. (مقابلات شخصية في بيروت، ١٨ تموز/يوليو ٢٠٠٢). وصفي باحث إيراني متخصص في الدراسات المسيحية الإسلامية ومستشار لدى المركز الدولي لحوار الحضارات في طهران.

(١) حلاوي، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٣٩ - ٤٠.

(٢) جوزيف شامي، الدين وديناميكية السكان في لبنان Religion and Population Dynamics in Lebanon. آن آربور - Ann Arbor، ميشيغان: مركز الدراسات السكانية في جامعة ميشيغان، ١٩٧٧، ص. ١١٣ - ١١٨.

منفصل يضمن للنخبة الشيعية الحصول على دور حقيقي في الحكم(١). نتيجة لذلك، أظهر الزعماء الشيعة ولاءهم للدولة اللبنانية عندما رفضوا الدعوة العربية للوحدة بين لبنان وسوريا. كانت مناطقهم (دوائرهم) هادئة وأشارت إلى إجماع على الدعم الشيعي لفكرة لبنان الكبير(٢).

كان لدولة لبنان الكبير أثرها الإيجابي بمضاعفة حجم الأرض، لكن كان لها أيضاً أثرها السلبي بتعقيد مستقبله. تم التأكيد على أن ما من طائفة تتفوق على أخرى ما أدى إلى ضرورات مزدوجة، ولا سيما نسج تحالفات داخلية وجلب دعم خارجي. غير أن تحالفات كهذه مصيرها الفشل إذ ما من طائفة متجانسة، وحتى التحالفات الداخلية كانت صعبة البقاء. لقد تم بمعنى أو بآخر فرض التجارب الشيعية في التحالفات في تلك الفترة. على سبيل المثال، فإن الفجوة القائمة بين المنطقتين الشيعيتين الأساسيتين جعلت من الصعوبة بمكان نجاح أي تحالف داخل الطائفة. في الواقع اختلف الدرب المسلوك في جبل عامل عن درب سهل البقاع والهرمل. فشكّل الأول جماعة إقطاعية زراعية حيث يحكم الزعماء مع بعض العلماء. أما شمال البقاع، فقد تميّز بشرف العشيرة وقوانينها التي تحكم حياة الشيعة نصف البدويين في المنطقة. أما إذا ما تم جمعهما معاً، فتشكّل هاتان المنطقتان نسبة ١٧٪ من سكان دولة لبنان الكبير في بلد يشكل حجم الطائفة [22] شرطاً أساسياً لتمثيلها. غير أن التحالف بين هاتين الجماعتين الشيعيتين كان سطحياً نوعاً ما. ففي حين عزز من قوة الزعماء، انصرف عن هموم الشعب(٣).

في ٢٣ أيار/مايو ١٩٢٦، أبصرت الجمهورية اللبنانية النور بدستور مكتوب وحدود معترف بها دولياً(٤). أعدّ الدستور اللبناني برلمانيون وشخصيات

---

(١) أولمرت Olmert، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٨٩ - ٢٠٠.
(٢) نورتن Norton، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٦ وما بعدها.
(٣) كوبان Cobban، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٣٩ - ١٤٠.
(٤) حلاوي، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٣٩.

لبنانية[١] بناء على خطوط فرنسية وتم انتخاب شارل دباس وهو من طائفة الروم الأرثوذكس أول رئيس للجمهورية اللبنانية. اعترف دستور العام ١٩٢٦ بالشيعة كـ«طائفة رسمية منفصلة عن السنة»[٢].

٢. حرمان الشيعة في النظام الاقتصادي الاجتماعي والسياسي اللبناني، وتأثيرات النزاع الفلسطيني الإسرائيلي على تعبئة الشيعة وتطرفهم

كانت هذه الطائفة الشيعية المتحدة تعرّضت لمزيد من التخلُّف وخضعت لمعايير حياة متدنية تفتقر لأي تنظيم اجتماعي جيد أو اقتصاد قابل للنمو. هذا الوضع أدى إلى حرمان الشيعة وتهميشهم في ظل النظام اللبناني. إحدى المحصلات وراء ذلك هي إحصاء العام ١٩٣٢ الذي قامت به الحكومة الفرنسية، والذي كان منحازاً للمسيحيين. اعتُبِر الشيعة الذين كانوا يعيشون في مناطق ذات أغلبية مسيحية على أنهم مسيحيون. على سبيل المثال، كان هذا الوضع في جنوب جبل لبنان (جبيل وكسروان) وفي الشمال (الكورة وعكار). في مناطق أخرى، تم إحصاء العديد من الشيعة إما كسنة أو كمسيحيين. وقد ساهمت ممارسة التقية في خفض نسبة الشيعة. فكانت نتيجة الإحصاء أن المسيحيين (الموارنة) يشكلون الأغلبية أو أكبر طائفة؛ فيما المسلمون السنة في المرتبة الثانية؛ أما الشيعة فهم في المرتبة الثالثة، مشكلين ١٩.٦٠٪ من السكان في العام ١٩٣٢. وبما أن الشيعة يشكلون ثالث أكبر مجموعة طائفية، حازوا على بعض السلطة لكنها بقيت غير متكافئة نظراً لعددهم[٣].

---

(١) على وجه الخصوص ميشال شيحا وبترو طراد.

(٢) مومن Momen، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٦٥.

(٣) أليزابيث بيكار Elisabeth Picard، «الهويّات السياسية والهويّات الطائفية: التعبئة المتغيّرة في أوساط الشيعة اللبنانيين على مر عشر سنوات من الحرب، ١٩٧٥ ـ ١٩٨٥» Shifting Mobilization Among the Lebanese Shi'a Through Ten Years of War! لدى دنيس ال. طومسون Dennis L. Thompson ودوف رونين Dove Ronen (ناشرون)، الإثنية والسياسة والتنمية Ethnicity, Politics and Development (بولدر - Boulder كولورادو: لين راينر ناشرون Lynn Riener Publishers! 1986)، ص. ١٦٢ وما بعدها.

بالأخذ بعين الاعتبار إحصاء العام ١٩٣٢ واستقلال لبنان عن الفرنسيين، بموجب الميثاق الوطني في العام ١٩٤٣ الذي يشكّل اتفاقاً شفهياً وليس مكتوباً في دستور العام ١٩٢٦ أصبح رئيس الجمهورية مارونياً ورئيس الوزراء سنياً ورئيس المجلس النيابي شيعياً[١]. فكان الميثاق الوطني بين الأقليتين السنية والمارونية القويتين من جهة، والحكومة الفرنسية من جهة أخرى، ليشكّل الأساس لاستقلال لبنان. وعلى الرغم من أن الشيعة حظوا بمركز رئيس المجلس النيابي الرمزي [23] إلا أن الميثاق الوطني أصبح أحد مصادر الاستياء العديدة لدى الشيعة الذين شعروا باستثنائهم من السلطة السياسية، في ظلّ غياب أي فرصة ملموسة لبلوغهم السلطة أو المشاركة بشكل فاعل بها. وبالتالي شعروا أنهم مواطنون من الدرجة الثالثة. علاوة على ذلك، جعلت نسبة التعيينات في المراكز السياسية، فضلاً عن التمثيل في المجلس النيابي لستة مسيحيين مقابل خمسة مسلمين، استناداً إلى إحصاء العام ١٩٣٢ جعلت المسلمين ككل يشعرون أنهم مواطنون من الدرجة الثانية[٢]. غير أن المادة ٩٥[٣] من الفقرة السادسة في الدستور اللبناني أعطت بعض الأمل للشيعة بحصولهم على تمثيل أفضل في المستقبل: «بصورة موقتة، والتماساً للعدل والوفاق، تمثَّل الطوائف بصورة عادلة في الوظائف العامة وبتشكيل الوزارة دون أن يؤول ذلك إلى الإضرار بمصلحة الدولة»[٤]. أعلن لبنان استقلاله في ٢٢ تشرين

(١) جون أل. إسبوزيتو John L. Esposito «السياسة الشيعية في لبنان!Shii Politics in Lebanon" لدى جون أل. إسبوزيتو John L. Esposito الإسلام والسياسة .Islam and Politics سيراكوز: منشورات جامعة سيراكوز Syracuse University Press! 1988، ص. ٢٧٤ وما بعدها. جدير بالذكر أن هذه الصيغة قد استمرت على مر السنوات ولا يزال معمولاً بها على الرغم من اتفاق الطائف الذي سُنّ في العام ١٩٩٠ باعتباره دستور لبنان الجديد. راجع أيضاً «نصوص دستورية» لدى لجنة التحليل والدراسات في المكتب السياسي لحزب الله، وثيقة الطائف: دراسة في المضمون، الطبعة الأولى، بيروت: ١٩٨٩، ص. ٦٣ - ٦٧.

(٢) هيلينا كوبان Helena Cobban صناعة لبنان الحديث .The Making of Modern Lebanon لندن: هاتشينسون Hutchinson! 1985 ص. ٢٤ وما بعدها.

(٣) تم تعديلها بموجب قانون دستوي صادر بتاريخ ٩ تشرين الثاني/ نوفمبر العام ١٩٤٣.

(٤) المكتب السياسي لحزب الله، وثيقة الطائف. . .، ص. ٦٧.

الثاني/ نوفمبر ١٩٤٣، ومذاك الحين يحتفل لبنان بهذا التاريخ في كل عام بيوم الاستقلال. غير أن الاستقلال الحقيقي لم يُنجَز حتى كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٥، فيما تم جلاء الجيش الفرنسي عن لبنان بعد سنة بتاريخ ٣١ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٤٦[١].

خلال هذه الفترة، يُقدَّر أن حوالى ٨٠٪ من الشيعة جاؤوا من الجنوب. ومع أن نسبة صغيرة منهم لا تزال تعيش في الجنوب، إلا أن معظمهم انتقل إلى بيروت وضواحيها الفقيرة كالنبعة وبرج البراجنة وعين الرمانة. أما الـ٢٠٪ الباقون فيعيشون في القسم الشمالي من البقاع والهرمل وبعلبك[٢]. خلال عملية العصرنة، بدأت الطائفة الشيعية تحلُّ رابطها مع الزعماء. ومع بداية الستينيات بدأت السلطة الفعلية تُسحَب من بين أيدي الزعماء نتيجة لنمو بيروقراطية الدولة التي أمّنت العديد من الخدمات ذات الطبيعة السياسية كما كان يفعل الزعماء. وبالتالي، ازداد الشيعة بين العام ١٩٤٦ والعام ١٩٦٢ شعوراً بسوء تمثيلهم وبكونهم ممنوعين من الحصول على السلطة الحقيقية[٣]، لذا احتقروا كونهم جزءاً من الدولة اللبنانية. وكان شيعة الجنوب الأكثر عرضة «لإيديولوجيات التغيير» مطالبين بمراجعة دقيقة وشاملة للنظام السياسي[٤]. وعلى مر السنين، أصبح الشيعة الطائفة الأسرع تكاثراً في لبنان بأعلى معدلات ولادة وأقل نسب هجرة، مقارنة مع الطوائف الأخرى. قد يتساءل المرء إذا ما رحّبت هويتهم الدينية التي تنبعث من عقائدهم وتقاليدهم بهذه الزيادة[٥]. وهكذا بدأ الشيعة

---

(١) أسعد أبو خليل، «دراسة الأحزاب السياسية في لبنان: نحو تصنيف نمطي" The Study of Political Parties in Lebanon: Toward a Typology لدى فرانك تاشو Frank Tachau (ناشر)، الأحزاب السياسية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا Political Parties of the Middle East and North Africa. لندن: مانسيل المحدودة للنشر Mansell Publishing Limited 1994 ص. ٢٩٩ - ٣٠٠.

(٢) بيكار Picard في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٦٢.

(٣) حلاوي، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٤٩ - ٧٧.

(٤) بيكار Picard في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٦٣.

(٥) راجع القسم ١,١,٣ «التخليد» في الفصل الثاني.

اللبنانيون، أكبر مجموعة سكانية كانت في أسفل السلّم الاقتصادي الاجتماعي بالمطالبة بمكان لهم في توزيع السلطة والغنائم(١). خلال ذلك الوقت، كان التوزيع الاقتصادي غير العادل جلياً: ميّزت المجاعة والأمية والحرمان المناطق الريفية الحدودية التي يقطنها الشيعة بغالبيتهم [24] بينما كانت بيروت تشعّ بازدهار ظاهر ومثير. وهكذا أشرقت بيروت وأصبحت مركز عرض للغنى والاستهلاك فيما أصبحت الأزقة الشيعية أكثر ازدحاماً وتوسعاً(٢).

في العام ١٩٥٩ طلب رئيس الجمهورية في ذاك الوقت العماد فؤاد شهاب من الحكومة الفرنسية مساعدته على وضع برنامج إصلاحات اقتصادية اجتماعية وإدارية. لذا أرسلت الحكومة الفرنسية وفداً من «المؤسسة الدولية للأبحاث وإعداد التنمية الثقافية»(٣) أجرى بحثاً مكثفاً على الأراضي اللبنانية، وكشف عن أبحاثه في تقرير نُشِر بعد ثلاث سنوات. بحسب هذه الدراسة، كشف لويس جوزيف لوبري، رئيس المؤسسة ومؤسسها، أن نسبة اثنين بالمئة من الشعب اللبناني تملك ثمانين بالمئة من وسائل الإنتاج والتوزيع بينما يعاني الجنوب وسهل البقاع والشمال من حالة تخلّف. فلا تملك هذه المناطق الحدودية مياهاً جارية أو كهرباء ولا بنى تحتية ولا مستشفيات إلى ما هنالك. في الواقع تتمركز معظم البنى التحتية والفوقية والحداثة والمشاريع التنموية في بيروت وجبل لبنان. وبالتالي حث لوبري على إحداث تنمية متوازنة(٤). وفق لوبري في ذاك

---

(١) أولمرت Olmert في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٩٧.

(٢) دايفد ماك دويل David McDowall لبنان: صراع الأقليات Lebanon: A Conflict of Minorities. لندن: المجموعة ٦١ لحقوق الأقليات، ١٩٨٣، ص. ٣ - ١٧.

(٣) المؤسسة الدولية للأبحاث وإعداد التنمية الثقافية International Institute of Research and the Formation of Educational Development، تأسست المؤسسة الدولية للأبحاث وإعداد التنمية الثقافية في العام ١٩٥٨ من قبل لويس جوزيف لوبري Louis Joseph Lebret.

(٤) راجع لويس جوزيف لوبري Louis Joseph Lebret لبنان في مواجهة تنميته Le Liban Face à son Développement، ولبنان عند المنعطف Le Liban au Tournant. بيروت: معهد الإعداد من أجل التنمية - دراسات ووثائق Institut de Formation en vue du Développment Etudes et Documents! 1963. على سبيل المثال، حتى في أيامنا هذه، لا يوجد في قضاء عكار في شمال لبنان سوى مشفىً واحد يضم ٣٨ سريراً فقط.

الوقت، الشيعة محرومون من حقوقهم بشكل كامل؛ فهم لا يعانون سوء التمثيل وحسب على الصعيد السياسي بل يعانون حرماناً اقتصادياً أيضاً. فمعظم الطبقات اللبنانية التي تعمل لكسب قوتها وحسب وتعيش في الأزقة الفقيرة هي طبقات شيعية بامتياز. حذّر لوبري من أن التمييز بين المناطق الحدودية المتخلفة والوسط المزدهر يجعل الهيكلية اللبنانية الاقتصادية الاجتماعية غير قادرة على استدامة أي أزمة، وبالتالي ليست قابلة للنموّ إلا إذا ما تمت مواجهة هذا التمييز بشكل سريع وبنّاء. وهكذا توقَّع حرباً أهلية دامية في لبنان في مجال النظريات القريبة أو المتوسطة الأجل (١٠ ـ ١٥ سنة)[١].

بالتزامن مع العامل الاقتصادي الاجتماعي، كان لتأثيرات العامل الفلسطيني على الشيعة اللبنانيين وقعه أيضاً، خاصة في جنوب لبنان. فمنذ العام ١٩٤٨، عام النكبة، عندما تم إنشاء إسرائيل دولةً على أنقاض فلسطين، اقتلعت القوات الإسرائيلية مئات آلاف الفسلطينيين من أراضيهم وأرسلتهم إلى حدود العديد من الدول العربية المجاورة، حيث استقر معظمهم في لبنان. وبحسب السيد إبراهيم الموسوي، بين العام ١٩٤٨ وحتى تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية في العام ١٩٦٤، لم يكن هناك أي عملية ضد إسرائيل من الحدود اللبنانية، ومع ذلك قتلت إسرائيل أكثر من مئة مدني وألحقت إصابات بالعديد[٢]. ازداد النزاع سوءاً بعد نكسة ٤ حزيران/ يونيو ١٩٦٧ عندما ضمّت

---

(١) لوبري Lebret المرجع نفسه. الواقع أن العوامل الاقتصادية الاجتماعية التي سلّط لوبري الضوء عليها لم تكن الأسباب الوحيدة لاندلاع الحرب الأهلية. على سبيل المثال، يؤكّد فريد الخازن على أن هذه العوامل لم تكن لتتسبب بنزاعات مسلحة لولا الأبعاد الخارجية للنزاع. تفكك الدولة في لبنان. The Breakdown of the State in Lebanon: 1967 - 1976 لندن: آي بي توريس (ناشرون) I.B. Tauris Publishers 2000. هذا ويصف آية الله محمد حسين فضل الله الحرب الأهلية «بحرب الآخرين على أرض لبنان». مقابلة شخصية بتاريخ ١٤ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥.

(٢) مقابلة أُجريت بتاريخ ٢٨ تموز/ يوليو ١٩٩٨ في المكتب الإعلامي المركزي لحزب الله في حارة حريك، ضاحية بيروت الجنوبية. الموسوي من الكوادر الإعلامية، وهو محرر في قناة المنار، وكاتب عمود في صحيفة الانتقاد الأسبوعية. وقد كرر الموسوي الحجة نفسها في حديث أدلى به في المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت (OIB) بتاريخ ٩ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥.

إسرائيل بالقوة العسكرية غزة والضفة الغربية وسيناء ومرتفعات الجولان السورية[1]. مذاك الحين، أصبح لبنان هدفاً [25] للاعتداءات الإسرائيلية العشوائية، بمعنى أنها لم تكن بالضرورة ناتجة من إجراءات انتقامية رداً على هجمات منظمة التحرير أو المقاومة اللبنانية. عندما رأوا أنهم خسروا الأرض التي أطلقتهم في غزة والضفة الغربية، استخدم المقاتلون الفلسطينيون جنوب لبنان بديلاً لها. يضيف الموسوي أنه في العام ١٩٦٨، فجرت وحدات الكومندوس الإسرائيلي ١٣ طائرة تابعة لطيران الشرق الأوسط في مطار بيروت الدولي رداً على هجوم في اليونان قام به فلسطينيون لقوا تدريبهم في لبنان باسم مقاتلي الحرية.

نتيجة لذلك، «ارتدى نزوح العائلات الشيعية إلى ضواحي بيروت شكل الفيضان منذ نهاية الخمسينيات»[2] خاصة بعد تزايد وجود منظمة التحرير الفلسطينية العسكري في الجنوب والمواجهات العنيفة مع الإسرائيليين. دفعت الدولة اللبنانية ثمناً باهظاً لوقوفها مع الفلسطينيين، إذ إن الشيعة ولا سيما أولئك الذين يعيشون في الجنوب قد خسروا منازلهم وأحباءهم وواجهوا خسائر اقتصادية فادحة بالنيابة عن مقاتلي الحرية الفلسطينيين[3]. تراكم شعور المرارة الناشئ تجاه منظمة التحرير ووصل حد المواجهة. «منذ أواخر الستينيات، هُجّر مئات آلاف اللبنانيين مراراً من منازلهم في الجنوب نتيجة للأعمال العسكرية الإسرائيلية في أغلب الأحيان[4]».

في العام ١٩٧١، تمركز نصف السكان الشيعة تقريباً في منطقة بيروت

---

(١) راجع الخازن، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٣٢ - ١٣٣.

(٢) كوبان Cobban نمو النفوذ الشيعي. . .، ص. ١٤١.

(٣) لم يناصر اللبنانيون جميعهم الفلسطينيين. الكتائب على سبيل المثال تصدت بشراسة للهجمات الفلسطينية المسلحة من الأراضي اللبنانية.

(٤) أوغسطس ريتشارد نورتن Augustus Richard Norton «حزب الله اللبناني: الأفكار المتطرفة في مقابل السياسة الدنيوية Hizballah of Lebanon: Extremist Ideas vs. Mundane Politics» مجلس العلاقات الخارجية، (شباط/فبراير ٢٠٠٠)، (عبر الإنترنت)، ص. ٢٥.

الكبرى[١]. وهكذا كان للنزاع الإسرائيلي الفلسطيني في جنوب لبنان أثره على تعبئة الشيعة وتطرفهم.

ومع أن معظم علماء السياسة والاجتماع تجاهلوا توقُّع لوبري بصفته إمكانية بعيدة الاحتمال، تحقق فأله في ١٣ نيسان/أبريل ١٩٧٥، تاريخ اندلاع الشرارة الأولى للحرب الأهلية التي امتدت على ست عشرة سنة[٢]. وقد نتج من هذه الحرب الأهلية تغييرات ديموغرافية مهولة. في العامين ١٩٧٥ ـ ٧٦ انطلقت الميليشيات المسيحية في حملة «تطهير إثني»[٣] عنيفة نجحت في انتزاع الشيعة من شرق بيروت وركّزتهم في الضاحية الجنوبية. «ومع بداية الثمانينيات، كان ثلث الشيعة في لبنان قد تجمّعوا في هذه المنطقة. وقد سرَّع نزوح الشيعة الكبير إلى بيروت عملية التغيير الاجتماعي داخل الطائفة» خاصة عندما سنحت الفرصة لشيعة جبل عامل وشيعة البقاع بالانصهار معاً، الأمر الذي ساعد تدريجياً

---

(١) راجع «الهجرة الجماعية والوصول إلى الوضع البروليتاري» Exodus and Proletarianization لدى حلاوي، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٦٨ - ٧٤.

(٢) كان الفتيل الذي أشعل الحرب الأهلية حادثة عين الرمانة في بيروت الشرقية المسيحية. فقد عمد مقاتلو ميليشيا مجهولون، يُفترض أنهم من مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينية، إلى إطلاق النار على كنيسة مارونية، فقتلوا أربعة أشخاص من بينهم عنصران من ميليشيا الكتائب المسيحية. وفي اليوم نفسه، انتقم الكتائبيون عبر نصب كمين لحافلة ركاب كانت تعبر في عين الرمانة، وأطلقوا النار على ركابها الفلسطينيين السبعة والعشرين فقتلوهم. وفي مرحلة لاحقة، انضمت الأحزاب السياسية اللبنانية من اليسار إلى الحرب وناصرت الفلسطينيين. راجع على سبيل المثال أسعد أبو خليل، القاموس التاريخي للبنان Historical Dictionary of Lebanon. لندن: منشورات سكيركرو Scarecrow Press, 1999, و«دراسة الأحزاب السياسية في لبنان» The Study of Political Parties in Lebanon ص. ٢٩٧ - ٣٦٨؛ ص. ٦٤٧؛ ونورتن Norton أمل ونضال الشيعة...؛ وحلاوي، في المرجع المذكور آنفاً؛ وعجمي، في المرجع المذكور آنفاً.

(٣) استخدمت الميليشيات المسيحية الكلمة «تطهير» للإشارة إلى تنظيف المنطقة من المسلمين والفلسطينيين. على سبيل المثال، بعد محاصرة مخيم تل الزعتر لمدة شهرين، أغارت الميليشيات المسيحية على المخيّم بتاريخ ١٢ آب/أغسطس ١٩٧٦ وقتلت نحو ١٦٠٠ شخص. جريدة النهار، ١٣ آب/أغسطس ١٩٧٦. وجدير بالذكر أن كافة الفصائل المتقاتلة في لبنان تقريباً، وليس الميليشيات المسيحية فقط، اعتمدت هذه الاستراتيجيات في وقت من الأوقات، ولم تنجح في منع عناصرها من ارتكاب جرائم ذات تأثيرات مشابهة.

على تكوين «جمهور شيعي وطني واحد»[١]. وهكذا «أدّت الأحداث في جنوب لبنان إلى انتقال أعداد كبيرة جداً من اللاجئين إلى منطقة بيروت حيث إن الشيعة أصبحوا اليوم على الأرجح أكبر طائفة في بيروت»[٢].

بعد انتهاء الحرب اللبنانية في العام ١٩٩٠، أظهرت الإحصاءات أن ٤٪ من السكان يستحوذون على نسبة ثمانين بالمئة من وسائل الإنتاج والتوزيع[٣]، الأمر الذي دفع برئيس الوزراء الأسبق رشيد الصلح إلى التعليق غداة اضطرابات السادس من أيار/مايو ١٩٩٢ الاجتماعية أن لبنان دولة [26] يحكمها ألف عائلة تسيطر على كل شيء في الوسط اللبناني[٤].

بعكس ما يدعي نورتون وشاتز، بأنه «حتى في أكثر التقديرات كرماً، لا تتعدى نسبة الشيعة في لبنان أربعين بالمئة»[٥] و«الشيعة الذي يشكلون أربعين بالمئة من الشعب اللبناني»[٦]، غير أنه حالياً وكما تشير تقديرات حديثة صادرة

---

(١) كوبان Cobban نمو النفوذ الشيعي. . .، ص. ١٤١ - ١٤٣.

(٢) مومن Momen في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٦٨.

(٣) على سبيل المثال، راجع رملة خالدي بيهم، «البعثة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا، سياسات الحد من الفقر في الأردن ولبنان: لمحة عامة» Economic and Social Commission for Western Asia, Poverty Reduction in Jordan and Lebanon: An Overview. دراسات القضاء على الفقر Eradicating Poverty Studies (السلسة رقم ١٠). نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٩. في ١٧ تموز/يوليو ٢٠٠٤، أكد إيلي يشوعي، الخبير الاقتصادي اللبناني وعميد كلية إدارة الأعمال في جامعة سيدة اللويزة، أن ٩٠ في المائة من اللبنانيين يعيشون تحت خط الفقر. (راجع الصحف اللبنانية اليومية الصادرة بتاريخ ١٩ تموز/يوليو ٢٠٠٤). راجع أيضاً «الانتشار: سلاح لبنان السري ضد الانهيار الاقتصادي» The Diaspora: Lebanon's secret weapon against economic collapse، وكالة الأنباء الفرنسية أ. ف. ب. Agence France - Press يوليو/تموز ٢٠٠٤.

(٤) راجع الصحف اللبنانية اليومية الصادرة في اليوم التالي.

(٥) راجع أوغسطس ريتشارد نورتن Augustus Richard Norton «حزب الله: من الراديكالية إلى البراغماتية Hizballa: From Radicalism to Pragmatism، مجلس السياسات الشرق أوسطية، المجلد ٥ (كانون الثاني/يناير ١٩٩٨)، العدد ٤، ص. ٧. عبر الإنترنت على الموقع الإلكتروني: .www.mepc.org/journal/9801norton.html

(٦) راجع آدم تشاز Adam Shatz «بحثاً عن حزب الله» In Search of Hezbollah مجلة =

عن وزارة الداخلية، فإن شيعة لبنان يشكلون حوالى ٥٥٪ من السكان ـ حيث تتضمن ضاحية بيروت الجنوبية وحدها حوالى ٨٥٠٠٠٠ شيعي[١].

II تعبئة الشيعية، دور الإمام موسى الصدر، وبروز حزب الله

١. الإمام موسى الصدر

وُلِد الإمام موسى الصدر في ١٥ آذار/مارس ١٩٢٨ في قُم (إيران) وتلقّى علومه في النجف (العراق)، التي تُعتبَر أهم المراكز التعليمية الدينية في الإسلام الشيعي. والده السيد صدر الدين الصدر كان مواطناً إيرانياً، ووالدته السيدة صفية لبنانية الأصل[٢]. بعد أن نال السيد موسى الصدر شهادة الحقوق من

= نيويورك للكتب The New York Review of Books المجلد ٥١ (٢٩ نيسان/أبريل ٢٠٠٤)، العدد ٧، ص. ٢. عبر الإنترنت على الموقع الإلكتروني:

(١) استندت في تقديراتي إلى وزارة الداخلية، تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٥. تم احتساب الذين يحملون جوازات سفر لبنانية فقط واستثناء الجوازات الأخرى كافة. في ٢٦ آب/أغسطس العام ٢٠٠٥، أكد السيد حسن نصر الله، الأمين العام الحالي لحزب الله، أن رئيس الوزراء السابق الراحل رفيق الحريري أخبره، في خلال لقاءاتهما الأسبوعية التي سبقت اغتيال الحريري في ١٤ شباط/فبراير ٢٠٠٥، أن المسلمين اللبنانيين يشكلون ما نسبته ٧٠ إلى ٧٥ في المائة من المواطنين، في حين أن المسيحيين يشكلون بحسب التقديرات ٢٠ إلى ٢٥ في المائة. وأضاف نصر الله أن مراكز الأبحاث المستقلة تقدّر أن تكون نسبة المسيحيين من ١٧ إلى ٢٠ في المائة. (راجع مقابلة نصر الله مع صحيفة الرأي العام الكويتية، بحسب ما نقلته وكالة اللبنانية الوطنية للأنباء والصحف اللبنانية اليومية الصادرة بتاريخ ٢٩ آب/أغسطس ٢٠٠٥). وقد قدّرت جابر عدد سكان الضاحية بنحو ٨٠٠ ألف نسمة (راجع هلا جابر، حزب الله: مولودون بقوة Hezbollah: Born with a Vengeance. نيويورك: منشورات جامعة كولومبيا، ١٩٧٧، ص. ١). وفي ٤ آذار/مارس ٢٠٠١، أعلنت السفارة الأميركية في بيروت أن نسبة المسيحيين في لبنان هي ٢٥ في المائة، وهي نسبة أدنى بكثير من تلك التي جاءت في إحصائيات الرئيس شيراك في خلال زيارته إلى لبنان في نيسان/أبريل العام ١٩٩٦ عندما قدّر الفرنسيون هذه النسبة بنحو ٣٦,٦ في المائة (راجع المؤسسة اللبنانية للإرسال أل بي سي LBCI ٢٤ آذار/مارس ٢٠٠١، وصحيفة دايلي ستار Daily Star ٢٥ آذار/مارس ٢٠٠١). وجدير بالذكر أنه بتاريخ ٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٥، أشارت تقديرات صحيفة النهار إلى أن المسيحيين يشكلون ٣٨,٤ في المائة من المواطنين.

(٢) وفقاً للقانون اللبناني، لا يمكن للأم أن تمنح أولادها الجنسية اللبنانية.

جامعة طهران، بدأ يعلِّم الفقه والمنطق في قم. في العام ١٩٥٤، غادر إلى النجف حيث درس الفقه والأصول بتوجيه من أبرز رجال الفقه أمثال آيه الله سيد محسن الحكيم وآيه الله السيد أبو القاسم الخوئي(١).

وصل السيد موسى الصدر من إيران في العام ١٩٥٨ وبدأ يجمع تدريجياً أتباعه إلى أن أصبح قائد الطائفة الشيعية في لبنان(٢). تزوج الإمام موسى الصدر الإيراني المولد لاحقاً امرأة لبنانية(٣). في العام ١٩٦٣، سُحِبت الجنسية الإيرانية من الإمام الصدر بسبب انتقاده قمع الشاه لانتفاضة الشعب الإيراني. وهكذا أصبح الإمام الصدر في العام ١٩٦٣ مواطناً لبنانياً(٤).

في الستينيات والسبعينيات، فتح قدوم الإمام موسى الصدر صفحة جديدة من العلاقات بين الشعبين اللبناني والإيراني، خاصة بعد هروب العديد من الإيرانيين من نظام الشاه ولجوئهم لسنوات عدة إلى لبنان. ويعود سبب ذلك إلى أن لبنان كان يُعتبَر ملاذاً آمناً للحركات الليبرالية والمسلمة التي كانت تُعبَّأ ضد الشاه. [27]

وهكذا، استخدم الإيرانيون لبنان منصّة إطلاق لتنظيم مجموعاتهم ضد نظام الشاه. كما اهتموا بدعم مقاتلي الحرية الفلسطينيين الذي استخدموا جنوب لبنان لإطلاق هجماتهم ضد المستوطنات الشمالية في إسرائيل. تجدر الإشارة إلى أنه خلال وجود الإمام الخميني في النجف، أصدر فتوى دينية تحرّم

---

(١) حلاوي، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٢٤ - ١٢٦.

(٢) بتاريخ ٣٠ كانون الأول/ ديسمبر العام ١٩٧٥، توفي ممثل الطائفة الشيعية اللبنانية السيد عبد الحسين شرف الدين. وجدير بالذكر أن مفتي الجمهورية اللبنانية كان ولا يزال من الطائفة السنيّة، على الرغم من أن الشيعة يشكلون حالياً أكثرية اللبنانيين.

(٣) حول الرابط بين عائلة الصدر وجبل عامل، راجع ميرفن Mervin، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٤٣٧ - ٤٣٩.

(٤) ديليب هيرو Dilip Hiro إيران في عهد آية الله Iran Under the Ayatollah الطبعة الأولى. لندن: روتليدج Routledge وكيغان بول Kegan Paul, 1985، ص. ٣٤٥ - ٣٤٦.

استخدام الخُمْس[١] لدعم مقاتلي الحرية الفلسطينيين في نضالهم ضد إسرائيل[٢].

عمل الإمام موسى الصدر على تعبئة الشيعة اللبنانيين بفاعلية خلال محاولاتهم الحصول على نظام سياسي واجتماعي واقتصادي أكثر إنصافاً. فأخذ يناصر حقوق الشيعة بطريقة لا سابقة لها، بينما كان يحارب في الوقت نفسه على جبهتين: أولاً، بدأ التكتل وممارسة الضغط على الدولة اللبنانية لاعتماد مقاربة أكثر إنصافاً لمطالب الشيعة الذين كانوا ينادون بتمثيل أفضل في البنية السياسية اللبنانية؛ ثانياً، تحدى في الوقت عينه الزعماء الشيعة المسيطرين على الأراضي في محاولة منه لتقويض سلطة خصومه الشيعة من السياسيين، ولا سيما كامل الأسعد الذي كان يشغل منصب رئيس المجلس النيابي في ذلك الوقت. نتج من هذه الحالة صراع شيعي داخلي[٣].

تجسّد طلبه الأول القائم على تأسيس منظمات مجتمع مدني قوية وفاعلة مستقلة عن الدولة بتأسيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى الذي يهدف إلى تقديم مطالب الشيعة أمام الدولة بالتساوي مع الطوائف اللبنانية الأخرى. تم تأسيس هذا المجلس رسمياً في العام ١٩٦٩ وأصبح الإمام الصدر رئيسه في ٢٢ أيار/مايو ١٩٦٩. خلال حفل الافتتاح في ٢٣ أيار/مايو ١٩٦٩، قدّم برنامجه السياسي الذي يمكن اختصاره بالنقاط السبع التالية: أولاً تنظيم شؤون الطائفة الشيعية وتحسين ظروفها الاجتماعية والاقتصادية. ثانياً، تطبيق نظرة شمولية

---

(١) الخمس: ضريبة دينية بنسبة ٢٠ في المائة على فائض دخل الفرد الذي يتجاوز نفقات الحياة الضرورية. يُدفع نصفها إلى المرجع الديني باعتباره وكيل الإمام (سهم الإمام) والنصف الآخر إلى السادة.

(٢) مقابلة شخصية مع محمد رضا وصفي أُجريت في بيروت بتاريخ ١٨ تموز/يوليو ٢٠٠٢. راجع أيضاً كتابه المعنون الفكر الإسلامي المعاصر في إيران: جدليات التقليد والتجديد. بيروت: دار الجديد، ٢٠٠٠، وعلى وجه الخصوص الجزء الأول: «تكوّن الهوية الشيعية الجماعية من خلال اندماج المرجعيات السياسية والدينية»، ص. ٢٣ - ٤٨.

(٣) حلاوي، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٤٧ - ١٤٨ وما بعدها، ص. ١٨٧.

للإسلام في ما يتعلق بالأفكار والممارسات والجهاد. ثالثاً، النضال في سبيل الوحدة الكاملة بين المسلمين من دون أي تمييز. رابعاً، الانفتاح: التعاون مع كافة المذاهب والطوائف اللبنانية[١]، والحفاظ على الوحدة الوطنية. خامساً، إنجاز الواجبات الوطنية والقومية. سادساً، محاربة الجهل والفقر والتخلف والظلم الاجتماعي والانحلال الأخلاقي. سابعاً، دعم المقاومة الفلسطينية والمشاركة بفاعلية في تحرير الأرض الفلسطينية المغتصبة مع الدول العربية الشقيقة[٢]. تجدر الإشارة إلى أن الزعماء الشيعة، كصبري حمادة والقادة السياسيين كالنائبين السادة جعفر شرف الدين وفضل الله دندش، وبعض الوزراء عملوا يداً بيد مع الإمام الصدر ليس في تأسيس المجلس وحسب بل في منحه دوراً سياسياً واجتماعياً[٣]. [28]

في صيف العام ١٩٦٩، التقى الإمام موسى الصدر ـ مع الشيخ صبحي الطفيلي والشيخ حسين كوثراني والشيخ حسن مالك[٤] ـ بنسيبه السيد محمد باقر الصدر[٥] في منزل الأخير في النجف لوضعه في صورة التعبئة الإسلامية في لبنان، وأخذ مشورته حول كيفية تنظيم الحركة الإسلامية. اتفق الخمسة على تعزيز الدعوة في لبنان عبر تنظيم حلقات سياسية وفكرية ودينية تتألف من الشباب الشيعة الذين يحضرون بانتظام محاضرات الإمام الصدر وخطاباته. والهدف من ذلك تعبئة المعرفة المغروسة في كتابي باقر الصدر المنشورين حديثاً «فسلفتنا» و«اقتصادنا» وتنظيمها ونشرها[٦]. غير أن الخلاف نشب في صفوف الحركة

---

(١) من أشهر ما قاله في هذا الخصوص: «التعايش الإسلامي ـ المسيحي ثروة ينبغي الحفاظ عليها مهما كان الثمن». وقد رفعت حركة أمل يافطات تجسّد هذا الشعار.

(٢) الحركات الإسلامية في لبنان. بيروت: الشراع، ١٩٨٤، ص. ٣٣ - ٣٤.

(٣) توفيق المديني، أمل وحزب الله في حلبة المجابهة المحلية والإقليمية. دمشق: الأهلي، ١٩٩٩، ص. ٨٥، ص. ٩٠.

(٤) سيصبح الثلاثة في وقت لاحق من الكوادر القيادية في حزب الله، وسيصبح الطفيلي الأمين العام للحزب.

(٥) يعتبر حزب الله الإمام موسى الصدر والسيد محمد باقر الصدر من إيديولوجييه.

(٦) صدر الكتابان عن دار الهادي في بيروت (طبعات عدة).

الإسلامية الحديثة الولادة ولم يتحقق توقها للوحدة عبر التعبئة الثورية كما كان يهدف باقر الصدر. أصر الإمام الصدر بينما كان يعمل على خدمة الأهداف السياسية والاجتماعية والاقتصادية للطائفة الشيعية على حماية الجمهورية اللبنانية وعمل يداً بيد مع الطائفة المسيحية استناداً إلى الآية القرآنية [سورة البقرة، الآية ١٣٥]: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾(١).

في أواخر الستينيات وبداية السبعينيات، قدم الكوادر ورجال الدين الإيرانيون إلى لبنان وشاركوا في تعبئة الطائفة الشيعية وتنظيمها. ومن بين الإيرانيين الذي تلقوا تدريبهم في لبنان(٢) نجلا آية الله الخميني أحمد ومصطفى بالإضافة إلى جنّتي، حميد صديقي، الغراوي، محمد حسين منتظري، ومصطفى شمران، وزير الدفاع السابق(٣) في الجمهورية الإسلامية الذي كان متزوجاً من اللبنانية غادة جابر(٤). يظهر هذا الأمر إلى حد بعيد الترابط الداخلي الذي كان سائداً من بين العوامل الثلاثة: الثورة الإيرانية والصراع الفسلطيني وعملية تعبئة الشيعة في لبنان.

أعطى اتفاق القاهرة بتاريخ ٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٩ والذي وُقِّع بين

---

(١) شريف الحسيني، «حزب الله: حركة عسكرية أم سياسية أم دينية؟»، بيروت: الشراع، ١٧ آذار/مارس ١٩٨٦، ص. ١٦.

(٢) المنشقون الإيرانيون تلقوا أيضاً المساعدة العسكرية من المخيمات الفلسطينية في لبنان.

(٣) في بداية الحرب العراقية الإيرانية، قتل نتيجة سقوط طائرة عسكرية إيرانية أسقطها العراقيون.

(٤) أمير طاهري، روح الله: الخميني والثورة الإسلامية The Spirit of Allah: Khomeini and the Islamic Revolution. لندن: هاتشينسون Hutchinson! 1985 ص. ١٩٣. كان شمران يحمل شهادة دكتوراه في الهندسة الميكانيكية الإلكترونية وفيزياء البلاسما من جامعة كاليفورنيا في الولايات المتحدة. وفضلاً عن المشاركة في تأسيس حركة المحرومين وحركة أمل مع الإمام موسى الصدر، شغل في إيران مناصب رفيعة مثل نائب رئيس الوزراء لشؤون الثورة، وممثل الإمام الخميني في مجلس الدفاع الأعلى. راجع مصطفى شمران، قدوة القادة. بيروت: المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في لبنان، ٢٠٠٤.

منظمة التحرير الفلسطينية والجيش اللبناني، الفدائيين أعطى (مقاتلي منظمة التحرير الفلسطينيين) حرية أكبر في إطلاق هجماتهم ضد إسرائيل من الحدود اللبنانية، فأجاز النضال الفلسطيني المسلح من بعض أجزاء الجنوب التي باتت تُعرَف بـ«فتح لاند» أو أراضي فتح[١]. في العام ١٩٧٠، تدهور الوضع من سيّئ إلى أسوأ عندما شهد لبنان تدفق آلاف الفدائيين إثر نزاعهم الدموي في الأردن،[٢] أو ما عُرِف بـ«مجزرة أيلول/ سبتمبر الأسود» ممّا أدى إلى ازدياد التوتر غداة تصاعد النشاط العسكري الفلسطيني في لبنان إلى مواجهة دموية في العام ١٩٧٣ بين الفدائيين والجيش اللبناني ـ الذي كان يحمي مصالح الدولة اللبنانية ـ الذي اعتبر أن الفلسطينيين تلاعبوا باتفاق القاهرة كي يبنوا دولة ضمن الدولة[٣]. بدورها، لم تقف إسرائيل بلا أي ردّ فيما يتم استهداف مستعمراتها الشمالية باستمرار. وهكذا ردّت إسرائيل بهدف وضع حد للفلسطينيين الذين كانوا يستخدمون الأرض اللبنانية لشن حرب التحرير عبر إغارتهم على القوات الإسرائيلية والمدنيين الإسرائيليين. وكما ذُكِر سابقاً، دفع الشيعة اللبنانيون الذين يقطنون الجنوب أفدح الأثمان إذ إن الانتقام الإسرائيلي كان يستهدفهم في البداية.

بدوره لم يقف الإمام موسى الصدر بلا أي حركة؛ بل عمد إلى حشد أتباعه ونظّم مظاهرات حاشدة استقطبت عشرات الآلاف. في العام ١٩٧٤، أسس الإمام موسى الصدر مع المطران الكاثوليكي غريغوار حداد حركة المحرومين، في محاولة للتخفيف من معاناة الفقراء والمعدمين بغضّ النظر عن الانتماءات الطائفية أو الإثنية، وهكذا كانت الحركة مفتوحة أمام جميع المقهورين من كافة الطوائف من دون حصرها بالشيعة[٤]. غير أن هذا الانفتاح

---

(١) راجع أمين مصطفى، المقاومة في لبنان: ١٩٤٨ - ٢٠٠٠. بيروت: دار الهادي، ٢٠٠٣، ص. ٥٧٢ - ٥٧٤.

(٢) المرجع نفسه، ص. ٢٧٠ - ٢٧١.

(٣) المديني، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٧٨، ٨٩.

(٤) كوبان Cobban نمو النفوذ الشيعي...، ص. ١٤٣ - ١٤٤؛ حلاوي، في المرجع =

داخل الطوائف لم يكن ليدوم طويلاً إذ إن النخبة الحاكمة (الزعماء) كانت تخشى أن يقوّض هذا الأمر نظام رعاية الطائفة الذي تسيطر عليه[1]. ومع مرور الوقت، تطوّرت حركة المحرومين لتصبح حركة شيعية بقيادة الإمام الصدر.

استخدم الإمام موسى الصدر الرمزية الدينية في التعبئة السياسية مُعِداً بديلاً طائفياً خاصاً باحتياجات الشيعة. وقد أصبحت حركته بديلاً حياً للقوى اليسارية والزعماء الشيعة[2]. ولم يكن من السهل تحدي قيادته لأن قيادته المدنية للطائفة ارتكزت على الجانب الأخلاقي الذي حظي به بوصفه القائد الديني الأعلى. وهكذا لم تكن سلطته الدينية لتخضع لأي نقاش[3]. في بداية نشاطاته، كانت التظاهرات والاعتراضات كلامية ورمزية بطبيعتها، لكن بعد فترة وجيزة، أصبحت المطالبات وأشكال التحرك أكثر تطرّفاً وعنفاً. وهكذا لم ينجح الإمام الصدر في تقليص تأثير الزعماء وحسب بل أدخل الجماهير الشيعة إلى معترك السياسة.

غير أن آمال الصدر بتغيير الظروف السياسية بالطرق السلمية تلاشت. وفي العام ١٩٧٥ أسّس مجموعة ميليشيا، سُمِّيت أفواج المقاومة اللبنانية وعُرِفت بإيجازها «أمل». فكانت أمل حركة ناشطين تهدف إلى إحداث إصلاح اجتماعي وسياسي، لكن جدول أعمالها الأساسي يتضمن تحرير جنوب لبنان من القوات الإسرائيلية. بعكس حركة المحرومين، كانت حركة أمل جناحاً

= المذكور آنفاً، ص. ١٣٦ - ١٣٧؛ ١٥٥ -١٥٧. وجدير بالذكر أن الشيخ نعيم قاسم، النائب الحالي لأمين عام حزب الله، عمل بنشاط مع الإمام موسى الصدر في تأسيس حركة المحرومين.

(١) أليزابيث بيكار Elisabeth Picard شيعة لبنان والعنف السياسي The Lebanese Shi'a and Political Violence. معهد الأمم المتحدة لبحوث التنمية الاجتماعية :UNRISD ورقة نقاش رقم ٤٢، ١٩٩٣، ص. ١٣. راجع أيضاً مقالاً لها بعنوان، «الهويات السياسية. . .» Political Identities، ص. ١٥٧ - ١٧٨.

(٢) سعد-غريّب، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٩٥ - ٢٩٨.

(٣) فريد الخازن، «سياسة النخب الطائفية في لبنان: إضفاء طابع مؤسساتي على الانحلال» Lebanon's Communal Elite-Mass Politics: The Institutionalization of Disintegration. مجلة بيروت Beirut Review العدد ٣ ربيع ١٩٩٢، ص. ١٥.

مسلحاً[١]. اعترف الإمام الصدر أنه أسس أمل لمحاربة القمع وفساد الدولة وبهدف الحصول على تمثيل أكثر إنصافاً للشيعة، فضلاً عن إرساء الأمن والأمان في الجنوب. قال الإمام الصدر في خطاب ألقاه أمام تجمّع حاشد لمناصريه: «التدريب العسكري واجب عليكم كالصلاة، وحمل السلاح واجب عليكم كالقرآن»[٢]. في ٦ تموز/يوليو ١٩٧٥، كانت المرة الأولى التي يعلن فيها الإمام الصدر مقتل (استشهاد) بعض مقاتلي أمل خلال تدريبات عسكرية[٣]. بمعنى آخر، فإن مجيء قيادة الصدر الكاريزمية على رأس الطائفة الشيعية حوّلها إلى طائفة ثورة واعتراض اجتماعي[٤]. يشير بعض العلماء إلى أن الهدف وراء تأسيس حركة أمل هو إعطاء الشيعة أداة لتقديم مطالبهم داخل حلبة سياسية يسطر عليها الصراع الطائفي. حتى أنهم أكدوا أنه بتأسيسه حركة أمل، أوضح الإمام الصدر أن الصراع المسلح وسيلة ضرورية لبلوغ الأهداف السياسية. بالإضافة إلى ما سبق ذكره، يبدو أن السبب الأساسي وراء تأسيس الإمام الصدر لحركة أمل هو إدراكه للتهديد الذي تسببه إسرائيل[٥] والذي جعل من لبنان ولا سيما الجنوب هدفاً يومياً لاعتداءاتها[٦].

أراد الإمام الصدر الدفاع عن الجنوبيين إذ كان يؤمن أن الدولة اللبنانية غير

---

(١) يؤكد الخازن على أن حركة أمل هي الجناح العسكري لحركة المحرومين. الخازن، تفكك. . .، ص. ٣٠٦. ويزعم شمران الأمر نفسه في قدوة القادة. . .، ص. ١٦.

(٢) جريدة النهار، ٣٠ حزيران/يونيو ١٩٧٥.

(٣) المديني، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٣٥ - ٣٩؛ ٤٩ - ٦٠. راجع أيضاً عبد الإله بلقزيز، المقاومة وتحرير الجنوب: حزب الله من الحوزة العلمية إلى الجبهة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٠، ص. ٤٣ - ٤٦. للاطلاع على الأعداد الدقيقة للقتلى والجرحى، راجع حلاوي، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢١٧.

(٤) عجمي، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٤٣. راجع أيضاً سعد-غريّب، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٩٥ - ٢٩٨.

(٥) بحسب الصدر، «إسرائيل هي الشر المطلق، والتعامل معها حرام (محظور دينياً)». راجع حلاوي، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٤٧.

(٦) الخازن يوافق على هذا الرأي. الخازن، تفكك. . .، ص. ٣٠٦.

قادرة على القيام بذلك بسبب الهوة الكبيرة الموجودة في القدرات بين لبنان وإسرائيل؛ كما أراد مساعدة الفسلطينيين ضد الاعتداءات الإسرائيلية. وهكذا، أسس الإمام الصدر ميليشيا شيعية في محاولة منه لإدماج «كل الميليشيات في مؤسسة حكومية،... تكون تابعة للجيش اللبناني النظامي وتستطيع صدّ الهجمات الإسرائيلية»(١). في أحد خطاباته الشهيرة، أعلن الإمام الصدر «إذا اجتاحت إسرائيل الجنوب، سأخلع عمامتي وردائي وأتحول فدائياً».

عمل الإمام موسى الصدر داخل النظام المتعدد الطوائف تحت شرعية الدولة اللبنانية. غير أنه لم يخفِ نيته إصلاح النظام اللبناني بغية تحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية(٢). اكتسب الإمام الصدر بفضل مواقفه شعبية كبيرة تخطت حدود طائفته. كان يصرُّ في معظم خطاباته على ضرورة التعايش السلمي والمثمر والتفاعلي بين مختلف المجموعات الإثنية والطائفية في لبنان. وكان في غاية الحرص على الدفاع عن رفاقه المسيحيين اللبنانيين كما كان يدافع عن الشيعة. بعد اندلاع الحرب اللبنانية في العام ١٩٧٥، كانت لحركة أمل مشاركة ناشطة فيها فضلاً عن متابعتها النضال ضد إسرائيل. خلال الحرب اللبنانية وبشكل خاص خلال العامين ١٩٧٥ ـ ٧٦، نجح الإمام الصدر في ممارسة الضغط للدفاع عن المسيحيين في منطقة البقاع عندما حاولت بعض الميليشيات مهاجمتهم كردود فعل انتقامية على الاعتداءات التي وقعت ضد الأحياء المسلمة شرق بيروت.

في ١٤ آذار/ مارس ١٩٧٨، بدأت إسرائيل أول اجتياح موسع عُرِف باسم

---

(١) حلاوي، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٢) جوديث بالمر Judith Palmer Harik حزب الله: الوجه المتغيّر للإرهاب Hezbollah: The Changing Face of Terrorism. لندن: آي بي توريس I.B. Tauris! 2004 ص. ٢٢. راجع أيضاً روبن رايت Robin Wright «لبنان» Lebanon لدى شيرين تي هانتر Shireen T. Hunter (ناشر)، سياسة النشاط في بعث الاهتمام بالدين الإسلامي The Politics of Islamic Revivalism. (إنديانابوليس: منشورات جامعة إنديانا Indiana University Press! 1988) ص. ٦٣).

«عملية الليطاني»، بهدف منع صواريخ منظمة التحرير الفلسطينية من بلوغ مستعمراتها الشمالية وأعدَّت حزاماً أمنياً في جنوب لبنان. كانت حركة أمل تدعم منظمة التحرير، وخلال اجتياح العام ١٩٧٨، لجأ مئات آلاف المدنيين الشيعة إلى ضواحي بيروت الجنوبية الفقيرة. أصبح أولئك المتضررون أكثر تطرفاً مما كانوا عليه. نتيجة لذلك، بدأت الفجوة تتسع بين الشيعة ومنظمة التحرير الفلسطينية.

كان الإمام الصدر ناشطاً داخلياً وإقليمياً في محاولاته الهادفة لوضع حد للحرب الأهلية اللبنانية. انطلق إقليمياً في جولة قادته إلى بعض الدول العربية التي كانت تُعتبَر إما أطرافاً أساسية في النزاع في لبنان، أو كانت تستطيع فرض سيطرتها على الأطراف المتنازعة. من هذا المنظور، زار الإمام الصدر ليبيا لكنه اختفى في ظروف غامضة في ٣١ آب/أغسطس ١٩٧٨. ولا يزال مصيره مجهولاً حتى اللحظة. على الرغم من أن الإمام الصدر لم يعلن نفسه يوماً مرجعاً ولم ينافسه أحدٌ إلا أنه كان يسيطر على الطائفة الشيعية اللبنانية بقبضة من حديد.

حركة أمل بعد موسى الصدر

في العام ١٩٧٨، شهد الشيعة فجوة كبيرة في قيادتهم، ولم يتمكن حسين الحسيني ونبيه بري[1] من مجاراة كاريزما الإمام الصدر أو سحره أو قيادته. وبالتالي كان الشيعة بحاجة لقائد جديد يلجؤون إليه، فكان الفرج من مصدر آخر استثنائي، الإمام الخميني. في الواقع، كان لبنان الدولة العربية الوحيدة التي رحبت بانتصار الثورة الإسلامية في العام ١٩٧٩ عبر تظاهرات دعم حاشدة. استلهم العديد من الشيعة اللبنانيين من إيديولوجيا الإمام الخميني الثورية وقد قادتهم إلى التعبئة بنشاط، والنضال في سبيل دور أكثر فاعلية في النظام السياسي اللبناني.

---

(١) حسين الحسيني كان الأمين العام لحركة أمل آنذاك. وقد ظل في هذا المنصب حتى ٤ نيسان/أبريل ١٩٨٠، تاريخ انتخاب نائبه نبيه برّي الذي لا يزال إلى يومنا هذا قائد حركة أمل ورئيس مجلس النواب. راجع المديني، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٧٥.

لم تخفِ الثورة الإيرانية هدفها الاتصال مع الجماعات الشيعية في العالم العربي. وكانت قد طوّرت علاقات وثيقة مع العديد من كوادر حركة أمل فيما دعمت أعضاء حزب الدعوة العراقي الموجودين في المناطق الشيعية في لبنان(١). في العام ١٩٧٨، استمر تطور العلاقة بين حركة أمل ومجموعات المعارضة الإيرانية. وفي الوقت نفسه، كان العديد من الأفراد اللبنانيين والعلماء الشيعة الإيرانيين الذين يدرسون في معاهد النجف الدينية على صلة وثيقة بأفراد حركة الثورة العراقية أو حزب الدعوة الإسلامية(٢). عندما قرر النظام العراقي القضاء عليهم، لجأ معظم أعضاء الدعوة إلى بيروت حيث وجدوا في حركة أمل التي تشاركهم الانتماء الطائفي نفسه حليفهم الطبيعي(٣).

كانت إيران قد شجعت أعضاء الدعوة السابقين على الالتحاق بحركة أمل والتغلغل فيها بغية نشر رسالة أكثر تطرفاً وثورية للجمهور الأوسع، ولتحدي التوجهات العلمانية والمعتدلة لحركة أمل. ثمة فرد من داخل الدعوة ينتهج هذا

---

(١) وضّاح شرارة، دولة حزب الله: لبنان مجتمعاً إسلامياً، الطبعة الثانية، بيروت: دار النهار، ١٩٩٧، ص. ١١٧.

(٢) رودجر شانهان Rodger Shanahan «حزب الدعوة الإسلامية: التطور والتوقعات المستقبلية» The Islamic Da'wa Party: Development and Future Prospects. مجلة الشرق الأوسط للشؤون الدولية MERIA JOURNAL العدد ٨ (حزيران/ يونيو ٢٠٠٤). عبر الإنترنت على الموقع الإلكتروني وحنّا بطاطو، «الحركات الشيعية السرية في العراق: الخصائص والأسباب والتوقعات" Iraq's Underground Shia Movements: Characteristics, Causes and Prospects دراسات شرق أوسطية Middle East Studies العدد ٣٥ (خريف ١٩٨١)، ص. ٤.

(٣) جوان آر. أي. كول Juan R. I. Cole ونيكي آر كيدي Nikki R. Keddie (ناشرون)، المذهب الشيعي والاحتجاج الاجتماعي .Shi'ism and Social Protest نيو هافن - New Haven كونيكتيكت: منشورات جامعة يال Yale University Press! 1986 ص. ١٩١. راجع أيضاً عبد الحليم الرحيمي، «حزب الدعوة الإسلامية: الجذور واللاعبون والإيديولوجيا» The Da'wa Islamic Party: Origins, Actors and Ideology في آية الله والصوفيون والإيديولوجيون: Ayatollahs, Sufis and Ideologues: State, الدولة والدين والحركات الاجتماعية في العراق Religion and Social Movements in Iraq. تحرير فالح عبد الجبار. لندن: منشورات دار الساقي، ٢٠٠٢، ص. ١٤٩ - ١٦٠.

المسار وهو السيد حسن نصرالله[١] الذي أصبح مسؤولاً في حركة أمل بعد أن كان مسؤول مجموعة في حزب الدعوة[٢].

مع بداية العام ١٩٨٢، بلغت العلاقات بين حركة أمل ومنظمة التحرير الفلسطينية مرحلة القطيعة. بعد اشتباكات عدة، برزت الخلاصة السابقة القائمة على أنه لم يعد بالإمكان التوفيق بين مصالح الشيعة ووجود الفدائيين[٣]: «المثير للسخرية أن القطاع اللبناني الذي عانى أكثر من غيره من النشاط العسكري الفلسطيني في جنوب لبنان ضد إسرائيل حتى العام ١٩٨٢ هو السكان الشيعة؛ وحجم المأساة التي تسبب بها الوجود الفلسطيني في جنوب لبنان كان كبيراً لدرجة حملت اللبنانيين على استقبال قوات الدفاع الإسرائيلي[٤] الذين اجتاحوا الجنوب في حزيران/ يونيو ١٩٨٢ بنثر الأرز عليهم»[٥]. وهكذا شكل تزايد الوجود

---

(١) في العام ١٩٧٥، أصبح نصر الله المسؤول التنظيمي لحركة أمل في قرية البازورية بالقرب من صور في جنوب لبنان. وفي العام ١٩٧٩، أصبح المسؤول السياسي لمنطقة البقاع، فضلاً عن كونه عضواً في المكتب السياسي لحركة أمل. راجع (الزيارة الأخيرة في نيسان/ أبريل ٢٠٠٤).

(٢) ناصيف حتي، لبنان في السياسة الخارجية لإيران: الفرص والضوابط Lebanon in Iran's Foreign Policy: Opportunities and Constraints لدى هوشانغ أمير أحمدي Hooshang Amirahmadi ونادر انتصار (ناشرون)، إيران والعالم العربي .Iran and the Arab World لندن: ماك ميلان Macmillan! 1993، ص. ١٨٢ - ١٨٣.

(٣) الخازن، تفكك. . .، ص. ٤٤ - ٤٥.

(٤) يشير حزب الله بلهجة ساخرة إلى أن التسمية «قوات الدفاع الإسرائيلي» تشكل بحد ذاتها عبارة ملطّفة بما أنها تضفي على «المعتدي» صفة «المدافع». وأقصد بحزب الله السياسة الرسمية لحزب الله كما يعبر عنها «المكتب الإعلامي المركزي» لحزب الله والمؤسسات الإعلامية التابعة له، وهي سياسة ترتكز في العادة إلى خطاب وسياسة القادة في الحزب.

(٥) دانيال سوبلمان Daniel Sobelman قواعد اللعبة: إسرائيل وحزب الله بعد الانسحاب من لبنان Rules of the Game: Israel and Hizbullah After the Withdrawal from Lebanon. رسالة رقم ٦٩. جامعة تل أبيب: مركز جافي للدراسات الاستراتيجية Jaffee Center for Strategic Studies كانون الثاني/يناير ٢٠٠٤، ص. ٤٥، على العنوان الإلكتروني. ملاحظات الكاتب الخاصة تشهد على صحة هذه المزاعم. على سبيل المثال، في بيروت الغربية التي كان يسيطر عليها المسلمون، وُزِّعت البقلاوة على الجنود الإسرائيليين مباشرة بعد أن سوّت دبابة الميركافا الإسرائيلية السيارات كافة بالأرض.

العسكري الفلسطيني والرد الإسرائيلي عليه عاملاً أساسياً آخر وراء تعبئة الشيعة اللبنانيين وتطرفهم. في الواقع نجح الاجتياح الإسرائيلي في العام ١٩٨٢ في إخراج منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان، فتوقف الوجود العسكري الفسلطيني الكبير. غير أن الشعب الفلسطيني المدني واصل عيشه كلاجئين في مختلف المخيمات في لبنان لكن لم يسمح لهم إلا بالإبقاء على الأسلحة الخفيفة[١].

الانشقاق في حركة أمل وارتداد كوادرها إلى حزب الله

وقع الحدث الأساسي الذي أدى إلى الانقسام داخل هيكلية حركة أمل بين المعتدلين وأولئك الذين يعتمدون مقاربة إسلامية متطرفة، عندما قرر قائد حركة أمل نبيه بري المشاركة في الحكومة اللبنانية عبر الالتحاق بلجنة الإنقاذ الوطني التي شكّلها رئيس الجمهورية إلياس سركيس في منتصف حزيران/ يونيو ١٩٨٢ لمعالجة قضية الاحتلال الإسرائيلي للبنان وحصاره بيروت. بالنسبة للعديد من أعضاء أمل المتطرفين الذين يتّبعون عقائد آية الله الخميني الثورية، تتعارض مشاركة بري مع الخط الذي كان عليه اعتماده. كما اعتُبِر تصرفه غير إسلامي[٢].

اعتراضاً على ذلك، انتقل بعض كوادر أمل الأساسية إلى خصومهم، حزب الله الديني المتطرف[٣]. على سبيل المثال، كان السيد نصرالله، الأمين

---

(١) للاطلاع على عرض مفصّل وتحليل للمقاومة الفلسطينية في لبنان، راجع مصطفى، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٤٥ - ٣٠٦.

(٢) راجع الحرب السادسة: الاجتياح الصهيوني للبنان سنة ١٩٨٢. المجلّد ١، الفصل ٣. بيروت: دار المنار للإنتاج المرئي والتوزيع، ٢٠٠٢. راجع أيضاً نعيم قاسم، حزب الله: المنهج، التجربة، المستقبل، بيروت: دار الهادي، ٢٠٠٢، ص. ٢٤، الملاحظة ١.

(٣) الحرمان الإثني، الذي «يعني صراع القيم بين المثل العليا للمجتمع والمثل العليا للأفراد أو المجموعات» قد يفسّر هذا التحرك. وبالتالي، «تحدد النظريات الحالية للثورة ضرورة الانحراف عن صفوف النخبة بغية توفير التوجيه والقيادة للطبقة الدنيا المستاءة إذا كان للثورة أن تتحقق». شارل غلوك Charles Glock وآر. ستارك R. Stark «حول جذور وتطور المجموعات الدينية» On the Origins and Evolution of Religious Groups. لدى كينيث طومسون Kenneth Thompson وجيريمي تانستول Jeremey Tunstall (ناشرون)، وجهات نظر اجتماعية Sociological Perspectives. لندن: بينغوين Penguin, 1971، ص. ٣٩٧.

العام الحالي لحزب الله، قائد قطاع البقاع في حركة أمل قبل أن يحوّل ولاءه[١]. وهكذا أدى انقسام النخبة الشيعية[٢] إلى حدوث انشقاق في حركة أمل، الأمر الذي أدى إلى نشوء حزب الله. لقد صرح نبيه بري، قائد حركة أمل الحالي ورئيس المجلس النيابي مراراً أن حركة أمل هي الرحم الذي وُلِد منه حزب الله[٣]. كما أضاف أن «الإخوان في حزب الله مرتبطون عضوياً

---

(١) تمثل القادة أو الكوادر الذين قاموا بالمثل بالتالية أسماؤهم: صبحي الطفيلي (الأمين العام الأول لحزب الله)؛ محمد يزبك (أحد الوكلاء الشرعيين للإمام الخامنئي في لبنان ورئيس مجلس شورى حزب الله)؛ حسين خليل («المعاون السياسي» أو المستشار السياسي لنصر الله)؛ نعيم قاسم (نائب الأمين العام لحزب الله)؛ محمد رعد (رئيس كتلة حزب الله النيابية المعروفة باسم كتلة الوفاء للمقاومة)؛ عباس الموسوي (الأمين العام الثاني لحزب الله)؛ حسين الموسوي (نائب رئيس حركة أمل آنذاك، أسس أمل الإسلامية التي شكلت في ما بعد جزءاً من حزب الله. هو اليوم معاون نصر الله التنفيذي للشؤون البلدية)؛ وإبراهيم أمين السيد (ممثل أمل في طهران، انتقل إلى حزب الله في العام ١٩٨٢. هو اليوم رئيس المجلس السياسي لحزب الله).

(٢) يمكن أن يُدرج تفكك النخبة ضمن الأسباب التي أدت إلى الثورة، باعتبار أن النخبة المنقسمة تُعتبر غير مؤهلة وغير شرعية من منظور القاعدة الشعبية المستاءة أصلاً. (طوماس أتش. غرين Thomas H. Greene الحركات الثورية المقارنة .Comparative Revolutionary Movements نيو جيرسي: برينتس هول Prentice Hall 1990 ص. ١٤٤). والواقع أن عدم تماسك النخبة يسهّل الثورة عبر السماح لمجموعات الثوار بالإفادة من بعض عناصر النخبة الذين يملكون بدورهم مهارات القيادة الضرورية والخبرة السياسية التي يحتاج إليها المتمرّدون المتفقرون إلى الخبرة. (هاري أكستين Harry Eckstein «حول أسباب الحروب الداخلية» On the Etiology of Internal Wars لدى كليفورد باينتون Clifford Paynton (ناشر)، أسباب الثورة Why Revolution ماساشوستس: شركة شانكمان للنشر Schenkman Publishing Co., Inc.! 1971 ص. ١٤٣ - ١٤٤. وبالتالي، «يتم تفسير الثورات باعتبارها تنشأ بشكل رئيس عن تعرض مجتمع ما لحرمان نسبي متفشٍ وحاد ومتعدد الوجوه يطال القواعد الشعبية والطامحين من النخبة على حد سواء. فلو أن الإحباط الشديد أصاب القادة المحتملين والمناصرين على حد سواء، فمن المحتمل أن يكون العنف السياسي موضع مشاركة واسعة وتنظيم متعمّد، ما يجعل الظروف الأساسية التي تحكم اندلاع الحرب الداخلية متوافرة». (تيدا سكوكبول Theda Skocpol الدول والثورات الاجتماعية: تحليل مقارن لفرنسا وروسيا والصين :States and Social Revolutions A Comparative Analysis of France, Russia & China. كامبريدج: منشورات جامعة كامبريدج Cambridge University Press! 1979، ص. ٩ - ١٠).

(٣) هذا التصريح والتصريحات اللاحقة ليست جديدة. فقد أدلى برّي بهذه التصريحات منذ أواسط ثمانينيات القرن العشرين عندما كانت حركة أمل أقوى وأكثر شعبية من حزب الله. وقد أثبت الكاتب أيضاً أن الكوادر القيادية في حزب الله انبثقت بمعظمها عن حركة أمل.

بحركة أمل»[١]. وبالتالي، فإن معظم الكوادر التي أسست حزب الله بمن فيهم نصرالله جاؤوا في الأصل من حركة أمل، لكنهم اعترضوا على تصرف الحركة الوسطي؛ ففضلوا التعبئة والثورة.

لذلك، ترك هؤلاء المتطرفون حركة أمل والتحقوا في صفوف المجموعات الشيعية الإسلامية التي كانت موجودة ـ بمن فيهم أعضاء حزب الدعوة، والاتحاد اللبناني للطلبة المسلمين[٢]، فضلاً عن شخصيات إسلامية ناشطة مستقلة ورجال دين ـ وأسسوا حزب الله كحركة جهادية إسلامية ضد الاحتلال الإسرائيلي تتلقى العون المادي من إيران والدعم من سوريا[٣].

٢. الدعم الإيديولوجي والمادي الإيراني لحزب الله: نشوء حزب الله

منذ أن أعتق حزب الله نفسه من مهمة الالتزام بأي تاريخ محدد لولادته، يبدو أنه من الممكن العودة بإيديولوجيا حزب الله الدينية إلى العام ١٩٧٨، تاريخ وصول أول مؤسسيها، ومعلّم السيد حسن نصرالله من النجف، الراحل السيد عباس الموسوي الذي أنشأ حوزة الإمام المنتظَر وبدأ الدعوة في بعلبك في البقاع. وقد تزامن هذا الحدث مع وصول رجال الدين الإيرانيين المنشقين والطاقم العسكري الذين أسسوا مراكز تدريب دينية وعسكرية، حيث كانوا يتلقون الدعم المادي والديني الكبير من الإمام الخميني الذي تم نفيه إلى النجف لثلاثة عشر عاماً[٤]. في ذلك الوقت، كان علي أكبر محتشمي، ويُفترَض به أنه

(١) ثناء عطوي، «الخلوة الشيعية في صور تضفي أهمية على إنكار خلفية الاجتماع»، جريدة السفير، ٢٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٤.

(٢) تأسس في العام ١٩٦٦. راجع شرارة، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٨٧ وما بعدها. جدير بالذكر أن الشيخ نعيم قاسم كان واحداً من أبرز الأعضاء المؤسسين للحزب. راجع.

(٣) طلال سلمان، سيرة ذاتية لحركة مقاومة عربية منتصرة: حزب الله. بيروت: السفير، حزيران/ يونيو ٢٠٠٠، ص. ٧.

(٤) جُمعت من كوكب الشهادة: سيرة، حياة، وجهاد سيد المقاومة الإسلامية، السيد عباس الموسوي. بيروت: المكتب الإعلامي المركزي في حزب الله، ١٩٨٨؛ حيان رزق، سيد القادة: قصة سيد شهداء المقاومة الإسلامية. بيروت: دار الأمير، ٢٠٠٢؛ الشيخ محمد =

العقل المدبر لحزب الله السفير الإيراني في دمشق[1]. استغل محتشمي الذي قضى وقتاً لا بأس به في لبنان الفراغ في السلطة الناتج من غياب الدولة اللبنانية فأخذ يعقد اجتماعات منتظمة مع الكوادر الإسلامية الأساسية، أمثال عماد مغنية وحسين الموسوي وعباس الموسوي وصبحي الطفيلي الذي شكّل لاحقاً نواة حزب الله[2]. في مرحلة لاحقة، أصبح محتشمي وزير الداخلية الإيراني، وأخذ يثني على تجربة حزب الله اللبنانية ودعا الحركات الإسلامية الأخرى للحذو حذوه[3].

بدوره، كان مصطفى شمران من بين أوائل المهاجرين الإيرانيين الذين قدموا إلى لبنان. عاش في صور وكان مقرباً جداً من الإمام موسى الصدر حيث أصبح مسؤولاً عن مؤسساته الاجتماعية. بعد ذلك أسس شمران منظمته العسكرية الخاصة، فدرّب كوادر الدعوة وأمل ولا سيما في المخيمات الفلسطينية حتى إعداده معسكرات تدريب مستقلة لحركة أمل[4]. أصبح شمران أول مسؤول تنظيمي مركزي في حركة أمل[5]. فضلاً عن مساعدة الإمام موسى

= علي خاتون، أمير القافلة: السيرة الذاتية لسيد المقاومة الإسلامية، السيد عباس الموسوي. المقدّمة للسيد حسن نصر الله. بيروت: دار الولاء، ٢٠٠٢، وشريط فيديو مصوّر يحمل العنوان نفسه، بيروت: دار المنار للإنتاج المرئي والتوزيع، ٢٠٠٣؛ شريط فيديو مصوّر بعنوان قدوة الثائرين. بيروت: دار المنار للإنتاج المرئي والتوزيع، ٢٠٠١؛ وسيد شهداء المقاومة: نشأته، جهاده، شهادته. بيروت: كشافة الإمام المهدي، ٢٠٠٣.

(١) طالب عزيز، «فضل الله وإعادة صنع المرجعية» Fadlallah and the Remaking of the Marja'iyya في المرجع العلمي الأعلى بين الشيعة: إرساء تقليد المرجع The Most Learned of the Shi'a: The Institution of Marja' Taqlid. تحرير ليندا أس. والبريدج Linda S. Walbridge. أكسفورد: منشورات جامعة أكسفورد Oxford University Press! 2001 ص. ٢٠٧. محتشمي كان مستشاراً ومعاوناً سياسياً للرئيس السابق خاتمي. هو أيضاً الأمين العام للجنة الدولية لدعم الانتفاضة الفلسطينية.

(٢) شرارة، في المرجع المذكور أعلاه، ص. ٢٦٩، ٣٧٥.

(٣) المرجع نفسه، ص. ٢٥٤.

(٤) المرجع نفسه، ص. ١٠٠، ١٠٩، ٢٦٩.

(٥) بحسب نبيه برّي. راجع «في إحياء ذكرى ولادة شمران، بري يؤكد على التزام أمل بالاستمرار في المقاومة»، جريدة السفير، ٢٢ تموز/ يوليو ٢٠٠٤.

الصدر بتأسيس حركة أمل، كان لشمران مساهمة فاعلة في تأسيس حزب الله[١]. وهكذا، وحّدت الإيديولوجيا الإسلامية مختلف القطاعات داخل الطائفة الشيعية أو ما يُعرف بالحالة الإسلامية. هذا الأمر أدى إلى تزايد نسبة الشباب اللبنانيين الذين توجهوا إلى معاهد دينية في قم والنجف ومن بينهم كوادر حزب الله الذين سيذيع صيتهم لاحقاً. هذه العوامل كلها ساعدت على نشوء أسس حزب الله المبدئية والتي تبلورت في ولادة إيديولوجيته الدينية.

اجتمع أعضاء الحالة الإسلامية وأسسوا «اللجنة الداعمة للثورة الإسلامية، وهي منظمة ثقافية أنشئت في العام ١٩٧٩ في معرض التعبئة للثورة في إيران. وبما أن حزب الله يعتبر اللجنة «نواته المأمولة»، يشدد أعضاء الحزب على أن ولادته قد استبقت [انتصار] الثورة الإسلامية»[٢]. بعد انتصار الثورة الإسلامية، ومن أجل الالتحام بالحركة الاجتماعية الناشئة حديثاً، أسس السيد عباس الموسوي مع تلاميذه وعلماء آخرين بارزين «حزب الله اللبناني»[٣]. وهكذا ابتكر السيد عباس شخصياً اسم حزب الله استناداً إلى الآية القرآنية في سورة المائدة، الآية ٥٥: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾. غير أن نواة قيادة حزب الله قد شُكِّلَت قبل تكشُّف الثورة الإسلامية. لذا برز حزب الله على أنه الظاهرة التنظيمية لتيار ديني (إيديولوجيا دينية) يمكن اقتفاء أثرها إلى الستينات[٤].

وفق السيد حسين الموسوي، حتى عندما تم نفي الإمام الخميني إلى العراق، كان شديد القلق على القدس واحتلال فلسطين. من هذا المنظور، عندما اجتاحت إسرائيل لبنان في العام ١٩٧٨، كان على اتصال مباشر مع الحالة

---

(١) وفقاً لمهدي شمران، شقيق مصطفى (المرجع نفسه).
(٢) سعد-غريّب، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٣٠٣.
(٣) المديني، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٧٢. المديني يحيل القراء إلى وثيقة أصلية لدى حزب الله بهدف دعم حجته.
(٤) سعد-غريّب، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٣٠٦.

الإسلامية لكنه لم يتمكن من إرسال دعم عسكري بل مجرد دعم مادي من موقعه كمرجع أساسي مسؤول عن الخمس والمقدسات[١]. يضيف الموسوي أنه مع نجاح الثورة الإسلامية والاجتياح الإسرائيلي الثاني في حزيران/ يونيو ١٩٨٢، استطاع الإمام الخميني إرسال حرسه الجمهوري (باسدران) لتدريب الحالة الإسلامية[٢]. في ذلك الوقت، كان قد مضى على الثورة الإسلامية أربعة أعوام وقد انهمكت في حرب ضروس مع العراق. على الرغم من ذلك، عندما اجتاح الجيش الإسرائيلي لبنان، لم يتردد الإيرانيون في إعلان نيتهم الدفاع عن لبنان ضد الإسرائيليين. وقد قال رئيس البرلمان الإيراني في ذلك الوقت السيد هاشمي رفسنجاني إن الطريق إلى القدس تمر من كربلاء ولبنان[٣]. سمحت سوريا بنشر حوالى ١٥٠٠ عنصر من الحرس الثوري في سهل البقاع في لبنان في حزيران/ يونيو ١٩٨٢. فكان الحرس الثوري في المكان والوقت المناسبين لتزويد حزب الله بالدعم العسكري والمادي اللازم.

وهكذا، اضطلعت إيران بدور مهم في نشوء حزب الله فدعمت تطوره وبنيته. كما استمرت الشؤون الداخلية الإيرانية في التأثير على حزب الله خلال الثمانينيات لكن هذا التأثير تغير من حيث طابعه وحجمه. ويبدو أن حزب الله لم ينجح بالأمر من تلقاء نفسه؛ فقد تم تمويل أقسام من مؤسساته العسكرية والاجتماعية مباشرة من إيران. في الواقع، وبهدف نشر الثورة الإسلامية ومساعدة الطوائف الشيعية خارج إيران، زوّدت إيران حزب الله في لبنان بالمرجعية الدينية والمساعدة المالية والتنظيمية والعسكرية[٤]. وبالتالي من دون

(١) يبدو أن حسين الموسوي يستخدم خطاباً استدلالياً كان يفترض، في ذاك الوقت، أن الخميني هو المرجع الرئيس للبنانيين.

(٢) الحرب السادسة. . .، المجلد ١، الفصل ٣.

(٣) شراراة، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٣١٥.

(٤) خلافاً لسياسة حزب الله المتسقة لجهة إنكار تلقي الحزب أي مساعدة عسكرية من إيران، اعترف نصر الله بأن هذا ما يحدث. راجع مقابلة نصر الله مع جريدة السفير بتاريخ ٢٨ حزيران/ يونيو ٢٠٠١.

الدعم الإيديولوجي والمادي الإيراني لم يكن حزب الله اللبناني ليكون بهذه الفاعلية[(١)].

حزب الله كحركة جهاد إسلامية

في العام ١٩٨٢، كتب أعضاء حزب الله المؤسسون، كما يبرز في «لجنة التسعة» رسالة داخلية بعنوان «رسالة التسعة» التي أشارت إلى أبعاد عمل حزب الله وعملياته، مشددين على هويته المقاومة كحركة جهاد إسلامية «يرتكز نشوؤها على مزيج إيديولوجي واجتماعي وسياسي واقتصادي في إطار لبناني وعربي وإسلامي خاص»[(٢)]. يضيف السيد نصرالله أنه من بين الأسباب المباشرة لبروز حزب الله «الاجتياح الصهيوني» للبنان الذي أدى إلى احتلال إسرائيلي عسكري للبلاد من الحدود الجنوبية وحتى بيروت، إلى انهيار كافة أشكال المقاومة في وجه القوات الإسرائيلية، وطرد منظمة التحرير الفلسطينية من لبنان وتشكيل حكومة دمية مناصرة لإسرائيل بقيادة أمين الجميل، إلخ[(٣)].

في ١١ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٢، فجّر أحمد قصير، أول استشهادي لدى حزب الله، نفسه في مقر القوات الإسرائيلية في صور في جنوب لبنان فقتل حوالى ٧٦ ضابطاً عسكرياً وجرح عشرين آخرين[(٤)]. أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي في ذلك الوقت مناحيم بيغين ثلاثة أيام حداد في إسرائيل، معتبراً أن

---

(١) جل ما فعله الكاتب هو التلميح إلى التوصيف الأولي لتأثير إيران المقصود على حزب الله. وستتم دراسة هذا التوصيف منهجياً على مر هذا البحث.

(٢) «حزب الله، من هو وماذا يريد؟» يشكل التوصيف الذاتي الأخير لحزب الله ويمكن اعتباره نسخة مختصرة ومحدّثة ومعدّلة عن «الرسالة المفتوحة» أو «بيان المبادئ السياسية» لحزب الله في العام ١٩٨٥. راجع (تاريخ الزيارة الأخيرة للموقع نيسان/ أبريل ٢٠٠٤).

(٣) راجع برنامج «أحزاب لبنان: حزب الله» الجزء الأول (١٩٧٩ - ١٩٨٩)، الشبكة الوطنية للإرسال أن بي أن NBN ٢١ تموز/ يوليو ٢٠٠٢.

(٤) راجع خطاب نصر الله بتاريخ ٢٨ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٠، في «الاحتفال بيوم القدس».

ما حصل أسوأ فاجعة تتكبدها إسرائيل منذ نشوئها في العام ١٩٤٨[١]. تكريماً للشهيد قصير، يحتفل حزب الله سنوياً بـ«يوم الشهيد» في الحادي عشر من تشرين الثاني/ نوفمبر. في ١٣ نيسان/ أبريل ١٩٨٣، قام حزب الله بثاني «عملية استشهادية» عندما فجَّر علي صفي الدين سيارته في موكب إسرائيلي في دير قانون النهر فقتل ستة جنود وجرح أربعة آخرين. في ١٤ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٣، نفَّذ حزب الله ثالث «عملية استشهادية» عندما فجَّر جعفر الطيار نفسه في مبنى تابع لمنظمة غوث اللاجئين في صور كان يحتلها جنود إسرائيليون فقتل ٢٩ جندياً باعتراف الإسرائيليين أنفسهم. تجدر الإشارة أنه في السنة نفسها (١٩٨٣)، تكتَّم حزب الله على عملية استشهادية مزدوجة فاشلة عندما انفجرت سيارة الاستشهاديين قبل الأوان في طريقهما إلى صور.

وهكذا منذ تأسيسه، استمر حزب الله في العمل سراً وبقي مجهولاً حتى العام ١٩٨٤. مرّ مجلس شورى حزب الله في مراحل مختلفة من تسعة أعضاء إلى خمسة إلى أن استقر على سبعة منذ العام ١٩٨٤. وقد أطلق حزب الله إعلانات سياسية عدة تحمل اسمه وأسس مكتبه السياسي. في ١٨ حزيران/ يونيو ١٩٨٤، أبصرت صحيفة حزب الله الأسبوعية «العهد» النور[٢]. وهكذا، بواسطة دعم مادي إيراني (دعم لوجستي مادي وعسكري) ودعم إيديولوجي (الالتزام بولاية الفقيه)، بدأت مؤسسات حزب الله بالبروز.

---

(١) استناداً إلى الصحف والتقارير الإعلامية الإسرائيلية كما هو مذكور في: الحرب السادسة...، المجلد ٢، الفصل ٦.

(٢) العدد صفر من العهد «صوت الثورة الإسلامية في لبنان» بتاريخ ١٨ رمضان ١٤٠٤ هـ/ ١٨ حزيران/ يونيو ١٩٨٤ وُزِّع مجاناً. وتظهر إلى الجهة اليمنى صورة الإمام الخميني، وإلى الجهة اليسرى شعار حزب الله، في الأعلى (سورة المائدة، الآية ٥٦) «فإن حزب الله هم الغالبون» وفي الأسفل «الثورة الإسلامية في لبنان». وإلى يمين الشعار، جاء التصريح التالي: «التعبئة واجب على كل واحد منا من أجل اقتلاع إسرائيل من الوجود».

دور آية الله السيد فضل الله

على الرغم من أن العديد من علماء الاجتماع[1] يعتبرون آية الله السيد

---

(١) على سبيل المثال، ماغنوس رانستورب Magnus Ranstorp جوديث ميلر Judith Miller ماري - جاين ديب Mary - Jane Deeb غابريال ألموند Gabriel Almond إيمانويل سيفان Emmanuel Sivan فؤاد عجمي، سكوت أبلبيي Scott Appleby غراهام فولر Graham Fuller جايمس بيسكاتوري James Piscatori وآن بايرز Ann Byers يؤكدون على أن فضل الله هو المرشد الروحي لحزب الله أو أن حزب الله كان من بنات أفكاره، في حين أن هلا جابر، شبلي ملاط، أوغسطس ريتشارد نورتن Augustus Richard Norton جوديث بالمر حريق Judith Palmer Harik ودانيال سوبلمان Daniel Sobelman ينفون هذه المزاعم. (راجع أمل سعيد-غريّب، حزب الله: السياسة والدين .Hizbullah: Politics and Religion لندن: منشورات بلوتو Pluto Press ٢٠٠٢، ص. ٦). على سبيل تحديث لائحة سعد-غريّب، أضفت عجمي، فولر Fuller بيسكاتوري Piscatori بايرز Byers نورتن Norton حريق Harik وسوبلمان Sobelman وأزلت نزار حمزة الذي أدرجته أمل سعد-غريب خطأً في لائحتها الأولى للأسماء. ويزعم عجمي أن فضل الله «أصبح المرشد الروحي لمجموعات مثل حزب الله». راجع عجمي، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢١٣. ويؤكد فولر على أن «السيد حسين فضل الله، المرشد الروحي لحزب الله...». راجع فولر Fuller وفرانك Francke في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٨، ص. ٢١٢. كما يؤكد بيسكاتوري «لكن المرشد الروحي لحزب الله محمد حسين فضل الله...». راجع جايمس بيسكاتوري James Piscatori الإسلام، الإسلاميون، والمبدأ الانتخابي في الشرق الأوسط Islam, Islamists, and the Electoral Principle in the Middle East، لايدن: Leiden المعهد الدولي لدراسة الإسلام في العالم الحديث ISIM، ٢٠٠٠ ص. ٢٧. فضلاً عن ذلك، تزعم بايرز أن فضل الله هو «المرشد الروحي» لحزب الله ونصر الله هو «القائد التنفيذي» للحزب. راجع آن بايرز Ann Byers حزب الله اللبناني (داخل المنظمات الإرهابية الأسوأ سمعة في العالم) Lebanon's Hezbollah (Inside the World's Most Infamous Terrorist Organizations). لندن: مجموعة روزن للنشر Rosen Publishing Group، ٢٠٠٣، ص. ١٦. ويؤكد نورتن على أن «فضل الله - لا يُعرف من هو بشكل دقيق نوعاً ما إذا كان يُصوّر على نطاق واسع باعتباره المرشد الروحي لحزب الله». نورتن Norton «حزب الله اللبناني Hizbollah of Lebanon»، ص. ٢٦. أما حريق، فتوافق على الرأي القائل إن «فضل الله لم يربط نفسه يوماً بشكل رسمي بحزب الله». راجع حريق Harik في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٦١. كذلك كتب سوبلمان يقول «فضل الله الذي يُشار إليه في بعض الأحيان - وإن بشكل مغلوط - باعتباره المرشد الروحي الرسمي لحزب الله». راجع سوبلمان Sobelman في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٤٩؛ «السيد حسين فضل الله، الذي سُمّي عن خطأ المرشد الروحي لحزب الله». راجع أ. نزار حمزة، في مسار حزب الله In the Path of Hizbullah. سيراكوز: منشورات جامعة سيراكوز Syracuse University Press، ٢٠٠٤، ص. ٣٥.

محمد حسين فضل الله، عراب الحالة الإسلامية في لبنان، على أنه المرشد الروحي لحزب الله، إلا أن السيد فضل الله صرَّح مراراً وتكراراً أنه لم يضطلع يوماً بأي «دور تنظيمي أو رابط أو علاقات مع حزب الله»[١]. أضاف «لا أقبل بهذا الدور التنظيمي المفترَض... أنا الذي بنيت هذا الجيل (من الإسلاميين)... يمارسون اجتهادهم الخاص أو «رياءهم» وينسبون إليّ صفة المرشد الروحي هذه، وهي تهمة لا أساس لها من الصحة. لم أكن يوماً ولن أكون المرشد الروحي لأي حركة إسلامية... أنا مستقلٌّ كلياً ولن أحِدَّ دوري يوماً بذلك»[٢]. غير أن هذا الأمر لا يلغي روابط غير رسمية. فقد أفاد السيد فضل الله بما لا لبس فيه أنه ما من مرشد روحي في الإسلام[٣]. ومع أن السيد فضل الله ليس مدرجاً على لائحة قادة حزب الله أو إيديولوجييه على موقعه الرسمي على الأنترنت[٤]، إلا أنه أهم مرجعية دينية لبنانية يحترمها حزب الله[٥].

---

(١) مقابلات شخصية، ٢٧ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠١ و١٤ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٥. هذا التصريح ليس جديداً. فقد أدلى به فضل الله مراراً وتكراراً منذ مطلع ثمانينيات القرن العشرين، ولا سيما بعد فشل محاولة اغتياله في ٨ آذار/مارس ١٩٨٥ التي تسببت بمقتل ٩٢ شخصاً (معظمهم من النساء) وجرح نحو ٢٥٠ آخرين. راجع الحسيني، «حزب الله: حركة عسكرية...»، ص. ٢٠؛ غسان القزي، حزب الله: من الحلم الإيديولوجي إلى الواقعية السياسية. الكويت: قرطاس للنشر، ١٩٩٨، ص. ٥٧؛ المديني، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٧٥.

(٢) مقابلة شخصية بتاريخ ١٤ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٥.

(٣) راجع «في حوار الدين والمرأة والسياسة والمفاوضات»، المجلة، ١٧ حزيران/يونيو ١٩٩٥، ص. ٢٣ - ٢٦. وللاطلاع في العمق على العلاقة بين آية الله فضل الله وحزب الله، راجع حسن فضل الله، الخيار الآخر: حزب الله: السيرة الذاتية والموقف. بيروت: دار الهادي، ١٩٩٤، ص. ٨٣ - ٨٩.

(٤) (تاريخ الزيارة الأخيرة للموقع نيسان/أبريل ٢٠٠٥).

(٥) تم تفصيل هذه الفكرة لاحقاً في الفصل الثالث، القسم ٣ تحت عنوان «مساهمة فضل الله المحتملة في إيديولوجيا حزب الله وفكره».

III لعن حزب الله للنظام السياسي اللبناني (١٩٨٤/ ٨٥ ـ ١٩٩٠)

١ . الرسالة المفتوحة لحزب الله

في الثمانينيات، اتبع حزب الله مقاربة متطرفة ـ عنيفة وخطاباً سياسياً قاسياً عكس موقفاً متصلباً يلعن النظام السياسي اللبناني بشموليته، وينظر إلى الحكومة اللبنانية على أنها كافرة. قال الطفيلي أول أمين عام لحزب الله: «نحن (حزب الله) نعتبر نظام أمين الجميل (الرئيس اللبناني في ذلك الوقت) نظاماً خلقته الإمبريالية الغربية لتدمير شخصية المسلمين في هذه البلاد وتحويلها إلى شخصية غربية. ولن نسمح بذلك»[١]. أضاف الطفيلي: «علينا أولاً الدفاع عن الثورة الإسلامية وعن إيران قبل التفكير في تأسيس دولة إسلامية ثانية في لبنان»[٢]. في هذه الأجواء، في ١٦ شباط/ فبراير ١٩٨٥، أعلن حزب الله أول وثيقة رسمية مفصَّلة له تحدِّد إيديولوجيته السياسية. وقد نُشِرت الرسالة المفتوحة التي تُعتبَر دستور حزب الله السياسي أو بيانه الرسمي السياسي في ٢٢ شباط/ فبراير ١٩٨٥ بصفتها «النص الحرفي الكامل لرسالة حزب الله المفتوحة إلى المستضعفين» في صحيفة «العهد» الناطقة باسم حزب الله[٣]. وقد كشفت الرسالة رسمياً ما كان

---

(١) جريدة النهار، ١٩ كانون الثاني/ يناير ١٩٨٣.

(٢) جريدة النهار، ٢١ آذار/ مارس ١٩٨٥. الواقع أن «الرسالة المفتوحة» لحزب الله تنص على أن الإسلام لا ينبغي أن يُفرض بالقوة، بل ينبغي أن يكون نتيجة إجماع بين اللبنانيين.

(٣) نهار الجمعة الواقع فيه ٣ جمادى الثانية سنة ١٤٠٥ هجرية (٢٢ شباط/ فبراير ١٩٨٥)، ص. ٥ - ٨. تلاها قبل أسبوعين وتحديداً نهار السبت الواقع فيه ١٦ شباط/ فبراير ١٩٨٥، الناطق باسم حزب الله آنذاك السيد إبراهيم أمين السيد. وفضلاً عن نشر الرسالة المفتوحة في صحيفة العهد، الناطقة باسم حزب الله، نُشر إعلان المبادئ أيضاً بعد ثلاثة أيام، أي في ٢٥ شباط/ فبراير ١٩٨٥ في جريدة السفير اليومية التي يملكها شيعي وتتميز بتوجهها اليساري. شعار الجريدة «صوت الذين لا صوت لهم»، وهي تدعم الأصوات الثانوية المقموعة. ولعل السبب في ذلك هو سعي حزب الله إلى استقطاب المزيد من القراء بما أن العهد لم تكن معروفة إلى هذا الحد، وأن مستوى انتشارها وإقبال القراء عليها كان محدوداً. وقد تم تدعيم هذا التحليل بمقابلة أجراها الكاتب بتاريخ ١٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥ مع عماد مرمل، كاتب عمود في جريدة السفير ومقدّم برنامج حواري سياسي على قناة المنار.

موجوداً في السابق ولا سيما تأسيس حزب الله وجناحه العسكري، المقاومة الإسلامية، فضلاً عن هوية حزب الله وأهدافه. أما توقيت نشر الرسالة المفتوحة فذو مغزى أيضاً: بعد سنة بالتحديد من اغتيال الشيخ راغب حرب، أحد الكوادر الأساسية في المقاومة الإسلامية الذي كان يعمل على تعبئة الجمهور للقتال ضد القوات الإسرائيلية التي تحتل جنوب لبنان. كما تزامن مع الانسحاب الإسرائيلي من صيدا وتحضيراته للانسحاب من الحزام الأمني الذي أعلنه بنفسه، الأمر الذي حصل بالفعل في حزيران/ يونيو من العام نفسه.

٢ . ردة فعل حزب الله غداة الاجتياح الإسرائيلي

في آذار/ مارس ١٩٨٥، فجَّرت إسرائيل حسينية بلدة معركة، فقتلت اثنين من كوادر حزب الله البارزين. وفي نيسان/ أبريل انسحبت إسرائيل من النبطية وصور. وقد نتج من عملية الجليل في ٢٠ أيار/ مايو بين القيادة العامة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والحكومة الإسرائيلية إطلاق سراح ١١٥٠ معتقلاً لبنانياً وفلسطينياً من معتقل عتليت في إسرائيل مقابل ثلاثة جنود إسرائيليين. في حزيران/ يونيو، أعلن الجيش الإسرائيلي إنهاءه انسحابه وتأسيس حزام أمني تبلغ مساحته ١١٠٠ كلم مربع، حيث يتضمن ١٦٨ مدينة وبلدة. احتوى «الحزام الأمني» على حوالى ١٥٪ من الأراضي اللبنانية على طول الحدود اللبنانية الجنوبية مع إسرائيل، ما يذكر باجتياح العام ١٩٧٨ الذي كان يهدف لخلق تدبير أمني مشابه لحماية المستوطنات الإسرائيلية الشمالية من تعرضها لهجمات صاروخية من الحدود اللبنانية. نتج عن الانسحاب الإسرائيلي مواجهة بين الميليشيات المسيحية (القوات اللبنانية، الجناح العسكري للكتائب) والمسلمين والميليشيات العلمانية. هُزِمت الميليشيات المسيحية فانسحبت مخلِّفة وراءها الشعب المسيحي الذي عانى من فظاعات ارتكبها المنتصرون.

في ١٦ شباط/ فبراير ١٩٨٦، اختطفت المقاومة الإسلامية جنديين إسرائيليين في عملية في كونين في بنت جبيل. شنت إسرائيل اجتياحاً محدوداً

طال ١٧ بلدة لستة أيام متتالية بغية استعادة الجنديين لكن من دون جدوى. أطلقت المقاومة الإسلامية حرباً قاسية ضد المتعاملين المحليين مع الجيش الإسرائيلي، وعلى مراكز جيش لبنان الجنوبي حيث عمدت إلى احتلالها وتفجيرها وقتل عناصرها أو احتجازهم، ثم تفجير المراكز بأكملها. في تشرين الأول/أكتوبر، أُسقِطت مقاتلة إسرائيلية فاحتُجِز الطيار المساعد رون أراد. اعتمد حزب الله سياسة تسجيل العمليات العسكرية ضد القوات الإسرائيلية لتحديد العدد الصحيح للقتلى والجرحى من الإسرائيليين وإعلانه أمام الجمهور الإسرائيلي، وبالتالي تكذيب الادعاءات الإسرائيلية عن عدد الضحايا القليل.

في العام ١٩٨٧، تولى السيد نصرالله منصب «المسؤول التنفيذي» الجديد إلى جانب كونه عضواً في مجلس الشورى وهو أعلى هيئة لدى حزب الله[١]. في ما يتعلق بجبهة المقاومة الإسلامية، شهد العام ١٩٨٧ إعادة احتدام حرب الاستنزاف ضد مراكز جيش لبنان الجنوبي بأسلوب لا سابقة له. سجَّل شهر كانون الأول/ديسمبر بداية الانتفاضة الفلسطينية الأولى.

في العام ١٩٨٨، وقع أول صدام أساسي ومواجهة مباشرة بين المقاومة الإسلامية والجيش الإسرائيلي خلال هجوم إسرائيلي على بلدة ميدون في البقاع الغربي. في ١١ آذار/مارس، نفَّذ حزب الله خامس عملياته الاستشهادية عندما فجَّر عامر كلاكش نفسه في موكب إسرائيلي بالقرب من مستعمرة المطلة على الحدود اللبنانية فقتل ١٢ جندياً إسرائيلياً وجرح ١٤ آخرين. بدأت حرب السيطرة بين حزب الله وحركة أمل في ٥ نيسان/أبريل في الجنوب وامتدت في ٦ أيار/مايو إلى الضاحية، الأمر الذي أدى إلى طرد مقاتلي أمل من الضاحية. انتهت حرب السيطرة هذه بعد أكثر من سنتين في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٠. في هذه الحرب، قاتل العلمانيون الشيعة (حركة أمل) ضد الإسلاميين الشيعة (حزب الله).

من جهة أخرى، أيضاً في العام ١٩٨٨، تم إنشاء المركز الاستشاري

(١) راجع (تاريخ الزيارة الأخيرة للموقع نيسان/أبريل ٢٠٠٥).

للدراسات والتوثيق، وهو مركز أبحاث حزب الله. في أيار/مايو ١٩٨٨، بدأت إذاعة النور التابعة لحزب الله بثها.

في ١٩ آب/أغسطس ١٩٨٨، نفَّذ حزب الله سادس عملية استشهادية له عندما فجَّر هيثم دبوق نفسه في موكب إسرائيلي على طريق مرجعيون فقتل جندياً إسرائيلياً وجرح ثلاثة آخرين وفق مصادر عسكرية إسرائيلية. وقعت العملية السابعة في ١٩ تشرين الأول/أكتوبر عندما فجَّر عبدالله عطوي نفسه بالقرب من بوابة فاطمة على الحدود بين لبنان وإسرائيل فقتل ثمانية جنود إسرائيليين وجرح ثمانية آخرين باعتراف الإسرائيليين.

في العام ١٩٨٨، كان حزب الله لا يزال يمارس معارضته للنظام السياسي اللبناني، حيث أعلن السيد إبراهيم أمين السيد في الذكرى التاسعة لانتصار الثورة الإسلامية أن الشعب المسلم في لبنان لا يقبل أن يصبح جزءاً من المشروع (السياسي) لآخرين (الدولة اللبنانية) يعملون لصالح «رئيس النظام الماروني»؛ بل على الآخرين أن يجدوا مكاناً لنفسهم في مشروع الإسلام[١]. وهكذا كان يدعو أمين السيد الآخرين كي يصبحوا جزءاً من المشروع الإسلامي في لبنان، رافضاً أن يكون تحت حكم نظام غير مسلم (الدولة اللبنانية) أو التعاون معه، الأمر الذي يشكِّل فرعاً من فروع برنامج حزب الله الكبير لأسلمة المجتمع في الثمانينيات.

في هذه الظروف المكشوفة، انتهت ولاية الرئيس اللبناني آنذاك أمين الجميل[٢] من دون انتخاب البرلمان النيابي خلفاً له. وبالتالي في ٢٣ أيلول/سبتمبر ١٩٨٨، عيَّن الجميل قائد الجيش العماد ميشال عون على رأس حكومة عسكرية تتألف من ثلاثة مسيحيين ومسلمين. التقى رجال الدين السنة وأصدروا فتوى تحرِّم على أي مسلم المشاركة في الحكومة العسكرية معتبرين التعيين غير

---

(١) راجع الصحف اللبنانية اليومية الصادرة بتاريخ ٨ شباط/فبراير ١٩٨٨.

(٢) تم نفيه «بملء إرادته» إلى فرنسا من العام ١٩٨٨ حتى العام ٢٠٠٠.

دستوري. وهكذا حكم العماد عون عملياً المناطق المسيحية في شرق بيروت وجبل لبنان فيما كان باقي البلاد تحت حكم رئيس الوزراء سليم الحص الذي شكّل حكومة ثانية في بيروت الغربية. وهكذا في ذلك الوقت كان للبنان حكومتان، وقد استمر الوضع على هذا النحو لسنتين تقريباً.

في ٣ حزيران/يونيو ١٩٨٩ توفي الإمام الخميني وسمّي الإمام خامنئي خلفاً له. تعهّد حزب الله بالولاء لسلطة خامنئي الدينية[١]. كذلك في العام ١٩٨٩ عقد حزب الله أول اجتماع سرّي له حيث أظهر هوية قادته وكوادره. نتج من هذا الاجتماع إنشاء مركز الأمين العام للحزب وانتخاب الشيخ صبحي الطفيلي كأول أمين عام لحزب الله. في ٢٨ تموز/يوليو، اختطف الجيش الإسرائيلي أحد كوادر حزب الله الشيخ عبد الكريم عبيد من بلدته جبشيت. وفي ٩ آب/أغسطس نفّذ حزب الله تاسع «عملية استشهادية» له عندما فجّر الشيخ أسعد برو نفسه في موكب إسرائيلي على طريق مرجعيون فقتل خمسة جنود وجرح خمسة آخرين بحسب مصادر عسكرية إسرائيلية.

في محاولة لإخراج الجيش السوري من لبنان، شنّ العماد ميشال عون في ١٤ آذار/مارس ١٩٨٩ «حرب التحرير» ضد القوات السورية الموجودة في لبنان

---

(١) عيّن الخميني، قبل وفاته، آية الله منتظري خلفاً له. لكن بفعل انتقادات المنتظري لعقيدة ولاية الفقيه، تم استعداؤه ووضعه تحت الإقامة الجبرية. ولدى تعيين علي خامنئي خلفاً للخميني، لم يكن خامنئي المرجع العلمي الأعلى في كافة فروع العلوم الدينية (الأعلمية) ولم يكن حتى آية الله (أي أنه لم يستوفِ المؤهلات الضرورية لتصنيفه مرجعاً). وقد تم تعديل دستور الجمهورية الإسلامية سنة ١٩٨٩ بغية السماح لخامنئي بأن يصبح الولي الفقيه. (راجع إرفاد أبراهاميان Ervad Abrahamian الخمينية: أبحاث حول الجمهورية الإسلامية Khomeinism: Essays on the Islamic Republic. لندن: أي. بي. توروس I.B. Taurus ١٩٩٣، ص. ٣٤؛ عبد العزيز ساشيدينان، «حكم الولي الفقيه في إيران» The Rule of the Religious Jurist in Iran لدى جون أل. إسبوزيتو John L. Esposito وآر. كاي. رمزاني R.K. Ramazani (ناشرون)، إيران عند المنعطفات .Iran at the Crossroads نيويورك: بلغراف Palgrave، ٢٠٠١، ص. ١٣٩). وبالتالي، من المحتمل جداً أن تُؤخذ بعين الاعتبار، في خلال عملية انتخاب الخلف، عوامل أخرى غير المعايير التي تنص عليها عقيدة ولاية الفقيه.

منذ العام ١٩٧٦. تم التفاوض على «وثيقة الوفاق الوطني المعروفة باتفاق الطائف بين ٥٨ نائباً في البرلمان اللبناني في مدينة الطائف في السعودية بين ٣٠ أيلول/ سبتمبر و٢٢ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٩. ويوم السبت في ٢٢ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٩ عند الساعة العاشرة وخمس وأربعين دقيقة مساءً أُعلِن رسمياً من قصر المؤتمرات في الطائف أن الحرب الأهلية انتهت. غير أنه لم يتم الالتزام بالإعلان الاسمي لانتهاء الحرب واستمرت الحرب الأهلية. أصدر عون مرسوماً يحلُّ فيه البرلمان لكن لم يلقَ آذاناً صاغية.

شكَّل اتفاق الطائف «مشروع قانون» أو برنامج عمل للمصالحة الوطنية والإصلاح الهادف إلى إرساء نظام سياسي أكثر عدالة للمجموعات الطائفية ـ المذهبية في لبنان. تطرق مجمل الاتفاق إلى تغييرات متعلقة بنص الدستور؛ فيما تناول قسم صغير مسائل إجرائية كوضع حد لحال الحرب وحل الميليشيات ودمج أعضائها في الجيش اللبناني والعلاقات السورية اللبنانية، إلخ. وتم اعتماد التغييرات المقترحة في اتفاق الطائف رسمياً، وتمت صياغتها في الدستور اللبناني الجديد في آب/ أغسطس وأيلول/ سبتمبر ٢٠٠٠. وتعرف الوثيقة النهائية باسم «الدستور اللبناني بعد تعديلات ٢١ آب/ أغسطس ١٩٩٠». نصّ الدستور الجديد على الحاجة إلى التشارك في الحكم السياسي على أساس متساوٍ بين المسيحيين والمسلمين بعكس معدل ٦/ ٥ السابق. تم أيضاً رفع عدد المقاعد النيابية من ٩٩ إلى ١٠٨[١]. وضع الدستور الجديد حداً نهائياً للحرب الأهلية، إذ نص على حل كافة الميليشيات وتسليم سلاحها إلى الدولة اللبنانية. كما دعا إلى دمج أعضاء الميليشيات في المجتمع المدني اللبناني وفي مؤسسات الدولة

---

(١) راجع بول سالم، مجلة بيروت The Beirut Review، بيروت: المركز اللبناني للدراسات السياسية LCPS المجلد ١، العدد ١ (ربيع ١٩٩١)، ص. ١١٩ - ١٢٠. راجع أيضاً إعلان مبادئ حزب الله، وثيقة الطائف. . .، ص. ٦٩ - ٧٨. للاطلاع على دراسة وتحليل مفصّلين للطائف، راجع على سبيل المثال عارف العبد، لبنان والطائف: تقاطع تاريخي ومسار غير مكتمل، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠١.

اللبنانية، ولا سيما الجيش اللبناني. لكن اتفاق الطائف سمح للميليشيات بتحويل نفسها إلى أحزاب سياسية.

في أول آب/أغسطس ١٩٩٠ اجتاح صدام حسين الكويت وضمها إليه. فرض الوضع الإقليمي على الولايات المتحدة إعطاء الضوء الأخضر للجيش السوري لطرد العماد ميشال عون الذي كان يعتبر حليفاً لصدام. شهد ١٣ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٠ الانتهاء الفعلي للحرب الأهلية التي استمرت ستة عشر عاماً عبر طرد العماد ميشال عون ونفيه إلى فرنسا(١). كان للوضع الإقليمي أيضاً أثره على حرب أمل وحزب الله التي امتدت على سنتين ونصف، وانتهت باتفاق نهائي بينهما في ٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٠ بضغط كبير من سوريا وإيران.

٣. نظرة حزب الله للطائف

هل وافق حزب الله على الطائف؟ يبدو أن ردّ فعل حزب الله الأولي كان رفض مضمونه السياسي وقبول مضمونه الأمني. في ١٣ آب/أغسطس ١٩٨٩ أصدر حزب الله إعلاناً سياسياً اعتبر فيه اتفاق الطائف «إصلاحاً خجولاً لا يمسّ جوهر الامتيازات المذهبية بل يعيد تشكيل نظام سياسي مشابه لـ«إسرائيل مارونية» (أي دولة عرقية) في المنطقة»(٢). اضاف حزب الله أن «اتفاق الطائف يشكل تكراراً ميتاً للخطيئة التاريخية التي ارتكبت في العام ١٩٤٣ (الاتفاق الوطني) والتي كانت العامل الأساسي وراء تفكك الدولة اللبنانية وتدميرها» (إشارة إلى الحرب الأهلية)(٣). هذا ليس كل شيء. مارس حزب الله تحليله الخطابي الخاص به عندما أصدر وثيقة رسمية عبرت عن موقفه من الطائف(٤).

---

(١) راجع ويليام دبليو هاريس William W. Harris وجوه لبنان: الطوائف والحروب والامتدادات العالمية Sects, Wars, and Global Extensions. برينستون، نيوجيرسي: ماركوس وينر ناشرون Marcus Wiener Publishers، ١٩٩٦ ص. ٢٤٣ - ٢٧٨.

(٢) راجع الصحف اليومية اللبنانية الصادرة بتاريخ ١٤ آب/أغسطس ١٩٨٩.

(٣) جريدة السفير، ٦ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٩.

(٤) إعلان مبادئ حزب الله، وثيقة الطائف...، ص. ٥ - ٦٢.

انتقد حزب الله المستوى السطحي للإصلاحات السياسية المقترحة لكنه وافق على تطبيق ما نص به على الصعيد الأمني محدداً تمييزاً واضحاً بين الميليشيا والمقاومة. وهكذا، اعتبرت الدولة اللبنانية الجناح العسكري لحزب الله، المقاومة الإسلامية مقاومة وطنية شرعية[١] حيث سمح لها بالحفاظ على السلاح ومقاومة القوات الإسرائيلية التي تحتل جنوب لبنان والبقاع. غير أن حزب الله التزم بالبند الأمني الوارد في اتفاق الطائف والذي يمنع حمل السلاح والتنقل باللباس العسكري في المناطق غير المحتلة من لبنان[٢]. أثار هذا التدبير حفيظة الميليشيات المسيحية؛ ففي النهاية سُمِح لحزب الله بالاحتفاظ بالسلاح وببنيته العسكرية. كما أثار هذا التصرف غضب الميليشيات العلمانية واليسارية إذ مُنح حزب الله عملياً الاحتكار الكامل لمقاومة إسرائيل. وهكذا يمكن القول إن حزب الله قبل باتفاق الطائف من باب الضرورة وليس الاقتناع.

IV سياسة حزب الله الانفتاحية (١٩٩١ إلى ٢٠٠٥)

بعكس موقفه المتصلب في مرحلة ما قبل العام ١٩٩٠ حيث كان يلعن الدولة اللبنانية ويعتبرها كافرة، انتهج حزب الله موقفاً أكثر ليناً تجاه الدولة اللبنانية. في ٣ كانون الثاني/ يناير ١٩٩١، أصدر حزب الله إعلاناً سياسياً دعا فيه الحكومة اللبنانية إلى حماية الحريات السياسية والفكرية والإيديولوجية والإعلامية. كما حث حزب الله الحكومة اللبنانية على التمييز بين دور مختلف الميليشيات في لبنان ودور المقاومة الإسلامية التابعة لحزب الله[٣]. في آذار/ مارس ١٩٩١، أعلنت الحكومة اللبنانية رسمياً حلّ الميليشيات. وقد حدِّدت

---

(١) راجع مقدمة الدستور اللبناني في ما يتعلق بالحاجة إلى تحرير كافة الأراضي اللبنانية من الاحتلال الأجنبي.

(٢) تحت «فرض سلطة الدولة على كامل الأراضي اللبنانية»، تنص المادة الأولى على «إعلان حل كل الميليشيات اللبنانية وغير اللبنانية، وتسليم أسلحتها إلى الجيش اللبناني، بعد ستة أشهر على إقرار اتفاق الطائف». إعلان مبادئ حزب الله، وثيقة الطائف. . . ، ص. ٧٦.

(٣) المكتب الإعلامي المركزي في حزب الله.

نهاية شهر نيسان/ أبريل كآخر مهلة لتسليم الميليشيات أسلحتها الثقيلة وإغلاق مراكز تدريبها العسكرية. استثني حزب الله من هذا القرار بما أن جناحه العسكري أي المقاومة الإسلامية صُنِّف على أنه حركة مقاومة وليس ميليشيا؛ وهكذا سُمِح له بالاحتفاظ بالسلاح ومواصلة مقاومته إسرائيل.

في ٢٢ أيار/ مايو ١٩٩١، عقد حزب الله اجتماعه المغلق الثاني وانتخب السيد عباس الموسوي ثاني أمين عام له والشيخ نعيم قاسم نائباً له. بعكس الاجتماع المغلق الأول حيث تم تعيين أعضاء مجلس الشورى السبعة، تم انتخابهم في الاجتماع الثاني. حدد الاجتماع مبادئ أخلاقية مكتوبة يجري على أساسها حوار مع المسيحيين[١]. وهكذا كان أكثر القرارات ليناً في هذا الاجتماع هو انفتاح حزب الله. انعكس هذا التطور في برنامج حزب الله السياسي في العام ١٩٩١ الذي كتبه السيد عباس الموسوي.

تماشياً مع سياسة الانفتاح، غيّر حزب الله خطابه وجعله تعددياً وشاملاً في توجهه. وهكذا أُطلِقت قناة المنار التابعة لحزب الله في ٣ حزيران/ يونيو. بعد أشهر من إسماع صوته في وسائل إعلامه المكتوبة والمرئية والمسموعة، حصلت أول عملية تبادل للأسرى بين حزب الله وإسرائيل برعاية الأمم المتحدة[٢] على ثلاث دفعات، بين ١١ أيلول/ سبتمبر والأول من كانون الأول/ ديسمبر. أطلقت إسرائيل سراح ٩١ معتقلاً لبنانياً (واحد من سجن إسرائيلي و٩٠ بينهم عشر نساء من معتقل الخيام) ورفات تسعة مقاتلين مقابل معلومات عن جنديين إسرائيليين احتجزهما حزب الله في ١٦ شباط/ فبراير ١٩٨٦.

في ١٦ شباط/ فبراير ١٩٩٢ اغتالت طوافة إسرائيلية السيد عباس الموسوي وزوجته وابنه. بعد يومين، انتخب السيد حسن نصرالله ثالث أمين عام لحزب الله

---

(١) حسن فضل الله، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٣٧.

(٢) راجع خطاب نصر الله في اليوم الخامس من شهر محرّم، سنة ١٤٢٥ هجرية، ٢٤ آذار/ مارس ٢٠٠٤.

والشيخ نعيم قاسم نائباً له. ولا يزال نصرالله وقاسم يحتفظان بمركزيهما حتى اليوم. هاجمت إسرائيل بلدتي كفرا وياطر لكنها واجهت مقاومة شرسة من مقاتلي حزب الله. كانت هذه بداية استخدام حزب الله لسلاح الكاتيوشا كاستراتيجيا رادعة لحماية المدنيين اللبنانيين من الاعتداءات الإسرائيلية.

النظام الانتخابي اللبناني:

الانتخابات النيابية في العام ١٩٩٢

بهدف ضمان تمثيل أكثر إنصافاً للتوازن الطائفي المذهبي، زادت الدولة اللبنانية في العام ١٩٩٢ من عدد المقاعد النيابية في البرلمان اللبناني ليصبح عددها ١٢٨ بدل ١٠٨ كما نص عليه اتفاق الطائف. وهكذا انطلقت الحكومة اللبنانية في تنظيم أول انتخابات نيابية لم تُجرَ منذ عشرين عاماً[١] بسبب الحرب الأهلية. ارتكز النظام الانتخابي ما بعد الطائف على نظام أغلبية أصوات الاقتراع التي يفوز بها أحد المرشحين الذي ينتمي إلى طائفة معينة، ويمثِّل منطقة انتخابية محددة. أما نظام اللائحة فيسود حيث يتعين على كل ناخب اختيار مرشحيه وفق التقسيمات المذهبية، بناءً على نظام كوتا طائفي وقاسٍ يخصص عدداً محدداً من المقاعد لكل طائفة، استناداً إلى حجم السكان في المنطقة الانتخابية وتركيبته الطائفية. نص اتفاق الطائف على تقسيم لبنان إلى خمس محافظات: بيروت، جبل لبنان، لبنان الشمالي، البقاع ولبنان الجنوبي. وقد اعتُمِد هذا التقسيم تحديداً لضمان التكوين المتعدد الطوائف للوائح كافة لتشجيع حماية التعايش المسلم المسيحي والوحدة الوطنية وردّ القبلية والطائفية.

وجد حزب الله صعوبة في تقرير المشاركة في انتخابات العام ١٩٩٢ أو عدمها؛ وقد أدى ذلك إلى نشوء نزاع داخلي[٢]. بما أن ولاية الفقيه هي التي

---

(١) الانتخابات النيابية الأخيرة قبل اندلاع الحرب الأهلية بتاريخ ١٣ نيسان/ أبريل ١٩٧٥ أُجريت في نيسان/ أبريل ١٩٧٢.

(٢) للاطلاع على التفاصيل، راجع الفصل ٤: البرنامج السياسي.

تحدد الشرعية[١]، كان على آية الله خامنئي التدخل ومنح الشرعية للمشاركة. أدى هذا الأمر إلى انقسام كبير في حزب الله لأن الشيخ الطفيلي ناقض هذا القرار وواصل اتباع موقف مواجهة مع الحزب والدولة اللبنانية على حد سواء.

بعد تسوية المسألة، أعلن حزب الله أمام الجمهور في ٣ تموز/ يوليو ١٩٩٢ قراره المشاركة في الانتخابات، فأطلق برنامجه السياسي الذي ارتكز على التوسع في الأسس التالية: أولاً تحرير لبنان من الاحتلال «الصهيوني»، ثانياً إلغاء الطائفية السياسية[٢]، ثالثاً تعديل القانون الانتخابي حتى يصبح أكثر تمثيلاً للشعب، رابعاً ضمان الحريات السياسية والإعلامية، خامساً تطبيق قانون تطبيع عصري يعتمد على الأهلية؛ سادساً عودة المهجرين كلهم؛ سابعاً الإصلاحات الإدارية والتنموية والتربوية والثقافية والاجتماعية[٣]. استناداً إلى البرنامج الانتخابي في العام ١٩٩٢، فاز حزب الله بالمقاعد الاثني عشر الموجودة على لائحته الانتخابية: ثمانية مقاعد لأعضاء حزبه وأربعة لمتعاطفين معه: اثنان للسنة، واثنان للمسيحيين (واحد روم كاثولوك وواحد ماروني). تعليقاً على برنامج العام ١٩٩٢ الانتخابي وأداء حزب الله، شرح الحاج محمد رعد، الرئيس الحالي لكتلة حزب الله البرلمانية أن نواب الحزب حاولوا إظهار الجانب الآخر للحزب أي حزب الله السياسي. دافع نواب حزب الله عن المقاومة الإسلامية متوجهين إلى الرأي العام الداخلي والإقليمي والدولي بغية تحفيزه بقدر ما تسمح به مساحة العمل البرلماني[٤].

في ٢١ أيلول/ سبتمبر ١٩٩٢، نفَّذ ابراهيم ضاهر تاسع «عملية استشهادية»

---

(١) يبدو أنه من غير الممكن تحييد إيران في هذا المجال لأنها لاعب أساسي في إيديولوجيا حزب الله وسياساته ومسار صنع القرارات لديه، وحتى في المسائل السياسية الدنيوية. وبالتالي، يبدو أن الإيديولوجيا تتدخل في صنع القرارات العملية.

(٢) جدير بالذكر أن المادة ٩٥ من اتفاق الطائف تنص على إلغاء الطائفية السياسية.

(٣) راجع برنامج حزب الله المفصّل لانتخابات العام ١٩٩٢ في «الملحق ب».

(٤) فضيل أبو النصر، حزب الله: حقائق وأبعاد. بيروت: الكتب العالمية للنشر World Book Publishing 2003، ص. ١٣١.

عندما استهدف موكباً إسرائيلياً على طريق الجرمق فقتل وجرح ٢٥ بحسب مصادر الحزب.

حوار حزب الله مع المسيحيين اللبنانيين

في الأول من كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٢ حصلت سابقة في علاقات حزب الله مع المسيحيين عندما قام النائب الراحل الشيخ خضر طليس والسيد نواف الموسوي، عضو المكتب السياسي في الحزب، بزيارة مفصلية إلى البطريرك الماروني. بعد الاجتماع، شدّد طليس على الحاجة لحوار مسيحي ـ مسلم وعلى الانفتاح، مضيفاً أن حزب الله يعتبر الحريات الثقافية والسياسية والدينية في لبنان مقدسة وبالتالي من غير المقبول انتهاكها مهما كان السبب(١). من هذا المنظور، انطلقت قيادة حزب الله في تطوير برنامج سياسي للحوار مع الأحزاب كلها باستثناء أولئك الذين كانت تربطهم علاقات فاضحة مع إسرائيل، كالكتائب والقوات اللبنانية. أما الهدف وراء هذا البرنامج السياسي للحوار فهو استطلاع الأرضيات المشتركة التي تؤسس لمسار التعاون المثمر في مسائل مشتركة، فضلاً عن حل الخلافات الموجودة من دون اللجوء إلى أي مواجهة. شدّد حزب الله على أن الأمر ممكن إذا ما تم احترام معتقدات كل حزب وخصوصياته وميزاته ورؤياه العامة وفي الوقت نفسه ترك بعض المساحة الشاغرة لتغيير بعض المواقف من باب الاقتناع. بحسب حزب الله لا بد من أن يستند الحوار والعلاقات السياسية على الاحترام الكامل لحقوق المواطن والعدالة الاجتماعية والتعايش السلمي، وهذا كله يندرج في قناعة أن لبنان بلد لكل اللبنانيين(٢). على الرغم من أن البطريرك الماروني أشار إلى الاختلاف مع حزب الله في بعض المسائل، إلا أنه عبّر عن احترامه لحزب الله بسبب التزامه احترام كلامه ومواقفه. بدوره شدّد حزب الله على أنه لا بد أن يتركّز الحوار على

---

(١) جريدة العهد، العدد ٤٤١.

(٢) قاسم، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٩٤ - ٢٩٥.

مسائل ذات منفعة متبادلة وينطلق بها إلى أمور أخرى لا تطال الحساسيات أو تقود إلى التنافر. فعلى الحوار أن يتناول مسائل أساسية يمكن لها أن تقود إلى الاجتماع على الأفكار والآراء بين الأحزاب أو تعديلها. تنظم الأحزاب نفسها وتتصالح في ما بينها وتوافق على الحوار بغضّ النظر عمّا إذا كان ذلك سيؤدي إلى نتيجة مقبولة أو ينتج منه خلاف، ولكن من دون السماح أن يؤثر بسلبية على استمرار الحوار والتعاون[١].

في بداية صيف العام ١٩٩٣، عقد حزب الله خلوته الثالثة حيث أعاد انتخاب السيد حسن نصرالله أميناً عاماً للحزب، والشيخ نعيم قاسم نائباً له. تجدر الإشارة أنه تمت مكافأة المقاومة الإسلامية عبر انتخاب «القيادة العسكرية المركزية» في حزب الله الحاج محسن شكر أحد أعضاء مجلس الشورى السبعة.

من ٢٣ وحتى ٣١ تموز/يوليو ١٩٩٣، نشبت حرب «السبعة أيام» أو «عملية المحاسبة» الإسرائيلية كرد مباشر على قتل المقاومة الإسلامية سبعة جنود إسرائيليين. أدت «حرب السبعة أيام» إلى مقتل ١٣٠ شخصاً معظمهم من المدنيين اللبنانيين وهجرت حوالى ٣٠٠٠٠٠. انتهت «عملية المحاسبة» باتفاق غير مكتوب (شفهي) بين حزب الله وإسرائيل لتحييد المدنيين على جانبي الحدود. على الرغم من منع حكومة رئيس الوزراء رفيق الحريري التظاهر، إلا أنه وغداة التوقيع على اتفاقية أوسلو، أقام حزب الله في الضاحية تظاهرة سلمية تحولت إلى دموية عندما أطلقت قوى الأمن الداخلي أو الشرطة والجيش اللبناني النار على المتظاهرين فقتلت ثلاثة عشر، بينهم امرأتان وجرحت حوالى الأربعين.

في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٤ هاجمت المقاومة الإسلامية موقعاً إسرائيلياً في الدبشة. استغل حزب الله الكاميرا كسلاح مبدئي في حرب الأعصاب ضد إسرائيل عبر بثه على قناة المنار تفاصيل العملية والضحايا

---

(١) المرجع نفسه، ص. ٢٩٥ - ٢٩٧.

الإسرائيليين. في ٣١ أيار/مايو اختطفت وحدة كومندوس إسرائيلية الحاج مصطفى الديراني، أحد كوادر حركة أمل من بلدته قصرنبا من البقاع.

اعترافاً بصعوبة تطبيق بنود الرسالة المفتوحة في الإطار اللبناني، ونظراً لصراعه مع النظام السياسي، أشار السيد نصرالله في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٤ إلى إمكانية إعادة صياغة الرسالة المفتوحة: «تعرض الرسالة المفتوحة مفاهيم عامة وتوجيهات عامة لهويتنا. . . لقد راجعنا الرسالة المفتوحة لبعض الوقت ولا أعتبر أنه ثمة تعديلات أساسية طرأت على عقائدنا وتوجهاتنا بشكل عام، على الرغم من ضرورة الاعتراف بالتغييرات والاحتمالات التي حصلت في السنوات الفائتة[١].

في ١٧ أيار/مايو ١٩٩٥ عيَّن آية الله خامنئي الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله وعضو شورى الحزب الشيخ محمد يزبك وكيلين شرعيين[٢] في لبنان في مجال الحسبة والمفاهيم الشرعية، فأخذا منه الواجبات الدينية ووضعها لمصلحة المسلمين؛ وصدّ القمع واللاعدالة؛ والتوفيق الشرعي لأتباع الخمس وتعيين نواب لهم[٣].

في ٢٥ نيسان/أبريل ١٩٩٥ نفّذ صلاح غندور عاشر «عملية استشهادية» لحزب الله عندما فجّر نفسه في موقع لجيش لبنان الجنوبي في بنت جبيل فجرح أحد عشر بحسب مصادر الجيش الإسرائيلي. انعقدت رابع خلوة لحزب الله في تموز/يوليو ١٩٩٥. أعيد انتخاب أمين عام الحزب ونائبه. حصلت بعض التغييرات التنظيمية الأساسية التي قام بها حزب الله: أولاً أصبح المكتب السياسي «المجلس السياسي» وتم توسيع صلاحياته؛ ثانياً أنشئ «المجلس الجهادي» برئاسة السيد هاشم صفي الدين، العضو الجديد الوحيد في مجلس

(١) مقابلة مع البلاد بتاريخ ١٢ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩٤.
(٢) في الواقع، من الممكن والطبيعي أن يكون لأي مرجع معترف به أكثر من ممثّل واحد.
(٣) جريدة السفير، ١٨ أيار/مايو ١٩٩٥.

الشورى؛ ثالثاً استبدل «المجلس التنفيذي» بمجلس «الشورى التنفيذي» بالصلاحيات نفسها تقريباً؛ رابعاً بهدف تقييم تجربة حزب الله في البرلمان شكّل الحزب هيئة جديدة سُمِّيت «مجلس الكتلة البرلمانية».

في ٢٠ آذار/ مارس ١٩٩٦ نفّذ علي أشمر «العملية الاستشهادية» الحادية عشرة لحزب الله في بلدة رب ثلاثين في محيط العديسة فقتل اثنين بحسب مصادر عسكرية إسرائيلية. وفي محاولة للقضاء على حزب الله شنت إسرائيل من ١١ نيسان/أبريل ١٩٩٦ وحتى ١٨ منه هجوم عنيفاً على جنوب لبنان فقتلت أكثر من ١٥٠ مدنياً ـ بمن فيهم ١٠٢ من المدنيين الذين لجأوا إلى مقر الأمم المتحدة في بلدة قانا ـ وهجّرت حوالى نصف مليون آخرين. كما استهدفت إسرائيل بشراسة البنى التحتية اللبنانية[١]. نتج من «عناقيد الغضب» تضامن وطني لم يسبق له مثيل مع حزب الله. من بين الهبات الكثيرة، قدم المسيحيون الذهب والمال حتى يتمكن حزب الله من شراء صواريخ الكاتيوشا ليتم إطلاقها على إسرائيل في إطار سياسة رادعة لمحاولة وقف الاعتداءات. وهكذا بعد عناقيد الغضب، ظهر إجماع بين الأحزاب اللبنانية على شرعية مقاومة حزب الله. أنتج الاعتداء الإسرائيلي ما بات يُعرَف بـ«تفاهم نيسان/ أبريل ١٩٩٦» الذي حمى المدنيين الإسرائيليين واللبنانيين من العمليات العسكرية. شاركت الأمم المتحدة وفرنسا وسوريا والولايات المتحدة في اتفاق ٢٦ نيسان/أبريل الخطي بين إسرائيل وحزب الله والذي أعد «مجموعة مراقبة لاتفاق تفاهم عملية عناقيد الغضب». وهكذا يبدو أن المجتمع الدولي مع إسرائيل قد اعترف بحق حزب الله في مقاومة الاحتلال.

---

(١) راجع أوغسطس آر نورتن Augustus R. Norton «حزب الله والانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان Hizbullah and the Israeli Withdrawal from Southern Lebanon، مجلة الدراسات الفلسطينية Journal of Palestine Studies المجلد ٣ (خريف ٢٠٠٠)، العدد. ١، ص ٢٧. راجع أيضاً حسن فضل الله، حرب الإرادات: صراع المقاومة والاحتلال الإسرائيلي في لبنان. بيروت: دار الهادي، ١٩٩٨، ص. ١٨١ - ٢٠٢.

الانتخابات النيابية في العام ١٩٩٦

في خضم المواجهات العسكرية الضاغطة، أطلق حزب الله في صيف ١٩٩٦ برنامجه الانتخابي البرلماني الذي يمكن اختصاره بما يلي: أولاً مقاومة الاحتلال الإسرائيلي؛ ثانياً إنجاز المساواة وإرساء دولة عادلة؛ ثالثاً الضغط على الدولة لاعتماد سياسات اقتصادية لمصلحة المستضعفين بهدف الوصول إلى تنمية متوازنة؛ رابعاً الإصلاحات التربوية والنقابية؛ خامساً الإصلاحات الاجتماعية والصحية؛ سادساً حماية الحريات العامة؛ سابعاً تعزيز السياسة الخارجية للدولة اللبنانية[١]. أفاد محمد رعد أنه في العام ١٩٩٦ قيّم حزب الله مشاركته في هذه الانتخابات النيابية خاصة بعد إحاطة الرأي العام اللبناني لحزب الله[٢]. استطاع حزب الله الاحتفاظ بتسعة مقاعد؛ سبعة لأعضاء حزبه واثنين لسني ومسيحي ماروني من غير أعضاء الحزب. نتج من هذا الأمر تغيير بعض النواب حيث أصبح الجدد ذوي أبعاد عملية بدل أن تكون نظرية (مهمات أكثر تخصصاً وتوزيعاً). وهكذا تحسّن التمثيل لمختلف المناطق الجغرافية التي تشكل مناطق حزب الله: بيروت، الجنوب والبقاع. علاوة على ذلك، انتُخب عضو من كتلة حزب الله رئيساً للجنة الاقتصاد النيابية[٣]. تجدر الإشارة إلى أنه وحده رئيس كتلة حزب الله النيابية السيد إبراهيم أمين السيد كان رجل دين.

برعاية ألمانية، أجرى حزب الله في ٢١ تموز/يوليو ١٩٩٦ عملية تبادل حيث سلّم رفات جنديين إسرائيليين (خطفهما في ١٦ شباط/فبراير ١٩٨٦) و١٧ متعاملاً من جيش لبنان الجنوبي مقابل ٤٥ معتقلاً لبنانياً ورفات ١٢٣ آخرين. في انتخابات العام ١٩٩٦ النيابية، استطاع حزب الله الحفاظ على أحد عشر مقعداً نيابياً. في ٧ نيسان/أبريل ١٩٩٧، نتج من عملية تبادل بين حزب الله وإسرائيل تسليم ثلاثة معتقلين لبنانيين مقابل رفات جندي في جيش لبنان الجنوبي.

---

(١) راجع برنامج حزب الله المفصّل لانتخابات العام ١٩٩٢ في «الملحق ب».

(٢) هو يقصد على الأرجح «عناقيد الغضب» وما أعقبها.

(٣) أبو النصر، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٣١ - ١٣٢.

في ٤ أيار/ مايو ١٩٩٧ نشب خلاف بين حزب الله والدولة اللبنانية عندما أعلن الشيخ صبحي الطفيلي «ثورة الجياع»، حيث دعا في ٤ تموز/ يوليو إلى العصيان المدني ضد الحكومة اللبنانية. نتج من هذا الوضع قطع طرقات في ٢٦ تشرين الأول/ أكتوبر. في ٥ أيلول/ سبتمبر، تكبّدت إسرائيل مقتل ١٢ ضابطاً رفيعاً من نخبة الكومندوس العسكري الإسرائيلي في عملية الأنصارية الإسرائيلية بينما لم يُصَب أي مقاوم بأذى. في ١٢ أيلول/ سبتمبر استشهد السيد هادي نصرالله نجل السيد حسن نصرالله في مواجهة مع الجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان.

تكوين الفرقة اللبنانية المتعددة الطوائف

في ٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٧، شكّل حزب الله السرايا[١] اللبنانية لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي، وهي أول إشارة إلى «لبننة»[٢] المقاومة. وعلى الرغم من أن حزب الله هو الذي شكل هذه السرايا، إلا أن أياً من أعضاء المقاومة الإسلامية لم يشارك في عملياتها. فقد كانت محاولة لإعادة إحياء ما هو شبيه بالمقاومة الوطنية اللبنانية العلمانية التي اختفت في بداية العام ١٩٩١ نتيجة لحل الميليشيات وفق اتفاق الطائف. كانت السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال ترتكز على البعد الوطني والعلماني في مقاومة الاحتلال بينما ترتكز المقاومة الإسلامية على الإيديولوجيا الإسلامية[٣].

---

(١) جدير بالذكر أن للاسم دلالة دينية/ قرآنية. فعندما كان النبي يشارك في أي معركة، كانت المعركة تُسمّى غزوة. وعندما لم يكن يفعل، كانت تُسمّى سريّة، مفرد سرايا. وهذا مؤشر آخر على أهمية الإيديولوجيا الدينية لحزب الله.

(٢) يُقصد باللبننة أو سياسة الانفتاح سياسة اندماج حزب الله في المجال العام اللبناني في تسعينيات القرن العشرين. راجع قاسم، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٨٦، ٢٩٤، ٣٢٠، ٣٢٧.

(٣) المؤشرات الاجتماعية التالية معبّرة: ٢٤,٣ في المائة من عناصر السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي كانوا ممن تتراوح أعمارهم بين ٢٠ - ٢٥ سنة، ٤٦,١ في المائة بين ٢٥ - ٣٠ سنة، و٢٩,٣ في المائة تتجاوز أعمارهم ٣٠ سنة. كما أن ١٧,٢ في المائة منهم أنهوا مرحلة التعليم الابتدائية، ٢٤,٣ في المائة أنهوا مرحلة التعليم المتوسطة، ٣٥,٧ في المائة أنهوا مرحلة التعليم الثانوية، ٣٥,٧ في المائة تابعوا التحصيل العلمي ما بعد المرحلة الثانوية، ١٦,٩ في =

طُرِد الشيخ صبحي الطفيلي رسمياً من حزب الله إثر إعلان سياسي صدر في ٢٤ كانون الثاني/ يناير ١٩٩٨. وفي الثلاثين منه، نشبت مواجهة عسكرية عنيفة بين الجيش اللبناني وأنصار الطفيلي الذين احتلوا بالقوة العسكرية المعهد الديني التابع لحزب الله في عين بورضاي بالقرب من بعلبك. انتهت المواجهة الدامية ـ التي أدت إلى سقوط بعض الضحايا أهمهم مقتل ملازم أول في الجيش، وهو مسيحي، والنائب السابق في حزب الله، صهر الطفيلي خضر طليس، بالإضافة إلى إصابة العديدين، وتدمير مقر الطفيلي، وإصدار الدولة اللبنانية مذكرة توقيف بحقه. غير أنه وحتى هذا اليوم، لا يزال طليقاً. بعد حل مشكلة النزاع الداخلي، عقد حزب الله خلوته الخامسة بين ٢٠ حزيران/ يونيو ونهاية تموز/ يوليو. انتخب السيد نصرالله للمرة الثالثة. للتمكن من القيام بذلك، كان على حزب الله تعديل قانونه الداخلي عبر شطب البند الذي ينص على أن الأمين العام للحزب لا يمكن انتخابه لأكثر من دورتين متتاليتين.

الانتخابات البلدية للعام ١٩٩٨

من ٢٤ أيار/ مايو وحتى ١٤ حزيران/ يونيو ١٩٩٨، جرت الانتخابات البلدية ـ التي عكست تمثيلاً شعبياً حقيقياً[(١)] وكانت متوقفة منذ العام ١٩٦٣ ـ بعد

= المائة يحملون إجازات جامعية، و٥,٩ في المائة يحملون شهادات الماجستر والدكتوراه. أضف إلى ذلك أن ٦٩ في المائة منهم كانوا عازبين، ٢٥,٨ في المائة متزوجين ولديهم أولاد، و٥,٢ في المائة متزوجين وليس لديهم أولاد. كذلك المؤشرات السياسية التالية معبّرة: ٥١ في المائة كانوا أعضاء سابقين في أحزاب سياسية، ٦,٨ في المائة كانوا مرتبطين بأحزاب سياسية مختلفة، و٤٢,٢ في المائة لم يكونوا أعضاء في أي حزب سياسي. كما أن ٣٨ في المائة منهم كانوا من السنة، ٢٥ في المائة من الشيعة، ٢٠ في المائة من الدروز، و١٧ في المائة من المسيحيين. فضلاً عن ذلك، ٤٠ في المائة جاؤوا من بيروت، ٢٠,٦ في المائة من الشمال وكسروان (مناطق ذات أغلبية مسيحية)، ١٣,٤ في المائة من البقاع، ٨,٦ في المائة من جبل لبنان، و١٧,٤ في المائة من الجنوب وإقليم الخروب. راجع علي فياض، «السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي: التركيبة الاجتماعية السياسية وآفاق الدور». بيروت: المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق CCSD. ٢٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٩.

(١) خلافاً لقانون الانتخابات النيابية، لم يأتِ نص قانون الانتخابات البلدية بحسب الأسس =

ضغط حزب الله وتكتله. استخدمت الحكومة اللبنانية حجة نقص الموارد المادية والتقنية والطاقة البشرية، لكن حزب الله أصر على إعادة تنشيط الانتخابات. في سعيه للسيطرة على المجالس البلدية في مناطقه الرئيسية، وضع حزب الله أعضاء حزبه مع مرشحين مسيحيين. شارك حزب الله في الانتخابات البلدية وفق برنامج انتخابي بلدي يتلخص بما يلي: أولاً «تشجيع المواطن على الاضطلاع بدور أكثر فاعلية في عملية اختيار المشاريع التنموية؛ ثانياً زيادة وظائف البلديات وسلطتها في ما يتعلق بالشؤون التربوية والعناية الصحية والأمور الاجتماعية ـ الاقتصادية؛ ثالثاً إشراك أشخاص كفوئين في المشاريع التنموية؛ رابعاً تمويل المشاريع التنموية من العائدات البلدية والهبات؛ خامساً ممارسة السلطة على الأشغال العامة ومنع الابتزاز؛ سادساً تحديث البنى العمرانية والإدارية للبلديات وتزويدها بالحواسيب»[(١)]. لم تشارك حوالى سبعين بلدية بالانتخابات إما بسبب الاحتلال الإسرائيلي في الجنوب، أو بسبب تهجير معظم المواطنين اللبنانيين خلال الحرب الأهلية. فشلت حركة أمل في الاتفاق مع حزب الله على لائحة انتخابية مشتركة، الأمر الذي أدى إلى تنافس المرشحين في ما بينهم. في جبل لبنان، خسر مرشحو أمل والحكومة أمام حزب الله والمعارضة المسيحية. وكما كان متوقعاً، حقق حزب الله فوزاً ساحقاً في بيروت وفاز بعدد من المجالس البلدية في أبرز مناطقه في الجنوب والبقاع (باستثناء بعلبك حيث فاز بأربعة مقاعد من أصل ٢١) بما فيها المناطق الانتخابية التي كانت مدعومة من الحكومة اللبنانية ومرشحيها. غير أن المنشق الطفيلي تمكن من السيطرة على بلدته بريتال والبلدة المجاورة طاريا. في المجمل حقق حزب الله فوزاً ساحقاً في معظم المناطق الشيعية محتكراً معظم

= الطائفية، ما يفسح في المجال إلى حد بعيد أمام الناس العاديين للتعبير عن آرائهم في صناديق الاقتراع وإسماع أصواتهم الثانوية.

(١) استند حمزة إلى أعداد جريدة العهد في خلال مرحلة الانتخابات. راجع نزار حمزة، «إسلاميو لبنان والسياسة المحلية: واقع جديد» Lebanon's Islamists and local politics: a new reality المجلة الفصلية العالم الثالث Third World Quarterly المجلد ٢١ (تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٠)، العدد ٥، ص. ٧٤٥.

المجالس البلدية المحلية. أظهرت نتائج الانتخابات حزب الله «قوة سياسية أساسية» لا بد من أخذها بعين الاعتبار[1].

في ٢٦ حزيران/ يونيو ١٩٩٨ وبوساطة الحكومة اللبنانية تم تبادل أشلاء جندي إسرائيلي قتل خلال معركة الأنصارية في أيلول/ سبتمبر ١٩٩٧ مقابل ستين معتقلاً (عشرة منهم محتجزون في إسرائيل) ورفات ٤٠ مقاتلاً لبنانياً بمن فيهم هادي نصرالله. في ١٣ أيلول/ سبتمبر، أطلقت إسرائيل سراح سهى بشارة (التي حاولت قبل عشر سنوات اغتيال قائد جيش لبنان الجنوبي أنطوان لحد) بعد عشر سنوات من احتجازها وتعذيبها في معتقل الخيام الشهير.

في أيلول/ سبتمبر ١٩٩٨ اعترف حزب الله علناً أنه لا يعتمد الرسالة المفتوحة بعد اليوم مصدراً أساسياً من أدبياته[2]، الأمر الذي يعكس أكثر فأكثر لبننة حزب الله وسياسته الانفتاحية.

في ٢٨ شباط/ فبراير ١٩٩٩ فجّرت المقاومة الإسلامية موكب العميد الإسرائيلي في لبنان إيريتز غيرنشتاين ما أدى إلى مقتله على الفور. كان غيرنشتاين أعلى جندي إسرائيلي مرتبة يقتل على مر السنوات السبع عشرة. في بداية حزيران، انسحبت القوات الإسرائيلية وجيش لبنان الجنوبي من جزين (منطقة ذات أغلبية مسيحية) التي تشكل حوالى ٦٪ من «الحزام الأمني»، الأمر الذي حصر الحجم الكلي للحزام الأمني بـ٩٪ من الأراضي اللبنانية. من خلال الوساطة الألمانية، أطلقت إسرائيل على دفعتين ١٣ مقاتل حرية لبنانياً حيث

---

(١) للاطلاع على جدولة دقيقة لنتائج الانتخابات، راجع حمزة، «إسلاميو لبنان...»، ص. ٧٥١ - ٧٥٥. راجع أيضاً راينو ليندرز Reinoud Leenders «انقلاب حزب الله في بعلبك» Hizbulla's Baalbek Reversal مجلة الشرق الأوسط الدولية Middle East International العدد ٥٧٧ (١٩ حزيران/ يونيو ١٩٩٨)، ص. ٨.

(٢) راجع «حزب الله: الهوية والدور» في «نقطة ساخنة» على محطة الجزيرة الإخبارية، ٢٤ أيلول/ سبتمبر ١٩٩٨. الحلقة كلها مبنية على مقابلات مع أبرز كوادر حزب الله وصفوف الحزب وملفاته، فضلاً عن صحافيين ومحللين سياسيين يُعتبرون مقرّبين من الحزب. التصريح المذكور أعلاه أدلى به نصر الله وعلّق عليه إبراهيم الأمين من جريدة السفير.

أطلق سراح خمسة منهم في ٢٦ كانون الأول/ديسمبر من سجن عيلوت الإسرائيلي مقابلٍ وعد قطعه حزب الله بالمساعدة في تقفي أثر الطيار الإسرائيلي رون أراد الذي أُسقِطت طائرته فوق جنوب لبنان في العام ١٩٨٦ . في ٣٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٩ ، نفّذ عمار حسين حمود العملية الاستشهادية الثانية عشرة على طريق القليعة فقتل سبعة جنود إسرائيليين وجرح سبعة آخرين بحسب حزب الله ، بينما أفادت مصادر عسكرية إسرائيلية أن العملية لم تسفر عن أي ضحايا في الجانب الإسرائيلي إذ إن الاستشهادي فجّر نفسه قبل الوقت[١] .

استمرت المواجهات بين حزب الله وإسرائيل. من العام ١٩٩٢ وحتى العام ٢٠٠٠ ، قُتِل ١٤ مدنياً إسرائيلياً كنتيجة مباشرة أو غير مباشرة لهجمات حزب الله فيما قُتِل أكثر من ٥٠٠ مدني لبنان وفلسطيني[٢] . علاوة على ذلك، «في نيسان/ أبريل ١٩٩٦ وحده غادر مئات آلاف المدنيين شمالاً هرباً من قصف القوات الإسرائيلية. . . أدى القصف الإسرائيلي لمحطات الكهرباء إلى تعتيم معظم لبنان في الأعوام ١٩٩٦ و١٩٩٩ ومرتين في العام ٢٠٠٠ ملحقاً أضرار قُدِّرت بـ٣٠٠ مليون دولار[٣] . في شباط/فبراير ٢٠٠٠ ، فجّرت المقاومة الإسلامية منزل الرجل الثاني في جيش لبنان الجنوبي عقل الهاشم الذي قُتِل في الانفجار. في ١٩ نيسان/ أبريل، أطلقت إسرائيل سراح ١٣ معتقلاً لبنانياً من معتقل عيلوت الإسرائيلي. في ٢٤ أيار/مايو انسحبت إسرائيل من جنوب لبنان بعد احتلال دام لـ٢٢ عاماً؛ غير أن إسرائيل لم تتخلَّ عن مزارع شبعا[٤] التي تبقى موضوع نزاع بين إسرائيل ولبنان.

---

(١) سوبلمان Sobelman، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٤٧ - ٤٨.

(٢) نورتن Norton «حزب الله اللبناني. . .»، ص. ٢٧.

(٣) نورتن Norton «حزب الله والانسحاب الإسرائيلي. . .»، ص. ٢٧.

(٤) انسحبت إسرائيل من بلدة شبعا لكنها لم تنسحب من مزارعها. وقد واصل حزب الله عملياته المقاومة والعسكرية في مزارع شبعا اللبنانية، التي تشكل قطعة أرض استراتيجية صغيرة تحد لبنان وإسرائيل وسوريا وتقع بالقرب من هضبة الجولان. راجع مقالي المعنون «نجاحات حزب الله في الحرب الصغيرة في شبعا» 'Successen Hezbollah bij'kleine oorlog' om Shiba سويرا Soera المجلد ٩ العدد ٢ (تموز/يوليو ٢٠٠١)، ص. ٣٤ - ٣٨.

خلافاً للفظاعات التي ارتُكِبَت ضد المسيحيين بعد الانسحاب الإسرائيلي في حزيران/ يونيو ١٩٨٥، لم يحدث أي شيء بعد الانسحاب الإسرائيلي في أيار/ مايو ٢٠٠٠. بل على العكس، ساد السلم الأهلي والاستقرار، إذ إن حزب الله تصرَّف وفق قانون الدولة اللبنانية وترك لها أمر معالجة المتعاملين السابقين وأفراد جيش لبنان الجنوبي[1]. فاز حزب الله باثني عشر مقعداً في الانتخابات النيابية التي جرت في ذاك الصيف. في ٧ تشرين الأول/ أكتوبر، اختطف حزب الله ثلاثة جنود إسرائيليين من مزارع شبعا اللبنانية. في ١٥ تشرين الأول/ أكتوبر، استدرج حزب الله ضابط موساد متقاعداً واعتقله في بيروت.

مزارع شبعا اللبنانية

تقع مزارع شبعا على حدود لبنان وسوريا من جهة مرتفعات الجولان إلى الشرق وإسرائيل إلى الجنوب؛ تبلغ مساحتها حوالى ٢٢ كلم مربعاً فتشكّل ٢٪ من مساحة لبنان التي تبلغ ١٠٤٥٢ كلم مربعاً. سيطرت إسرائيل على مزارع شبعا في حرب العام ١٩٦٧[2]. بعد اجتياح إسرائيل للبنان في ١٤ آذار/ مارس ١٩٧٨، أصدرت الأمم المتحدة القرار رقم ٤٢٥ المطالب بالانسحاب الكامل

---

(١) أضاف نورتن Norton أن «قوات حزب الله أثبتت تمتعها بانضباط مؤثر» عندما سيطرت على الأراضي اللبنانية التي أخلتها قوات الدفاع الإسرائيلي في خلال الانسحاب من جنوب لبنان. (نورتن Norton «حزب الله والانسحاب الإسرائيلي»، ص. ٣٢). للاطلاع على مزيد من التفاصيل والتحليل، راجع مقالتي المعنونة «حزب الله والإرهاب و١١ أيلول/ سبتمبر» Hizbullah, Terrorism, and September 11 الشرق: المجلة الألمانية للسياسة والاقتصاد في الشرق الأوسط ORIENT: German Journal for Politics and Economics of the Middle East المجلد ٤٤ (أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٣)، العدد ٣، ص. ٣٩٣.

(٢) راجع منيف الخطيب، مزارع شبعا: حقائق ووثائق. بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ٢٠٠١؛ يوسف ديب، مزارع شبعا: دراسة وثائقية لمراحل الاحتلال والاقتلاع والطمع وتأكيد الحق اللبناني. بيروت: مجلس النواب اللبناني، شباط/ فبراير ٢٠٠١؛ ومزارع شبعا: السيادة والحق القانوني. الطبعة الثانية. بيروت: المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق CCSD، ٢٠٠٢.

وغير المشروط للقوات الإسرائيلية من لبنان[١]. في ٢٥ أيار/مايو ٢٠٠٠[٢] وبعد احتلال دام اثنين وعشرين عاماً، انصاعت إسرائيل وانسحبت من جنوب لبنان والبقاع الغربي لكن من دون أن تنسحب من مزارع شبعا، إذ اعتبرتها جزءاً من مرتفعات الجولان السورية التي احتلتها في العام ١٩٦٧. بعد الانسحاب الإسرائيلي في أيار/مايو العام ٢٠٠٠، أعدَّت سوريا رسالة إلى الأمم المتحدة اعترفت فيها خطياً وبما لا لبس فيه أن مزارع شبعا لبنانية. ومن ٢٥ أيار/مايو ٢٠٠٠ وحتى ٦ حزيران/يونيو ٢٠٠٠ انهمكت الأمم المتحدة ولبنان بعملية مضنية ألا وهي التأكد من الانسحاب الإسرائيلي. نتيجة لذلك، استعاد لبنان ١٧,٧٥٦,٦٠٠ متر مربع من أرضه الجنوبية على طول الحدود مع إسرائيل، وتم رسم ما بات يُعرَف بـ«الخط الأزرق» بين البلدين. [51]

في ٢٠ أيار/مايو ٢٠٠١، أكّد السيد نصرالله، الأمين العام لحزب الله أنه ليس من شأنه إن كانت مزارع شبعا تقع تحت قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ أو ٤٢٥؛ بل هذا شأن الحكومات. ما يقلقه أنها أرض لبنانية تقع تحت الاحتلال وحزب الله سيحررها مهما كلفه الأمر. أضاف أن المقاومة الإسلامية هي التي أجبرت إسرائيل على قبول تطبيق القرار ٤٢٥ وليس المجتمع الدولي[٣]. لا يزال لبنان يملك تحفظاته على الخط الأزرق، كما أكّد الرئيس إميل لحود في زيارته الرسمية إلى فرنسا في ٢٩ أيار/مايو ٢٠٠١ معتبراً أن «الخط الأزرق» هو خط فاصل لا يتماشى وحدود الهدنة الرسمية بين لبنان وإسرائيل. أضاف أنه من دون حزب الله والمقاومة اللبنانية والجيش اللبناني، لم تكن إسرائيل لتنسحب. كما رفض إرسال الجيش اللبناني إلى الجنوب «بهدف حماية إسرائيل»[٤]. في

---

(١) أرسلت الأمم المتحدة كتيبة من اليونيفل إلى جنوب لبنان والبقاع للمراقبة والعمل كقوة فصل بين الجانبين اللبناني والإسرائيلي.

(٢) بدأت إسرائيل بالانسحاب في ٢١ أيار/مايو سنة ٢٠٠٠، وأنجزته بتاريخ ٢٤ أيار/مايو ٢٠٠٠. تعتبر الحكومة اللبنانية الخامس والعشرين من أيار/مايو، يوم «التحرير والمقاومة»، عيداً رسمياً.

(٣) راجع خطاب نصر الله في بدنايل بتاريخ ٢٠ أيار/مايو ٢٠٠١.

(٤) الوكالة اللبنانية الوطنية للأنباء.

٢٧ حزيران/يونيو ٢٠٠١، وخلال زيارته الرسمية إلى فرنسا، أعاد الرئيس السوري بشار الأسد التأكيد على لبنانية مزارع شبعا. يُثبِّت السفير الأميركي الأسبق في لبنان جون كيلي هذا الأمر عبر تأكيده أن «كلاً من سوريا ولبنان قد أكد لبنانية مزارع شبعا وأرسل مذكرة خطية في هذا الصدد إلى الأمم المتحدة. لهذا السبب مزارع شبعا لبنانية»(١). بدوره، برهن أكاديمي إسرائيلي اسمه أشير كوفمان أن مزارع شبعا لبنانية(٢).

النظام الانتخابي للعام ٢٠٠٠

وصف اليمين المسيحي الذي اتهم سوريا بالسيطرة على العملية الانتخابية قانون انتخابات العام ٢٠٠٠ بغير الحر وغير العادل، حيث الهدف منه إجراء تقسيم انتخابي يمنح الأغلبية الانتخابية أكثر عدد من المناطق، في حين تكتفي المعارضة بعدد صغير جداً، فضلاً عن التلاعب باللوائح الانتخابية واستغلال

(١) مقابلة مع شبكة سي. أن. أن CNN بتاريخ ١٧ نيسان/أبريل ٢٠٠٢. وفي هذا الملتقى، اتهم جايمس أبو رزق، السيناتور الأميركي السابق، وسائل الإعلام الأميركية بحجب الحقيقة حول مزارع شبعا، مؤكداً على أنها لبنانية وليست سورية. وقد ندد بالسياسة الأميركية الداعمة لإسرائيل. وأقر رزق بأن حزب الله اضطلع بدور إيجابي في لبنان. (إذاعة النور، أخبار الساعة الثالثة عشرة بتوقيت غرينيتش، ١٣ حزيران/يونيو ٢٠٠٢؛ جريدة السفير وجريدة دايلي ستار Daily Star ١٣ و١٤ حزيران/يونيو ٢٠٠٢).

(٢) راجع صحيفة هآريتز Ha'aretz بتاريخ ٢٥ حزيران/يونيو ٢٠٠٢، نقلتها جريدة السفير بتاريخ ٢٦ حزيران/يونيو ٢٠٠٢، وصحيفة دايلي ستار Daily Star بتاريخ ٢٨ حزيران/يونيو ٢٠٠٢. ونقلاً عن هآريتز، كتبت دايلي ستار أن «كل الوثائق التي وجدها كوفمان Kaufman من مرحلة الانتداب الفرنسي في لبنان وسوريا، والتي كان من المفترض أن ترسم الحدود بين لبنان وسوريا تدعم الحجة اللبنانية»... إن هذه الوثائق، وبمعظمها خرائط فرنسية ووثائق تحكيم تعود إلى تلك الفترة، تحدد موقع مزارع شبعا «بنحو كيلومتر أو كيلومترين داخل لبنان»... وتشير الأدلة إلى أن السكان المحليين في المنطقة في تلك الفترة كانوا يخضعون على الدوام لنفوذ السلطات اللبنانية». لمزيد من التفاصيل، راجع مقالاً لكوفمان بعنوان «من يملك مزارع شبعا؟ سجل تاريخي لخلاف على الأرض» Who Owns the Shebaa Frams? Chronicle of a Territorial Dispute، مجلة الشرق الأوسط The Middle East Journal المجلد ٥٦ (خريف ٢٠٠٢)، العدد ٤، ص. ٥٧٦ - ٥٩٥.

أهلية الناخبين[1]. وقد أكّد اليمين المسيحي أن هذا الأمر قد أدى إلى بروز ثقافة رشوة الناخبين والتهويل عليهم وابتزازهم، فضلاً عن التلاعب بالانتخابات. بعكس اتفاق الطائف، قسّم قانون العام ٢٠٠٠ المحافظات الخمس إلى ١٤ دائرة انتخابية: قُسِّمَت بيروت إلى ثلاث دوائر؛ جبل لبنان إلى أربع؛ لبنان الشمالي إلى اثنتين؛ البقاع إلى ثلاث والجنوب إلى اثنتين. بحسب اليمين المسيحي، أدى القانون الانتخابي من دون أدنى شك إلى انتخاب مرشحين مناصرين لسوريا وفي الوقت نفسه منع أولئك الذين كانوا ضد الهيمنة السورية من الوصول إلى البرلمان. يُزعَم أن العميد السوري السابق غازي كنعان[2] كان مهندس قانون الانتخابات النيابية للعام ٢٠٠٠ وعرّابه حيث كافأه رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري بشيك قميته عشرة ملايين دولار[3].

برنامج حزب الله لانتخابات العام ٢٠٠٠ النيابية

قُسّم برنامج حزب الله الانتخابي في آب/أغسطس ٢٠٠٠ إلى سبع فئات وهي كالتالي: أولاً المقاومة والتحرير (أي مزارع شبعا)؛ ثانياً تعزيز سياسة لبنان الخارجية؛ [52] ثالثاً إجراء إصلاحات على المستوى الاقتصادي بغية حل الأزمة الاقتصادية الاجتماعية الخانقة؛ رابعاً بناء المؤسسات ودولة القانون فضلاً عن تشجيع المشاركة السياسية؛ خامساً بحث المسائل التربوية والثقافية؛ سادساً بحث المسائل الاجتماعية والصحية وسابعاً بحث المسائل البيئية[4]. استناداً إلى

---

(١) راجع أيضاً تقرير «الجمعية اللبنانية للانتخابات الديموقراطية» حول هذه المسألة.

(٢) كما أفادت وسائل الإعلام والصحف السورية، كنعان، الرئيس الأسبق لجهاز الاستخبارات السوري في لبنان (١٩٨٢ - ٢٠٠٢) ووزير الداخلية منذ العام ٢٠٠٤، انتحر بتاريخ ١٢ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٥.

(٣) تلفزيون الجديد نيو تي في New TV (لبنان)، نشرة الأخبار، ١١ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٥. وهذه المسألة موضوع تشكيك باعتبار أن تقسيم بيروت إلى ثلاث دوائر انتخابية يضر بالحريري لصالح الزعماء السنة التقليديين مثل رئيس الوزراء آنذاك سليم الحص، والنائب السابق تمام سلام، اللذين لم يتم انتخابهما مجدداً.

(٤) راجع برنامج حزب الله المفصّل لانتخابات العام ١٩٩٢ في «الملحق ب».

هذا البرنامج السياسي، فاز حزب الله باثني عشر مقعداً في انتخابات العام ٢٠٠٠ البرلمانية. حصل مرشحو حزب الله التسعة إلى جانب سنيين وواحد مسيحي ماروني على أعلى نسبة أصوات في البلاد[١]. في انتخابات العام ٢٠٠٠ النيابية، كان ممثلو حزب الله في البرلمان كلهم مدنيين (ما من علماء دين). تماشياً مع سياسة المداورة في حزب الله، بدّل رعد وأمين السيد مواقعهما فأصبح الأخير رئيس كتلة حزب الله النيابية فيما عُيِّن رعد على رأس المجلس السياسي في الحزب. تم انتخاب عضو في كتلة حزب الله رئيساً للجنة البرلمانية للزراعة فيما شارك أعضاء الكتلة الآخرين في لجان برلمانية أخرى كالمال والدفاع والأمن والإدارة العامة والشؤون الخارجية[٢].

في خلوة حزب الله السادسة التي انتهت في ٣٠ تموز/ يوليو ٢٠٠١، أعيد انتخاب السيد نصرالله مدى الحياة وحلَّ السيد إبراهيم أمين السيد والحاج جواد نور الدين مكان الحاج محمد رعد والحاج محسن شكر في مجلس الشورى. وضع حزب الله مؤسساته الإعلامية تحت إمرة نصرالله المباشرة بمساعدة رئيس المجلس السياسي ورئيس المجلس التنفيذي. والهدف من هذا الإجراء تحسين دور وسائل إعلام حزب الله ومواصلة سيطرته الإيديولوجية. كما ألغى حزب الله «مجلس التخطيط المركزي» وعزز آليات المحاسبة الداخلية. من هذا المنظور، تم توسيع أدوار وواجبات المجالس البلدية (أفقياً) وتحسينها (عامودياً).

في ٢٧ ـ ٢٨ آذار/ مارس ٢٠٠٢ انعقدت القمة العربية في بيروت حيت تم اعتماد «المبادرة السعودية» الهادفة إلى وضع حد للنزاع الإسرائيلي ـ الفلسطيني. في أواخر آذار/ مارس وبداية نيسان/ أبريل، قامت القوات الإسرائيلية بتوغل مميت في الضفة الغربية. ردّ حزب الله بعمليات عسكرية امتدت على اثني عشر يوماً في مزارع شبعا دعماً للانتفاضة. في ١٠ حزيران/ يونيو، وفي ضوء إعادة إحياء

(١) راجع فريد الخازن، انتخابات لبنان بعد الحرب: ١٩٩٢، ١٩٩٦، ٢٠٠٠: ديموقراطية بلا خيار. بيروت: دار النهار، ٢٠٠٠.

(٢) أبو النصر، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٣٢.

المفاوضات حول تبادل الأسرى وكبادرة حسن نيّة تجاه حزب الله، أطلقت إسرائيل محمد البزراوي، أحد مقاتلي حزب الله الذي احتجز منذ العام ١٩٨٧ .

تقييم حزب الله للرسالة المفتوحة

في ١٠ حزيران/ يونيو ٢٠٠٢، أكّد الشيخ نعيم قاسم أن الحزب ينوي إصدار نسخة معدَّلة من رسالته المفتوحة للعام ١٩٨٥ . بحسب ما قال، ستحدد النسخة الجديدة الأهداف وتسجِّل رؤية حزب الله حول التطورات الجديدة خلال الأعوام السابقة. [53]

غير أن الشيخ قاسم شدّد على أن موقف حزب الله من المسائل العقائدية سيبقى على حاله: نحن «حزب الله» نعتبر أن موقفنا في ما يتعلق بتصرفاتنا هو صريح وشفاف. لهذا السبب، لن تحطِّم الرسالة المفتوحة الجديدة هذه المواقف العقائدية؛ بل ستعمل على تعزيزها. ستُعتَبَر رسالة تندمج مع المواقف السابقة التي اتخذها الحزب في مواقف مختلفة(١).

في تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٢ سرت شائعة عن أن حزب الله أصبح في المراحل الأخيرة لإطلاقه نسخة مجدَّدة من رسالته المفتوحة، تماشياً مع قرار سابق اتُّخِذ في خلوة الحزب السادسة التي عقدت في تموز/ يوليو ٢٠٠١. تأكدت الشائعة مع مقابلة الشيخ قاسم في ٢٨ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٢ في صحيفة الدايلي ستار. ناقش قاسم قائلاً «حدث الكثير وتغيَّر الكثير بين العام ١٩٨٥ والآن... مبادئنا الأساسية تبقى ذاتها لأنها في صميم حركتنا لكن مواقف عديدة أخرى قد تغيَّرت بسبب تطور الأحداث من حولنا». محليّاً شدَّد قاسم على أن موقف حزب الله من الكتائب قد تغيّر بشكل واضح مشدداً على أنهم شركاء في الحوار. إقليمياً وفي ما يتعلق بموقف حزب الله من إسرائيل، أكّد الشيخ قاسم على عداء حزب الله المطلق «للكيان الصهيوني» و«الشيطان

(١) مقابلة مع أبو النصر، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢١٦.

الصغير» من منظور عقائدي غير قابل للتغيير: «بما أن الكثير من المواقف قد تغيّر، لا بد من أن نكون مرنين ونغير مواقفنا أيضاً. . . لكن المقاومة ضد إسرائيل كانت في جوهر إيماننا وهذا لم يتغير» إذ إن «النضال ضد إسرائيل يبقى المنطق الأساسي لوجود حزب الله». دولياً، يؤكد قاسم أن علاقة حزب الله مع الغرب قد شهدت تغيرات عديدة تماشياً مع خط الانتفاضة وتغير منظور الغرب تجاه الحزب ولا سيما فرنسا: «كان الفرنسيون يُعتبَرون أعداءنا لأنهم هاجموا قاعدتنا في البقاع. . . لكن موقف فرنسا تجاهنا قد تغير لذا غيّرنا موقفنا». غير أنه أضاف أن منظور حزب الله للولايات المتحدة(١) يبقى على حاله طالما أن الحزب لا يزال يعتبرها «الشيطان الأكبر»(٢).

في ٢١ آب/أغسطس ٢٠٠٣، أعادت إسرائيل رفات مقاتلين من حزب الله مقابل اجتماع مع ضابط الموساد المحتجز والوسيط الألماني. رداً على عملية انتحارية وقعت قبل يوم في إسرائيل وقُتِل فيها ١٩ مدنياً إسرائيلياً، خرقت خمس مقاتلات إسرائيلية في ٥ كانون الأول/ديسمبر المجال الجوي اللبناني وقصفت ما زعمت أنه مخيم تدريب فلسطيني بالقرب من دمشق. كانت هذه أول ضربة جوية إسرائيلية لسوريا منذ ٣٠ عاماً، أي منذ انتهاء حرب تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٣. مارست سوريا ضبط النفس بعد تلقيها ضمانات من الأمم المتحدة. [54]

في ١٩ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٤، دمّر حزب الله جرافة عسكرية إسرائيلية

---

(١) يحرص حزب الله على توضيح أنه يستعدي الإدارة الأميركية وليس الشعب الأميركي. (ويبدو هذا الموقف متناغماً مع خطاب الخميني حول حاكمية الله التي تسامح الشعب إنما لا تسامح النخبة الحاكمة. لكن هذا الموقف يتعارض في المقابل إلى حد بعيد مع خطاب بن لادن العدمي الذي لا يميّز بين الاثنين).

(٢) راجع نيكولا بلانفورد Nicholas Blanford «حزب الله نحو إصدار نسخة محدثة عن إعلان المبادئ: رسالة مفتوحة جديدة ستعكس تغييرات Hizbullah to issue updated version of manifesto: New Open Letter will reflect changes»، صحيفة دايلي ستار Daily Star (٢٨ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٢)، ص. ٢.

بعد اجتيازها «الخط الأزرق». استهدفها بصاروخ مضاد للدبابات عندما بلغت مسافة ٢٦ متراً داخل الأراضي اللبنانية باعتراف قوات الطوارئ الدولية العاملة في لبنان (اليونيفيل). قُتِل جندي إسرائيلي وأصيب آخر بجروح خطرة. وقعت هذه المواجهة بينما كانت المفاوضات حول تبادل الأسرى بين إسرائيل وحزب الله في أوجها. وهذا يؤكد سياسة حزب الله على مسارين: المواجهة العسكرية والمفاوضات، جنباً إلى جنب.

عودة السجناء

في ٢٩ ـ ٣٠ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٤، أجرى حزب الله وإسرائيل المرحلة الأولى من اتفاق تبادل للأسرى بعد أربع سنوات من المفاوضات بواسطة ألمانيا. أطلق حزب الله سراح العقيد الإسرائيلي ورفات ثلاثة جنود احتُجِزوا في تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٠ مقابل ٤٠٠ فلسطيني و٢٣ لبنانياً وعربياً (بمن فيهم شخصيتان بارزتان في حزب الله: الشيخ عبد الكريم عبيد والحاج مصطفى الديراني) أُطلِق سراحُهم من السجون الإسرائيلية، إلى بقايا ٥٩ مقاتلاً لبنانياً، ١١ منهم لحزب الله. كانت عملية لا سابق لها إذ إنها المرة الأولى التي ترضخ إسرائيل لطلبات حزب الله وتطلق سراح فلسطينيين، مؤسِّسة لسابقة، ومانحة حزب الله دوراً في الانتفاضة حيث أصبح النزاع إقليمياً. بهذه الخطوة، منحت إسرائيل حزب الله اعترافاً بحكم الواقع كحركة مقاومة شرعية نجحت في إطلاق سراح كافة كوادرها من السجون الإسرائيلية كما وعد السيد نصرالله مراراً وتكراراً.

في ٧ أيار/مايو ٢٠٠٤، قامت القوات الإسرائيلية بعملية توغل مشابهة لعملية الأنصارية حيث اجتازت وحدة كومندوس إيغوس الإسرائيلية النخبوية «الخط الأزرق». أوقعها مقاتلو حزب الله في كمين فقتلوا جندياً وجرحوا خمسة آخرين باعتراف الإسرائيليين أنفسهم. بعكس الحادثة السابقة في الأنصارية،

وعلى الرغم من كثافة النيران التي أطلقها حزب الله، تمكن الإسرائيليون من إجلاء قتلاهم وجرحاهم.

برنامج حزب الله السياسي للعام ٢٠٠٤

قبل سنتين تقريباً من انتخابات العام ٢٠٠٤ البلدية، عقد حزب الله مؤتمراً خاصاً وأعلن برنامجه الانتخابي، فشكّل سابقة للأحزاب السياسية الأخرى التي كانت بالكاد قد أعدّت ملامح برنامج انتخابي. سأقوم باختصار البرنامج الانتخابي ثم أسلِّط الضوء على النتائج. ارتكز برنامج حزب الله للانتخابات البلدية(١) للعام ٢٠٠٤ على الشعارين التاليين: أولاً تنص مبادئ حزب الله على أن الشعب يشكِّل الدعامات الأساسية لحركته. [55]

من هذا المنظور، أخذ حزب الله على عاتقه ردّ أي قمع أو ظلم بهدف خدمة الشعب وحماية كرامته. ثانياً، أحد أهداف حزب الله تبنّي جرح المقموعين والمظلومين عبر حمايتهم والعمل بنشاط لوضع حد للقمع والتمييز الحاصل في المناطق المحرومة بهدف رفع مستويات العيش على الأصعدة كافة. يمكن اختصار البرنامج الانتخابي كالتالي(٢): «أولاً الإدارة والتنظيم؛ ثانياً فاعلية المجالس البلدية وتعزيز ثقة المواطنين لها؛ ثالثاً توسيع العائدات المالية للبلديات؛ رابعاً المشاريع التنموية، التي تُقسَم إلى خطط توجيهية ومشاريع خاصة؛ خامساً إعطاء أهمية للشروط البيئية داخل النطاق البلدي؛ سادساً العناية

---

(١) علمت من كوادر حزب الله أن هذه نسخة معدلة وملحقة ببرنامج الانتخابات البلدية للعام ١٩٩٨ في أعقاب توصيات «مؤتمر البلديات الأول» لحزب الله. راجع مؤتمر البلديات الأول. بيروت: المكتب الإعلامي المركزي في حزب الله، ١٦ تموز/يوليو ٢٠٠٢. (راجع «الملحق ج»).

(٢) جدير بالذكر أنه قد تم تسليط الضوء على هذه النقاط قبل الانتخابات وفي خلالها وبعدها، إنما ليس بالتفصيل، في الأعداد التالية من جريدة الانتقاد: ١٠٥٤ (٢٣ نيسان/ابريل ٢٠٠٤)؛ ١٠٥٥ (٣٠ نيسان/أبريل ٢٠٠٤)؛ ١٠٥٦ (٧ أيار/مايو ٢٠٠٤)؛ ١٠٥٧ (١٤ أيار/مايو ٢٠٠٤)؛ ١٠٥٨ (٢١ أيار/مايو ٢٠٠٤)؛ ١٠٥٩ (٢٨ أيار/مايو ٢٠٠٤)؛ ١٠٦٠ (٤ حزيران/يونيو ٢٠٠٤).

الاجتماعية: أ) تمتين مجتمع المقاومة؛ ب) الاهتمام بالشباب؛ ج) العناية بالأطفال، والأمومة، والمسنين والمعوقين؛ د) العناية التربوية؛ ه) تحديد المصادر المحلية والإقليمية والدولية التي تستفيد البلديات منها.

في النصف الأول من أيار/مايو، جرت الانتخابات البلدية الثانية بعد ست سنوات. تحقق مرة أخرى الرابط الاعتيادي بين برامج حزب الله ونجاحه[(١)] إذ عزّز الحزب نجاحاته السابقة وتقدَّم أكثر فأكثر على حساب الأحزاب الأخرى ولا سيما حركة أمل. حقق حزب الله نصراً ساحقاً في البقاع حيث فاز بـ٢٨ بلدية من أصل ٣٠ بلدية كان وراء تشكيلها؛ شارك أعضاء حزب الله في المجالس البلدية في ٣ بلديات؛ تُرِكت ١٦ بلدية لرغبتها الخاصة؛ فيما فازت ثماني بلديات من دون منافسة أو بالتزكية حيث كان حزب الله وراء دعم مرشحيها. في بريتال، حقق أنصار صبحي الطفيلي انتصاراً ساحقاً. بعكس انتخابات العام ١٩٩٨، فاز حزب الله بمقاعد بعلبك الواحد والعشرين كلها وهي دائرة مؤلفة من حوالى ١٥٠٠٠ شيعي و١٠٠٠٠ سني و٥٠٠٠ مسيحي. قدّرت وزارة الداخلية والبلديات المشاركة بحوالى ٧٠٪[(٢)]. وكما في العام ١٩٩٨، حقق حزب الله نصراً كاسحاً في بيروت حيث فاز بكافة البلديات في الضاحية. في الجنوب، حيث سُجِّلت أعلى نسبة اقتراع، حصد الحزب ٦١٪ من البلديات فضمن ٨٧ بلدية من أصل ١٤٢ واخترق عشرين أخرى. فاز حزب الله بخمسة

---

(١) لكن عوامل أخرى أيضاً ساهمت في تحديد نتائج الانتخابات: (١) عموماً أن التصويت ضد المقاومة يُعتبر من المحظورات بغض النظر عن برنامج الحزب؛ (٢) النظام الانتخابي في لبنان القائم على حصول الفائزين على الأكثرية يخرج حتى المكافحين الجديين؛ (٣) التأثير السوري الذي أجبر حزب الله على حفظ بعض المقاعد لحركة أمل؛ (٤) استراتيجية حزب الله الخاصة لجهة عدم المطالبة بكل المقاعد في كافة المحافظات حتى وإن كان يستطيع، لكي تكون له السيطرة، أن يضمن درجة من الاندماج في النظام السياسي اللبناني تتسق مع عمليات المقاومة.

(٢) جريدة الانتقاد، العدد ١٠٥٧ (١٤ أيار/مايو ٢٠٠٤)، ص. ٤ - ١٠. في بيروت وطرابلس، كانت مشاركة الناخبين بنسبة ٢٠ و٣٠ في المائة على التوالي. وهذه نسبة ذات دلالة لأنها أدنى بكثير من مجموع الناخبين في الدوائر الخاضعة لحزب الله، وعلى وجه الخصوص البقاع والجنوب.

من البلديات السبع الكبرى. في الجنوب الذي كان يُعتبَر منطقة حركة أمل، حققت الحركة انتصارات مشتتة حيث تشاركت نسبة الـ٣٩٪ الباقية مع الأحزاب السياسية الأخرى والمستقلين[١]. وهكذا لم ينجح ميثاق التنسيق والتعاون أو «التفاهم» بين حركة أمل وحزب الله فنتج منه لا إجماع إذ أصرَّ كل طرف على تشكيل لوائح انتخابية مختلفة وليس لائحة واحدة مشتركة. بعكس العام ١٩٩٨ عندما فاز الحريري ببيروت وصيدا، مسقط رأسه، تمكن هذه المرة من الفوز ببيروت وحدها فيما فاز مرشح واحد من لائحته في صيدا. [56]

فضلاً عن ذلك، لم ينجح أي من مرشحي الحريري في طرابلس. وهكذا، يبدو أن هذه الانتخابات أنتجت فائزين أساسيين وخاسرين أساسيين، وهم على التوالي حزب الله والرئيس لحود من جهة ورئيس الوزراء ورئيس المجلس النيابي من جهة أخرى[٢].

في ٢١ أيار/مايو ٢٠٠٤، نظَّم حزب الله تظاهرة ضخمة احتجاجاً على تدنيس المقامات المقدسة في العراق. هتف حوالى نصف مليون مناصر لحزب الله يرتدون أكفاناً بيضاء «الموت لإسرائيل» و«الموت لأمريكا». جاء استعراض القوة هذا قبل يومين من الانتخابات البلدية في الجنوب الذي كان يعتبر معقلاً لحركة أمل ودائرة انتخابية قوية لها. وبذلك أثبت حزب الله نفسه أكبر قوة سياسية في البلاد.

بخلاف تظاهرات ١٣ أيلول/ سبتمبر ١٩٩٣ التي لم تكن مرخصة، انتشرت تظاهرة السابع والعشرين من أيار/ مايو ٢٠٠٤ المرخصة في أرجاء البلاد احتجاجاً على الوضع الاقتصادي الاجتماعي الضاغط الذي تسبب به ارتفاع حاد في أسعار

---

(١) جريدة الانتقاد، العدد ١٠٥٩ (٢٨ أيار/مايو ٢٠٠٤)، ص. ٤ - ٩.

(٢) جُمعت من الصحف اللبنانية اليومية وأعداد جريدة الانتقاد التالية: ١٠٥٤ (٢٣ نيسان/أبريل ٢٠٠٤)؛ ١٠٥٥ (٣٠ نيسان/أبريل ٢٠٠٤)؛ ١٠٥٦ (٧ أيار/مايو ٢٠٠٤)؛ ١٠٥٧ (١٤ أيار/ مايو ٢٠٠٤)؛ ١٠٥٨ (٢١ أيار/مايو ٢٠٠٤)؛ ١٠٥٩ (٢٨ أيار/مايو ٢٠٠٤)؛ ١٠٦٠ (٤ حزيران/يونيو ٢٠٠٤).

النفط. في حي السلم في الضاحية أطلق الجيش اللبناني النار على المتظاهرين الذي كانوا يرشقونهم بالحجارة فقتل خمسة وجرح عدداً آخر. نتيجة لذلك، انتشرت أعمال الشغب في الضاحية، حيث أحرق المتظاهرون الطابق الأول من وزارة العمل. في ٢٩ أيار/مايو ٢٠٠٤، عقد السيد نصرالله مؤتمراً صحافياً اتهم فيه السفارة الأميركية في بيروت بالتسلل بين المتظاهرين وارتكاب العنف مرجحاً شرح اليد الخفية أو نظرية المؤامرة. دعا الحكومة والمجلس النيابي إلى عقد جلسات طارئة لمعالجة المسألة كما طالب الحكومة بالتحقيق في ما حصل. في ٣١ أيار/مايو ٢٠٠٤، ونزولاً عند طلب السيد نصرالله، عقدت الحكومة اللبنانية اجتماعاً استثنائياً أدانت فيه بقوة إطلاق النار في ٢٧ أيار/مايو وعرضت فيه حوالى ٣٣ ألف دولار لكل عائلة فقدت ضحية. كما طلبت الحكومة من وزير العدل ووزير الدفاع إجراء تحقيق بما جرى وتقديم التقرير أمامها.

خلوة حزب الله السابعة

عقد حزب الله خلوته السابعة من حزيران/يونيو وحتى ١٦ آب/أغسطس ٢٠٠٤. بعكس الخلوات السابقة حيث كانت المعلومات تُسرَّب إلى الإعلام، لم يرشح أي خبر تقريباً عن هذا الاجتماع. يبدو أن تكتيك حزب الله الفائق السرية قد يكون على علاقة بتفكيك شبكة عمليات سرية على علاقة بإسرائيل إلى جانب محاولات الاغتيال التي عانت منها صفوف الحزب خلال السنتين الأخيرتين[١].

تجدر الإشارة إلى أن أتباع الشيخ صبحي الطفيلي أصدروا إعلاناً سياسياً ينتقدون فيه الخلوة ويطالبون بإعادته وأتباعه إلى «موقعهم الطبيعي والعادي في القيادة» داخل الحزب بعد طردهم بسبب مؤامرات وقعت قبل بضع سنوات. [57]

(١) اثنان من أبرز كوادر المقاومة الإسلامية اغتيلا بتفجير سيارتيهما: غالب عوالي بتاريخ ١٩ تموز/يوليو ٢٠٠٤، وعلي حسين صالح بتاريخ ٢ آب/أغسطس ٢٠٠٣. وقد اتهمت الحكومة اللبنانية وحزب الله إسرائيل بالوقوف وراء حادثتي الاغتيال. في المقابل، نفت إسرائيل مراراً وتكراراً تورطها في هذين الهجومين أو مسؤوليتها عنهما.

أضاف الإعلان السياسي أن عقد هذه الخلوة يشكل فرصة تاريخية للقيام بانتخابات صادقة في صفوف حزب الله بغية اختيار قادته الذين سيحافظون على مجد حزب الله السابق كحركة دينية شيعية اجتماعية. اتهم الإعلان السيد نصرالله بزرع الفتنة في الوسط الشيعي عبر «تسلطه المطلق وسيطرته الاستبدادية» على الحزب ومقوماته وتوجيههم بطريقة لا تساعد الشيعة على سبيل المثال كما الانتقادات التي وُجِّهت ضد السيد فضل الله[١] لمصلحة بعض الشخصيات والمرجعيات الإيرانية[٢].

أصدر حزب الله وثيقة سياسية على شكل إعلانين سياسيين. أكد الإعلان السياسي الأول أن ما من تغييرات حصلت في مجلس شورى الحزب المؤلف من سبعة أعضاء وهم: السيد حسن نصرالله، الأمين العام لحزب الله ورئيس المجلس الجهادي؛ الشيخ نعيم قاسم نائب الأمين العام؛ السيد هاشم صفي الدين، رئيس المجلس التنفيذي؛ الحاج حسن خليل، معاون السيد نصرالله أو مستشاره السياسي؛ الشيخ محمد يزبك رئيس المجلس الديني القضائي أو «المسؤول عن ملف القضايا الشرعية والشؤون الدينية الإسلامية»؛ والسيد جواد نور الدين. في وثيقته السياسية الثانية، أدرج حزب الله أربع أولويات وثمانية تعديلات أساسية. أبرز تعديل كان تقسيم حزب الله للجنوب منطقتين جغرافيتين إداريتين: الأولى جنوب نهر الليطاني والثانية شماله. كلتا المنطقتين تعملان

---

(١) السيد فضل الله هو مرجع لبنان محلي لديه أتباع في أوساط الطائفة الشيعية في لبنان، وهو لا يزال يتمتع بنفوذ وتأثير على الحالة الإسلامية باعتباره عرّابها. والواقع أن العديد يعتبرونه المرشد الروحي لحزب الله، وهي تهمة يواظب على إنكارها. ومن المثير للاهتمام أن إعلان فضل الله عن عيد الفطر في نهاية شهر رمضان في العام ٢٠٠٢، الذي توافق مع إعلان مفتي الجمهورية اللبنانية (السنّي)، أدى إلى انقسام الضاحية، دائرة الناخبين الأساسية بالنسبة إلى حزب الله في بيروت، بين أتباع حزب الله من مؤيدي المرجع الديني الإيراني وأتباع فضل الله الذين احتفلوا بعيد الفطر قبل أنصار حزب الله بيوم واحد. والواقع أن مثل هذه الأحداث تعزز التوتر بين حزب الله والإيرانيين من جهة وفضل الله وأتباعه من جهة أخرى.

(٢) راجع «أبناء الطفيلي يهاجمون نصر الله»، جريدة السفير، ٥ تموز/يوليو ٢٠٠٤.

برعاية قائد تنظيمي مركزي بهدف ضمان الهيكليات التنظيمية القادرة على تحسين الإدارة المحلية والاستقطاب الناشط. بالإضافة إلى ذلك، تم تعيين الشيخ عبد الكريم عبيد رئيساً لمؤسسات حزب الله الاجتماعية. فضلاً عن ذلك، عُيّن الشيخ حسن عز الدين الناطق باسم حزب الله والمكتب الإعلامي الممثل السياسي لحزب الله في الجنوب حيث حلّ مكانه مساعد السيد نصرالله أو مستشاره الإعلامي المهندس الحاج محمد عفيف(١).

قرار الأمم المتحدة رقم ١٥٥٩

في ٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٤ أصدر مجلس الأمن في الأمم المتحدة القرار رقم ١٥٥٩(٢) الذي يمنع التدخل السوري في الشؤون اللبنانية، وينتقد كلاً من سوريا ولبنان على التعديل الدستوري المنوي إجراؤه للتمديد للرئيس لحود ثلاث سنوات إضافية حتى تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٧. [58]

من بين بنود عدة، دعا القرار ١٥٥٩ إلى تفكيك ونزع سلاح كافة الميليشيات اللبنانية وغير اللبنانية، في إشارة مباشرة إلى حزب الله، الحزب السياسي اللبناني الوحيد الذي لا يزال ممسكاً بسلاحه. كما دعا كافة القوات الأجنبية المتبقية إلى الانسحاب من لبنان في إشارة غير مباشرة إلى وجود ١٤٠٠٠ جندي سوري في لبنان. على الرغم من الضغط الدولي، في ٣ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٤، عدّل البرلمان اللبناني الدستور فسمح للرئيس لحود بالبقاء في الحكم لثلاث سنوات إضافية.

في ٣٠ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٤ تظاهر حوالى ٢٥٠٠٠٠ لبناني(٣)،

---

(١) جُمعت من جريدة السفير بتاريخ ١٧ و١٨ آب/ أغسطس ٢٠٠٤؛ الصحف اللبنانية اليومية الصادرة بتاريخ ١٨ آب/ أغسطس ٢٠٠٤؛ و«خلوة حزب الله السابعة: تنظيم شديد، استقرار في القيادة، ومتابعة للأحداث الأخيرة»، جريدة الانتقاد، العدد ١٠٧١ (٢٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٤).

(٢) راجع

(٣) يتناقض هذا العدد إلى حد بالغ مع عدد الطلاب المسيحيين (٢٠٠٠ طالب) الذين تظاهروا =

ثلثهم من أتباع حزب الله ضد القرار ١٥٥٩. شارك رجال دين وشخصيات علمانية تمثل مختلف الأحزاب اليسارية واليمينية (بما فيها الكتائب والأرمن والأكراد) فضلاً عن منظمات المجتمع المدني في التظاهرة. إلى جانب عدد من الوزراء والنواب السابقين، شارك أربعة وزراء و٢٩ نائباً. ما تجدر الإشارة إليه أن المتظاهرين كلهم حملوا الأعلام اللبنانية بدل أعلام حزب الله. كانت المرة الأولى التي يشارك فيها الحزب في تظاهرة من دون رفع أعلامه ويافطاته وشعاراته الخاصة. الميزتان الوحيدتان اللتان أشارتا إلى حزب الله هما/ هتاف «الموت لإسرائيل» و«الموت لأمريكا» ونساء حزب الله المحجبات اللواتي فاق عددهن عدد رجال حزب الله بنسبة كبيرة جداً. بعكس التظاهرات السابقة التي كان حزب الله يقود فيها الجموع، سار أتباعه في المؤخرة. وقد كُتِب على بعض اليافطات التي حملها مناصرو حزب الله: «الوحدة في لبنان حتى نستطيع بناء وطننا»؛ «لا نريد الديمقراطية على النموذج الأميركي». كان وجود حزب الله رمزياً[(١)] بدل أن يكون تكليفاً شرعياً، إذ أراد حزب الله أن يبرز انفتاحه ووجهه اللبناني.

بسبب تهم بمعاداة السامية، حظرت فرنسا في ١٣ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٤ قناة المنار الفضائية التابعة لحزب الله من البث في فرنسا ودول أوروبية أخرى. التزم حزب الله بالقرار وأوقفت المنار طوعاً بثها. غير أن قناة المنار واصلت بثها من ستة أقمار صناعية أخرى تغطي معظم الكرة الأرضية بما فيها ثلاث دول في أوروبا لا تقع ضمن نطاق فرنسا القانوني. في ١٧ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٤ حذت الولايات المتحدة حذو فرنسا ومنعت المنار وصنفتها «منظمة إرهابية».

تعيين أول امرأة في دور سياسي بارز

مع بداية كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٤ وفي ضوء القرارات التي اتخذت في

= في ١٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٤ ضد الوجود السوري والهيمنة السورية ودعوا إلى تطبيق القرار ١٥٥٩.

(١) جدير بالذكر أن حزب الله وحده استطاع، بتاريخ ٢١ أيار/ مايو ٢٠٠٤، حشد نصف مليون شخص للمشاركة في تظاهرته.

خلوة حزب الله السابعة، عيّن حزب الله للمرة الأولى في تاريخه رئيسة المنظمة النسائية السيدة ريما فخري عضواً في مكتبه السياسي المؤلف من ١٨ عضواً. كما عيّن حزب الله وفاء حطيط المسؤولة عن البرامج السياسية في إذاعة النور نائباً لمكتب حزب الله الإعلامي(١). [59]

جاءت هاتان الخطوتان نتيجة للنقاش الداخلي بين كوادر حزب الله ولتعديل بعض قوانين الحزب الداخلية(٢).

اغتيال رفيق الحريري وتداعياته

في العام ٢٠٠٥ اجتاحت لبنان أحداث دراماتيكية وديناميكية. اغتيل رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري في ١٤ شباط/ فبراير ٢٠٠٥ عبر اجتياح انتحاري بشاحنة موكبه في بيروت الغربية ذات الأكثرية المسلمة(٣). أدان حزب الله إدانة صارخة الاغتيال. للمرة الأولى خرج الناس إلى الشارع في القسم المسلم من العاصمة مطالبين بانسحاب القوات السورية وملقين اللوم على سوريا في قضية اغتيال الحريري، الأمر الذي أنكرته سوريا بقوة. في ٨ آذار/ مارس نظّم حزب الله تظاهرة دعماً لسوريا في قلب العاصمة في وسط بيروت. ملأ حوالى نصف مليون من أتباع حزب الله ومناصريهم شوارع العاصمة حاملين الأعلام اللبنانية وحدها. كما تظاهرة ٣٠ تشرين الثاني/ نوفمبر، لم يبرز في تظاهرة العام ٢٠٠٤ أي شعار للحزب؛ ظهرت فقط يافطات كُتِب عليها «شكراً سوريا» «لا للخروج

---

(١) في تاريخ الموعد، كانت ريما فخري تبلغ من العمر ٣٨ سنة وأماً لأربعة أولاد. وقد كانت عضواً في حزب الله منذ كانت في الثامنة عشرة من العمر. هي تحمل أيضاً إجازة في الزراعة من جامعة بيروت الأميركية. جريدة السفير، ٥ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٥؛ جريدة دايلي ستار Daily Star بتاريخ ٦ و٧ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٥؛ جريدة الانتقاد، العدد ١٠٩١ (٧ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٥).

(٢) وهذا يؤكد، على ما يبدو، أكثر فأكثر على مصداقية سياسة الانفتاح لدى حزب الله.

(٣) تبنت مسؤولية الحادث مجموعة غير معروفة تحمل اسم «منظمة من أجل النصر والجهاد في بلاد المشرق».

السوري». خطب السيد نصرالله في الجماهير داعياً للوحدة الوطنية والحوار البنّاء والتعايش بين اللبنانيين كلهم لمواجهة الأزمة التي تعصف بالبلاد[1].

على الرغم من أن الهدف وراء اغتيال الحريري يمكن أن يكون إعادة السلاح إلى لبنان والعودة به إلى الحرب الأهلية، إلا أن الاغتيال أدى إلى عملية حشد ديناميكية لا سابق لها. حققت «ثورة الأرز» في ١٤ آذار/مارس ٢٠٠٥ التي نظمتها المعارضة ـ حيث شارك حوالى المليون لبناني معظمهم من السنة والمسيحيين والدروز ونزلوا إلى ساحة الشهداء في وسط بيروت مطالبين بانسحاب القوات السورية وبكشف الحقيقة في اغتيال الحريري ـ معظم أهدافها: استقالت حكومة كرامي المدعومة من سوريا؛ انسحبت القوات السورية؛ بدأ تحقيق الأمم المتحدة في اغتيال الحريري برئاسة القاضي ديتليف ميليس؛ استقال رؤساء الأجهزة الأمنية اللبنانية؛ انعقدت الانتخابات النيابية؛ وتم تشكيل حكومة جديدة.

السعي إلى تشكيل حكومة تكنوقراط: حوار حزب الله مع الولايات المتحدة

في ١٩ نيسان/أبريل ٢٠٠٥، استقالت حكومة عمر كرامي وأقسمت حكومة نجيب ميقاتي المؤلفة من أربعة عشر وزيراً مناصفة بين المسيحيين والمسلمين بحسب الدستور اليمين. وعدت الحكومة بتنفيذ طلبات المعارضة خاصة إجراء انتخابات برلمانية حرة وعادلة حيث لا يسمح لأي وزير في الحكومة المشاركة. [60]

في خطوة لا سابقة لها، لم يمنح حزب الله الثقة النيابية لحكومة ميقاتي التي حصدت ١٠٩ أصوات من أصل ١٢٨ وحسب بل وزَّر طراد حمادة وهو مقرب من الحزب (ليس عضواً رسمياً)[2]، للمرة الأولى في تاريخه. أعطي

(١) راجع خطاب نصر الله بتاريخ ٨ آذار/مارس ٢٠٠٥.

(٢) حمادة ليس عضواً منظّماً في حزب الله، لكنه مرتبط بالحزب فكرياً وسياسياً. هو يتعاون مع العديد من المؤسسات الفكرية والإعلامية التابعة لحزب الله مثل المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، وجريدة الانتقاد، والجامعات والمعاهد الأكاديمية.

حمادة حقيبة وزارة العمل والزراعة، وهو تعيين يُفترَض أن يشكِّل اختباراً لعمل حزب الله الوزاري المستقبلي في الحكومة. من غير أن ننسى أن الإدارة الأميركية تصنف حزب الله «منظمة إرهابية»، إلا أنها لم تعلن معارضتها لهذا التعيين ولا هددت بمقاطعته. على العكس، في حزيران/يونيو، التقى حمادة بمباركة من حزب الله أعضاء كبار في الإدارة الأميركية بمن فيهم إيليزابيث ديبل نائب مساعدة وزيرة الخارجية لشؤون الشرق الأوسط بصفته وزيراً يمثل حزب الله في الحكومة. في هذا الاجتماع، نصح حمادة الولايات المتحدة باعتبار القرار ١٥٥٩ قراراً باطلاً للوقت الراهن وبوضعه على الرف لسنتين على الأقل[١]. لم يكن هذا الاتصال الوحيد بين حزب الله والإدارة الأميركية خلال السنوات الأخيرة. ففي محاولة لمناقشة إشكالية الحوار المسلم ـ الأوروبي ـ الأميركي، حصلت اجتماعات كثيرة غير رسمية بين الطرفين في بيروت وأمستردام والرباط وجنيف وعمان. قاد غراهام فولر، ضابط مخابرات سابقة في وكالة الاستخبارات المركزية جلسات الحوار مع مسؤولين في حزب الله ولا سيما في آذار/مارس ٢٠٠٥ مع نواف الموسوي[٢].

انتخابات أيار/مايو ـ حزيران/يونيو ٢٠٠٥ النيابية: الأولى بعد الانسحاب السوري

برنامج حزب الله السياسي

دعا حزب الله إلى إصلاح القانون الانتخابي فحاول حشر الحكومة لاستبدال القانون القديم بقانون جديد يستند على التمثيل النسبي، الذي كان

(١) لقد التقى حمادة أيضاً مرات عدة بجيفري فيلدمان Jeffrey Feldman السفير الأميركي في لبنان. جريدة السفير، ١٩ تموز/يوليو ٢٠٠٥.

(٢) «قصة الاتصالات بين الولايات المتحدة وحزب الله: حوار غير رسمي على مر سنوات عدة في عواصم عربية وأوروبية» The Story of US Contacts with Hizbullah: Unofficial Dialogue for Years in Arab and European Capitals، جريدة المستقبل العدد ١٩٨٢ (١٩ تموز/يوليو ٢٠٠٥)، ص. ٣.

يعتقد الحزب أنه يعطي الطوائف الثماني عشرة فرصة أفضل للحصول على تمثيل أكثر تساوياً. عندما أعلنت الدولة اللبنانية أنها ستجري الانتخابات بناء على قانون العام ٢٠٠٠ لخّص الشيخ نعيم قاسم برنامج الحزب للعام ٢٠٠٥ كالآتي: أولاً حماية المقاومة؛ ثانياً تسهيل مهمة لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة في قضية اغتيال الحريري؛ ثالثاً الحفاظ على علاقة خاصة بين لبنان وسوريا. رابعاً، رفض التدخل الأجنبي في الشؤون اللبنانية؛ خامساً العمل بجهد لجذب أكبر دعم شعبي؛ سادساً التأكيد على قيمة الحوار الوطني؛ سابعاً التشديد على الحاجة لبرنامج اقتصادي ـ اجتماعي شامل[١]. شدّد حزب الله على أن تحالفاته الانتخابية لن تكون على حساب تحالفاته السياسية. [61]

كما أوضح أن أبرز بند في برنامجه الانتخابي هو حماية المقاومة حيث لم يشكل الأمر مفاجأة إذ كان دائماً البند الأول في البرامج الانتخابية البرلمانية السابقة: ١٩٩٢، ١٩٩٦ و٢٠٠٠.

نتائج انتخابات العام ٢٠٠٥

استناداً إلى هذا البرنامج الانتخابي، كان لحزب الله ظهور قوي في الانتخابات البرلمانية بواسطة تحالفه الاستراتيجي السياسي مع حركة أمل والأطراف الأخرى. في الدورة الأولى للانتخابات التي حصلت في بيروت في ٢٩ أيار/ مايو، انتُخِبت لائحة سعد الحريري ذات الأعضاء التسعة عشر كاملةً بمن فيهم مرشح حزب الله. قُدِرت نسبة التصويت بـ٢٨٪. كانت الجولة الثانية للانتخابات في ٥ حزيران/ يونيو في الجنوب، أحد أهم معاقل حزب الله وأهم دائرة انتخابية له. حقق تحالف حزب الله مع حركة أمل فوزاً ساحقاً مكتسباً المقاعد الـ٢٣. على الرغم من الدعوات لمقاطعة الانتخابات، سُجِّلت أعلى نسبة مشاركة حيث بلغت ٤٥٪، بزيادة ١٪ عن الانتخابات التي جرت قبل خمس

(١) راجع على سبيل المثال مقابلة مع قاسم في جريدة الانتقاد بتاريخ ٢٦ نيسان/ أبريل ٢٠٠٥.

سنوات. والمثير أنه كان ثمة أكثر من ١٠٠٠٠٠فارق في التصويت بين آخر رابح وأول خاسر[١]. على الرغم من المقاطعة المسيحية للانتخابات التي خفضت بشكل كبير نسبة المشاركة إلا أن حزب الله حصد أكثر من ٨٨٪ من نسبة ٤٥٪ للمشاركة حيث حقق مرشحو حزب الله الستة فوزاً ساحقاً فحصلوا على أعلى نسبة اقتراع في البلاد كلها. حصلت أكبر وأهم جولة انتخابية في ١٢ حزيران/ يونيو في جبل لبنان والبقاع، وهي دائرة أساسية لحزب الله ومعقل مهم أو كما يسميها كوادر الحزب «خزان المقاومة». في بعلبك الهرمل فاقت نسبة المشاركة ٥٢٪. انتُخِب مرشحو حزب الله الستة. في ١٩ حزيران/ يونيو، كانت الجولة الرابعة والأخيرة لحزب الله في الشمال. كان تحالف الحريري بحاجة إلى ٢١ مقعداً ليفوز بالأغلبية في البرلمان؛ غير أنه حصد مع حلفائه المقاعد الـ٢٨ كلها[٢]. بعكس انتخابات بيروت والجنوب والبقاع، لم يشارك حزب الله في انتخابات الشمال إذ بحسب الشيخ قاسم فإن عدد الناخبين الذين يمكن أن يؤثر فيهم قليل جداً[٣].

على الرغم من أن انتخابات العام ٢٠٠٥ النيابية جرت وفق قانون العام ٢٠٠٠، غير أن عكس العام ٢٠٠٠ المباشر حصل ربما لأن السوريين لم يكونوا موجودين جسدياً. فاز الطرف المعارض للتأثير السوري بقيادة سعد الحريري بـ٧٢ مقعداً من أصل ١٢٨[٤]. تألف البرلمان الجديد من ٦١ نائباً جديداً و٦٧

(١) على سبيل المثال، النائب في كتلة حزب الله محمد فنيش حصل على ١٥٤٠٥٦ صوتاً في حين حصل أنور ياسين، الأسير المحرر ومرشح الحزب الشيوعي، فقط على ١٨٢٤٤ صوتاً. وقد جرت مقاطعة الانتخابات في بعض القرى المسيحية في جزين حيث كانت نسبة المشاركة ٢٣ في المائة في صيدا (مقعدان نيابيان)، ٤٣ في المائة في صور، ٤٧ في المائة في الزهراني، ٥٣ في المائة في النبطية، ٤٢ في المائة في حاصبيا، ٤٧ في المائة في بنت جبيل (على الرغم من مقاطعة القرى المسيحية)، ٤٥ في المائة في مرجعيون. إذاعة النور، الساعة الثالثة عشرة بتوقيت غرينيتش، ٦ حزيران/ يونيو ٢٠٠٥. الصحف اللبنانية اليومية الصادرة في اليوم التالي.

(٢) راجع عبدو سعد، الانتخابات النيابية للعام ٢٠٠٥: قراءات ونتائج. بيروت: مركز بيروت للأبحاث والمعلومات، ٢٠٠٥. الحاج عبدو سعد هو المحلل السياسي والانتخابي للحزب ورئيس هذا المركز المستقل للأبحاث.

(٣) مؤتمر صحافي، المكتب الإعلامي المركزي في حزب الله، ١٥ حزيران/ يونيو ٢٠٠٥.

(٤) فاز تكتل الحريري بستة وثلاثين مقعداً له، فيما فاز حلفاؤه بالمقاعد المتبقية.

نائباً قديماً. غير أن العديد من الكوادر المقربة من سوريا فشلوا في الفوز بالانتخابات من جديد ومن بين النواب السابقين الـ٨٤ المقربين من سوريا بقي أربعة فقط[١]. أوضح سعد الحريري أنه ليس معادياً لسوريا وأنه يطمح إلى علاقات جيدة ومتوازنة بين سوريا ولبنان؛ ولكنه ضد الوصاية السورية. [62]

تماشياً مع سياسة المداورة ولضمان تمثيل ومحاسبة وشفافية أفضل، نجح حزب الله في إيصال عشرة مرشحين جدد بمن فيهم مسيحي ماروني وسنيّان فضلاً عن أربعة مرشحين سابقين من انتخابات العام ٢٠٠٥ النيابية[٢]. وهكذا أضافت كتلة حزب الله النيابية «الوفاء للمقاومة» مقعدين للمقاعد الاثني عشر السابقة في الأعوام ١٩٩٢ و٢٠٠٠. تم انتخاب عضو في كتلة حزب الله على رأس لجنة الإعلام النيابية فيما شارك سائر أعضاء الكتلة في اللجان النيابية التالية: المال والإدارة العامة والعدل والتربية والتعليم والصحة العامة والدفاع والبلديات والأشغال العامة والطاقة والزراعة والسياحة والبيئة والاقتصاد والتجارة والصناعة والشباب والرياضة وحقوق الإنسان.

توظيف التكليف الشرعي في الانتخابات

انتقد قائد المعارضة النيابية ـ ميشال عون الذي أعلن مراراً أن أمن المقاومة يؤدي إلى أمن لبنان ـ استغلال «الله» في الانتخابات مشيراً إلى دعوة حزب الله أنصاره للتصويت في الانتخابات من موقع التكليف الشرعي. رد

---

(١) على سبيل الإيضاح، جدير بالذكر أن المسمّين «حلفاء سوريا الأوفياء» حصلوا في البرلمان الجديد على ما مجموعة ٣٥ مقعداً توزعت على الشكل التالي: حزب الله (١٤ مقعداً)، حركة أمل (١٥ مقعداً)، الحزب السوري القومي الاجتماعي (مقعدان)، حزب البعث اللبناني (مقعد واحد)، كتائب بقرادوني (مقعد واحد)، نقولا فتوش (مقعد واحد)، وميشال المر(مقعد واحد).

(٢) في ما يلي قائمة بأربعة عشر اسماً يرد إلى جانبها الحرف (س) أي سابق أو (ج) أي جديد: محمد رعد (س)؛ محمد فنيش (س)؛ محمد حيدر (ج)؛ حسن فضل الله (ج)؛ حسن حب الله (ج)؛ أمين شري (ج)؛ علي عمّار (س)؛ بيار سرحال، ماروني (ج)؛ إسماعيل سكرية، سنّي (ج)؛ كامل الرفاعي، سنّي (ج)؛ علي المقداد (ج)؛ حسين الحاج حسن (س)؛ جمال الطقش (ج)؛ نوار الساحلي (ج).

حزب الله بواسطة رئيس المجلس السياسي السيد إبراهيم أمين السيد الذي ناقش أن التكليف الشرعي يتماشى مع الطاعة والانضباط اللذين يشكلان نقطة ارتكاز هيكليته التنظيمية(١).

كما انتقد السيد محمد حسين فضل الله استخدام حزب الله التكليف الشرعي في الانتخابات من دون أن يشكل الأمر مفاجأة، واتهم الحزب باستغلال التكليف كسلعة في البازار السياسي لتلميع صورته ورفع معنوياته. وحذر من أنه على الأمد الطويل، سيعتاد الناس على هذه «الممارسات المنحرفة» التي لا تلتزم الإجراءات والأوامر الدينية، وبالتالي سيؤدي الأمر إلى تعرية المفاهيم والمعايير الإسلامية من طهارتها وأصالتها وبلوغها الشعب(٢). أوضح السيد فضل الله أن الإمام خامنئي يعتبر أن قيادة حزب الله تحمل على منكبيها مسؤولية تنفيذ أوامره عبر التكليف، وتلتزم بأوامر الله في المجالين السياسي والديني. بهذه الطريقة، ينشأ التكليف من خيارات شخصية يتحمل الناس مسؤوليتها أمام الله. [63]

أضاف السيد فضل الله أنه، باختيار مرشح، يعطي الناس هذا الإلزام شيكاً على بياض. لكن السيد فضل الله يعتبر الناس أحراراً في اختيار ممثليهم على أسس الجدارة والأمانة والاستقامة الموضوعية: «لا أعتبر أن التكليف الشرعي يُستخدَم لانتخاب الفاسد والمجرمين والقتلة والمتمردين، إلخ.». وخلص السيد فضل الله إلى أن حزب الله يستخدم التكليف الشرعي من موقع مصلحة براغماتية سياسية لإضفاء طابع الشرعية على نفسه(٣).

تداعيات الانتخابات

بعكس موقف الإدارة الأميركية من حزب الله، شدد سعد الحريري أنه

(١) جريدة اللواء، ٢١ حزيران/ يونيو ٢٠٠٥.

(٢) راجع «الموقف الأسبوعي» لحزب الله في ١٤ حزيران/ يونيو ٢٠٠٥ المعنون «الرأي الإسلامي من الشعارات السياسية التكتيكية»، على الموقع الإلكتروني.

(٣) مقابلة شخصية أُجريت بتاريخ ١٤ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥.

كوالده، والدولة اللبنانية ومعظم المواطنين اللبنانيين، يعتبر حزب الله حركة مقاومة وتحرير وطنية وليس ميليشيا[(١)]. أضاف أنه لن يتم نزع سلاح حزب الله في القريب العاجل إلا إذا تم التوصل إلى تسوية سلمية شاملة في الشرق الأوسط. في هذه الحالة، سيجلس اللبنانيون معاً ويتناقشون في دور حزب الله العسكري[(٢)]. كان سعد الحريري يردد موقف أبيه السابق الذي التقى السيد نصرالله الذي أفصح عن اجتماعات أسبوعية منتظمة كانت تعقد مع الحريري لمناقشة مستقبل المقاومة. في هذه الاجتماعات، نقل نصرالله أن الحريري وعد أنه لن يحارب المقاومة ولن يسمح للبنان أن يصبح جزائر أخرى بل يفضل الاستقالة ومغادرة البلاد[(٣)]. أضاف نصرالله: «لو راودت أحدهم فكرة نزع سلاح حزب الله فسنحاربه كما فعل الشهداء في كربلاء»[(٤)].

بالمجمل، فسَّر حزب الله أداءه في الانتخابات النيابية على أنه استفتاء سياسي وطني يشكِّل لطمة في وجه الضغط الدولي لنزع سلاحه بقيادة الولايات المتحدة وفرنسا، فضلاً عن كونه يشكل خيبة أمل كبيرة لإسرائيل[(٥)]. لقد أشّرت نتائج الانتخابات إلى أن حزب الله سيتمسك بسلاحه بعد أن حصل على الشرعية من الشعب. شدّد السيد نصرالله على أن المجلس النيابي الحالي هو الأهم والأخطر منذ العام ١٩٩٢ لأنه مجبر على تقرير الخيارات السياسية والاستراتيجية الأساسية للبنان للأعوام المقبلة[(٦)].

---

(١) أعاد التأكيد على الموقف نفسه في برنامج حواري عبر إذاعة صوت لبنان، ٢٣ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٥.

(٢) مقابلة مع براند سادلر Brent Sadler شبكة سي أن أن CNN ٢٠ حزيران/ يونيو ٢٠٠٥.

(٣) دعم سعد الحريري هذه المزاعم في خلال مقابلة معه عبر شبكة سي أن أن CNN ولاحقاً في مقابلات مع الصحف ووسائل الإعلامية المحلية.

(٤) راجع خطابه في الذكرى الخامسة للتحرير (الانسحاب الإسرائيلي من لبنان) بتاريخ ٢٥ أيار/ مايو ٢٠٠٥. جريدة الانتقاد، العدد ١١١١ (٢٧ أيار/ مايو ٢٠٠٥).

(٥) راجع جريدة الانتقاد، العدد ١١١٥ (٢٤ حزيران/ يونيو ٢٠٠٥)، تحت عنوان «التوقعات بعد الانتخابات: مواجهة لبنان للوصاية الأجنبية».

(٦) مقابلة مع جريدة السفير، ٢٩ تموز/ يوليو ٢٠٠٥.

حتى هذا التاريخ، يبدو سجل حزب الله في «أهم» مجلس نيابي ملتبساً. ساعد الحزب على منع العفو المقترَح لأعضاء جيش لبنان الجنوبي الذين هربوا إلى إسرائيل إثر «التحرير» أو الانسحاب الإسرائيلي في أيار/مايو ٢٠٠٠[١]. اعتبر السيد نصرالله الاقتراح «إهانة كبرى» إلى الشعب اللبناني و«تهديداً لا سابق له للأمن الوطني»[٢]. لكن المشرعين أعفوا عن سمير جعجع ـ قائد القوات اللبنانية اليمينية الذي سُجِن ١١ عاماً ـ والإسلاميين السنة الذين سُجِنوا خمس سنوات. عارضت كتلة حزب الله هذا الإجراء عبر الخروج من قاعة البرلمان قبل بدء التصويت؛ [64] غير أن الكتلة صادقت على العفو عن وزير الطاقة السابق برصوميان وعلى رفع الحظر عن محطة أم تي في المعارضة لسوريا[٣]. يُفترَض بالمجلس النيابي أن يسنَّ قانوناً انتخابياً جديداً أكثر تمثيلاً وهو يعقد جلسات أسبوعية لتقييم أداء الحكومة، وهذه سابقة في السياسة اللبنانية. كما يناقش المجلس النيابي نزع سلاح الفسلطينيين داخل المخيمات وخارجها بالتوافق مع قرار مجلس الأمن رقم ١٥٥٩ الأمر الذي قد يُعتبَر مدخلاً لمناقشة نزع سلاح حزب الله. وما أثار رعب حزب الله أن المجلس النيابي ناقش ما إذا كان سيلجأ إلى مساعدة مكتب التحقيقات الفدرالي الأميركي في تدريب قوات الأمن اللبنانية للتحقيق بشكل أفضل في عمليات القتل ومحاولات الاغتيال التي تستهدف السياسيين والصحافيين.

بعد أربعة أيام من منح الشيخ عفيف النابلسي، رئيس تجمع العلماء الشيعة في جبل عامل الموافقة الدينية والشرعية على مشاركة حزب الله في الحكومة[٤]، ألقى السيد نصرالله في ١٠ حزيران/يونيو ٢٠٠٥ خطاباً نارياً أعلن فيه نية الحزب الاضطلاع بدور سياسي وتنموي رائد عبر الاندماج كلياً في الكيان اللبناني من

(١) جريدة الانتقاد، العدد ١١٢١ (٥ آب/أغسطس ٢٠٠٥)، ص. ٤.
(٢) مقابلة مع جريدة السفير، ٢٩ تموز/يوليو ٢٠٠٥.
(٣) جريدة الانتقاد، العدد ١١٢٣ (١٩ آب/أغسطس ٢٠٠٥)، ص. ٦.
(٤) راجع جريدة السفير، ٧ حزيران/يونيو ٢٠٠٥.

خلال الانخراط الكامل في الحياة السياسية والاقتصادية اللبنانية فضلاً عن المشاركة في المؤسسات الحكومية اللبنانية بما فيها الحكومة[١]. اعتبر الحزب أنه من الضروري الحصول على مقعد في الحكومة ليتمكن من التكلم بقوة وبشكل مباشر ضد ما يعارضه[٢].

تشكيل أول حكومة بعد الانسحاب السوري وتداعياته

بعد انتخاب بري رئيساً للمجلس النيابي للمرة الرابعة المتالية في ٣٠ حزيران/ يونيو ٢٠٠٥، عيَّن رئيس الجمهورية وزيرَ المال الأسبق والمتمرس في كتلة الحريري فؤاد السنيورة في ضوء الاستشارات النيابية الملزمة التي أدت إلى سابقة دستورية[٣] حيث سمّى ١٢٦ نائباً من أصل ١٢٨ السنيورة لتشكيل الحكومة. ناقش النائب عن القوات اللبنانية المنتخب حديثاً إدمون نعيم ـ رجل القانون الماروني اللبناني والخبير في القانون القضائي والدستوري والدولي الذي صفح في وقت سابق للانتحاريين[٤] ـ من وجهة نظر القانون الدولي العام أن على حزب الله ألا يتخلى عن سلاحه قبل أن تنسحب إسرائيل من الأراضي الفلسطينية التي احتلتها في العام ١٩٦٧ إذ إن حزب الله أو أي مجموعة أو دولة أخرى يمكنها المجيء لإنقاذ الطرف الضعيف، كما قال[٥]. بهذا، أعطى نعيم موضوع نزع سلاح حزب الله بعداً إقليمياً. من جهته، أفاد رئيس الوزراء السوري

---

(١) راجع الصحف اللبنانية اليومية الصادرة في اليوم التالي.

(٢) جريدة السفير، ١٧ آب/ أغسطس ٢٠٠٥.

(٣) كانت المرة الأولى منذ الاستقلال اللبناني التي يحصل فيها رئيس وزراء معيّن على نسبة عالية من الأصوات. وكتعبير رمزي، امتنع رئيس مجلس النواب السابق حسين الحسيني، وأيضاً أسامة سعد، نائب صيدا المعارض للحريري، عن التصويت.

(٤) راجع جوزيف الآغا، «حزب الله والاستشهاد» Hizbullah and Martyrdom الشرق: المجلة الألمانية للسياسة والاقتصاد في الشرق الأوسط ORIENT: German Journal for Politics and Economics of the Middle East المجلد ٤٥ (آذار/ مارس ٢٠٠٤)، العدد ١، ص. ٦٣ - ٦٤.

(٥) إذاعة النور، الساعة العاشرة بتوقيت غرينيتش، ١٥ تموز/ يوليو ٢٠٠٥.

محمد ناجي العطري أن نزع سلاح حزب الله يشكل تهديداً لأمن سوريا الوطني إذ إن لبنان يصبح «ساحة للمخابرات الإسرائيلية»، كما يقول(١). [65]

الوضع السياسي المتوتر وسلسلة الانفجارات والاغتيالات(٢) التي عصفت بالسلم الأهلي، والحظر السوري على الترانزيت الاقتصادي الذي دخل حيِّز التنفيذ منذ تموز/ يوليو والتوترات الإقليمية، كلها عوامل أثرت سلباً على موسم السياحة اللبناني فاجتزأت مدخولاً كبيراً من العملة الأجنبية كانت البلاد بأمس الحاجة إليه. بالإضافة إلى السبب البيِّن لفرض سوريا بحكم الواقع عقاباً اقتصادياً على لبنان، وهو الخوف من تهريب الأسلحة والمتفجرات إلى سوريا على متن شاحنات الترانزيت، طالبت السلطات السورية بالتعويض لعمالها الذين يُفترَض أنهم قُتِلوا أو تم استغلالهم، وهو ادعاء رفضه المسؤولون اللبنانيون باعتباره لا أساس له من الصحة.

بعد تسعة عشر يوماً من التناحر السياسي حول الحقائب الوزارية الأساسية، وبعد خمسة اجتماعات بين السنيورة ولحود وأربع مسودات لوائح سابقة، أبصرت أول حكومة «وحدة وطنية» بعد الانسحاب السوري مؤلفة من ٢٤ حقيبة النور في ١٩ تموز/ يوليو. بالإضافة إلى طراد حمادة الذي احتفظ بوزارة العمل، مثَّل محمد فنيش المتمرس والقيادي في الحزب للمرة الأولى حزب الله في الحكومة بتولّيه حقيبة وزارة الطاقة. وهكذا حصل حزب الله على وزارتين خدماتيتين فيما حصل وزراء حركة أمل المنافسة على وزارتي الصحة والزراعة. خلال المفاوضات التي سبقت تشكيل الحكومة، سعى حزب الله لكسر المحرمات التي تحظر الحركات الإسلامية من الحصول على وزارتي الدفاع والخارجية الحساستين. تكتَّل حزب الله بجهد للفوز بوزارة الخارجية لكن الضغط الدولي ولا سيما من الولايات المتحدة وفرنسا فضلاً عن التحفظات

(١) جريدة النهار، ٢١ تموز/ يوليو ٢٠٠٥.

(٢) كلها أدانها حزب الله بشدة.

اللبنانية الداخلية حالت دون تحقيق حزب الله حلمه. ولتفادي الوصول إلى حائط مسدود، اقترح حزب الله شخصية شيعية معتدلة ومستقلة، فوزي صلوخ، وهو سفير سابق وديبلوماسي مخضرم مقبول أيضاً من حركة أمل، فحصل الحزب على ما يريد. تجدر الإشارة إلى أن حزب الله ممثَّل في اللجنة البرلمانية لشؤون الخارجية بنائبين انتُخِبا لهذا المنصب(١).

رداً على تعيين فنيش، أعلنت وزارة الخارجية الأميركية أنها لن تتعامل مع «الإرهابيين» موضحة أنها ستقاطع وزير حزب الله وحده، لكنها ستتعامل بانتظام مع الحكومة. ردّ فنيش بأن على الولايات المتحدة أن توقف التدخل في الشؤون الداخلية اللبنانية وتترك اللبنانيين وشأنهم. وكانت زيارة كوندوليزا رايس غير المتوقعة إلى لبنان في ٢٢ تموز/يوليو بهدف دعم «مسار لبنان التدريجي نحو الديمقراطية». وخلال الزيارة أكدت موقف المجتمع الدولي القائم على الوقوف إلى جانب لبنان ونقلت رغبة الإدارة الأميركية بالتطبيق الكامل للقرار ١٥٥٩ مشددة على نزع سلاح حزب الله. أعلن نائب حزب الله حسين الحاج حسن أن الحزب يرفض التعامل مع «الإدارة الأميركية القمعية التي تعتدي على الحرية والديمقراطية» بعدم اعترافها بإرادة الشعب اللبناني الذي منح حزب الله تمثيلاً في المجلس النيابي والحكومة(٢). [66]

في ٣٠ تموز/يوليو، منح المجلس النيابي الثقة للحكومة عبر الموافقة على بيانها الوزاري بأغلبية ٩٢ صوتاً(٣). أيّد البيان الوزاري حق حزب الله بحمل السلاح والدفاع عن «سيادة لبنان ووحدة أراضيه»، فيما شدَّد في الوقت نفسه

---

(١) حول نتائج انتخابات اللجان البرلمانية، راجع الصحف اللبنانية اليومية الصادرة بتاريخ ١٩ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٥.

(٢) إذاعة النور، الساعة الثالثة عشرة بتوقيت غرينيتش، ٢٢ تموز/يوليو ٢٠٠٥.

(٣) ١٤ نائباً صوّتوا ضد؛ اثنان امتنعا عن التصويت، وتغيّب ٢٠ نائباً بمن فيهم عون، استريدا جعجع، التي كانت خارج البلاد، وعلى وجه الخصوص سعد الحريري ووليد جنبلاط لأسباب أمنية.

على احترام قرارات الأمم المتحدة كلها من دون ذكر القرار ١٥٥٩ على وجه التحديد، بل الإتيان على ذكر القرار ١٩٤ الذي ينص على حق عودة اللاجئين الفلسطينيين. في اليوم التالي زار الرئيس السنيورة سوريا في محاولة لترطيب الأجواء. أثمرت علاقاته، وفي اليوم التالي رفعت سوريا جزئياً حصارها الاقتصادي وفتحت حدودها أمام شاحنات الترانزيت اللبنانية.

على خط موازٍ، بين ٣١ تموز/ يوليو و٦ آب/ أغسطس، زار السيد نصرالله برفقة أعضاء من مجلس شورى الحزب طهران بهدف حضور تولي الرئيس المنتخب حديثاً محمود أحمدي نجاد السلطة، فضلاً عن الاجتماع معه ومع الإمام علي خامنئي ومسؤولين إيرانيين آخرين. أكدت القيادة الإيرانية لحزب الله أن نزع السلاح هو «سراب». وفي محاولة للاستفادة من نجاحات حزب الله والدفع بموقفه الإقليمي، توجه الرئيس السوري إلى طهران في زيارة دامت يومين مباشرة بعد عودة وفد حزب الله. قال نجاد إن سوريا تشكل أول خط دفاع لدى الأمة الإسلامية.

في ١٧ آب/ أغسطس، انسحبت إسرائيل من قطاع غزة بعد ٣٨ عاماً من احتلاله. اعتبر السيد نصرالله هذا الحدث نصراً تاريخياً للمقاومة الفلسطينية والانتفاضة، ونصراً ثانياً لنموذج حزب الله في المقاومة في خمس سنوات: «لقد حرّر خيار المقاومة غزة». أضاف أن ذلك يشكل دليلاً إضافياً على ضرورة التمسك بسلاح المقاومة الإسلامية. أما الشيخ قاسم، فاعتبر الانسحاب الإسرائيلي هزيمة حقّقها الفلسطينيون عبر القوة العسكرية[1].

في ٢١ تشرين الأول/ أكتوبر، تلقت الحكومة اللبنانية نسخة رسمية عن تقرير ديتليف ميليس الذي كان ميليس قد قدمه قبل ٣٦ ساعة إلى الأمين العام

---

(١) راجع جريدة الانتقاد، العدد ١١٢٣ (١٩ آب/ أغسطس ٢٠٠٥). تناغماً مع قادة حزب الله، أعاد الإمام الخامنئي، في خلال خطبة الجمعة بتاريخ ١٩ آب/ أغسطس، التأكيد على أن غزة تحررت بفضل الجهاد ومقاومة الشعب الفلسطيني. وأضاف قائلاً إن المفاوضات التي أُجريت على مر الأعوام السبعين السابقة لم تحرر ذرّة من الأراضي الفلسطينية.

للأمم المتحدة كوفي أنان. وقد تم تسريب التقرير على الفور إلى الصحافة. على الرغم من أن التقرير «لم يفضِ قانوناً إلى أي نتيجة»، لكنه كان «ذا قوة سياسياً»[١]، إلا أنه أشار إلى تورط مسؤولين سوريين ولبنانيين رفيعي المستوى في الاغتيال. بعكس الأحزاب السياسية والشخصيات التي علقت بطريقة مرتجلة على التقرير، رفض حزب الله التعليق حتى يدرسه بشكل وافٍ. في ٢٤ تشرين الأول/أكتوبر، أصدرت حركة أمل وحزب الله إعلاناً مشتركاً من ثلاث نقاط: أولاً، انتقاد التقرير لفشله في الكشف عن الحقيقة التي طال انتظارها؛ ثانياً، الإشارة إلى أن التوصل إلى الحقيقة يتطلب تحقيقاً قضائياً شاملاً وأكثر جدية استناداً إلى أدلة حسية بعكس المحاولات الهادفة إلى تسييس التقرير. [67] على الرغم من ذلك، صادق البيان على قرار الحكومة اللبنانية تمديد مهمة فريق ميليس حتى ١٥ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٥؛ ثالثاً، من أجل مواجهة الحملة الأميركية الإسرائيلية ضد سوريا، استبقت حركة أمل وحزب الله أي قرار قد يصدر عن مجلس الأمن ويلوم سوريا برفضهما فرض أي عقوبات على النظام السوري[٢]. تجدر هنا الإشارة إلى أن هذا الموقف يعكس إلى حد ما الموقف السوري الذي انتقد التقرير حيث اعتبره مسيساً ولا يؤدي إلى أي نتيجة ويحاول التأكيد من دون أدلة ـ بهدف خدمة المصالح الأميركية ـ الإسرائيلية في الشرق الأوسط.

النكسة

حزب الله يعلق مشاركته في الحكومة: لا للوصاية الأجنبية وفتوى النابلسي

في ١٢ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٥، يوم اغتيال رئيس مجلس إدارة صحيفة النهار النائب جبران تويني، اجتمعت الحكومة اللبنانية وأحالت القضية

---

(١) رامي خوري، «تقرير ميليس: غير حاسم قانونياً، قوي سياسياً» The Mehlis Report: Legally Inconclusive, Politically Powerful صحيفة دايلي ستار Daily Star ٢٢ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٥.

(٢) موقع الانتقاد الإلكتروني والوكالة اللبنانية الوطنية للأنباء.

واغتيالات أخرى بدافع سياسي إلى لجنة الأمم المتحدة التي تحقق في اغتيال الحريري. كما طالبت الحكومة بتشكيل محكمة دولية لمحاكمة مرتكبي هذه الجرائم. عندما أحيلت القضية للتصويت في الحكومة، خرج الوزراء الخمسة الشيعة بمن فيهم وزيرا حزب الله دليلاً على عدم رضاهم، معلقين مشاركتهم في مجلس الوزراء لسبعة أسابيع. كان النابلسي وليس نصرالله من أصدر فتوى تحرم على أي شيعي آخر الالتحاق بالحكومة في غيابهم[١]. لم يرجع الوزراء إلى الحكومة إلا بعد أن أعاد رئيس الوزراء السنيورة التأكيد على حق حزب الله في مقاومة إسرائيل (في شبعا) كما ينص البيان الوزاري.

خطوة كبيرة باتجاه السيطرة: التحالف مع عون

إنقاذ لبنان من الحرب الأهلية: تفاهم حزب الله مع التيار الوطني الحر

في ٥ شباط/ فبراير ٢٠٠٦، بعد يوم واحد من مهاجمة بعض الغوغائيين السفارة الدانماركية في دمشق احتجاجاً على الرسوم المسيئة للنبي (ص)، حاول بعض الرعاع إحراق السفارة الدانماركية في الشطر المسيحي من العاصمة بيروت. عمت الفوضى وبرزت الأضرار فيما تم تخريب عدد من المحلات والسيارات والكنائس، إضافة إلى شتم السكان. فشلت قوات الأمن اللبنانية في إعادة النظام. نتيجة لذلك، قدم وزير الداخلية استقالته وقدم لبنان للدانمارك اعتذاراً رسمياً. بهدف احتواء التداعيات السلبية لما حصل ولتفادي أي نزاع مسيحي مسلم، التقى رئيس التيار الوطني الحر الجنرال ميشال عون والسيد حسن نصرالله في كنيسة رمزية على تقاطع ما كان يعرف بـ«الخط الأخضر» فوقّعا تفاهماً تاريخياً من عشر نقاط يتناول مسائل سياسية واقتصادية وإدارية وأمنية، فضلاً عن العلاقات مع سوريا. كما تناول التفاهم شؤون / مخاوف داخلية مثل الإصلاح الإداري وقانون الانتخابات ومحاربة الفساد والتحقيق في اغتيال الحريري[٢].

---

(١) راجع الصحف اللبنانية بتاريخ ٢١ كانون الأول ٢٠٠٥

(٢) راجع موقع http://www.tayyar.org/files/documents/fpm_hezbollah.pdf

تناولت المادة السابعة منه بعنوان «العلاقات اللبنانية ـ السورية» أربعة تدابير من شأنها منع «الوصاية الخارجية»، إضافة إلى ترسيم الحدود بين لبنان وسوريا[١]؛ وكشف مصير المحتجزين اللبنانيين في السجون السورية؛ وإرساء علاقات ديبلوماسية بين البلدين. تجدر الإشارة إلى أن النقاط الآنفة الذكر قد شكلت مجمل مطالب الكنيسة المارونية ومجموعة قرنة شهوان المسيحية. حالياً، تشكل هذه المطالب صلب سياسات قوى الرابع عشر من آذار. وهكذا، نجح حزب الله في تفكيك صفوف ١٤ آذار[٢] من خلال تحالفه مع التيار الوطني الحر[٣].

على الرغم من أن غالبية قوى ١٤ آذار/ مارس من السنة وقوى ٨ آذار/ مارس من الشيعة، إلا أن الوضع الراهن قد تغير بالكامل، حيث لم يكن التحالف الرباعي يلا تحالفاً انتخابياً بعيداً عن أي تحالف سياسي. والأهم من ذلك، انتقل التيار الوطني الحر بعد التفاهم إلى معسكر ٨ آذار، الأمر الذي زاد من حدة التوتر والمواجهة بين قوى ٨ و١٤ آذار.

الحوار الوطني ينتهي بالفوضى

تطرقت جلسات الحوار الوطني[٤] التي عقدت في العام ٢٠٠٦ بين ١٤

---

(١) يؤكد الموقف الرسمي السوري أنه من غير المقبول أبداً ترسيم الحدود بين لبنان وسوريا إلا إذا ما حصل ذلك ضمن اتفاق سلام شامل يعيد في الدرجة الأولى مرتفعات الجولان إلى سوريا. بدوره، أعلن نائب المجلس الشيعي الإسلامي الأعلى المفتي الجعفري الممتاز الشيخ عبد الأمير قبلان في خطبة يوم الجمعة في ٢٠ نيسان/ أبريل ٢٠٠٧ أن حزب الله لن يسلم سلاحه إلا كجزء من تسوية إقليمية شاملة حيث تخرج القوات الإسرائيلية من مزارع شبعا والجولان إضافة إلى تأسيس دولة فلسطينية. نشرة المؤسسة اللبنانية للإرسال في الساعة ١٨٠٠ بتوقيت غرينيتش. كما أكد الرئيس لحود في ٢ أيار/ مايو ٢٠٠٧ أنه حتى لو انسحبت إسرائيل من شبعا لكن احتفظت بموارد المياه، فلن يتخلى حزب الله عن سلاحه إلا إذا ما تم الاتفاق على إحلال سلام عادل وشامل في الشرق الأوسط.

(٢) مع تأسيس قوى الرابع عشر من آذار، تفككت قرنة شهوان.

(٣) يشكل عون الطرف الأساسي في عملية شد الحبال بين قوى ١٤ و٨ آذار. فلو غير تحالفه لصالح ١٤ آذار، سيحصلون عندها على أغلبية الثلثين في البرلمان إضافة إلى ثلثي الحكومة. (يبلغ عدد كتلة التيار الوطني الحر أكثر من ٢٠ نائباً)

(٤) خلال العقد المنصرم، انطلق حزب الله بحوار مفتوح وسلمي وبنّاء مع كافة الطوائف =

قائد سياسي في لبنان إلى مسائل حساسة بما فيها المحرمات مثل سلاح حزب الله والاستراتيجيا الدفاعية. اهتم نصر الله شخصياً بالتعبير عن موقف حزب الله. عقدت الجلسة الأولى في آذار/ مارس حيث وقع الإجماع على مسألتين مهمتين: لبنانية مزارع شبعا[١] وبالتالي حق حزب الله بمواصلة مقاومته وإسرائيل؛ وتشكيل محكمة دولية[٢] لمحاكمة قتلة الحريري. كان من المفترض أن تعقد الجلسة الأخيرة في ٢٥ تموز/ يوليو لكن بسبب «حرب لبنان الثانية»، لم تعقد أبداً، مما أدى إلى تعليق الحوار الوطني.

سيطرة حزب الله بعد «حرب لبنان الثانية» (١٢ تموز/ يوليو ـ ١٤ آب/ أغسطس ٢٠٠٦)[٣]

كيف يمكن لمشاركة حزب الله المتزايدة في العملية السياسية أن تتحول إلى حرب شاملة وتنتهي بمزيد من المشاركة والاندماج؟ أوضح حزب الله صراحة أن خطف الجنديين الإسرائيليين في ١٢ تموز/ يوليو في هجوم على الحدود لا يهدف إلى تحرير الأسرى اللبنانيين في السجون الإسرائيلية وحسب، بل لا بد من النظر إليه كدليل دعم للانتفاضة بعد اجتياح إسرائيل لغزة في ٢٥ حزيران/ يونيو ٢٠٠٦. قد يكون خطأ حزب الله الاستراتيجي أنه لم يتوقع أن يؤدي هذا الفعل إلى نزاع شامل يدمر إنجازات لبنان كلها التي تلت الحرب

= والأحزاب السياسية ومجموعات ومنظمات المجتمع المدني بغية التطرق إلى مصدر الاختلافات الثقافية والسياسية والنظرية والعملية.

(١) أعطى قرار مجلس الأمن الصادر في آب/ أغسطس ٢٠٠٦ مهلة زمنية من شهر واحد لحل هذه المسألة، الأمر الذي لم يتحقق بالطبع.

(٢) تجري «نقاشات داخلية» حول المحكمة ومسائل أخرى في الدائرة العامة.

(٣) أدت الحرب بين إسرائيل وحزب الله إلى مقتل حوالى ١٢٠٠ لبناني، ثلثهم أطفال دون الثانية عشرة؛ كما أصيب حوالى ٤٠٠٠؛ ونزح أكثر من مليون فيما بلغت الخسائر ١٥ مليار دولار في الأضرار والعائدات. راجع .. http://www.dailystar.com.lb/July_War06.asp في المقلب الآخر، ونتيجة لصواريخ حزب الله الـ٤٠٠٠، قتل ١٥٨ إسرائيلياً، أكثر من ثلثيهم من الجنود: ١١٩ جندياً و٣٩ مدنياً؛ و٥٠٠٠ مصاب و١٢٠٠٠ منزل مدمر و٧٥٠ ألف شجرة محروقة و٥ طائرات/ مقاتلات محطمة. كما تكبدت إسرائيل خسارة مادية بلغت ٢٥ مليار شيكل (حوالى ٦ مليارات دولار). راجع «حرب الأرقام»، في يديعوت أحرونوت (١٥ آب ٢٠٠٦).

الأهلية. على الرغم من تساؤل بعض اللبنانيين عن حكمة فعل حزب الله الذي استخدمته إسرائيل كحجة لتكبيد لبنان هذا الكم من الخسائر، إلا أن الحزب خرج من الأزمة بشعبية أكبر مما كانت عليه[١]. جزاءً لنصره الإلهي في «حرب لبنان الثانية» ضد إسرائيل، طالب حزب الله بتشكيل حكومة وحدة وطنية يحصل فيها مع حلفائه المسيحيين في التيار الوطني الحر على الثلث المعطل، في محاولة للسيطرة على الساحة السياسية الوطنية بعد السيطرة على السلطة التشريعية والرئاسة[٢]. لقد أدرجت تالياً الخطوات التي أدت إلى المأزق السياسي أو الأزمة المستفحلة في لبنان.

الحرب الإعلامية: حرب نفسية

مع أن الدور الأساسي لإعلام حزب الله تركز على حشد جمهوره ورفع معنوياته/ إلا أن قناة المنار[٣] واصلت بثها إلى الأمة الإسلامية الإقليمية والدولية

---

(١) راجع يوسف الآغا، «وعد حزب الله» ISIM REVIEW (خريف ٢٠٠٦)، ١٨: ٣٦، http://www.isim.nl/files/Review_18/Review_18-36.pdf.

(٢) رفض رئيس المجلس النيابي نبيه بري دعوة البرلمان إلى الانعقاد لأكثر من عشرة أشهر بعد استقالة الوزراء الستة. كبادرة حسن نية منه، دعا لجلسة نيابية في ٢٥ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٧ لانتخاب رئيس جديد لكن بسبب عدم اكتمال نصاب الثلثين، دعا بري لجلسة أخرى في ٢٣ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٧ تأجلت بدورها إلى ١٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ومرة أخرى إلى ٢١ تشرين الثاني/ نوفمبر ثم ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ثم ٣٠ منه. ثم أجل بري الجلسة حتى ٧ كانون الأول/ ديسمبر. كما اعتبر الرئيس لحود الحكومة غير دستورية بعد الاستقالات في ١١ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٦، رافضاً المصادقة على أي قرار يتسلمه من الحكومة. ترك لحود السلطة في منتصف ليل ٢٣ تشرين الثاني/ ديسمبر وتسلمت حكومة السنيورة سلطاته بموجب الدستور.

(٣) الجدير ملاحظته أنه على الرغم من أن حزب الله كان على معرفة بأفي جوريش، إلا أنه سمحوا له بالدخول واثقين من أنه سيقدم وجهة نظره. ومن السخرية بمكان أن كتاب جوريش «The Beacon of Hatred» هو أحد السباب الرئيسة التي حملت الإدارة الأميركية على وصف قناة المنار بالمنظمة الإرهابية. نزولاً عند قواعد اللعبة الديمقراطية في مجتمع مفتوح، وكل حزب الله ستانلي كوهين- وهو محام يهودي أميركي شهير نجح في الدفاع عن عضو حماس موسى أبو مرزوق عند استرداده من الأردن وليس إسرائيل كما طالبت الحكومة الإسرائيلية- للدفاع عن المنار أمام المحاكم الأميركية. بما أنه طالب إضافة إلى أجرة ٥٠٠٠ دولار في الساعة، =

عبر شعارها «قناة العرب والمسلمين.» خلال «حرب لبنان الثانية»، أظهرت وسائل إعلام حزب الله إرادة كبيرة على البقاء. على الرغم من قضاء إسرائيل بشكل كامل على مبنى المنار وإلحاق ضرر كبير بإذاعة النور، إلا أن البث لم ينقطع أبداً لأن الحزب كان قد اتخذ إجراءات طارئة وأماكن بديلة للبث. واصلت الوسيلتان بثهما من مواقع غير معروفة تحت الأرض[1]. كما أن صحيفة الانتقاد[2] استمرت في الصدور كل يوم جمعة ومرتين في الأسبوع استثنائياً خلال الأسبوع الثاني من الحرب[3] لمرافقة مآثر حزب الله على أرض المعركة.

خطوات الحكومة اللبنانية البراغماتية:

حزب الله يوافق على قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١

في محاولة لاستيعاب الأزمة، صادقت الحكومة اللبنانية في ٥ آب/ أغسطس ٢٠٠٦ بالإجماع على نقاط السنيورة السبع[4] على الرغم من أن النقطة

= مبلغ مليوني دولار لتولي القضية، غض الحزب النظر عن القضية الخاسرة بنظره مفضلاً استخدام المال لأهداف المقاومة ولتعزيز منظماتها غير الحكومية.

(١) يمكن الوصول إليه عبر حجرة صغيرة مضاءة بواسطة خط طويل من الأنوار الصغيرة حتى يصل الفرد إلى قاعة الإرسال، حيث يدار كل شيء يدوياً بتجهيزات وموارد محدودة.

(٢) الانتقاد هي صحيفة حزب الله الأسبوعية. تأسست في ١٨ حزيران ١٩٨٤ تحت اسم العهد لكنها غيرت اسمها وتوجهها في العام ٢٠٠١، بحيث أعطت صورة أكثر علمانية عبر التخلي عن الآية القرآنية على الجهة اليمنى وإزالة رسم الخميني وخامنئي على الجهة اليسرى. ظهر العدد الأخير للعهد تحت الرقم ٨٩٦ بتاريخ ٦ نيسان/ أبريل ٢٠٠١ أو ١٢ محرم ١٤٢٢ هجري؛ أما العدد الأول للانتقاد فحمل الرقم ٨٩٧ بتاريخ ٢٠ نيسان/ أبريل ٢٠٠١ أو ٢٦ محرم ١٤٢٢ هجري.

(٣) استثنائياً يوم الاثنين في ١٧ تموز/ يوليو، العدد ١١٧١ بعد قصف حيفا؛ العدد العادي يوم الجمعة في ٢١ تموز/ يوليو رقم ١١٧٢

(٤) وقف إطلاق النار بشكل فوري وشامل وإعلان اتفاق يتضمن المسائل التالية: ١) التعهد بإطلاق سراح السجناء والمحتجزين اللبنانيين والإسرائيليين بواسطة الصليب الأحمر الدولي. ٢) انسحاب الجيش الإسرائيلي إلى ما وراء الخط الأزرق وعودة النازحين إلى قراهم. ٣) التزام من مجلس الأمن الدولي بوضع مزارع شبعا وتلال كفرشوبا تحت وصاية الأمم المتحدة حتى ترسيم الحدود واستعادة السلطة اللبنانية بشكل كامل عليها. وفيما تكون الأراضي تحت الوصاية الدولية، يمكن لأصحاب الأملاك اللبنانيين بلوغ ممتلكاتهم. إضافة إلى ذلك، تسلم =

الرابعة شددت على حصرية الدولة في استخدام القوة. بعد رفض مشروع قرار الأمم المتحدة الذي فشل في مطالبة إسرائيل بالانسحاب وسعياً منها للتأثير على صياغة المشروع الجديد بما يفيد مصلحة لبنان، صادقت الحكومة اللبنانية بالإجماع وفي سابقة من نوعها[١] على نشر ١٥٠٠٠ جندي من الجيش اللبناني من نهر الليطاني إلى الحدود مع إسرائيل. شكل هذا الأمر تغييراً حقيقياً في السياسة بدل أن يكون مجرد تحرك كلامي، إذ إن خطاب حزب الله السابق كان يعترض على إرسال الجيش إلى الجنوب «لحماية إسرائيل من هجمات المقاومة اللبنانية». كما وافقت الحكومة على قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١ الصادر في ١١ آب/أغسطس ٢٠٠٦ والذي يدعو إلى وقف الاعتداءات ونزع سلاح حزب الله ـ كما يدعو القرار رقم ١٥٥٩ الصادر في ٢ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٤. صوت وزيران تابعان لحزب الله بالموافقة على هذين القرارين. في الواقع، فإن « الخيارات هي أفعال (فردية وجماعية) تشير إلى توفر الإمكانات المتعددة[٢].

= إسرائيل كافة الخرائط المتبقية حول الألغام في جنوب لبنان إلى الأمم المتحدة. ٤) تبسط الحكومة اللبنانية سلطتها على كامل أراضيها من خلال قواتها المسلحة الشرعية وبالتالي لا سلاح أو سلطة سوى سلطة الدولة اللبنانية كما تنص وثيقة الطائف. ٥) يتم تعزيز القوة الدولية العاملة في الجنوب من حيث عديدها وعتادها ونطاق عملها كما تدعو الحاجة من أجل البدء بأعمال الإغاثة وضمان الاستقرار والأمن في الجنوب حتى يتمكن السكان من العودة إلى ديارهم. ٦) تتولى الأمم المتحدة بالتعاون مع الأطراف المعنية القيام بالإجراءات اللازمة من أجل تفعيل اتفاق الهدنة الموقع بين لبنان وإسرائيل في العام ١٩٤٩ ولضمان الالتزام بأحكام الاتفاق واستكشاف إمكانية إجراء تعديلات ممكنة عليه إذا لزم الأمر. ٧) تلتزم الأسرة الدولية بدعم لبنان على المستويات كافة ومساعدته على مواجهة العبء الكبير الناجم عن الأزمة التي حلت بالبلاد على الصعيد الإنساني والاجتماعي والاقتصادي خاصة في مناطق الإغاثة وإعادة الإعمار فضلاً عن إعادة بناء الاقتصاد الوطني (آخر بلوغ: ٢ آب/أغسطس ٢٠٠٦ http://www.lebanonundersiege.gov.lb/english/F/eNews/NewsArticle.asp?CNewsID=61.

(١) الأول منذ العام ١٩٦٩.

(٢) كريغ كلحون Craig Calhoun, "The Democratic Integration of Europe: Interests, Identity, and the Public Sphere."In: Europe without Borders: Re-Mapping Territory, Citizenship and Identity in a Transnational Age, M. Berezin and M. Schain, eds. Baltimore: Johns Hopkins University Press, 2003, 1. Via the internet at: http://www.ssrc.org/programs/calhoun/publications/europeanpubrevt.pdf, p. 1.

فحزب الله يعي جيداً أن الدائرة الشعبية مفتوحة على إمكانية أن تعيد الأطراف تحديد مصالحها في معرض التواصل العلني وتبدل فهمها للهوية الفردية والجماعية.»[1] من هذا المنطلق، وبما أن حزب الله يتغير بتغير الظروف كاستراتيجيا يعتمدها لبقائه، أكد نصرالله أن القبول بانتشار الجيش في الجنوب ـ الذي يشكل مطلباً إسرائيلياً متكرراً من الحكومة اللبنانية ـ والموافقة على شروط القرار رقم ١٧٠١ «يخدم المصلحة الوطنية بما أن قوة لبنان تكمن في مقاومته ووحدته الوطنية». هذه السياسة تهدف إلى مزيد من الاندماج والانفتاح واللبننة وتعمل على تقديم حزب الله كحركة اجتماعية تقدمية وحزب سياسي أساسي.

تظاهرة حزب الله في ٢٢ أيلول/ سبتمبر بمناسبة «النصر الإلهي»[2]

حضر خطاب نصرالله نواب وأعضاء الحكومة وسياسيون ورجال دين وعدد من الوجهاء العرب، وجمهور بلغ حوالى الـ٨٠٠ ألف مواطن شكلوا درعاً أساسياً ممتازاً، وحالوا دون تنفيذ إسرائيل تهديدها بقتل نصرالله ما إن تسنح لها الفرصة[3]. شدد نصرالله على أن حزب الله سيسلم سلاحه عندما تنسحب إسرائيل من مزارع شبعا وتطلق سراح المعتقلين اللبنانيين وتسلّم خرائط الألغام: «لن نبقي سلاحنا إلى الأبد». انتقد العديد من كوادر الرابع عشر من آذار/ مارس نصرالله[4] مؤكدين أن ما من شيء في القاموس العسكري يدعى «نصراً إلهياً».

بدورها سخرت إسرائيل من «نصر حزب الله الإلهي والتاريخي

(١) المرجع نفسه، ص ٢

(٢) راجع الانتقاد ١١٨١ (٢٣ أيلول ٢٠٠٦)، ١١-١٥ والصحف اللبنانية الأخرى. تجدر الإشارة إلى أن الصفحة الأولى لعدد الانتقاد رقم ١١٧٦ الصادر في ١٨ آب برزت باللون الأحمر في إشارة إلى دماء الشهداء وعلى الجهة اليمنى «النصر الإلهي»، حيث كتبت كلمة «النصر» باللون الأخضر، علامة الإسلام. على الجهة اليسرى، برزت رسالة من خامنئي موجهة إلى نصرالله.

(٣) على الرغم من اتخاذ الحزب تدابير وحفر ملاجئ، كان يكفي للطائرات الإسرائيلية أن تقوم بغارات وهمية حتى تعم الفوضى. خشية من الأسوأ، ألغى الحزب عرضه السنوي في «يوم القدس» خلال آخر يوم جمعة من شهر رمضان.

(٤) بحسب التلاعب اللفظي فإن اسمه يعني «نصر الله».

والاستراتيجي»، مؤكدة أن الحزب يعرض عضلاته بينما نصرالله يختبئ منذ ١٢ تموز/يوليو وسيعود إلى ملجئه بعد الانتهاء من خطابه. بحسب إسرائيل، يأتي هذا الادعاء على لسان شخص اعترف قبل ثلاثة أسابيع أنه لو علم مسبقاً برد إسرائيل المدمر، لما كان اختطف الجنديين الإسرائيليين. اتهمت إسرائيل حزب الله بالتصرف كأداة سورية إيرانية تنفذ سياسات البلدين في الشرق الأوسط.

الثمن السياسي للنصر

بما أن الخيارات «تتحدد بفعل الخيالات الاجتماعية ـ أي العمليات الاجتماعية ـ الثقافية المتماسكة بعض الشيء التي ترسم تفاهم الأطراف لما هو حقيقي ولكيفية فهم كل منها»[١]، فقد طالب حزب الله، كثمن سياسي لنصره، الحصول على الثلث المعطل في مجلس الوزراء. يمكن إنجاز ذلك عبر التحالف مع التيار الوطني الحر الذي حصل على أعلى نسبة للتصويت في انتخابات العام ٢٠٠٥ النيابية[٢]. ولتنفيذ ذلك، طالب حزب الله بتشكيل حكومة وحدة وطنية وبإجراء انتخابات نيابية مبكرة على أساس قانون انتخابي أكثر تمثيلاً يوافق عليه اللبنانيون كلهم ويفضل أن يكون على أساس التمثيل النسبي ويتم اعتماد الدوائر الصغرى، كما أوضح لاحقاً الحاج محمود قماطي[٣]. في الواقع، «فإن المشاركة في الحياة العامة تشكل بحد ذاتها نوعاً من الاندماج أو التضامن الاجتماعي... ليست الأهمية محصورة بالولاء للمؤسسات بل المشاركة في عملية الخلق وإعادة الخلق... (لأن) الخيار الديمقراطي يكمن في الحياة العامة[٤]».

يتطلب هذا الأمر بعض الشروحات. فقد قسم اتفاق الطائف السلطة

---

(١) كلحون، سبق ذكره، ص ٧.

(٢) ٦٧٪ من الناخبين المسيحيين صوتوا للتيار الوطني الحر.

(٣) هو نائب رئيس المجلس السياسي ورئيس لجنة حزب الله للحوار المسيحي- المسلم. صالون السبت، صوت لبنان، ٦ أيار ٢٠٠٧.

(٤) كلحون، سبق ذكره، ص ٨.

السياسية وفق نظام المحاصصة بالتساوي بين المسلمين[١] والمسيحيين في الحكومة كما في البرلمان. وبالتالي فقد قسمت المقاعد الـ ١٢٨ في البرلمان مناصفة بين المسلمين والمسيحيين، كذلك الأمر بالنسبة إلى أعضاء حكومة السنيورة الـ٢٤. وهكذا يحق للشيعة بخمسة وزراء من أصل ٢٤؛ لكن حتى لو استقالوا جميعاً فتستطيع الحكومة الاجتماع واتخاذ القرارات بغالبية الثلثين. لكن هذا حتماً لا يعكس لا قوة حزب الله الشعبية ولا حجم قوته السياسية. بما أن الحزب قرر المشاركة في النظام السياسي كما هو، فلا يمكنه السيطرة عليه وعلى الدائرة الشعبية إلا عبر تحالفات تستند إلى المفاوضات والمساومات وحتى التسويات.

يملك حزب الله[٢] وحلفاؤه في البرلمان ٥٨ نائباً[٣] من أصل ١٢٨ وبالتالي يسيطر على ٤٤٪ من البرلمان ما يعني أنه يحق للمعارضة بقيادة حزب الله بثلاثة عشر وزيراً من أصل حكومة الوحدة الوطنية المقبلة المؤلفة من ٣٠ وزيراً. لكن المعارضة لا تطالب إلا بأحد عشر وزيراً وذلك بهدف الحصول على الثلث المعطل. وهكذا، برز تغير ملحوظ في ميزان القوى لصالح حزب الله بعد تحالفه مع التيار الوطني الحر[٤]. إن استراتيجيا محاولة التلاعب بالدائرة العامة والسيطرة عليها بواسطة اندماجها في النظام السياسي تخدم مشروع الحزب القائم على الأسلمة منذ القواعد وحتى الطبقات العليا. فرئيس الجمهورية إميل

---

(١) يتضمن المسلمين الشيعة والسنة والدروز والعلويين.

(٢) لديه كتلة نيابية من ١٤ نائباً.

(٣) يتألف من أربع كتل كبرى وعدد من المستقلين.

(٤) استفاد حزب الله بشكل طبيعي من التفاهم ومن تحالفه مع التيار الوطني الحر قبل الحرب وخلالها وبعدها. قبل الحرب، عبر إنقاذ لبنان من الانزلاق إلى حرب أهلية بعد اشتباكات ٥ شباط/ فبراير ٢٠٠٦، الأمر الذي عزز صورة حزب الله كحزب سياسي لبناني وطني. خلال الحرب، لم تعد المناطق المسيحية محظورة على مناصري حزب الله حيث لقي النازحون الشيعة معاملة حسنة وحصلوا على المساعدات من أعضاء التيار الوطني الحر (إضافة إلى منظمات غير حكومية إقليمية ودولية أخرى) وهي سابقة من نوعها منذ اندلاع الحرب الأهلية في ١٣ نيسان/ أبريل ١٩٧٥. بعد الحرب، طمح حزب الله إلى الثلث المعطل من خلال تحالفه السياسي.

لحود ورئيس المجلس النيابي نبيه بري يقفان في صفهما (إن لم نقل إن المعارضة بقيادة حزب الله تسيطر نظرياً على الرئاسة والبرلمان). وتالياً فكل ما يحتاجونه للسيطرة على النظام السياسي اللبناني هو الثلث المعطل في مجلس الوزراء الذي إن حصلوا عليه، فذلك يشكل سابقة منذ تأسيس الجمهورية اللبنانية في العام ١٩٢٠ ودستورها الأول في العام ١٩٢٦.

تحذير نصرالله: مقابلة مع قناة المنار (في ٣١ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٦)

بما أن الدائرة العامة هي «الثقافة ـ والهويات ـ تُصنع ويعاد تصنيعها في الحياة العامة... (وبما أنه) لا بد من تحفيز المواطنين عبر التضامن غير الوارد في القانون»[١]، أعطى نصرالله الحكومة مهلة أسبوع واحد بدءاً من الاثنين ٦ تشرين الثاني/ نوفمبر لتشكيل حكومة وحدة وطنية حيث يحصل فيها حزب الله وحلفاؤه على الثلث المعطل، أو تنزل المعارضة بقيادة الحزب إلى الشارع حتى تحقيق الحكومة لمطالبها. تجدر الإشارة إلى مقالة رأي في صحيفة السفير انتقدت نصرالله لعدم ذكره إسرائيل ولا مرة في مقابلته التي امتدت لثلاث ساعات. اتهم مفتي جبل لبنان الشيخ محمد علي الجوزو نصرالله بتغذية الاحتقان السني الشيعي وبتوجيهه اتهامات باطلة لرئيس الوزراء لدرجة تخوينه بشكل غير مباشر. بدوره، قال بيار الجميل ـ وزير الصناعة وابن الرئيس الأسبق أمين الجميل وأحد كوادر حزب الكتائب ـ في ٤ تشرين الثاني/ نوفمبر في إشارة إلى تحذير الحزب: «لن نسمح لأولئك الذين يحددون الحرب والسلم بأن يتحكموا بمصير بناء الدولة»[٢].

محاولات استعادة الحوار تبوء بالفشل

انتهت جلست «مؤتمر المشاورات الوطنية» باستقالة الوزراء الخمسة

---

(١) كلحون، سبق ذكره، ص ٥.

(٢) هذا يذكّر بتأكيد وزير الدفاع اللبناني في ١٩ آب/ أغسطس بأن قرار شن الحرب والسلم يعود للحكومة اللبنانية وحدها.

الشيعة من الحكومة في ١١ تشرين الثاني/نوفمبر، وهو تاريخ رمزي يمثل احتفال حزب الله بيوم الشهيد. بعد أيام عدة، قدم وزير البيئة الأورثوذكسي يعقوب الصراف[١] استقالته أيضاً. لم تؤد استقالة الوزراء الستة إلى انهيار حكومة السنيورة إذ يتعين استقالة ثمانية لحدوث ذلك. في خضم هذه التوترات، جاء اغتيال وزير الصناعة النائب بيار الجميل في ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦. هذا يعني أن استقالة أو اغتيال وزير واحد ستشكل الضربة القاضية لحكومة السنيورة. مذاك الحين، بلغت التوترات أعلى درجاتها فيما سيطر الإخفاق السياسي على الساحة اللبنانية العامة.

حزب الله ينزل إلى الشارع

على الرغم من السوابق الخطرة[٢]، التي أوحت بعدم تمكن أي من الأطراف ضمان أمن الشارع، نزل حزب الله والتيار الوطني الحر وأحزاب أخرى في المعارضة إلى الشارع في ١ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٦ وتحديداً إلى وسط بيروت التجاري ـ فملأوا ساحة الشهداء وساحة رياض الصلح ـ مطالبين بتشكيل حكومة وحدة وطنية تحصل خلالها المعارضة اللبنانية على الثلث المعطل. لام رئيس مجلس الوزراء السنيورة نصرالله قائلاً: «لا تهدر إنجازاتك وانتصاراتك العسكرية على إسرائيل في أزقة بيروت». فشل حزب الله في الوفاء بوعده بانهيار الحكومة سريعاً[٣]. وجه نصرالله دعوته الثانية عبر شاشة عملاقة متوجهاً إلى

---

(١) هو حليف للرئيس لحود.

(٢) قتل الجهاز الأمني في الدولة اللبنانية ١٣ مناصراً لحزب الله- بمن فيهم امرأتان- وجرح ٤٠ بسبب نزولهم إلى الشارع عندما فرضت حكومة الحريري حظراً على التظاهرات في ١٣ أيلول/سبتمبر ١٩٩٣ عندما كان الحزب يتظاهر سلمياً ضد اتفاق أوسلو. في ٢٧ أيار/مايو ٢٠٠٤، عمت التظاهرات في البلاد احتجاجاً على الوضع الاجتماعي الاقتصادي الضاغط. أطلق الجيش اللبناني النار في الضاحية الجنوبية على المتظاهرين فقتل خمسة وجرح عدداً آخر.

(٣) تفاخر بعض كوادر الحزب بإمكان حمل الحكومة على الاستقالة في غضون ٣٣ ساعة؛ فيما أكد آخرون أنها ستستقيل قبل ٣٣ يوماً. أيّ من ذلك لم يحدث.

المتظاهرين: «سنسقط الحكومة اللبنانية كما أسقطنا إسرائيل في حرب الـ٣٤ يوماً»[١]. في الأيام الأولى للاعتصام، حاصر جهاديو الصف الأول في الحزب مقر مجلس الوزراء في وسط بيروت. غير أن اتصالات سرية أدت إلى إنهاء الحصار.

دور الإعلام[٢] في الساحة العامة

نقلاً عن مفهوم دون ستيورت ميل حول «استبداد الغالبية»، وصفت صحفة الانتقاد حكومة السنيورة بالمستبدة، معتبرة أن أغلبيتها ليست سوى مصطنعة. بدوره، رد السنيورة على أن منح المعارضة بقيادة حزب الله الثلث المعطل في الحكومة يؤدي إلى «استبداد الأقلية»[٣]. ولا بد هنا من الإشارة وبحسرة إلى أن الأزمة السياسية بين الطرفين لا تزال تسيطر على الوضع العام منذ إطلاق تظاهرات ١ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٦؛ كما أشار قماطي، فإن «الاعتصام هو دليل معارضة سياسية»[٤]. أجرت الانتقاد بعض التعديلات لتلائم صورة حزب الله الجديدة كقائد للمعارضة اللبنانية. منذ العدد رقم ١١٩٢، أي بعد أسبوع تحديداً من نزول حزب الله إلى الشارع، ظهر على الجانب الأيسر للصحيفة: «لبنان ١ : التحرك الشعبي للوحدة الوطنية». من جهتها وصفت إذاعة النور نفسها «كصوت الوحدة الوطنية»، يتبعها النشيد الوطني ثم أغان لمرسيل خليفة وهو فنان وطني لبناني شعبي مسيحي.

السخرية من قائد حزب الله في برنامج تلفزيوني لبناني: هل يستطيع نصرالله السيطرة على أتباعه ودوائره؟

---

(١) هذا تصريح آخر ذو أبعاد أخلاقية، يضع حزب الله وصيته ومصداقيته على المحك.

(٢) لا تنحصر حرب حزب الله النفسية بأرض المعركة؛ بل يستغل الحزب وسائل إعلامه لهذه الغايات.

(٣) على سبيل المثال، راجع الانتقاد ١١٨٩ (١٧ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٦)، ١-٢ و١١٩١ (١ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٦).

(٤) صالون السبت، صوت لبنان، ٦ أيار/ مايو ٢٠٠٧

عشية ١ حزيران/ يونيو ٢٠٠٦، بثت المؤسسة اللبنانية للإرسال برنامجها السياسي الأسبوعي الساخر «بسمات وطن». عمد أحد الممثلين وهو يرتدي عمامة السيد نصرالله إلى السخرية منه كقائد سياسي وليس كقائد ديني. على الرغم من ذلك، نزلت دوائر الحزب إلى الشارع وهم يردّدون دعوه الإمام الحسين في كربلاء «هيهات منا الذلة»، وبنيتهم التوجه إلى قلب المنطقة المسيحية لإحراق القناة التلفزيونية. وهم في طريقهم، قاموا ببعض أعمال الشغب في المناطق السنية والمسيحية حيث كادوا أن يشتبكوا مع شباب هذه المناطق. بعد فشل نواب حزب الله وكوادره في السيطرة على الجموع، دعا نصرالله في سابقة من نوعها عبر وسائل إعلام حزب الله المتظاهرين إلى العودة إلى منازلهم. على الرغم من تلبيتهم النداء بشكل مباشر، إلا أن أحداث الشغب هذه لطخت صورة الحزب كمناصر لحرية التعبير والخطاب الحر.

كما وقع حادث ثان عشية مجزرة قانا في تموز/ يوليو ٢٠٠٦ عندما اجتاح مناصرون للحزب فقدوا أقرباء لهم في المجزرة مبنى الأمم المتحدة في وسط بيروت. حاول نواب الحزب ردعهم بلا جدوى. لسوء الحظ لم يتمكن نصرالله من التكلم إلى أنصاره مباشرة إذ كان متخفّياً[١]. لماذا لا ينجح سلوك الحزب؟ لماذا تخرج الجموع عن السيطرة؟

الحادث الثالث وقع في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٦ خلال ذكرى اغتيال بيار الجميل، عندما سخر متظاهرو الرابع عشر من آذار/ مارس من إيديولوجيا حزب الله الدينية والسياسية ومن قادته على حد سواء. بثت قناة المنار الصور التي أدت إلى نزول أنصار الحزب إلى الشارع وإقفال طريق المطار. لم يتمكن الجيش من إعادة فتح الطريق، لكن دعوة واحدة من نصرالله كانت كفيلة ذلك: «أجل، لقد تم إذلالنا، لكن حان الوقت لإخلاء الشوارع مباشرة وعدم الاشتباك مع قوى الأمن»، وهكذا كان. يرد الحادث الرابع أدناه[٢].

---

(١) لزم الأمر خمس ساعات لتقديم الخطاب وبثه.

(٢) الحادث الخامس: خلال خطاب نصرالله في الذكرى السابعة للتحرير في ٢٥ أيار/ مايو ٢٠٠٧، =

تسويات حزب الله الاجتماعية الدينية

إضافة إلى تسوياته السابقة حول العقائد، مثل موافقة نواب حزب الله على قانون يتناول الدعارة والميسر (الكازينو) وشرب الكحول، إلخ[1]، شهدت معتقدات حزب الله الاجتماعية الدينية بعض المرونة. فقد اتُّهِم الحزب بالاختلاط والاعتصام في الخيم لتحقيق مكاسب سياسية محددة. سعى كوادر الحزب إلى رفض هذه الادعاءات عبر التأكيد أن الحزب يدعم القيم الأخلاقية والإسلامية فيما قد يقوم أفراد آخرون من المعارضة بارتكاب مثل هذه الأفعال، لكن بالتأكيد هم ليسوا أعضاء في حزب الله. على الرغم من محاولته رد هذه التهم، بدا كوادر حزب الله عاجزين عن الكلام عندما طلب منهم التعليق على صور تظهر أعضاء من الحزب يعانقون أفراداً من التيار الوطني الحر وهم يشربون الشامبانيا في يوم رأس السنة. حدث ذلك بينما كان البطريرك الماروني يدين اختلاط الجنسين في الخيم. والأهم من ذلك، كان رسم تلفزيون المستقبل، التابع للحريري الساخر عشية عيد الميلاد: ميلاد مجيد، لكن في أي خيمة؟ في إشارة إلى أن الشباب ينامون في الخيم.

شعبية حزب الله

حتى قبل اندلاع حوادث العنف الأهلي في لبنان في ٦ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٧، قام مسح أجرته قناة العربية باختبار شعبية حزب الله. أظهرت النتائج أن

= دعا مناصريه لعدم إطلاق الرصاص في الهواء احتفالاً بالذكرى بعد انتهاء خطابه، لكنهم فعلوا العكس تماماً. تكرر الأمر نفسه بعد خطابات نصرالله الثلاثة بمناسبة النصر في ٢٨ تموز/ يوليو و٣ و١٤ آب/ أغسطس احتفالاً بالذكرى الأولى لحرب لبنان الثانية. (تجدر الإشارة إلى أنه بعد اجتماع بين نصرالله وفضل الله، أصدر فضل الله فتوى تحرم استخدام الذخيرة الحية والمفرقعات خلال الاحتفالات إذ قد تؤدي الحوادث الخطيرة إلى وقوع ضحايا إضافة إلى إزعاج العامة. وقد تزامن ذلك مع فرض حماس الحظر على هذه الممارسات والاشتباك وتوقيف أعضاء من الجهاد الإسلامي الذين لم يلتزموا بذلك).

(١) راجع الآغا (٢٠٠٦) ١٦١-١٦٥.

شعبية حزب الله تدنت من ٧٤٪ إلى ٥٤٪[(١)]؛ حمل ٥٣٪ مسؤولية الحرب لحزب الله وإيران وسوريا؛ فيما اعتبر ٥١٪ أن تظاهرات المعارضة بقيادة حزب الله تؤدي إلى زيادة التوتر الطائفي (الخلاف السني الشيعي). مع أنه لا يمكن الوثوق بشكل مطلق بهذه الأرقام، إلا أنها تسلط الضوء على الوضع القائم. على سبيل المثال، في مصر خلال الحرب وبعدها كانت أعلام حزب الله وصور نصرالله مرفوعة أينما كان، لكن بعد محاولات الحزب لإسقاط حكومة السنيورة، تراجعت إشارات الدعم هذه إن لم نقل اختفت. قد يوحي ذلك أنه عندما يتمحور الأمر حول النزاع السني الشيعي، تنسى الأطراف التزاماتها بالقومية والإسلامية والعروبة وتسعى وراء مصالحها الطائفية الضيقة.

الانزلاق نحو الحرب الأهلية:

أحداث الشغب في ٢٣ و٢٥ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٧: فتوى نصرالله

في ٢٣ كانون الثاني/يناير، بعد مضي ٥٣ يوماً على الاعتصامات والتظاهرات في وسط بيروت، شلّت المعارضة بقيادة حزب الله البلاد بإضراب عام ترافق مع قطع الطرق الرئيسة وإحراق الإطارات إلخ. قتل ثلاثة أشخاص فيما أصيب حوالى ١٥٠ بجروح[(٢)]. ولم تكن هذه النهاية. فبعد يومين، وخلال التحضير لمؤتمر باريس ٣[(٣)]، اندلعت مواجهة سنية شيعية في الطريق الجديدة، وهي منطقة ذات أغلبية سنية في بيروت. قتل إثر الاشتباكات أربعة أشخاص (٣

(١) يبدو أن موقف الشارع المصري يتلاءم مع حكومته بعد أن تعارض معه خلال دعمه حزب الله في فترة الحرب عبر مظاهرات شعبية حمل خلالها الأعلام واليافطات والشعارات.

(٢) تحديداً في المواجهات العنيفة بين المسيحيين المناصرين للحكومة والمعارضة المسيحية في المناطق المسيحية شرق بيروت وشمالها (قتل عضو في القوات اللبنانية). كما اندلعت مواجهات عنيفة بين المناصرين السنة للحكومة والعلويين أدت إلى مقتل اثنين من السنة. تجدر الإشارة إلى أن إضراباً مماثلاً حصل في ٦ أيار/ مايو ١٩٩٨ أدى إلى انهيار حكومة كرامي.

(٣) فيما كان الدين العام قد وصل إلى ١٨٠٪ من إجمالي الناتج المحلي، تلقى لبنان تعهدات بقروض تبلغ ٦,٧ مليار دولار ومليار دولار آخر كهبات من ٣٣ دولة ومنظمة دولية.

من حزب الله وواحد من حركة أمل) فيما جرح ٣٠٠ بمن فيهم ١٣ جندياً لبنانياً، ٤ منهم من الضباط وتم توقيف ٢١٦. برزت مشاهد خطيرة تعيد إلى الذاكرة الحرب اللبنانية: القنص والأسلحة الأوتوماتيكية والفوضى وحرق السيارات وتدمير الملكيات، إلخ. كانت حرب شوارع بحق. في خطوة هي الأولى من نوعها، أصدر نصرالله فتوى[1] يدعو فيها مناصريه ـ واللبنانيين أجمعين ـ إلى إخلاء الشوارع على الفور: «من منطلق الواجب الوطني والأخلاقي والديني والشرعي... أدعوكم للتعاون مع التدابير التي يتخذها الجيش اللبناني لضمان السلم والاستقرار... هذه الفتوى هي في مصلحة بلدنا وسلمه الأهلي والتعايش السلمي... نصرّ على استخدام الوسائل المدنية والديمقراطية والسياسية للتعبير عن اختلافاتنا السياسية، وإن أي لجوء للسلاح من أي حزب كان يعتبر خيانة»[2]. أطلق نبيه بري وسعد الحريري نداءات مماثلة. فرض الجيش اللبناني حظراً للتجول من الساعة الثامنة والنصف مساءً وحتى الساعة السادسة صباحاً، في إجراء هو الأول من نوعه منذ أيار/مايو ١٩٧٣ قبل اندلاع الحرب اللبنانية. أضاف نصرالله في وقت لاحق: «حتى لو قتل ١٠٠٠ شخص تابع لحزب الله، لن ننجر للفتنة أو نلجأ إلى استخدام سلاحنا داخلياً»[3]. بعد هذه المواجهات الدامية، وصف حزب الله حكومة السنيورة بـ«حكومة الميليشيا المسلحة»[4]. لا شك أن الحرب الأهلية، إذا ما اندلعت، ستؤدي إلى الدمار الكلي للبنان إذ ـ

---

(١) الانتقاد ١١٩٩ (٢٦ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٧).

(٢) كانت هذه أول فتوى لنصرالله في الدائرة العامة. من المهم التذكير أن النابلسي وليس نصرالله هو من شرّع على أسس دينية مشاركة حزب الله في الحكومة وأصدر فتوى تحرم على أي شيعي الالتحاق بحكومة السنيورة في غياب الوزراء الخمسة.

(٣) في استعادة لحديث نبوي شريف، كتبت صحيفة السفير في مقالة الرأي الافتتاحية «لعن الله الفتنة ومن يوقظها»، راجع السفير ١٠٦١١ (٢٦ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٧).

(٤) في إشارة إلى لون الدم، وضعت صحيفة الانتقاد على صفحتها الأساسية خريطة لبنان محاطة باللون الأحمر فيما برز الشعار باللون الأصفر، لون حزب الله «حكومة الميليشيا تواجه جمهورية المعارضة»، وعنوان فرعي بالأسود يرمز إلى لون الموت «حكمة المعارضة وتحركات الجيش اللبناني التكتيكية تردع الفتنة» الانتقاد ١١٩٩ (٢٦ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٦).

بعكس حرب العام ١٩٧٥ ـ ١٩٩٠ حيث كان المسيحيون يقاتلون المسلمين والعكس ـ فإن المعسكرين (٨ آذار و١٤ آذار) يتضمنان أعضاء من مختلف الانتماءات الدينية والطائفية.

المعارضة الشيعية المتحالفة مع قوى ١٤ آذار

مؤشرات جمهور مفتوح أو جمهور حر؟

يبدو أن حزب الله لا يسيطر بشكل مطلق على الدائرة الشيعية، إذ لا يكبت أو يخفت الأصوات المنشقة مثل السيد هاني فحص[١] (مفكر شيعي) أو السيد علي الأمين (مفتي صور وجبل عامل) والشيخ محمد الحاج حسن[٢] (رئيس التيار الشيعي الحر)، والشيخ يوسف كنج والشيخ صبحي الطفيلي. ما هو حجم هذه القوى على الأرض وهل لديهم أتباع؟

السيد علي الأمين[٣] الذي يتحدر من عائلة علماء دين نافذين[٤] هو أحد أبرز الشخصيات في جبل عامل[٥]، معقل الشيعة في لبنان. والأهم من ذلك، عندما توفي رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى[٦] العلامة محمد مهدي شمس الدين، كان الأمين مرشحاً جدياً لخلافته. غير أن حزب الله اعترض عليه متهماً إياه، كما فعل مع بري، بالانشقاق عن نهج الإمام موسى الصدر. عكّر

---

(١) السيد هاني فحص هو عضو في المجلس التشريعي التابع للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان وعضو مؤسس للفريق العربي للحوار الإسلامي- المسيحي واللجنة الدائمة للحوار اللبناني.

(٢) في ١٥ نيسان/ أبريل ٢٠٠٧، اتهم نصرالله بمنعه من عقد مؤتمر صحافي في قريته شمسطار في البقاع. كما ادعى أن حزب الله أراد التخلص منه عبر تغذية نزاعات عائلية يقع ضحيتها.

(٣) انتقد باستمرار «مغامرة حزب الله غير المحسوبة».

(٤) على سبيل المثال، ينهي ابن الأمين البكر دراسة في قم التي تمتد على ١١ عاماً كي يصبح مجتهداً. أما ابن عمه محمد حسن الأمين، فهو قاضي شرع في مدينة صيدا؛ ونسيبه يعد أيضاً منتدى، إلخ.

(٥) تشكل عائلتا الأمين وشرف الدين الركيزتين الأساسيتين في جبل عامل

(٦) من العام ١٩٩٤ وحتى وفاته في العام ٢٠٠١. راجع و /http://www.shiitecouncil.com.

هذا الحادث العلاقات بين حزب الله والأمين. على الرغم من أن فضل الله لا يزال على اتصال بحزب الله ويلتقي أحياناً بنصرالله، إلا أنه يبدو أن الأمين وفضل الله على الموجة نفسها، لكن بما أن كلاهما سيدان ويتمتعان بنفوذ قوي ولهما أتباع، فلا يتحدان معاً. لذا يعود الأمر إلى مسألة النزاع حول السلطة. من يملك نفوذاً أكبر وعدداً أكثر من الأتباع؟ إلى من يعود الخمس[١]؟

السيد هاني فحص عضو في المؤسسة الشيعية، الهيكلية الهرم التي تمسك بمعظم المجتمع الشيعي المؤلف من دوائر حزب الله وأمل بشكل أوسع. على الرغم من تصديه للتكليف الشرعي الذي يتبعه حزب الله، إلا أنه لا يقف إلى جانب ١٤ آذار/مارس ولا يظهر في أحداث عامة معارضة لحزب الله.

ثمة تقارير غير مؤكدة تدعي أن الشيخ يوسف كنج[٢] تتلمذ على يد الشيخ عفيف النابلسي لكنه انشق عنه وأسس منتداه الخاص. عندما قال له النابلسي إنه يحتاج إلى إجازة في الاجتهاد، أجاب كنج: «أنا من يتعين عليه إعطاؤك إجازة».

أما المرتد الشيخ صبحي الطفيلي فيؤكد أن حزب الله يحمي الحدود الإسرائيلية عبر منع المجموعات الجهادية من مهاجمة إسرائيل، ويتهم إيران بخدمة المصالح الأميركية. في آخر مقابلة متلفزة له في ٢٧ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٧، أدان الطفيلي بشدة قيادة حزب الله متهماً نصرالله بتنفيذ سياسات الخامنئي في لبنان[٣]. تجدر الإشارة إلى أن الطفيلي هو الوحيد الذي يملك أتباعاً مسلحين ويسيطر على العديد من البلدات في البقاع التي لا يمكن لأجهزة الأمن اللبنانية دخولها. وهكذا، نجح حزب الله في السيطرة على التمثيل الشيعي في لبنان[٤].

---

(١) تجدر الإشارة إلى أنه كلما زاد عدد أتباع المرجع، كلما ازدادت قوته، مادياً ودينياً.

(٢) يرتدي عمامة كبيرة تميزه.

(٣) فاخر خامنئي بأنه سيجعل لبنان ساحة لهزم الولايات المتحدة وإسرائيل وإذلالهما.

(٤) في ١٣ تموز/يوليو ٢٠٠٧، أسس أحمد الأسعد ابن رئيس المجلس النيابي الأسبق كامل الأسعد مجموعة شيعية معارضة لحزب الله عرفت باسم «تيار لبنان الكفاءات».

خطاب نصرالله في عيد الفصح: (٨ نيسان/ أبريل ٢٠٠٧[(١)])

متوجهاً إلى ١٧٣٤ متخرجاً جامعياً من أعضاء حزب الله، شدد نصرالله على أن الحزب حركة حيوية وقابلة للحياة ولا تزال في ريعان شبابها: «لم نهزم يوماً ولن نهزم أبداً... نحن حزب حيّ... لقد استطعنا أن نبقى أحياء لأكثر من ربع قرن ونحن هنا لنبقى؛ فالمستقبل لنا»[(٢)]. لقد درجت العادة لديه على عدم الإتيان على ذكر إسرائيل في خطابته؛ عوضاً عن ذلك، ركز هجومه على حكومة السنيورة[(٣)] «حكومة فلتمان»[(٤)] كما سماها مراراً مديناً الوصاية الأجنبية[(٥)]. أعطى نصرالله موقف الحزب الرسمي من المحكمة الدولية قائلاً إن الحزب لن يقدم تحفظاته سوى لحكومة وحدة وطنية وليس للأمم المتحدة أو لأي سمسار آخر. غير أن ذلك يتعارض وإجماع الأطراف كلها بما فيها حزب الله حول المحكمة خلال الجلسة الأولى للحوار الوطني في آذار/ مارس ٢٠٠٦. ويبدو أن الحزب تراجع عن موقفه السابق.

تماشياً مع نصرالله، قال نعيم قاسم في ٢٠ نيسان/أبريل ٢٠٠٧ إن حزب الله لا يشكل مقاومة عسكرية لتحرير بضعة أمتار من الأراضي، بل هو حركة اعتراضية سياسية ثقافية شعبية ضد الوصاية الأجنبية والسيطرة الأميركية الإسرائيلية على ما يعرف بالشرق الأوسط الجديد؛ لذا فإن حزب الله موجود ليبقى[(٦)].

---

(١) الانتقاد ١٤٢٨ (١٣ نيسان ٢٠٠٧)، ١٠-١٤.

(٢) من وجهة نظر شعبية، قد يكون نصرالله على حق. شدد على فكرة إعادة الولادة وليس إحياء ذكرى المولد النبوي؛ لذا انتظر حتى عيد الفصح. لم يكن التشابه بين عادة ولادة حزب بعد سنوات من النضال واللاهوت المسيحي حول القيامة عرضياً.

(٣) تشير معظم وسائل الإعلام الأميركية إليها على أنها «حكومة السنيورة الموالية لأميركا».

(٤) جيفري فيلتمان هو السفير الأميركي في لبنان.

(٥) اعترف الدكتور داود الصايغ، وهو مساعد سياسي عتيق لدى رئيس الوزراء الراحل رفيق الحريري وابنه سعد، أن الدول تملك مصالح لكنه رفض استخدام لفظة «الوصاية الأجنبية» مفضلاً «الاهتمام الخارجي». ولتأكيد أقواله، ذكر زيارة رئيس الوزراء الإسباني خوسيه لويس رودريغيز ثاباتيرو والإيطالي رومانو برودي دعماً للمرشحة الفرنسية للانتخابات الرئاسية سيغولين رويال ضد نيكولا ساركوزي، وزيارة فلاديمير بوتين دعماً لجيرهارد شرودير ضد أنجيلا ميركل.

(٦) السفير ٢١ نيسان/ أبريل ٢٠٠٧.

متوجهاً إلى المعارضة بقيادة حزب الله اقترح السنيورة حلاً لوضع حد للأزمة. يتنازل أمام مطالب المعارضة بحيث يعطيها مقعدين إضافيين (١٣ من أصل ٣٠)[١] مقابل الاتفاق على برنامج سياسي مشترك على أساس النقاط السبع، وتطبيق القرارات المتخذة في جلسات الحوار الوطني، والأهم من ذلك التطبيق الكامل لقرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١. على الرغم من موافقة رئيس المجلس النيابي قائد حركة أمل نبيه بري، إلا أن حزب الله رفض العرض لأنه يقود من دون شك إلى نزع سلاحه. غير أن الحزب لم يظهر الأمر بهذه الطريقة؛ بل أكد أنه غير مستعد للمشاركة في حكومة يرأسها السنيورة الذي تحمّله المعارضة مسؤولية الأزمة الاقتصادية منذ أن كان وزيراً للمالية على مر ١٢ عاماً في حكومات الحريري السابقة. يبدو أن مبادرة السنيورة لم تلق آذاناً صاغية لها[٢]. لسوء الحظ، بعد «حرب لبنان الثانية»، وفي معرض محاولته للسيطرة على الرأي العام، فشل قادة الحزب وكوادره ومفكروه في قراءة وجهات النظر الأخرى والاستماع إليها.

التغيير في الاستراتيجيا السياسية

بما أن «أفكار الشرعية العصرية تستند إلى المفهوم القائم على (ضرورة) خدمة حكومة أو سلطة سياسية مصالح شعبها»[٣]، وبما أن حزب الله يهدف إلى مضاعفة المصالح الإجمالية، فقد تراجع حزب الله في ٥ أيار/مايو ٢٠٠٧ عن موافقته السابقة على النقاط السبع. وقد أكد عضو المجلس السياسي في حزب الله ومسؤول العلاقات العامة السيد نواف الموسوي ووزير الطاقة محمد فنيش

---

(١) الذي يعكس كما سبق ذكره قاعدة القوة في البرلمان.

(٢) أكد أحد المعلقين السياسيين أن مبدأ الممارسة يظهر أن السنيورة رجل دولة أكثر منه جابياً للضرائب.

(٣) كلحون، سبق ذكره، ص ١٠.

على أن الحزب لم يوافق على النقاط السبع «التي كانت أوامر كوندوليزا رايس إلى السنيورة»، كما قال الموسوي[1]. في اليوم نفسه، أكد نصرالله على أقوال الموسوي وفنيش[2]. غير أن ذلك لا ينطبق ومحاضر مجلس الوزراء وإعلانات نصرالله السابقة[3] التي دعم خلالها النقاط السبع التي بدورها حظيت بدعم برّي. بعد يومين، وصف السنيورة حزب الله «بالقامعين» هل كان هدف حزب الله الأولي من هذا الاندماج التدريجي في الساحة اللبنانية ممارسة السلطة عبر السيطرة عليها بالكامل؟

شد الحبال

قال[4] الصحافي في صحيفة الأخبار اليومية[5] نقولا ناصيف إن ثمة ثلاث نقاط اتصال أساسية في عملية شد الحبال بين حكومة السنيورة والمعارضة بقيادة حزب الله: المحكمة الدولية[6] وحكومة الوحدة الوطنية[7] والرئاسة. يعتبر ناصيف أن حزب الله قد خسر النقطتين الأولى والثانية فيما يبقى مصير الثالثة غير محدد المعالم. تساءل ما الذي سيحصل بمصداقية حزب الله وأتباعه مع هذه «الهزائم». ما يثبت تحليل ناصيف انتقال خطاب الأطراف كلها إلى مسألة

---

(١) الصحف اللبنانية في اليوم التالي وبشكل خاص النهار، العدد ٢٢٩٩٤.

(٢) خلال برنامج حواري مع قناة العالم الإيرانية في ٥ أيار/ مايو ٢٠٠٧.

(٣) على سبيل المثال، في ٩ آب/ أغسطس ٢٠٠٦، ظهر نصرالله على المحطات التلفزيونية اللبنانية موافقاً بشكل صريح على النقاط السبع.

(٤) صحيفة الأخبار اليومية أقرب إلى حزب الله من صحيفة السفير الناصرية في مقاربتها بشكل عام.

(٥) في برنامج نهاركم سعيد الصباحي على المؤسسة اللبنانية للإرسال في ٢٧ نيسان/ أبريل ٢٠٠٧.

(٦) في ٣٠ أيار/ مايو ٢٠٠٧، أسس قرار مجلس الأمن رقم ١٧٥٧ تحت البند السابع المحكمة الدولية التي تنظر في اغتيال الحريري حيث تدخل حيز التنفيذ في ١٠ حزيران/ يونيو. صوتت ١٠ دول مع القرار فيما امتنعت خمس وهي روسيا والصين وجنوب أفريقيا وأندونيسيا وقطر.

(٧) في الذكرى التاسعة والعشرين لغياب الإمام موسى الصدر، تخلت مبادرة الرئيس بري عن مطلب المعارضة بقيادة حزب الله بتشكيل حكومة وحدة وطنية حتى «قبل نصف ساعة من الانتخابات الرئاسية»، وأخرت مثل هذا المطلب حتى انتخاب رئيس جديد، كما كانت قوى الرابع عشر من آذار تطالب مراراً (راجع الصحف اللبنانية الصادرة في ١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٧).

الرئاسة التي سيطرت على الجو العام. نصح قاسم بانتخاب الرئيس[1] بأكثرية ثلثي المجلس النيابي وليس بالنصف زائداً واحد كما كانت تؤكد قوى ١٤ آذار. بدوره، اقترح عون تعديل الدستور مرة واحدة حتى يتم انتخاب الرئيس مباشرة من الشعب. في الواقع، ثمة ميزة أساسية للدائرة العامة وهي أنها «تُخلَق عبر الخطابات. . . فالدائرة العامة موجودة حصراً للكلام وعبره وفيه»[2].

وبما أنه يمكن رسم الدائرة العامة «عبر النضال ضد تنظيم الآخرين المسيطر»[3]، يحاول كل حزب التلاعب بالدستور وتفسيره بما يخدم مصالحه. فتبدو معادلة النتيجة الصفر أو تصريح رئيس الوزراء الراحل صائب سلام حول الـ«لا غالب ولا مغلوب» صعبة التحقيق. ومع أنه لا يبدو منطقياً أن يغرق لبنان في حرب أهلية في القريب العاجل، إلا أن الدولة ليست متحصنة ضد الفتنة[4] ولا سيما بعد اغتيال نائبين من ١٤ آذار[5] والحرب التي اندلعت في ٢٠ أيار/ مايو ٢٠٠٧ بين مقاتلي فتح الإسلام والجيش اللبناني في مخيم نهر البارد للاجئين الفلسطينيين القريب من طرابلس ومحيطها[6].

---

(١) بما أن رئاسة الرئيس الحالي لحود تنتهي في ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٧، فيتعين على البرلمان انتخاب رئيس جديد بين ٢٤ أيلول/ سبتمبر و٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر.

(٢) كلحون، سبق ذكره، ص ١٣.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٤.

(٤) على الرغم من أن الحزب لا يعمل على أساس المضاربات، إلا أن هذا لا يعني أن الحزب لا يملك إجراءات بديلة وخططاً استباقية واضحة.

(٥) اغتيل النائب وليد عيدو في ١٣ حزيران/ يونيو ٢٠٠٦ في انفجار سيارة في بيروت الغربية، في الشطر المسلم من العاصمة اللبنانية. في ١٩ أيلول/ سبتمبر، مزق انفجار كبير الشطر الشرقي من بيروت حيث اغتيل النائب عن حزب الكتائب أنطوان غانم. أدان حزب الله العمليتين بقوة. كما هي الحال مع الاغتيالات الستة السابقة ذات الدوافع السياسية التي استهدفت كلها سياسيين معادين لسوريا، أشارت قوى ١٤ آذار بأصابع الاتهام إلى النظام السوري.

(٦) مزقت أربعة تفجيرات أخرى مميتة والقضاء على أربع خلايا إرهابية وتوقيف العديد السلم الهش الذي يشهده لبنان. بحسب وزارة الدفاع اللبنانية، بعد أن سحق الجيش اللبناني مقاتلي فتح الإسلام في ٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٧ وحرر مخيم نهر البارد، قتل ١٥٠ مقاتلاً على الأقل، فيما تم توقيف ٣٠٠. في المقابل، قتل ١٧٠ جندياً لبنانياً وجرح أكثر من ١٠٠٠، كما قتل ٤٢ مدنياً لبنانياً بمن فيهم أولئك الذين قتلوا نتيجة صواريخ الميليشيا على البلدات المجاورة لمخيم نهر البارد.

في خطبة يوم الجمعة التي ألقاها في ١٧ آب/أغسطس، حذر آية الله فضل الله من أن الأزمة السياسية حادة لدرجة أن المسألة لم تعد حول مستقبل لبنان بل حول وجوده. كرر البطريرك الماروني المخاوف نفسها في عظة يوم الأحد في ١٩ آب/أغسطس[١]. أما والد النائب الراحل جبران التويني، السياسي المحنك والصحافي النائب غسان التويني الذي يبلغ الثمانين من عمره، فقد وصف حرب الستة عشر عاماً الأهلية بحرب الميليشيات لحساب الآخرين، بدل أن تكون حرب الآخرين كما يوحي عنوان كتابه: حرب للآخرين[٢]. في هذا الصدد، اعتبر السيد فضل الله أن لبنان قد أصبح ساحة معركة للصراعات الإقليمية والدولية حولته إلى مجرد قطع شطرنج[٣]. مع التنبه إلى أن الرئيس اللبناني منذ العام ١٩٧٦ يأتي نتاج تسوية بين الولايات المتحدة وسوريا فهل إن الواقع يثبت صحة أقوال التويني؟

آفاق مستقبلية

على الرغم من انقسام لبنان إلى معسكرين بعد اغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري في شباط/فبراير ٢٠٠٥، إلا أن المعارضة بقيادة حزب الله قد ثبتت وضعها بعد تحالفها مع التيار الوطني الحر. غير أن حرب تموز/يوليو ٢٠٠٦ زادت من حدة الانقسام بين المعسكرين: المعارضة بقيادة حزب الله من جهة (٨ آذار) والحكومة اللبنانية ومناصروها (١٤ آذار) من جهة أخرى. لم تشكل حرب الـ٣٤ يوماً أي تهديد وجودي على حزب الله؛ إذ يبدو أن الحزب كان مستعداً لها. بعد سنة من «حرب لبنان الثانية»، لم يُعِدْ حزب الله بناء ترسانته وحسب، وفق وزير الدفاع الإسرائيلي إيهود باراك، بل اكتسب المزيد

(١) على الرغم من تشديد البطريرك على ضرورة انتخاب الرئيس بغالبية الثلثين في البرلمان (كما تؤكد المعارضة)، إلا أنه حذر من أن مقاطعة الجلسة النيابية لانتخاب الرئيس تساوي مقاطعة لبنان.

(٢) حرب للآخرين، توطئة دومينيك شوفالييه، باريس: جان كلود لاتيس، ١٩٨٥.

(٣) السفير، العدد ١٠٨٧٦ (٢٩ آب/أغسطس ٢٠٠٧).

من القدرات والقوة أكثر من أي وقت مضى. لقد بنى حزب الله معظم تحصيناته المحكمة لمجموعات الصواريخ البعيدة المدى التي حصل عليها مؤخراً شمال خط الليطاني كي لا يدخل في مواجهة مع المجتمع الدولي لخرقه القرار ١٧٠١ . وينجح الحزب في ربط دوائره الأساسية في الجنوب والبقاع عبر شراء الأراضي والبلدات بأكملها، جاعلاً منها مناطق عسكرية محظورة. لكن من نهر الليطاني وحتى الحدود الإسرائيلية، يبقى مقاتلو حزب الله متخفّين وسلاحهم خارج الأنظار لكن ليس صعب المنال. حذر نصرالله إسرائيل من أنها لو حاولت مهاجمة لبنان مجدداً، فلن يتردد الحزب في استخدام الأسلحة غير التقليدية لاستهداف أي موقع في إسرائيل. فالوضع بالغ الهشاشة؛ إنه يشبه البركان الذي قد ينفجر في أي لحظة: حتى بعد مضي عام على الحرب، ما من وقف إطلاق نار، بل «وقف الاعتداءات»، بدءاً من ٢٤ آب/أغسطس ٢٠٠٧ ـ قرار مجلس الأمن رقم ١٧٧٣ ـ الذي مدد لقوات الطوارئ الدولية حتى ٣١ آب/أغسطس ٢٠٠٨ ـ أعاد تكرار ما حققه القرار رقم ١٧٠١ الصادر قبل عام. وهكذا، فإن وقف الاعتداءات لم يترافق مع حل سياسي شامل أو تسوية للنزاع.

بدل الدعوة إلى إقامة دولة إسلامية أو تشكيل «دولة ضمن الدولة» كتعويض سياسي لنصره الإلهي في حرب تموز/يوليو ٢٠٠٦ مع إسرائيل، أدار حزب الله جهاده نحو الداخل في الساحة السياسية اللبنانية، مستغلاً انتصاره عبر سعيه للفوز بحصة تساوي على الأقل قوته الشعبية من خلال الاستحواذ على الثلث المعطل في أي حكومة وحدة وطنية مستقبلية. فالحزب يحاول كسب الوقت حتى تدور الدفة لصالحه. لقد كان الحزب صبوراً لأكثر من سنة لإحداث التغيير[١]. فهل ينتظر سنة أخرى حتى موعد الانتخابات النيابية، كما قال السيد نصرالله في إحدى خطاباته أو يقوم بالتغيير على الأرض؟ يبدو أن الواقع يرجح كفة الوضع الأخير.

---

(١) في ١ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٧ احتفلت المعارضة بقيادة حزب الله بالذكرى الأولى للاعتصام في وسط بيروت عبر تجمع رمزي.

شكل سعي حزب الله للحصول على السلطة حجر الأساس لمرحلة جديدة عمل خلالها على السيطرة على الدائرة العامة والساحة السياسية الوطنية. تحت شعار المشاركة وإعادة إنتاج السلطة، وبعد ١٨ شهراً من جمود سياسي مسيطر، قام حزب الله بفرض التغيير بالقوة على الأرض، عبر فوزه بحق النقض الذي طال انتظاره في الحكومة اللبنانية. غير أن الحكومة، وفي ظل جو مشحون سياسياً، قررت مواجهة حزب الله للمرة الأولى منذ الطائف. بعد اجتماع مطول في السادس من أيار/ مايو امتد إلى ساعات الصباح الأولى، وصف مجلس الوزراء شبكة الاتصالات التابعة لحزب الله بأنها «اعتداء على سيادة الدولة والمال العام». وأكدت الحكومة أنها ستجلب إلى العدالة كافة الذين شاركوا أو تورطوا في تمديد هذه الشبكة، الأمر الذي يهدد بإصدار مذكرة توقيف بحق السيد نصرالله. كما أقالت الحكومة مسؤول جهاز أمن المطار المقرب من حزب الله وحركة أمل والذي يعمل في هذا المنصب منذ العام ٢٠٠٠ العميد في الجيش وفيق شقير، متهمة إياه بنشر كاميرات في المدرج رقم ١٧ من مطار بيروت الدولي لمراقبة المسافرين. استغل حزب الله إضراباً عاماً دعت إليه الاتحادات العمالية في ٧ أيار/ مايو والقرارين الحكوميين الآنف ذكرهما كذريعة ليجتاح ويحتل بالقوة العسكرية ليل ٨ ـ ٩ أيار/ مايو غرب بيروت حيث تقع معظم الوزارات الحكومية. في ١٢ أيار/ مايو، تمكن حزب الله من السيطرة على منطقة الشوف. نجح الحزب في الحصول على اتفاق «إجماع صامت» مع الجيش اللبناني يقضي بعدم تدخل الجيش في الأزمة. وبما أن ٦٠٪ من الجيش على الأقل الذي يتألف من ١٨ طائفة هم من الشيعة، فإن توريط الجيش في ما يجري يؤدي من دون شك إلى تفككه كما حصل خلال الحرب الأهلية اللبنانية. شنت المعارضة بقيادة حزب الله حملة عصيان مدني فقطعت الطرق الأساسية والشرايين الحيوية للاقتصاد اللبناني مثل المطار ومرفأ بيروت. وفي مشاهد تذكر

بالحرب الأهلية، اندلعت الاشتباكات بين الفصائل المتناحرة مخلفة أكثر من ٦٥ قتيلاً[١] بمن فيهما ١٦ مقاتلاً لحزب الله باعتراف أمينه العام[٢]. وفي تطور هو الأول من نوعه ـ لم يحدث خلال احتلال إسرائيل لغرب بيروت في العام ١٩٨٢ لـ١٤ يوماً ـ سطا حزب الله على وسائل الإعلام التي تدعم الحكومة فانقض على تلفزيون المستقبل وإذاعة الشرق وصحيفتي المستقبل واللواء ومجلة الشراع الأسبوعية، حيث هددها بالقضاء عليها بالكامل إذا استعادت بثها أو نشرها. في الواقع، تم نهب مبنى تلفزيون المستقبل القديم وإحراقه بالإضافة إلى تدمير العديد من هوائيات التلفزيون والراديو التابعة لتلفزيون المستقبل وإذاعة الشرق. تواصلت هذه الحالة حتى ١٤ أيار/مايو، عندما سلم حزب الله وسائل الإعلام المذكورة إلى الجيش. لكن على الرغم من إدانة تلفزيون المنار ورئيس لجنة الإعلام النيابية النائب حسن فضل الله ما جرى، إلا أن ذلك لم يغير من الضرر الذي أحدثته أفعال حزب الله حيث لطخت صورته كمناصر لحرية الرأي والتعبير.

مع قدوم وفد الجامعة العربية في ١٤ أيار/مايو، ألغت الحكومة قراريها كما طالب نصرالله في مؤتمره الصحافي في ٨ أيار/مايو، مفسحة في المجال أمام وضع حد للأزمة. تم إسكات السلاح بشكل كلي في ١٥ أيار/مايو بعد أن تمكن الوفد الوزاري العربي من انتزاع اتفاق من الفصائل المتحاربة. نص «إعلان بيروت» على سفر ممثلي الطوائف إلى الدوحة في قطر لحضور جلسات الحوار، بهدف التوصل إلى اتفاق نهائي للأزمة التي تمتد منذ ١٨ شهراً. بعد خمسة أيام من المفاوضات المكثفة، حصل حزب الله على حق النقض أو الفيتو الذي طال انتظاره في الحكومة. وقد تعزز ذلك في الاتفاق السياسي في ٢١

---

(١) وأيضاً أكثر من ٢٠٠ جريح بحسب تقديرات وكالة الصحافة الفرنسية، فيما أشارت وكالة رويترز إلى ٨٠ قتيلاً.

(٢) راجع خطاب السيد حسن نصرالله في ٢٦ أيار/مايو ٢٠٠٨.

أيار/مايو الذي عرف باسم «اتفاق الدوحة» بين قوى ٨ و١٤ آذار، برعاية الجامعة العربية، حيث مُنح حزب الله الثلث المعطل في حكومة الوحدة الوطنية المقبلة التي ستؤلف من ٣٠ وزيراً، حيث ينال حزب الله وحلفاؤه ١١ وزيراً مقابل ١٦ لقوى الرابع عشر من آذار/مارس وثلاثة وزراء للرئيس. أنهى حزب الله اعتصامه في وسط بيروت التجاري وفكك خيمه بعد ٥٣٧ يوماً. وقد سر الحزب لأداء الجيش وقائده العماد ميشال سليمان الذي يشغل منصبه منذ العام ١٩٩٨. لذلك، وبعد ستة أشهر من الفراغ في سدة الرئاسة، وهي سابقة في تاريخ السياسة اللبنانية، تم انتخاب الرئيس سليمان بالإجماع في ٢٥ أيار/مايو حيث حصل على ١١٨ صوتاً نيابياً من أصل ١٢٧[١]. في اليوم التالي، احتفل حزب الله بالعيد الثامن لشبه الانسحاب الإسرائيلي الكامل من لبنان من خلال خطاب ناري ألقاه أمينه العام السيد نصرالله الذي شدد على التزام حزب الله بالطائف وتطبيقه اتفاق الدوحة حرفياً.

على الرغم من تولّي رئيس الوزراء السنيورة الذي يمقته حزب الله رئاسة الحكومة الجديدة، إلا أن صيغة الـ«لا غالب ولا مغلوب» بين قوى ١٤ آذار/مارس و٨ آذار/مارس لم تتحقق كما أكد الأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى؛ بل حصل حزب الله بالقوة [٢] على الثلث المعطل الذي كان ينتظره في مجلس الوزراء، الهيئة التنفيذية التي تدير البلاد. بما أن الحكومة تنازلت لحزب الله وتراجعت عن قراريها السابقين ـ مع أنها كانت متصلبة في البداية ـ إلا أنه يبدو أن حزب الله قد حاز على رصيد سياسي من انقلابه وحملة عصيانه المدني أكثر مما حاز عليه من حزب تموز/يوليو ٢٠٠٦، بمعنى أنه يستطيع من الآن وصاعداً الاعتراض على القرارات الحكومية التي تنعكس بشكل سلبي على دوائره أو التي يراها لا تناسب مصالحه واستراتيجيته وسياسته. فهل يشكل اتفاق الدوحة محطة لانطلاقة جديدة لاتفاق الدوحة، حيث يحظى الشيعة في لبنان بمزيد من السلطة

(١) لم يتم ملء المقعد الشاغر باستشهاد النائب أنطوان غانم.
(٢) راجع افتتاحية الأخبار، ٥٢٤ (١٥ أيار/مايو ٢٠٠٨).

خاصة بعد أن دعا نائب المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى المفتي قبلان إلى تأسيس موقع نائب رئيس شيعي، الأمر الذي يناقض كلياً الدستور اللبناني؟ وهكذا، نجح حزب الله في ممارسة سطوته على الدائرة العامة اللبنانية والنظام السياسي من خلال عملية انطلقت من أعلى الهرم إلى أسفله حيث انخرط في اللعبة السياسية من خلال تحالفات ولا سيما مع التيار الوطني الحر ومع أعضاء آخرين في المعارضة اللبنانية، طالما تناسب هذه التحالفات أهدافه وتخدم سياساته، حتى ينصاع النظام السياسي له أو ينجح في التغلغل فيه بشكل كامل. [69]

الفصل الثاني

بروز إيديولوجيا حزب الله الدينية

(١٩٧٨ ـ ١٩٨٤/٨٥)

مقدمة

يقدم هذا الفصل مكوِّنات الإيديولوجيا الدينية الشيعية التي تشكل خلفية إيديولوجيا حزب الله الدينية. تبرز مكوِّنات إيديولوجيا حزب الله الدينية كالتالي: أولاً، الإيمان بالإسلام الشيعي[١]؛ ثانياً ولاية الفقيه؛ ثالثاً الجهاد في سبيل الله[٢]. تقدم الفقرة I عرضاً للعقائد الشيعية التقليدية أو أسس الإيمان الشيعي وتطوره التاريخي الأساسي، بهدف تحديد الخطوط التي يتبعها حزب الله إلى وجهات النظر المستقبلية؛ تناقش الفقرة II توسيع الإمام الخميني للإيديولوجيا الدينية الشيعية؛ أما الفقرة III فتلخص مساهمة آية الله السيد فضل الله المحتملة في إيديولوجيا حزب الله وتفكيره؛ الفقرة IV تسلِّط الضوء على قبول حزب الله وخياراته وتطبيقه للإرث الذي يشير إلى ما يتوجب على حزب الله التركيز عليه.

---

(١) يعني بالشيعة الشيعة الإثني عشرية الذين في أبسط الإحصاءات يشكلون حالياً حوالى ١٦٪ من المسلمين في العالم الإسلامي. غير أن البعض يؤكد أنهم يشكلون بين ١٠ و ١٥٪. غراهام فولر ورِيند رحيم فرانك، الشيعة العرب: المسلمون المنسيون. نيويورك: ١٢، ١٩٩٩، St Martin's Press.

(٢) راجع الفقرة الأولى من الرسالة المفتوحة ونعيم قاسم، حزب الله: النمهج، التجربة، المستقبل. بيروت: دار الهادي، ٢٠٠٢، ٢٥-٧٨. نعيم قاسم نائب الأمين العام الحالي لحزب الله هو المفكر الأساسي وواضع إيديولوجيا حزب الله السياسية.

تُستَتبَع هذه الفقرات بملخص للمكونات الأساسية لإيديولوجيا حزب الله الدينية.

I الإيديولوجيا الدينية الشيعية التأسيسية الأساسية

١ . الإيمان بالإسلام الشيعي

تقليدياً ثمة اثنا عشر مذهباً شيعياً ـ بالإضافة إلى إيمانهم بـ (١)الإمامة كشرط أساسي للإيمان ـ تؤمن أيضاً بضرورة ممارسة (٢) التقية بصفتها السكون لحماية النفس و(٣) التعبئة في مرحلة لاحقة بصفتها ممارسة ناشطة للدفاع عن النفس. تقدّم هذه المبادئ الثلاثة لمحة عن الإيديولوجيا الدينية الشيعية الأساسية. [70]

الإمامة

تشكّل أركان الإسلام الخمسة ما يلي: الشهادتين(١) والصلاة والصوم والحج والزكاة. إلى هذه يضيف الشيعة الإثنا عشر الخمس(٢) والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. بالتوازي مع الأركان، يؤمن الشيعة الإثنا عشر بأصول الدين الذي يتألف من: التوحيد والنبوّة والإمامة والعدل والمعاد(٣). تشكّل الإمامة أبرز علامة للإسلام الشيعي حيث تنص على أن الخصال الأساسية والأولية والكافية للإمامة تُختَصَر بثلاثة مبادئ تشكل جوهر العقيدة الثيوقراطية الشيعية: أولاً تسلسل الأئمة من الإمام علي إلى الإمام المهدي؛ ثانياً العصمة؛ وثالثاً استمرارية أو أبدية الإمامة.

---

(١) شهادة أن لا إله إلا الله ومحمد رسول الله.

(٢) الخمس: ضريبة دينية تتناول ٢٠٪ من فائض مدخول الشخص.

(٣) محمد جواد مغنية، الشيعة والحاكمون. بيروت: المكتبة الأهلية، ١٩٦٦؛ الشيخ محمد مهدي شمس الدين، نظام الحكم والإدارة في الإسلام. الطبعة السابعة. بيروت: المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ٢٠٠٠، ١٠٥؛ ٣٨٢. راجع أيضاً موجان مومين، مدخل إلى الإسلام الشيعي: تاريخ وعقائد الشيعة الاثني عشرية. نيو هافين: An introduction do Shi'I Islam: The history and Doctrines of Twelver Shi'ism. New Haven: Yale University Press, 1985, 175-180.

تسلسل الأئمة

يؤمن الشيعة أن الله أمر النبي (ص) اختيار علي ولياً له واختياره وولده الحسن والحسين أئمة وصولاً إلى الإمام الثاني عشر؛ وهكذا، يكون النبي (ص) قد سمّى الأئمة الأحد عشر الذين يخلفون الإمام علي في الإمامة[1]. وبالتالي، انطلاقاً من هذه النقطة، يعين الأئمة دائماً خلفهم. غير أن الإمام علي وهو أول إمام، وافق على تحكيم معاوية لإنقاذ الإسلام من النزاع الداخلي أو الأهلي. بعد مقتل الإمام علي في كانون الثاني/ يناير من العام ٦٦١ أصبح معاوية خليفة[2].

بحسب العقيدة الشيعية، فإن تسلسل الأئمة يحدده النص وحده. والنص إشارة إلى التعيين المحدد الذي يقوم به الإمام السابق للإمام الخلف. بحسب التقليد الشيعي، فإن النص ورد في القرآن في سورة النساء، الآية ٥٨: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾[3]. وهكذا فإن الإمامة تعني أن الأئمة يخلفون بعضهم بعضاً حصرياً داخل أهل بيت الرسول. يُطلق على المبدأ الأول تعرفة إمامة النص أو «الاستخلاف بالنص والتعيين». مورِست إمامة النص للمرة الأولى عندما منح الله نبيه هذا اللقب. وفي خط مشابه، لا بد من تحديد الإمامة بعد النبي عبر التعيين بغية تحديد خلفه[4]. بحسب الإمام السادس جعفر الصادق، فإن كل إمام على علم مسبق بالإمام الذي سيخلفه. لهذا السبب يعينه وفق النص[5]. وهكذا يُمزَج النص مع العلم، وهي ميزة

---

(١) سعيد أمير أرجمند Said Amir Arjoumand, "Political Theory and Practice" in: Seyyed Hossein Nasr, Hamid Dabashi, and Seyyed Vali Reza Nasr (eds.), Expectation of the Millennium: Shi'ism in History. New York: State Univeristy of New York Press, 1989, 110ff.

(٢) محمد حسنين هيكل/ مدافع آية الله: قصة إيران والثورة. القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٢، ١٠٥-١٠٨.

(٣) شمس الدين، سبق ذكره، ص. ١٠٥-١٣٦.

(٤) السيد حسين جفري، Husain M. Jafri, Origins and Early Development of Shi'a Islam. London: Longman Group Ltd., 1979, 290.

(٥) مومين، سبق ذكره، ص. ١٥٤.

إضافية أو خصلة للإمام. من شروط العلم أن يكون الإمام الأكثر تعلماً في كل فروع المعرفة الدينية (العلم المحيط أو الإحاطة في العلم) وأن ينقل معرفته الدينية الخاصة إلى خلفه[١].

وبما أن الله ورسوله وأهل البيت هم وحدهم الذين يعرفون الحقيقة المطلقة في الإسلام[٢]، فإن الإمام بصفته معيناً من الله بواسطة نبيه بما أنه الأكثر إحاطة بالعلم، فهو وحده المكلَّف والقادر على التأويل الذي يرتدي أهمية كبرى ويشكِّل المصدر الأساسي للشريعة. كالمعتزلة والمذاهب الباطنية الأخرى، فإن أئمة الإثني عشرية يعتبرون القرآن قد خُلِق في وقت محدد، كلمة الله المخلوقة وبالتالي فإنه مفتوح أمام الشرح المجازي[٣]. وهكذا، بالنسبة للشيعة، فإن الدين ولا سيما القرآن يرتدي إلى جانب معناه الخارجي الظاهر معنى باطنياً لا يمكن بلوغه أو معرفته سوى بواسطة الاتصال الروحي بالإمام المهدي[٤]. على هذه الأسس، يؤمن الشيعة أن الأئمة الاثني عشر يولدون مزودين بالمعرفة الظاهرة والباطنة للقرآن والحديث. يكمن الاختلاف مع السنة في أن هؤلاء يعتبرون القرآن والحديث حصراً المصادر الأساسية للشريعة، فيما يعتبر الشيعة أن الدين لا يمكن جعله كاملاً من دون مواصلة البحث الظاهري (القرآن والحديث) والباطني (الإمام). من هذا المنطلق فإن الفرق عن السنة أن الإيمان في الإسلام لا يُكشَف للمرء مرة واحدة في النص القرآني؛ بل هو عملية متواصلة بانتظار تسلسل الأئمة المتتالين. وهكذا فإن الإمام، بصفته الموصى له وحارس الشريعة ومصدر ثقة لشرح وفهم المعنيين الظاهري والباطني للقرآن والحديث، فهو من دون شك الأكثر معرفة في المسائل الدينية. والإمام هو حجة الله عند البشر حيث يتوجب على كل شيعي إطاعته الملزمة.

---

(١) جفري، سبق ذكره، ص. ٢٩١.

(٢) عنايات، سبق ذكره، ص. ٢٢.

(٣) جفري، سبق ذكره، ص. ٣١٢.

(٤) جايمس ويلسون موريس، James Wilson Morris, "Taqiyah", in: Mircea Eliade (ed.), The Encyclopedia of Religion, Vol. VII. (New York: Macmillan Publishing Co., 1987), 317.

في الواقع يعتبر الشيعة الإمامة استخلافاً بالنص وتعييناً أو تعيين الخلف أو نائبه بواسطة تعيين إلهي، بعكس السنة الذين يعتبرون الخلافة نتيجة إجماع وبالتالي عملية سياسية أي الاستخلاف بالشورى والبيعة. يتّبع الشيعة الأحاديث التالية: «لا يجتمع أئمتي على ضلالة،» «الإسلام هو حصن الأئمة الاثني عشر،» فيما يتبع السنة الحديث التالي: «لا تجتمع أمتي على ضلالة»[١].

العصمة

المبدأ الثاني هو عصمة الأنبياء والأئمة، حيث إن الله وحده لديه معرفة مسبقة بها. وبالتالي فإن مصدر هذه العصمة عن الأخطاء والخطايا هو النور الإلهي، الذي يقود بدوره إلى الحكمة[٢]. فالأئمة الشيعة، حراس الشريعة، الذين يُعتبرون كاملين ولا يعانون من أي عيب هم لا يخطئون وطاهرون من أي تدنيس؛ هم لا يرتكبون الخطايا أكانت كبيرة أم صغيرة. بحسب الأحاديث الشيعية، فإن ذلك مثبت في القرآن (السورة ٣٣؛ الآية ٣٣)[٣]. وقد تم تفسير هذه الآية بما يشير إلى عصمة النبي وفاطمة الزهراء والأئمة الاثني عشر. وقد ورد ذلك في الحديث المنقول عن النبي وأبرزه: «إنني وعلي والحسن والحسين وتسعة من ذرية الحسين طاهرون ومعصومون»[٤]. علاوة على ذلك، فإن العصمة تتضمن كمال الأئمة وعدم ارتكابهم أيّ خطايا. وكما يؤكد الإمام جعفر الصادق «فإن المعصوم عن الخطأ هو الذي يمنعه الله من القيام بأي شيء حرمه الله. فقد قال الله تعالى: «فمن يتمسك بالله يرشده إلى الصراط المستقيم»[٥].

---

(١) شمس الدين، سبق ذكره، ص. ٣٨٠-٣٨٢.

(٢) مومين، سبق ذكره، ص. ١٤٨-٤٩؛ ١٥١.

(٣) أرثور أربيري، Arthur J. Arberry, ed., The Koran Interpreted. Oxford: Oxford University Press, 1964, 430؛ شمس الدين، سبق ذكره، ص. ٢٦٣.

(٤) مومين، سبق ذكره، ص. ١٥٥.

(٥) محمد جمال باروت، الحركة الإسلامية الراهنة، بيروت: دار رياض الريس، ١٩٩٤، ص. ٤٩-٥٨.

١ . ١ . ٣ أبدية الإمامة

المبدأ الثالث هو أبدية الإمامة أو أزليتها ولا سيما ضرورة وجود إمام بشكل دائم. وهكذا فإن الأرض لا تترك من دون إمام حيّ هو الهادي وحجة الله. تنص نظرية الإمامة على ضرورة الوجود الدائم لإمام حي لإرشاد الإنسانية. وقد جعلته الغيبة بعيداً عن السياسات من دون المس بمبدأ الأبدية. وضع جعفر الصادق الإمام فوق الحاكم الذي يتعين عليه الالتزام بأوامر الإمام الدينية بما أنه السلطة الدينية الأعلى[١].

وهنا تبرز ضرورة التعرف إلى الإمام الحي. أكد الشيخ الصدوق أو ابن بابويه[٢] (٣٠٦/٩١٨ ـ ٣٨١/٩٩١) أن الأجر هو للإيمان بالإمام والتعرف عليه. من جهته، شدد الإمام جعفر الصادق على أن الله يحضر الأرضية لموت أحد الأنبياء بعد أن يطلب منه أن يعين خلفاً له من ذريته. . . لذا يتعين على الشيعة الاعتراف دوماً بإمامهم وإطاعته كواجب ديني. وبالتالي، فإن وجود الإمام هو نعمة لازمة. في الواقع، يتعين على كل شيعي التعرف على إمام زمانه وطاعته. ولو توفي من دون التعرف إلى إمامه ـ حتى لو تعرف إلى الأئمة السابقين ـ فمصيره اللعنة الأبدية، والإدانة والموت ميتة جاهلية. وبالتالي، لا يستطيع الشيعي الصعود إلى الجنة من دون التعرف إلى الإمام الحي[٣].

لقد شكل التعرف إلى الإمام عملية معقدة للمجتمع الشيعي بعد اختفاء الإمام الثاني عشر، المهدي، بعمر سبع سنوات، فبدأت الغيبة الصغرى في العام ٨٧٤ الميلادي. مع هذا الحدث، انتهت ذرية الأئمة الاثني عشر. وقد أبقى الإمام المهدي تواصله مع الشيعة للسنوات الـ٦٧ التالية من خلال أربعة سفراء أو

---

(١) ابن بابويه القمي هو كاتب من لا يحضره الفقيه، إحدى مجموعات الأحاديث الأربعة لدى الشيعة.

(٢) راجع المقالة تحت عنوان «العقدة الشيعية وزمن الانتقال إلى الأيديولوجيات الطائفية»، بيروت: مراسل الأنباء، ٢٦-٢٧ كانون الأول ١٩٨٠.

(٣) محمد الصدر، «تاريخ الغيبة الكبرى»، في موسوعة الإمام المهدي. مجلد ٢. بيرزت: دار التعاون، ١٩٩٢، ص. ٣٢٤-٣٤١.

نواب خاصين معينين بشكل مباشر. في العام ٩٤١م، قبل أيام قليلة من وفاة النائب الرابع، يُعتقَد أن الإمام المهدي أعلن نهاية الغيبة الصغرى، قاطعاً اتصاله بالشيعة ومعلناً بدء الغيبة الكبرى[١]. لم يتم تعيين أي نواب في الغيبة الكبرى كسفراء بين الإمام المهدي والشيعة، بل تغير نمط تمثيل الإمام المهدي إلى نائب عام من قبل مجتهدين رفيعي المستوى نزاهتهم ليست محلّ تساؤل ولديهم رؤيا حول الأمور الدينية والدنيوية. وهكذا، فإن الشيعة بانتظار عودة الإمام المهدي الذي سيؤسس العدالة والسلام على الأرض عبر إرساء نظام إسلامي مثالي[٢].

في نهاية القرن الثامن عشر[٣]، أصبح المجتهد القائد مرادفاً للفقيه أو مرجع التقليد الذي يعتبر أعلى سلطة إسلامية شرعية يتعين تقليدها، أو توافق غالبية الشيعة على تقليدها في شؤون الممارسة الدينية والقانونية إذ يُنظر إليه على أنه الأكثر معرفة[٤].

١.١.٣.١ تطوير المرجعية

تميز التاريخ الشيعي بتعددية المرجعيات التي سيطرت على المعرفة الدينية وإرشادها وكثرتها. برزت المرجعية كنتيجة للصراع بين مدرستي الإخباري والأصولي في الفقه، وهو صراع رقد لعقود ولم ينته إلا قبل قرون قليلة لمصلحة الأصولي الذي شدد على حق العلماء بالاجتهاد وتقليد المجتهدين الأحياء، وهي ممارسات يعارضها بشدة متّبعو النهج الأخباري. وقد اشتهرت المرجعية لدى الشيعة كقوة حقيقية في المجتمع منذ المرحلة الصفوية. في الواقع، لقد

---

(١) محمد الصدر، «تاريخ الغيبة الكبرى»، في موسوعة الإمام المهدي. مجلد ٢. بيرزت: دار التعاون، ١٩٩٢، ص. ١٩ ـ ٤٥.

(٢) راجع مساهمة البهبهاني (١٧٠٦-١٧٩٢) في ولاية الفقيه في الفقرة ٢,١,٢ من «المسح التاريخي للعقيدة».

(٣) هيكل. سبق ذكره، ص. ١٢٩ وما يتبع.

(٤) استناداً إلى اختصاص المجتهد ومستوى خبرته، استخدم الشيعة عقيدة التباعد بهدف اتباع أكثر المجتهدين معرفة في النطاق الذي يسعون للمشورة فيه.

كانت المعرفة الدينية لعقود تشكل الصلاحية الوحيدة لمؤسسة المرجعية التي أسست ونشرت هذه المعرفة الدينية للشيعة المؤمنين، وراكمت عبر هذه العملية المعرفة الدينية وحولتها إلى شرعية دينية. بما أن السلطة المرجع تقاس بأتباعها، فلقد كانت العلاقة بينهم وبين شعبهم علاقة متداخلة، حيث يساند الشعب مادياً عبر دفعهم الحقوق الشرعية من زكاة وخمس إلى مؤسسة المرجعية التي تمنحهم بدورها سلطة دينية يقلدونها. وبما أن هرمية المرجعية تقاس بحجم أتباعها وغناهم، ولا تحدَّد حصراً بمواصفات دينية أكاديمية، فإن اتّباع مرجعية معينة لا يمنحها الشرعية الدينية وحسب بل يعطيها إيديولوجيا دينية محددة لشعبها. في المبدأ، يتبع الشيعة المرجع الذي يشعرون بالاطمئنان[١] تجاهه[٢].

١.١.٣.٢. مراحل الاجتهاد الذي يقود إلى المرجعية

يتعين على الشخص الذي ينوي أن يصبح مرجعاً أو مقلَّداً إنجاز بعض المتطلبات العلمية كي ينال درجة المرجع. في الأساس، يجدر به أي ينجز ثلاثة مستويات: المقدمات والسطوح والبحث الخارج. في المقدمات، يقضي الطالب بين ثلاث إلى خمس سنوات يتعلم القواعد واللغة والمنطق[٣]. في السطوح، يدرس الطالب الفقه والقانون الوضعي[٤]. يقضي الطالب بين ثلاث إلى ست سنوات في هذه المرحلة، حيث يستطيع اختيار أستاذه الذي ينصحه

---

(١) عبدالله النفيسي، «دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث». بيروت: النهار، ١٩٨٦، ص. ٣٠-٨٦؛ جويس. ن. ويلي، «الحركة الإسلامية لشيعة العراق». لندن: Lynne Rienner Publishers, 1992, 121-122; Juan Cole, Sacred Space and Holy War: The Politics, Culture and History of Shi'ite Islam. London: I.B.Tauris, 2002, 58-77; راجع أيضاً آراء في المرجعية الشيعية، بيروت: دار الروضة، ١٩٩٤، خاصة ص. ٤٨١-٥٠١.

(٢) شبلي الملاط، The Renewal of Islamic Law: Muhammad Baqer as-Sadr, Najaf and the Shi'i International. Cambridge: Cambridge University Press, 1993, 39-40.

(٣) علي أحمد البهادلي، الحوزة العلمية في النجف: معالمها وحركتها الإصلاحية (١٩٢٠-١٩٨٠). بيروت؛ دار الزهراء، ١٩٩٣، ٢٧٤. (تجدر الإشارة إلى أن أياً من قادة حزب الله لم يدرس في قم بل تخرجوا كلهم من النجف).

(٤) راجع ما سبق، ص. ١٩٤-١٩٥؛ ٢٧٠-٢٧٥.

ببعض الكتب والمراجع ليدرسها تحضيراً لممارسة الاجتهاد. أما البحث الخارج فهو المرحلة الثالثة والأخيرة من الدراسة الدينية حيث يشارك الطالب المتخرج بقوة في النقاشات المستمرة التي تدور في المنتديات الدينية. تجدر الإشارة إلى أن هذه المرحلة تشكل مرحلة بحث خارج المنهاج، إذ ما من كتب محددة يدرسها الطالب؛ بل يعلمه الأستاذ من كتاباته الخاصة التي ترتكز على معرفته. بعد إنجاز هذه المعايير، يحصل الطالب على لقب المجتهد. إشارة إلى أن المجتهد لا يصبح مرجعاً[١] إلا بعد نشره الفتاوى التي أصدرها.

تكمن وظيفة المرجع الأساسية في توجيه أولئك الذين يتبعون تعاليمه ولا سيما في ما يتعلق بمسألتين: الأولى تطبيق أحكام الشريعة كفروع الدين وثانياً الأحكام في ما يتعلق بمشاكل الحياة العصرية. نظرياً، لا علاقة لتقليد المرجع أو اتّباعه بأصول الدين التي تنشأ من الإيمان واليقين. فمن واجب المجتهد الذي أصبح مرجعاً أن يعلن القرارات الفقهية ويكتب كتاباً أو أكثر كرسالة عملية لتوجيه أتباعه. ولا يعتبر مرجعاً أكبر أو آية الله إلا بعد نشره رسالته العملية[٢].

١.١.٣.٣ اختيار المرجع

تشكل عملية اختيار المرجع إحدى أكثر المسائل الحادة النقاش في تاريخ الشيعة. فلم تجد حلاً لها بعد. إذ، بكل بساطة، ما من وسيلة واضحة معتمدة لاختيار المرجع. تتأثر عملية اختيار المرجع، أي تقرير من هو الأكثر معرفة بين المجتهدين، بعوامل عدة مثل الاعتبارات السياسية والاجتماعية وحتى الجغرافية. ثمة إشكالية أخرى تتعلق بالإثنية؛ على سبيل المثال، كونه عربياً أو فارسياً، أو كونه تخرج من النجف العراقي أو من قم الإيرانية، إذ إن هذين المنتديين الدينيين يتنافسان بحدة حول قيادة المجتمع الشيعي. غالباً ما يتم

---

(١) راجع ما سبق، ص. ٢٠١-٢١٤.

(٢) فؤاد إبراهيم، الفقيه والدولة: الفكر السياسي الشيعي. بيروت: دار الكنوز الأدبية، ١٩٩٨، راجع أيضاً آراء في المرجعية الشيعية، سبق ذكره.

«تسويق» الشخص الذي ينوي أن يصبح مرجعاً والذي يكون مجتهداً عبر مجموعة ضيقة تشكل محيطه ـ أي أتباعه أو أقاربه. تتم ترقيته لجذب المزيد من الأتباع الذين يقلدون سلطته الدينية وبالتالي يسددون الخمس له. على الرغم من أن المنتدى الديني لم يقدم وسيلة واضحة لاختيار المرجع، إلا أن عاملين بالغي الأهمية قد برزا في هذا الصدد. أولاً، عدد الأتباع وقربهم منه، وثانياً عدد المجتهدين الذين يحضرون خطبه. ثمة عامل ثالث أقل بروزاً لا بد من أخذه بعين الاعتبار وهو رسالته العملية ومنشوراته. لدى تطبيق الشروط الآنف ذكرها، يحظى المرجع بالصيت الكبير (شيخ) الذي يخوله الالتحاق بنادي المرجعيات الكبرى الذين يملكون القرار في تكليفه بذلك[١].

التقية كممارسة ساكنة

التقية هي عملية الكتمان والتخفي الوقائي أو المناسب أو الديني لقناعات الشخص أو معتقداته. وقد مارس الشيعة التقية لدى مواجهتهم مخاطر كبيرة لم يكن بوسعهم القضاء أو الانتصار عليها[٢]. تم اعتماد هذه الممارسة عندما كان الفكرة الشيعية لا تزال حركة خفية صغيرة تناضل لمواجهة الغالبية السنية التي كانت تسيطر على الشؤون السياسية. وهكذا، أصبحت التقية جزءاً لا يتجزأ من العقيدة الشيعية[٣] لدرجة أنها أصبحت أحد معالمها الأولية بامتياز[٤]. [76]

١.٢.١ تشريع التقية وتبريرها

١.١.٢.١ القرآن

يرتكز تشريع التقية على القرآن والحديث. فالوصية القرآنية التي تقول

---

(١) العلامة الطبطبائي، «التقية»، في: Seyyed Hossein Nasr, Hamid Dabashi, and Seyyed Vali Reza Nasr, (eds), Shi'ism: Doctrines, Though, and Spirituality. New York: State University of New York Press, 1988, 204-205.

(٢) موريس/ «التقية»، سبق ذكره، ص. ٣١٧.

(٣) عنايات، سبق ذكره، ١٧٦؛ جفري، سبق ذكره، ص. ٣٠٠.

(٤) عنايات، سبق ذكره، ص. ١٧٩-١٨٠.

بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تشكل نوعاً من التقية[1]. كما تبرز التقية في الآيات القرآنية مثل الآية ٢٧ من سورة آل عمران والآية ١٠٥ من سورة النحل والآية ٢٧ من سورة غافر.

الآية ٢٧ من سورة آل عمران: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ بالتالي، فإن الله يمنع بشدة أي نوع من العلاقات الحميمة مع غير المؤمنين. لذا، يتعين على المؤمن أن يلتزم الحذر لإبعاد الخطر وتفادي أيّ علاقة قد تعرض حياته للخطر من دون أي ضرورة لذلك[2].

الآية ١٠٥ من سورة النحل: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[3]. تقدم هذه الآية الدليل على تسامح النبي محمد (ص) الإلهي وتخليصه وتطهيره من إثم عمار بن ياسر، أحد رفاق الرسول الذي أجبر تحت تهديد السيوف على إنكار إيمانه بالإسلام وقبول عبادة آلهة قريش. قام عمار بذلك صورياً؛ غير أنه بقي مسلماً مؤمناً، الأمر الذي يفسر لما أكرمه الرسول (ص).

الآية ٢٧ من سورة غافر: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ تقدم هذه الآية قصة رجل تقي تساءل بينما كان يخفي إيمانه عن النفع من قتل رجل لمصلحة الدين[4].

---

(١) R. Strothmann, «Takiya», in: M.TH Houtsma et al. (eds). The Encyclopedia of Islam. Vol IV. (London: Luzac and Co., 1934), 628.

(٢) الطبطبائي، سبق ذكره، ص. ٢٠٥.

(٣) مومين، سبق ذكره، ص. ١٨٣.

(٤) عنايات، سبق ذكره، ص. ١٧٦.

١ . ٢ . ١ . ٢ الحديث

ثمة أحاديث عدة منسوبة إلى الإمام علي وأئمة آخرين مثل الإمام الحسن والإمام الباقر ولا سيما الإمام جعفر الصادق، تجيز التقية وتشدد على دورها الحيوي كجزء أساسي من الدين والتقوى الحقيقية[١]. قال الإمام علي: «علامة الإيمان أن تفضل العدالة إذا كانت تؤذيك واللاعدالة إذا كانت تفيدك؛» «من يجزه الله بينكم هو الأكثر خشية من الله؛» أي الذي يستخدم التقية و«التقية هي جهادنا»[٢]. [77]

من جهته أكد الإمام جعفر الصادق أن التقية مورست من قبل يوسف وإبراهيم[٣]. وشدد عليها بصفتها العلامة المميزة للإيمان الشيعي: «من لا يمارس التقية لا دين له»[٤]. كما أكد الصادق أن الشخص الذي يفضح التقية وإخفاء الإيمان الشيعي هو الشخص الذي يرفضهم[٥].

إضافة إلى تشريع ممارسة التقية وتبريرها في القرآن والحديث، يحتوي كل فقه شيعي عبر التاريخ على تبرير للتقية أو يشير إلى مبادئها. شدد ابن بابويه على أن الذي يتخلى عن ممارسة التقية قبل ظهور الإمام المهدي يعتبر مرتداً ومخالفاً لله ورسوله وأئمته. وهكذا فإن التقية واجب ديني مفروض على كل شيعي يتبع الأئمة الاثني عشر[٦].

في ممارستهم التقية، يخضع الشيعة لمبادئ الممارسة وأسلوب الحياة كما يشير إليها الأئمة، وتحديداً جعفر الصادق. وقد اعتبر الشيعة غياب الإمام الثاني

---

(١) راجع أيضاً القرآن الكريم، السورة ٤٩: الآية ١٣؛ موريس، في المرجع المذكور آنفاً، ص.٣٣٧.
(٢) ستروتمن، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٦٢٨.
(٣) جفري، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٩٩.
(٤) عنايات، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٧٦.
(٥) جفري، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٩٨.
(٦) عنايات، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٧٥-١٧٧.

عشر التقية النموذجية[١]. لذا مارسوا التقية متبعين نموذج أئمتهم في السكون السياسي لتفادي ملاحقتهم وقمعهم، محاولين تكييف أدوارهم مع مختلف الأنظمة السياسية. لدى ممارستهم التقية، لم يشارك الشيعة، ولا سيما العلماء منهم بشكل خاص، في السياسة مفضلين ممارسة الدين والمراقبة. باختصار، لقد أدت ملاحقة الشيعة كأقلية دينية إلى لجوئهم إلى التقية وهي ممارسة ساكنة خفية في الحالات التي تهدد حياتهم. لا تتضمن التقية إخفاء القناعات وحسب، بل إخفاء حق الفرد بممارسة السياسة أيضاً. في الواقع، قيدت التقية الشيعة في السكون السياسي بحيث منحتهم القواعد العقائدية لنزع صفة السياسة عن الطائفة[٢].

١ . ٣ التعبئة كممارسة ناشطة واستشهاد الإمام الحسين

تشكل التعبئة ممارسة عسكرية في المذاهب الشيعية كما في باقي المذاهب المسلمة على الرغم من أن تطبيقها يختلف بين مختلف المذاهب بحسب خلفياتها الإيديولوجية. في حالة الشيعة الخاصة، تحدد التعبئة على أنها فعل ثورة وسعي الشيعة ـ الذين يقلدون ثورة الإمام الحسين ـ لإرساء حكم الله أو الشريعة الإسلامية، بمعنى آخر النظام الإسلامي[٣]. تستند مقاربة التعبئة إلى سابقة تاريخية كبرى. [78]

---

(١) ستروتمن، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٦٢٨.

(٢) مومن، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٨٣.

(٣) تحوّل «الرابط بين التقيّة الإلهية وولادة نظام عالمي إسلامي إلى ميزة بارزة في الخطاب الإيديولوجي الإسلامي منذ البداية تقريباً. وبالتالي، فإن التركيز الديني الأساسي على إرساء نظام عادل وقيادة عادلة يمكنها إنشاء هذا النظام والحفاظ عليه، يوجّه النظرة العالمية للمسلمين عموماً والشيعة منهم على وجه الخصوص». عبد العزيز ساشيدينا، «المذهب الشيعي الناشط في إيران والعراق ولبنان Activist Shi'ism in Iran, Iraq and Lebanon. لدى مارتن إي مارتي Martin E. Marty وآر سكوت آبلباي R. Scott Appleby (ناشرون)؛ الحركات الأصولية المرصودة Fundamentalisms Observed، المجلّد ١، شيكاغو: منشورات جامعة شيكاغو، ١٩٩١، ص. ٤٢١.

فقد عبأ الإمام الحسين ـ سيد الشهداء بحسب العقيدة الشيعية ـ أتباعه وثار ضد الأمويين الذين رأى أنهم برأيه، انحرفوا عن الإسلام بهدف استعادة حق بيت النبي المقدس إلى الحكومة. قاد الإمام الحسين أتباعه وواجه الأمويين في معركة كربلاء الشهيرة في العاشر من محرم[1] من العام ٦١ للهجرة (٩ تشرين الأول/ أكتوبر ٦٨٠م) حيث قتل مع حوالى ٧٠ من عائلته وأهله المقربين ورفاقه وأتباعه الأوفياء على يد الأمويين الذين كانوا يفوقونهم عدداً وعتاداً. يؤمن الشيعة أن الإمام الحسين قد استشهد دفاعاً عن إصلاح الأمة، وهو يعي أن موقفه سيؤدي إلى استشهاده: «أنا (الحسين) خرجت طلباً للإصلاح في أمة جدي (الرسول محمد)، وبهدف اجتثاث الحاكم المستبد والمستكبر. . . أرادني الله أن أُقتل وأُذبح بعنف وقمع»[2]، كما ينسب إليه.

بما أن هذا الحدث وقع في العاشر من محرم، سمّي بعاشوراء. ومذاك الحين، صنف الشيعة في العالم كربلاء كأحد أعظم الحوادث في التاريخ، فاحتفلوا بذكرى عاشوراء متفجعين على استشهاد الإمام الحسين حيث يمشون حفاةً بينما يضربون صدورهم ويشرطون فروة رأسهم بالسيوف ويسوطون نفسهم بالسلاسل[3]. خلال الفترة الممتدة بين العامين ٧٥٠ و٩٥٠م، انقسم الشيعة إلى زيديين واثني عشريين وإسماعليين. بشكل عام، فضل الزيديون العمل السياسي فيما كان أتباع الإثني عشرية يمارسون السكون السياسي. أما الإسماعيليون، فاعتمدوا الأفكار الباطنية والعرفان[4].

ومع أن بعض الكتاب[5] يشيرون إلى استشهاد الإمام الحسين على أنه

---

(١) محرّم هو الشهر الأول في التقويم الهجري المعتمد لدى المسلمين.

(٢) راجع «استشهاد الحسين»، لدى جفري، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٧٤ - ٢٢١.

(٣) على مدى فترة طويلة من تاريخ الشيعة، كانت هذه الطقوس الاحتفالية تُمارس في الخفاء بغية تفادي المواجهة مع أهل الحكم السنّة. راجع على سبيل المثال القسم المعنون «حيوية التجربة الدينية في الإسلام»، لدى ساشيدينا، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٤٠٧ - ٤١٠.

(٤) مومن، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٢٠.

(٥) يؤكّد ستروتمن على أنّه «من الضروري التنبّه إلى أنّ التقية لدى الشيعة ليست مبدأ طوعياً.. =

«غير ضروري وبلا فائدة» إلا أنه يبدو أن المعنى الكلاسيكي الرمزي للجهاد[1] قد تغير بشكل جذري من خلال استشهاده. ثمة أهمية خاصة في استشهاد الإمام الحسن وهي الأثر التعبوي للشيعة عبر شعور مرير بالظلم، الأمر الذي دفم إلى تعديل هذا الظلم عبر ممارسة التعبئة والتنشيط ضد الحكومات غير العادلة[2].

١ . ٤ خاتمة حول التقية والتعبئة: الشيعة كإيديولوجيا دينية: السكون والنشاط

تاريخياً، استمت الشيعة الاثني عشرية بالسكون والنشاط[3] اللذين يجدان تطبيقهما في التقية وما عرف بالتعبئة في اللغة العربية والباسيدج في الفارسية:

كإيديولوجيا دينية، تعمل الشيعة ضمن نظام اجتماعي سياسي محدد يدعو باستمرار أتباعه إما إلى الدفاع والمحافظة [79] أو الإسقاط والتحويل... تشكل الإيديولوجيا الشيعية الدينية تقييماً حساساً للمجتمع الإنساني وبرنامج عمل على حد سواء، أكان يميل نحو سلوطوية ساكنة أو راديكالية ناشطة، بحسب ما يستدعي الأمر، لتحقيق إرادة الله على الأرض على أوسع مدى ممكن[4].

= وإنما ينبغي على المرء أن يتفادى الاستشهاد الذي يبدو غير ضروري وعقيماً وأن يحافظ على حياته من أجل الإيمان وإخوته في الدين»؛ ستروتمن، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٦٢٩.

(١) بفعل التأثير الشديد للتقيّة والانتظار الساكن، يحرّم معظم الفقهاء الشيعة الجهاد في فترة الغيبة. راجع أحمد الكاتب، «تطوّر الفكر السياسي الشيعي: من الشورى إلى ولاية الفقيه»، بيروت: دار الجديد، ١٩٩٨، ص. ٢٩٢ - ٢٩٩.

(٢) جدير بالذكر أنّ التعبئة مورست في أوساط معظم الملل الإسلامية التي وُجدت في ظروف دفاعية أو التي شعرت بأنّ عليها تحقيق موجب النداء إلى الجهاد.

(٣) راجع على سبيل المثال عبد العزيز ساشيدينا، «ولاية الفقيه في إيران» لدى جون أل إسبوزيتو John L. Esposito وآر كاي رمزاني R. K. Ramazani (ناشرون)، إيران عند مفترق الطرق Iran at the Crossroads (نيويورك: بالغرايف Palgrave) ص.١٣١- ١٣٢و١٤٥؛ برنار لويس Bernard Lewis «الشيعة في التاريخ الإسلامي» The Shi'a in Islamic History، لدى مارتن كرايمر Martin Kramer (ناشر)، المذهب الشيعي والمقاومة والثورة Shi'ism, Resistance and Revolution، بولدر Boulder، كولورادو: منشورات ويست فيو Westview Press، ١٩٨٧، ص. ٣٢.

(٤) ساشيدينا، «المذهب الشيعي الناشط في إيران والعراق ولبنان»، ص. ٤٢٠.

لا بد من الإشارة إلى أنه في كلتا الممارستين، لا سيما التقية والتعبئة، يخضع الشيعة لوصايا ممارسة أو أساليب حياة أئمتهم. على سبيل المثال، فيما مارس الإمام الحسين التعبئة مارس الإمام جعفر الصادق التقية. وهكذا انقسم الشيعة إلى فريقين: أولئك الذين يطالبون بالتقية ويتكيفون مع مختلف أنواع الأنظمة، وأولئك الذين يطالبون بالتعبئة بهدف الاستحواذ على السلطة تحت رعاية العلماء وسلطتهم. خلال الفترة التاريخية التي مورست خلالها التقية، كانت عملية إحياء عاشوراء تقام تحت الأرض مخافة التعرض لملاحقة الأنظمة السنية الحاكمة. وهكذا، مع ممارسة التعبئة، استُبدل السكون بالنشاط. غير أن هذه التعبئة وهذا النشاط بقيا في الخفاء ـ من حوالى العام ٦٨٠م إلى فترة الغيبة الكبرى في العام ٩٤١م ـ بسبب قمع الأنظمة السنية المتتالية للشعب الشيعي. ولم يكن بالإمكان تحقيق النظام الإسلامي لأن الشيعة حتى منتصف القرن الثاني عشر، فسروا استشهاد الإمام الحسين بألفاظ باطنية غنائية وجدانية خلت من أي تطبيق سياسي:

إثر العديد من المحاولات غير الناجحة من قبل القادة الشيعة في مختلف الأزمنة للانقلاب على السلطة الحاكمة (حتى عندما كانت السلطة الحاكمة شيعية)، اعتمد الشيعة السلوك الساكن بدل السلوك الناشط. ثمة سابقة تاريخية كافية للتأكيد على أن السلوك الساكن قد اعتمد أحياناً كاستراتيجيا للبقاء وليس كمبدأ بحد ذاته. وقد أصبح في مرحلة مواجهة الظروف غير المناسبة ضرورياً لحماية الشيعة من الهلاك. علاوة على ذلك، تم تبرير هذا الإذعان الساكن على أنه استراتيجيا مجازة دينياً (التقية) للسماح مع الوقت بإعادة التجمع والتنظيم من أجل القيام بنشاطات مستقبلية. من شأن هذه الحقائق أن تزيد صعوبة عملية تحديد مدّ وجزر النشاط الشيعي، إذ نظراً للظروف الاجتماعية السياسية الحقيقية، يمكن اعتبار العقلية الناشطة على أنها راقدة ضمن السكون الشيعي... لقد برز النشاط الشيعي المعاصر في الماضي بعد فترة من السكون

النسبي بجزئه الأكبر بسبب الدور المركزي الذي اضطلع به القادة الدينيون الشيعة وتعاليمهم الرادكالية رداً على الظروف الاجتماعية السياسية المحددة(١) [80] على الرغم من أنه يبدو أن نظرية التعبئة والنشاط تعود إلى استشهاد الإمام الحسين، إلا أن التطبيق الناجح لهذه النظرية من قبل الشيعة الإثني عشرية في العصور الحديثة تعود إلى الربع الثالث من القرن العشرين. بدأت التعبئة مع الإمام الحسين ثم اختفت لقرون عدة (على الأقل التعبئة الظاهرة) ثم أعيد إحياؤها على يد الإمام الخميني بدءاً بالستينيات. عبر تقليد الإمام الحسين، تجسدت التعبئة في انتصار الثورة الإسلامية في العام ١٩٧٩(٢). تجدر الإشارة هنا إلى أنه بعد استشهاد الإمام الحسين، مرت القيادة الشيعية في حالة من المقاومة الساكنة التي ظهرت بالتحديد في أدب وشعر رجال الدين الشيعة. تواصل ذلك حتى القرن السادس عشر عندما أطلق مؤسس بلاد فارس الصفوية حربه لتوحيد البلاد تحت حكمه مستخدماً شعار استعادة حقوق أسرة الرسول المهدورة (عبر التعبئة). وهكذا للمرة الأول، بعد استراحة قرون، أعيد إحياء النشاط الشيعي العسكري وتم تأسيس دولة شيعية في إيران(٣). باختصار، واصل هذا التغيير الذي بدأ مع قدوم الصفويين إظهار تأثيره على الشيعة حتى اليوم. شكلت الثورة الدستورية في إيران في العام ١٩٠٥ وقبلها بحوالى العقد من الزمن ثورة التبغ وأخيراً الثورة

(١) المرجع نفسه، ص. ٤٠٨.

(٢) يشير الإمام الخميني إلى نهضة الشعب الإيراني التي بدأت منذ ثورة حزيران/ يونيو العام ١٩٦٣ ولا تزال تتّسع وتتعمّق. راجع الإمام الخميني، صحيفة الثورة الإسلامية: نص الوصية السياسية الإلهية للإمام الخميني، قائد الثورة الإسلامية، بيروت: المركز الثقافي الإيراني، ١٩٨٩، ص. ١٩. كتب الإمام الخميني وصيّته سنة ١٤٠٤ هجرية/ ١٩٨٣ ميلادي، علماً بأنّه قام بتنقيحها بعد خمس سنوات مجرياً تعديلات ضئيلة جداً. وقد تم الكشف عن الوصية للمرة الأولى في مجلس الشورى الإسلامي بتاريخ ٤ حزيران/ يونيو ١٩٨٩ بعد مرور يوم واحد على وفاته. ومنذ أن نُشرت وصية الخميني، تمّ إدراجها في المناهج التعليمية المعتمدة في كل جامعة إيرانية.

(٣) مومن، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٠٥ - ١٢٣؛ راجع أمير أرجوماند، ظل الله والإمام الغائب، شيكاغو: منشورات جامعة شيكاغو، ١٩٨٤، ص. ١٠٩ - ٢٠٩.

الإسلامية في العام ١٩٧٩ مظاهر مختلفة مما بدأه الشاه اسماعيل وغير في طبيعة تعبئة الشيعة[١].

٢ . ولاية الفقيه

٢ . ١ تحديد الولاية

يمكن للولاية أن ترتدي معنيين: أولاً الحكم الدنيوي أو السلطة للحكم مع الحق بطلب الطاعة وثانياً التوجيه الروحي والطهارة.

بحسب الإمام جعفر الصادق، ينظر إلى الإمام على أنه الصديق أو الولي الروحي الذي يوجه الأمة نحو الحقيقة الباطنية أو الداخلية للدين. عبره تصل نعمة الله إلى الأرض... يوجه الإمام الإنسانية نحو صراط النور الروحي والتطور بحيث يكون السيد والصديق في هذه الرحلة الروحية[٢]. [81]

وهكذا، تبرز الولاية على أنها «التعبير الأولي لنظام الإيمان الإسلامي. وهي لا تشكل إحدى الركائز الأساسية التقليدية للإيمان بالإسلام بل العلاقة الشاملة بين المجتمع المسلم والسلطة التي تشكلت شرعياً في النظام العام الإسلامي. هذا هو المعنى الرئيسي لعقيدة الولاية وهو المعيار الوحيد للحكم على الإيمان الحقيقي في الشيعة»[٣].

٢ . ١ . ٢ نظرة تاريخية لعقيدة ولاية الفقيه

تشير ولاية الفقيه إلى حكم الفقيه الديني. على مر التاريخ، ساهم العديد من العلماء الشيعة في عقيدة ولاية الفقيه بدرجات مختلفة، من منظور بدائي إلى

(١) مومن، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٤٦ - ٢٤٩. في السنوات الأخيرة، بات بالإمكان النظر إلى مقاومة الشيعة في العراق وأخيراً مقاومة حزب الله في جنوب لبنان وفهمهما في هذا السياق.
(٢) المرجع نفسه، ص. ١٥٧.
(٣) عبد العزيز ساشيدينا، ظاهرة المسيحانية الإسلامية: فكرة المهدي في المذهب الشيعي الإثني عشري؛ ألباني Alabany، نيويورك: منشورات جامعة ولاية نيويورك، ١٩٨٠، ص. ٦.

منظور متقدم[1]. أما البشير الذي مهد الطريق ووضع أسس هذه العقيدة فهو الكركي[2] (١٤٦٥ ـ ١٥٣٣) الذي كان أول من اقترح أن «العالِم هو نائب عام الإمام المهدي». يعتبر تلميذ الكركي، الشهيد الثاني (١٥٠٦ ـ ١٥٥٨) الأب المؤسس للعقيدة. أما مساهمته في عقيدة ولاية الفقيه فقد تمحورت حول «اتخاذه مفهوم النائب العام إلى خلاصته المنطقية في المحيط الديني وتطبيقه على كافة الوظائف والموجبات الدينية للإمام الغائب. وهكذا، أصبحت السلطة القانونية للعلماء حالياً انعكاساً مباشراً لسلطة الإمام نفسه...»[3].

كان البهبهاني (١٧٠٦ ـ ١٧٩٢) على قناعة بقدرة المجتهد على إرساء الحجة. قبل ذلك، كان لقب حجة الإسلام محصوراً بالإمام المهدي. علاوة على ذلك، بالإضافة إلى تأييده المدرسة الأصولية حول حق العلماء في الاجتهاد، وضع البهبهاني الأسس للاعتراف بشرعية انتقال سلطة الإمام الغائب الدينية وليس سلطته السياسية. فلم يعد المجتهد يعتبر نائباً عاماً للإمام الغائب؛ بل أصبح المجتهد والفقيه صفة واحدة. وهكذا، اعتبر البهبهاني المجتهدين وكلاء للنبي في الشؤون الدينية وحدها. وبالتالي، ترتكز مساهمته على صهر الأبعاد الدينية والاجتماعية معاً من دون الأبعاد السياسية[4].

دعم الملا أحمد النراقي وهو تلميذ البهبهاني (١٧٧١ ـ ١٨٢٩) شرعية التأمل القانوني للفقيه في غياب الإمام الغائب. ويرتدي تشديده على خلافة النبي محمد كامتياز للسلطة الدينية أهمية بالغة إذ دمج البعد السياسي بعقيدة ولاية الفقيه. وهكذا، كان النراقي أول من اعترف بحق الفقيه في ممارسة السلطة

---

(١) راجع على سبيل المثال الشيخ محسن كاديفار Shayk Muhsin Kadivar، نظرية الدولة في الفقه الشيعي: بحوث في ولاية الفقيه، بيروت: دار الجديد، ٢٠٠٠. يؤكّد كاديفار على أنّ الفقه الشيعي قد أرسى أسس تسع نظريات حول الولاية.

(٢) يُعرف أيضاً بالمحقّق الثاني، وهو ناشط لبناني من جبل عامل كان واحداً من أولئك العلماء الذي اضطلعوا بدور أساسي في نشر المذهب الشيعي في إيران خلال حكم الصفويين. وكما أشرنا سابقاً، أصبح الإسلام الشيعي هو الدين الرسمي لإيران في عهد الصفويين.

(٣) مومن، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٩٠.

(٤) هيكل، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٢٧ - ١٣١.

السياسية. علاوة على ذلك، عندما قارن الفقيه والملك، وضع الأول فوقه ـ وليس حتى بالتساوي ـ حيث جعله الشخصية السياسية الأعلى للمجتمع. [82]

وبالتالي، كان النراقي أول من نص على إمكانية نقل السلطة السياسية والدينية والاجتماعية للإمام الغائب والعهود بها إلى الفقيه. باختصار، تكمن مساهمته في إضافة البعد السياسي إلى البعدين الديني والاجتماعي[١].

أصبح الشيخ محمد حسين النائيني (١٨٦٠ ـ ١٩٣٦) المرجع القائد في إيران في العام ١٩٢٠. شدد النائيني[٢] على أنه في فترة الغيبة الكبرى، فأفضل وسيلة لمنع السلطة من التراجع هي الالتزام بدستور إسلامي يضمن حقوق المواطنين وواجباتهم، فضلاً عن حقوق الدولة وواجباتها. وأوصى بتأسيس مجلس يتضمن كبار المجتهدين والمفكرين والرجال الحكماء الذين يتصرفون لمصلحة الشعب عبر مراقبتهم تطبيق الدستور وشؤون الدولة. شدد النائيني على ولاية الأمة على نفسها كحق شرعي في فترة الغيبة الكبرى لأن هذه المسألة تقع تحت إطار الحسبة[٣] بدل أن تكون في إطار التكليف[٤] العام أي أن حكم الأمة

(١) الشيخ أحمد النراقي، ولاية الفقيه، مقدّمة وتعليق سيد ياسين الموسوي، بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٩٩٥، ص. ١٠٧ وما بعدها.

(٢) تنبيه الأمّة وتنزيه الملّة في وجوب المشروطة، يُعتبر الأيديولوجيا المستنيرة للثورة الدستورية في العام ١٩٠٦. والواقع أن هذا الكتاب يُعتبر وثيقة نادرة في نظرية المذهب الشيعي السياسي خصوصاً وفي الخطاب الإصلاحي الإسلامي عموماً.

(٣) الحسبة مبدأ ديني ينصّ عليه القرآن الكريم: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ (السورة ٢٢: الآية ٤١). والواقع أنّ القرآن ينصّ على الحسبة باعتبارها ضرورة لما فيه مصلحة الجماعة. وبما أنّ الحاكم هو من كان يضطلع بمسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد نفّذ الحسبة عبر الخضوع للتوصيات الدينية والأخلاقية التي نصّ عليها الإسلام، وقد جعل أتباعه يلتزمون بهذه التوصيات. فضلاً عن ذلك، غطّت الحسبة أيضاً مجموعة شاسعة من المسائل المالية والإدارية والسياسية والاجتماعية. وبالتالي، أصبحت الحسبة تفسيراً سياسياً لهذا المبدأ الديني. ومن هنا نشأ استخدام الولاية الحسبية. راجع على سبيل المثال «الاجتهادات المبنية على المجال الحسبي»، لدى الشيخ مالك مصطفى وهبي العاملي، الفقيه والسلطة والأمة: بحوث في ولاية الفقيه، بيروت: الدار الإسلامية، ٢٠٠٠، ص. ٢٥٢ - ٢٥٦.

(٤) التكليف الشرعي الإلهي يعود إلى المسؤولية/ الواجب المنوط بالمقلّدين، أي أتباع المقلّد =

بنفسها يشكل مسألة سياسية وليس شرعية. بما أنه من الاستحالة بمكان لأي شيعي الحصول على المسؤوليات المناطة لإرساء حكم الله، فقد أوكل المسؤوليات لتأسيس إطار سياسي حسبي يتناسب مع مصالح الأمة. يعني ذلك أن انخراطه في السياسة يهدف حصراً إلى تحويل السلطة المستبدة إلى سلطة ديمقراطية تمثل الأمة[١].

٣. الجهاد في سبيل الله من منظور شيعي[٢]

تشتق كلمة الجهاد من فعل جَهَدَ الذي يعني بذل الشخص طاقته أو أقصى ما يمكنه من أجل تخطي المشاكل أو الصعوبات أو المشقات. والجهاد هو التفاني المطلق في القيام بالواجبات الدينية أكانت من حيث الأفعال أو النيات[٣].

٣.١ المفهوم الشيعي العام للجهاد وتبريره في القرآن والحديث

تشير الآيتان القرآنيتان التاليتان إلى منزلة الجهاد والمجاهدين العالية في الإسلام (سورة التوبة ـ الآيتان ٨٧ ـ ٨٨) ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ

= في الشرع والممارسة الدينية، تجاه المقلَّد. وستتمّ الإشارة إلى التكليف الشرعي الإلهي بمصطلح «التكليف» الذي يُترجم على نحو غير دقيق (من قبل حزب الله) باعتباره «المسؤولية الشرعية والدينية». وجدير بالذكر أن مفهوم التكليف مصطلح استُخدم للموجب القانوني في أصول الفقه.

(١) راجع أيضاً مراجعة كتاب النائيني، تنبيه الأمّة، في الغدير ٢ (آذار/مارس ١٩٩١)، ص. ١٢ - ١٣ و٦٩؛ ونصر وآخرين، (ناشرون)، توقّع الألفية. . .، ص. ٣١٤ - ٣١٨.

(٢) راجع الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، المجلد ١١ «جهاد»، بيروت: مؤسسة الحلول، بيت إحياء التراث، ١٩٩٣. كتب الشيعة كافة تشير إليه في النهاية باعتباره المجموعة الكلاسيكية المرجعية للتناغم بين الحديث والعقائد الشيعية للحر العاملي اللبناني الذي توفّي في العام ١١٠٤ هجري/ ١٦٩٢ ميلادي.

(٣) راجع الشيخ الركابي، الجهاد في الإسلام: دراسة موضوعية تحليلية تبحث في الدليل العلمي الفقهي عن الجهاد وعناصره بالتنزيل والسنّة، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩٧، ص. ١٥ - ٢٠ (كاتب شيعي)؛ وبشير البحراني، العنف والإرهاب والجهاد: قراءة في المصطلحات والمفاهيم، بيروت: دار الهادي، ٢٠٠٣، ص. ٣٩ - ٤١ (كاتب شيعي).

جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ كما يبرز الجهاد في حديث الرسول (ص): «للجنة باب اسمه باب المجاهدين، عندما يفتح يتوجهون إليه منقلّدين سيوفهم فيما تستقبلهم الملائكة»[١].

كما أكد الإمام علي على الجهاد فقال «الجهاد باب من أبواب الجنة وقد فتحه الله خصيصاً لأنبائه المميزين. والجهاد هو ثوب المؤمنين، هو غطاء الله وجنته المضمونة». ثمة قول آخر منسوب إلى الإمام علي يؤكد على الدور العظيم للجهاد «للإيمان أربع دعائم: الصبر والقناعة القوية والعدالة والجهاد». أما الإمام جعفر الصادق، فقد حث المؤمنين على ممارسة الجهاد: «الجهاد أفضل شيء بعض الواجبات الدينية»[٢].

يشدد حديث آخر على أن ممارسة الجهاد تقود إلى الكرامة، فيما الامتناع عنه يؤدي إلى مذلة الفرد وخسارته وانحلاله وتفككه، كذلك الأمر بالنسبة إلى الأمة «يكسو الله شخصاً يتخلى عن الجهاد بالمذلة والفقر وتدمير دينه. لقد أنعم الله على أمتي (الرسول) بحوافر الجياد[٣] وأواسط الحِرَاب». فذاك الذي يتخلى عن الجهاد سيعيش ذليلاً على المستوى الشخصي لأنه مسحوق وعاجز أمام أعدائه بحيث يستسلم لمطالبهم. كما يعيش في القلة لأن أعداءه يتلاعبون بحياته وموارد بلاده. ويخسر تدريجياً دينه لأنه لم يلتزم بالجهاد الذي يعزز دينه ويقوي المؤمنين[٤].

ثمة حديث آخر يشير إلى أنه إذا كان المؤمن عاجزاً عن القيام بالجهاد أو

---

(١) الكليمي، محمد بن يعقوب، الكافي. تنقيح علي أكبر غفّاري، المجلّد ٥، طهران: مكتبة الصقوق، ١٩٦١، ص. ٢.

(٢) الكليمي، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٤؛ راجع الجهاد وخصال المجاهدين، بيروت: مركز بقية الله، ١٩٩٩، ص. ١٣٥ - ١٦٦.

(٣) كانت الجياد في تلك المرحلة تشير إلى الغزو وترمز إلى القوات العسكرية. وجدير بالذكر أن الفرسان خلال المعارك والغزوات كانوا يُمنحون غنائم تفوق ما يُعطى للمحاربين الآخرين (المشاة على سبيل المثال)؛ وكان الجواد هو المرادف للدبّابة المعاصرة.

(٤) ابن بابويه، الآملي، قم: البعثة، ١٩٩٧، ص. ٦٧٣.

إذا كانت الظروف تمنعه من إنجازه، فعليه أقله أن يعيش بتفاعل مع الجهاد ويملك الرغبة أو النية في القيام به (كالجهاد المقنع)، حتى لو أعرب عن رغبته في القيام بالجهاد بينه وبين نفسه[(١)]: إذا توفي الشخص من غير أن يشارك في الجهاد، ولم يتكلم مع نفسه عن الموضوع، يكون قد مات ميتة المنافقين». يشكل هذا الأمر تقييماً مختلفاً للحياة، بحيث يتم تفضيل الحياة مع الجهاد بغية الوقوف إلى جانب حق الأمة وكرامتها مقابل الموت في الذل والاستسلام، كما قال الإمام علي «الموت هو أن تعيش حياتك مسحوقاً بالذل أما الحياة الأبدية فتمنح إليك عندما تموت وأنت تمارس الجهاد»[(٢)].

٣.١.١ الجهاد الظاهر والجهاد الباطن: الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر

يشير القرآن إلى الجهادين الظاهر والباطن. يبرز الأول في سورة التوبة، الآية ٣٥ ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾. أما الجهاد الباطن فيبرز في سورة العنكبوت، الآية ٦٨ ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. كما ينقل عن النبي قوله لدى عودته من بعض المعارك (الغزوات): «لقد عدنا من الجهاد الأصغر [84] لكن ينبغي علينا القيام بالجهاد الأكبر». عندما سئل النبي ما هو الجهاد الأكبر أجاب: «جهاد النفس[(٣)].» أجاز الله الجهاد الأصغر ليعزز دينه ويرفع كلمته وينشر رحمته على من يريد من أتباعه المؤمنين وكي ... ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ (سورة الأنفال، الآية ٧). فرض الله الجهاد الأكبر كي ينقذ أرواح المحقين وينقلها إلى الجنة، ويخلصهم من العيش للماديات والرغبات الحسية في النساء والثراء: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ

---

(١) هذا يتماشى مع المعنى المحدّد للجهاد باعتباره التفاني التام في أداء الواجبات الدينية سواء بالأفعال أو بالنيّات.

(٢) الجهاد وخصال المجاهدين، ص. ١٣٥. ميزة «الكرامة مقابل الذل، والموت مقابل الذل» تُعزى إلى الإمام الحسين والإمام علي، المرجع نفسه، ص. ٥٤. راجع أيضاً نهج البلاغة، المجلد ٦، بيروت: دار الأضواء، ١٩٨٦، ص. ٩٠.

(٣) الآملي، ص. ٥٥٣.

﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٣). ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٤)[١].

٣.١.٢ الجهاد الأصغر

التميز التقليدي للجهاد الأصغر كجهاد هجومي وجهاد دفاعي معروف في الثقافة والتفسيرات الشيعية. وقد تمت مناقشته في الكتيب الشيعي حول الجهاد والاستشهاد[٢]. يقسم رجال الفقه الجهاد العسكري (الجهاد الأصغر) إلى الفئتين التاليتين: الجهاد الابتدائي الهجومي والجهاد الدفاعي. قاد النبي محمد (ص) الجهاد الهجومي بهدف التخلص من الكافرين وبناء أسس المحيط الاجتماعي الضروري لنشر الإسلام وبث تعاليمه. تؤكد الآيات القرآنية التالية (سورة التوبة آيات ١١ ـ ١٢) ذلك: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ۞ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (سورة الأنفال، آية ٣٨) ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٣].

---

(١) راجع «أسرار الجهاد» لدى عارف القاضي السعيد القمّي، أسرار العبادة، بيروت: مركز بقية الله، ١٩٩٩، ص. ١٣٧ - ١٥٠.

(٢) الجهاد وخصال المجاهدين، ص. ٣١ - ٤٦. يستند هذا الكتاب إلى طائفة من المصادر الشيعية المرجعية وضمناً وسائل الشيعة للحر العاملي، وتحرير الوسيلة للخميني إلى جانب كتبه الأخرى، ونهج البلاغة للإمام علي إلى جانب مؤلّفاته الأخرى؛ المؤلّفات الشيعية الأربعة الأبرز الجامعة لكتب الحديث (الكافي للكليني، التهذيب والاستبصار للطوسي، ومن لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمّي)، إلخ.

(٣) الجهاد وخصال المجاهدين، ص. ٣١ - ٣٢.

١.٢.١.٣ الجهاد الدفاعي: الجهاد العسكري والجهاد المقنع غير العسكري

يتفرع الجهاد الدفاعي إلى الجهاد العسكري والجهاد المقنع غير العسكري. يقوم المسلمون بالجهاد العسكري دفاعاً عن الإسلام والأمة الإسلامية. بحسب الكتيب الشيعي عن الجهاد والاستشهاد، [85] يشكل الجهاد العسكري الدفاعي واجباً دينياً في الأطر أو الظروف التسعة التالية(١):

١ ـ إذا هاجم أعداء الإسلام بلاداً مسلمة بهدف القضاء على الإسلام أو حاولوا القيام بذلك. بالتالي: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ (سورة البقرة، الآية ١٨٩).

٢ ـ إذا هاجم أعداء الإسلام أي دولة إسلامية بهدف السيطرة عليها واستعمارها فـ ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ * ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ (سورة الحج، آيات ٣٨ ـ ٣٩).

٣ ـ إذا تعرضت دولة مسلمة لهجوم من دولة مسلمة أخرى، يتعين على سائر الدول المسلمة العمل على مصالحتهما. إذا رفض المعتدي القبول بالعدالة، فعلى الدول المسلمة الأخرى نصرة المعتدى عليه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ (سورة الحجرات، آية ٨).

٤ ـ إذا تعرضت ثروات المسلمين العامة للاعتداء.

٥ ـ إذا تعرضت نفوس المسلمين وأملاكهم وكراماتهم للاعتداء.

٦ ـ إذا تعرض الإيمان بالله للإهانة وهوجمت المساجد ودور العبادة من قبل

(١) المرجع نفسه، ص. ٣٢ وما بعدها، الكليني، في المرجع المذكور آنفاً، المجلد ٥، ص. ٢.

الأعداء بهدف القضاء على الإسلام: ﴿. . . وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ (سورة الحج، الآية ٣٩).

٧ ـ القيام بالجهاد بهدف الدفاع عن الثقافة الإسلامية والمعايير الأخلاقية والحؤول دون استهداف الثقافة المعادية للإسلام والحملات الأخلاقية للأمة الإسلامية.

٨ ـ القيام بالجهاد بهدف الدفاع عن المستضعفين الذين لم يملكوا القدرة للدفاع عن أنفسهم ضد الاعتداء وظلم المستكبرين: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ (سورة النساء، الآية ٧٤). [86]

٩ ـ القيام بالجهاد بهدف منع انتشار المادية والإلحاد: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا» (سورة النساء، الآية ٧٣).

في هذه الأطر التسعة أو الأطر والظروف المشابهة، يملك الشيعة الحق الطبيعي المطلق في الدفاع عن شرفهم وعزتهم وكرامتهم وثرواتهم. فالإسلام ألقى بهذه المسؤولية عليهم؛ وبالتالي، إذا ما أظهروا أي إهمال في القيام بمسؤولية الجهاد الحساسة هذه، سيمارس أعداء الإسلام عندها البطش على المسلمين عبر السيطرة على الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية والعسكرية. بالإضافة إلى ذلك، سيعاقب هؤلاء المسلمون الذين رفضوا الجهاد وسيعذبون حتى يوم الحساب لأنهم تخلوا عن إيمانهم: (سورة التوبة، الآية ٢٣): ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ

﴿وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[1].

(سورة التوبة، الآية ٣٨): ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ﴾[2].

٣ . ١ . ٢ . ٢ الجهاد المقنع غير العسكري

الجهاد المقنع غير العسكري هو الجهاد باللسان والقلق، فيما الجهاد العسكري هو الجهاد باليد. تدعم الأحاديث التالية المنسوبة إلى الإمام علي هذا التفسير: «مارسوا الجهاد في سبيل الله بأيديكم وإذا ما استطعتم، فمارسوا الجهاد بألسنتكم وإذا ما استطعتم، فمارسوا الجهاد بقلوبكم؛» «فرض الله عليكم ممارسة الجهاد في سبيله بممتلكاتكم وأنفسكم وألسنتكم؛» «أول نوع من الجهاد تمارسونه هو الجهاد باليد ثم الجهاد باللسان وثم بالقلب. ذاك الذي لم يقم بأي شيء إيجابي بقلبه ولا باعد شيطاناً فسيقلب رأساً على عقب» «إذا قام شخص بالجهاد في سبيل الله بيديه ولسانه وقلبه، فيغدق الله عليه النصر والكرامة». بالإضافة إلى ذلك، حدد الإمام علي أربع فئات للجهاد المقنع: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصراحة في الأوضاع الملائمة وبغض الرذيلة. إذا ما أمر شخص بالمعروف، فيدعمه الله إذا ما نهى عن المنكر فيذل المنافقين؛ وإذا ما كان صريحاً في الأوضاع المناسبة، فيكون قد قام بواجبه؛ [87] وإذا ما بغض الرذيلة وغضب في سبيل الله فيكون غضب الله إلى جانبه». يشدد كتيب الجهاد على أحاديث الإمام علي التي تلتقي وأحاديث الرسول: «يمارس المؤمن الجهاد بسيفه ولسانه؛» «إذا ما رأى شخص من بينكم منكراً فليغيره بيده، فإذا لم يستطع فبلسانه وإذا لم يستطع فبيده وإذا لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان»[3].

---

(١) لمزيد من التوضيح، عمدت إلى تعداد العلاقات الدنيوية الثماني. وكما سيتبيّن لاحقاً، يشير قاسم إلى الآية القرآنية نفسها من أجل إثبات حجّته.

(٢) الجهاد وخصال المجاهدين، ص. ٣٢ - ٣٤.

(٣) المرجع نفسه، ص. ٤٣ - ٤٦.

٢.٣ العلاقة بين الجهاد والاستشهاد

بحسب المصادر الشيعية، يتعلق الجهاد بالاستشهاد. وللجهاد حُسنيان عظيمتان. تشير كلمة الحسنى الواردة في سورة التوبة، الآية ٥١ إلى الاستشهاد والنصر[١]: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾[٢].

٣.٣. خلاصة للمفهوم الشيعي العام للجهاد

يكمن التمييز الأساسي بين الجهاد الأصغر (الجهاد الظاهر الخارجي) والجهاد الأكبر (الباطن الداخلي). فضلاً عن ذلك، تمت مناقشة أنواع الجهاد الأصغر التالية: الجهاد الابتدائي أو الهجومي الذي لم يعد بالإمكان ممارسته بعد وفاة الرسول (ص) والأئمة الأحد عشر واختفاء الإمام المهدي. لذا، وحده الإمام المهدي يستطيع ممارسة الجهاد الهجومي لدى عودته. ثانياً، الجهاد الدفاعي الذي ينقسم بدوره إلى الجهاد العسكري (قتال العدو في أرض المعركة بما فيه الاستشهاد) والجهاد غير العسكري (الجهاد المقنع مثل الجهاد باللسان والقلب). أما التمييز بين الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر غير العسكري فبالغ الدقة. فالجهاد الأكبر هو تجاوزي روحي داخلي؛ فيما الجهاد الأصغر غير العسكري يهتم بالأمور الدنيوية. ومع أن الجهاد الأصغر غير العسكري يهتم

---

(١) راجع على سبيل المثال ماجد فخري، القرآن: نسخة إنكليزية معاصرة، ريدينغ: شركة غارنت Garnet المحدودة للنشر، ١٩٩٧، ص. ١١٨ (كاتب لبناني شيعي؛ أنا أقتبس الآيات القرآنية بشكل شبه دائم من ترجمته)؛ أ. يوسف علي، القرآن الكريم: ترجمة وتعليق، فورث للطباعة، لاهور: مركز الانتشار الإسلامي، ١٩٩٣، ص. ٤٥٦ (كاتب باكستاني سنّي)؛ محمد تقي الدين الهلالي ومحمد محسن خان، ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإنكليزية، المدينة المنوّرة: مجمّع الملك فهد لطباعة القرآن الكريم، ١٤٢٠ هجري، ١٩٩٩ ميلادي، ص. ٢٥٢ (كاتب سعودي سنّي).

(٢) الجهاد وخصال المجاهدين، ص. ٨٨؛ الركابي، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٦٥؛ والحر العاملي، في المرجع المذكور آنفاً، المجلد ١١ «جهاد»، ص. ٤٨.

بشكل خاص بالأمور المادية، إلا أنه يرتدي بعداً روحياً أيضاً لكن لا يصل إلى درجة الأبعاد التصاعدية الروحية للجهاد الأكبر. [88]

٢. توسع الإمام الخميني في الإيديولوجيا الشيعية الدينية.

٢. موقف الإمام الخميني من التقية والتعبئة: السكون والنشاط.

رفض الإمام الخميني بشدة ممارسة التقية التي اعتبرها إحدى المصادر الأساسية للسكون في الشيعة. بحسب الخميني، تجيز التقية لشخص ـ بهدف إنقاذ حياته وماله وشرفه أو شرف الآخرين ـ التعبير عن أمر مخالف للحقيقة أو القيام بفعل ضد الشريعة. وأضاف أن التقية هي ضرورة عملية غير ملزمة تشكل استثناءً للعادة بدل اعتبارها مبدأً شرعياً أساسياً. أما البديل بالنسبة إليه فهو اللجوء إلى التعبئة والنشاط السياسي؛ وهكذا، رفض سكون بعض العلماء الذين حاولوا القول إن انتشار الرذائل تحمل المهدي على الظهور لإعادة العدالة. عبر تأكيدهم أنه إن لم تنتشر الرذائل فلن يظهر الإمام الثاني عشر، تراجعوا عن دورهم الإرشادي. وهكذا، اعتبر الإمام الخميني أن ممارسة التقية شرعية إذا ما هدفت إلى حماية النفس والآخرين من المخاطر الناجمة عن تطبيق القوانين والممارسات الدينية؛ غير أنه شدد أنه في ظل الدولة الإسلامية، تختفي ضرورة ومصلحة اللجوء إلى التقية. أكد الخميني على أنه إذا كان الإسلام بخطر، فلا مجال للتقية أو السكون؛ كما أنه حض العلماء على عدم ممارسة التقية وعدم العمل لحكومة غير محقة. علاوة على ذلك، وبحسب الإمام الخميني، فإن عاملاً آخر قد ساهم في سكون الشيعة وهو إيمانهم بأن أي حكومة في غياب الإمام المخفي هي حكومة فاسدة وغير محقة حتى لو حكمها شيعة[1]. نتيجة لذلك، كان العلماء الشيعة يوصون أتباعهم بعدم التساهل مع حكوماتهم ورفض المواقع الحكومية بما أن هذه الحكومات غير محقة وكافرة ويدينون الحكومات ويكفرون النظام السياسي. بحسب الخميني، يفسر هذا السلوك لماذا لم يحظى

(١) تم تصنيف نظام الشاه في هذه الفئة.

الشيعة حتى العقود المنصرمة بتمثيل عادل في المواقع الحكومية؛ فقد جعلتهم مواقفهم السلبية من الحكومات الموجودة ساكنين وأعاقت مشاركتهم الفاعلة في الحياة العامة والسياسية[1].

وصف الإمام الخميني شهر محرم على أنه شهر نصر الدماء على السيف، الذي اعتبره ميزة للثورة الإسلامية[2]. وأكد الخميني أن [89] كل ما أنجزته الثورة الإسلامية جاء نتيجة عاشوراء؛ فأمر الشيعة باتباع عاشوراء في نضالهم لإرساء نظام إسلامي. وأضاف أنه لو لم يشكل الإمام الحسين الإلهام[3] للثورة الإسلامية، فلم تكن لتحظى بالنصر. وأكد الخميني أنه لا يجب التخلي عن مجالس عزاء الإمام الحسين لأنها تحيي الشيعة[4]. وهو يرى أن عاشوراء تعني التغيير الجذري وتأسيس المجتمع والدولة وفق الإسلام. لهذا السبب، فإن أي ثورة إسلامية يجب أن تنظر إلى الإمام الحسين على أنه مثالها الأعلى في الحاضر والمستقبل، عبر محاولة تقليد ثورته التي رفضت الحلول الجزئية وأصرت على حكم الإسلام (أو مبادئه الإرشادية) لنشاطات الناس في هذه الحياة[5]. أضاف الخميني أنه لولا سيّد الشهداء الإمام الحسين، لكان يزيد ووالده (معاوية) وخلفاؤه قد حملوا الناس على نسيان الإسلام (بواسطة خلافتهم الوراثية)... غير أن ثورة الحسين حمت الإسلام ومهدت الطريق للشعب للتعبئة والثورة ومواجهة أي شيء يهدد الرسالة (الإسلام) عبر الانحراف والتزوير... تشكل عاشوراء الثورة الحقيقية الأزلية حتى يرث الله الأرض وكل شيء عليها[6].

---

(١) الإمام الخميني، كشف الأسرار، بيروت: دار ومكتبة الرسول الأكرم، ١٩٩٢، ص. ١٣٢ - ١٣٤؛ ص. ١٩٢ - ١٩٤؛ والحكومة الإسلامية، طهران: معهد تنسيق ونشر إرث الإمام الخميني، ١٩٩٦، ص. ٦٠ - ٦٥، ص. ١٣٨ - ١٤٤، ص. ١٩١ - ١٩٩.

(٢) الإمام الخميني، كما هو مذكور لدى حميد ألغار، جذور الثورة الإسلامية في إيران، نسخة منقّحة وموسّعة، نيويورك: المنشورات الإسلامية الدولية، ٢٠٠١، ص. ١٣٠.

(٣) الترجمة الحرفية تقول «لم يكن موجوداً».

(٤) الإمام الخميني، كشف الأسرار... ص. ١٦٩ - ١٧٠.

(٥) الإمام الخميني، الاستقامة والثبات، ترجمة كاظم ياسيم، بيروت: ١٩٩٢، ص. ١٥٦ - ١٦٩.

(٦) الخميني، الاستقامة والثبات...، ص. ٣٠٣ وما بعدها.

١.٢ مساهمة الإمام الخميني في ولاية الفقيه

سلط الإمام الخميني الضوء على الدور البارز الذي يضطلع به الولي الفقيه أو الفقيه[١] كقائد للدولة والشعب من خلال نظريته حول ولاية الفقيه. فقد رأى أن ولاية الفقيه تعني حماية الفقيه الأكثر عدلاً وتعلماً في كافة فروع المعرفة الدينية[٢]. تكمن مساهمة الخميني في عقيدة ولاية الفقيه في وضع حد لنظرية النائب العام في الإطار السياسي عبر إجازة حق الفقيه ليس في المسائل الدينية والاجتماعية وحسب، كما أكد سابقوه، بل في القيادة السياسية أيضاً[٣]. تماشياً مع عقيدة الإمامية ـ التي تنص على أن الإمام هو الأكثر تعلماً في العلوم اللاهوتية وفي السلطة الشرعية على المستويات الدينية والاجتماعية والسياسية ـ تجيز ولاية الفقيه السلطات الشرعية نفسها للفقيه.

بكلمات أخرى، تكمن مساهمة الخميني في ولاية الفقيه في جمعه الإمامة والولاية في شخص واحد، للمرة الأولى بعد الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر، بحيث أصبح بالإمكان إرساء نظام إسلامي في غياب الإمام الغائب. وهكذا، يقوم شخص واحد بممارسة ولاية الفقيه وهو يكون السلطة الكونية في الشؤون الدينية والاجتماعية والسياسية كلها خلال فترة الغيبة الكبرى باسم الإمام الغائب. [90]

من هذا المنظور، تنبع الأهمية الدائمة للشيعة في العالم أجمع إذ هم يؤمنون أنه لا يمكن إرساء الحكومة الشرعية والعادلة قبل جمع الإمامة والولاية في شخص واحد. علاوة على ذلك، بما أنهم لم يجدوا أي تفسير صريح

---

(١) منذ الآن فصاعداً، ستتم الإشارة إلى الولي الفقيه باسم الفقيه، وهو مرجع التقليد الإيراني الرسمي.

(٢) الخميني، الحكومة الإسلامية، ص. ٤٥ وما بعدها.

(٣) فالح عبد الجبار، «نشأة وتطوّر المرجعية مقابل الدولة»، لدى فالح عبد الجبار (ناشر)، آية الله، الصوفيون والإيديولوجيون: الدولة والدين والحركات الاجتماعية في العراق (لندن: منشورات دار الساقي، ٢٠٠٢)، ص. ٦١ - ٨٩.

للفصل بين السلطة الموقتة والسلطة الدينية، اعتبر الأئمة القادة السياسيين والدينيين المطلقين للأمة. وهكذا، يعتبر الفقيه، تماشياً مع الإمام، حجة الله على الناس، بحيث يخلف واجباً إلزامياً على كل شيعي[١]. أصبح الإمام الخميني الفقيه الأعلى الأول الذي أرسى المبادئ والتقاليد التي يتم على أساسها اختيار الفقهاء المستقبليين، تماشياً مع الأئمة الذين عينهم أسلافهم[٢].

في الواقع، فإن منح السلطة السياسية بالإضافة إلى السلطتين الدينية والاجتماعية لفقيه عادل قد أمن الإطار الشرعي والديني لإرساء نظام إسلامي كان يعتبر في السابق استحالة عملية، بسبب احتكار الأئمة للسلطة السياسية وتالياً بفعل الغيبة الكبرى. شدد الإمام الخميني على ضرورة إرساء نظام إسلامي: «يبدو من المضمون أو الجلي ألا يتم حصر ضرورة الالتزام بالأوامر التي نصت على إرساء حكومة النبي محمد بوقته؛ بل هي عملية متواصلة بعد مماته». أضاف الإمام الخميني مستنداً إلى مجموعة من الآيات القرآنية[٣] أن أوامر الإسلام ليست عابرة بحكم حصرها بزمان ومكان معينين؛ بل هي واجبات (دينية) أبدية لا بد من تطبيقها حتى الأزل[٤]. على هذه الأسس، نص الخميني ودعم بقوة رأيه القائم على أن المسلمين بشكل عام والشيعة بشكل خاص يتوجب عليهم إرساء نظام إسلامي ينير المسلمين من خلال العملية التالية: يجعلهم يعون حقوقهم؛ ويضع حداً للظلم والاستكبار: فكل نظام غير إسلامي هو مشرك وينظر إلى قائده على أنه طاغوت غير شرعي؛ ووقف الفساد في الأرض[٥]: عبر القضاء على الشرك والحكم غير الشرعي؛ ويرشد الشعب إلى

---

(١) الخميني، الحكومة الإسلامية، ص. ٨٠ وما بعدها.

(٢) مومن، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٩٦ - ١٩٧ و٢٩٦.

(٣) على سبيل المثال (السورة ١٤: الآية ٥٢)، (السورة ١٥: الآية ٢)، (السورة ٢٢: الآية ٤٩)؛ (السورة ٣٣: الآية ٤٠)؛ (السورة ٣٦: الآية ٧٠).

(٤) الخميني، الحكومة الإسلامية، ص. ٤٧.

(٥) الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي ينظران إلى هذا الأمر باعتباره جريمة بحد ذاتها ولها جزاءاتها وعقوباتها الشرعية المنصوص عليها (الحدود).

الصراط المستقيم؛ ويحمي المسلمين من وصاية الأعداء وتدخلهم في شؤون المسلمين[١].

وهكذا، فالفقيه، الذي لا يخطئ[٢] كما الإمام، هو الشخص الوحيد الذي يملك الكلمة الفصل في الشؤون التنفيذية والتشريعية والقضائية. فبصفته ممثل الله على الأرض، يشرف الفقيه على الحكومة ويملك السلطة المطلقة لإعلان أفعالها باطلة. أكد الخميني أن الاعتراض على ولاية الفقيه يشكل «إنكار الأئمة والإسلام. . . أود الإشارة إلى [91] أن الحكومة التي تشكل فرعاً من الحكم المطلق لرسول الله تبرز بين الأوامر الأولية في الإسلام، وتسبق كافة الأوامر الثانوية مثل الصلاة والصوم والحج»[٣]. لذا، نص الخميني على أن المصلحة في إرساء النظام الإسلامي أو وكلائه تحتل الأولوية أمام أي مبدأ آخر في الشؤون الاجتماعية والسياسية. وهكذا، طور الخميني نظرية الولاية المطلقة بطريقة تخدم بامتياز أهدافه السياسية من خلال منح الولي الفقيه السلطة السياسية والدينية المطلقة.

في النهاية، على الرغم من أن عقيدة ولاية الفقيه لا يمكن أن تنسب حصراً

---

(١) الخميني، الحكومة الإسلامية، ص. ٨٦ - ٨٨، ص. ١٣٥ - ١٣٨.

(٢) جدير بالذكر أن معصومية الإمام الخميني تختلف عن معصومية النبي محمد والأئمة الاثني عشر وفاطمة الزهراء. لكن يبدو أن الفقهاء الشيعة يجمعون على أن الإمام الخميني لم يرتكب أي خطأ. (راجع على سبيل المثال ثورة الفقيه ودلالته: قراءة في عالمية مدرسة الإمام الخميني، الطبعة الثانية، جمعه محمد مهدي روحاني، بيروت: مؤسسة البلاغ، ٢٠٠٢). يتم تدعيم هذا الادعاء أيضاً من خلال الإيمان الديني الشعبي، إذ يُعتقد على نطاق واسع بأن الإمام الخميني عقد اجتماعات منتظمة مع الإمام المهدي ولم يتّخذ أي قرار إلا بعد التشاور معه. لكن بحسب الدين الرسمي، يُعتبر الإمام الخميني نائب الإمام المهدي في المجالات الدينية والاجتماعية والسياسية.

(٣) حميد ألغار، «تطور مفهوم ولاية الفقيه منذ الثورة الإسلامية في إيران». مقالة قُدّمت خلال مؤتمر لندن حول ولاية الفقيه (حزيران/يونيو ١٩٨٨)، كما ذكر ساشيدينا، «ولاية الفقيه...»، ص. ١٣٤، ١٣٦. نُشرت أيضاً باللغة الفارسية لدى كايهان ١٣٢٢٣ (١٦ جمادى الأولى ١٤٠٩ ـ ٦ كانون الثاني/يناير ١٩٨٩).

للإمام الخميني إذ إنها متجذرة بعمق في الفكر الشيعي الكلاسيكي، إلا أن الخميني كان يعمل طبق العقيدة عبر جمع الأبعاد الاجتماعية والدينية والسياسية، فنقل الشيعة من الإمامة إلى الولاية. في غياب الإمام الغائب، يصبح الفقيه القائد السياسي والديني للأمة[١]. أكد الخميني بقوة أنه يتعين على الفقيه خلع الحاكم أو طرده والحلول محلّه وبالتالي إرساء نظام إسلامي. وهكذا، كان الإمام الخميني الفقيه الأول بعد الغيبة الكبرى وفي التاريخ المعاصر الذي يحمل لقب نائب الإمام المهدي ويرسي نظاماً إسلامياً من خلال الثورة السياسية.

أثبت الخميني عملياً، عبر تطبيقه نظرية ولاية الفقيه، أنه يمكن إرساء نظام إسلامي خلال فترة الغيبة الكبرى، قبل عودة الإمام المهدي. بكلمات أخرى، جعلت ولاية الفقيه التي بدأها الخميني بالإمكان إرساء حكومة عادلة في غياب الإمام المهدي. اتضح أن تلك الإمكانية أصبحت ركيزة التعبئة والنشاط السياسي إذ ألقت على الشيعة بواجب ديني هو إرساء مثل هذه الحكومة. فنظرية الحكومة التي أطلقها الخميني توكل بدور أدنى إلى الشعب لأنه يؤمن بقوة بدور العلماء كقادة لشؤون الدولة العامة وكمستشارين روحيين للمؤمنين. وهكذا، لم يعد العلماء ساكنين؛ بل على العكس، لجأوا إلى النشاط السياسي إذ اعتبروا أنفسهم خلفاء للإمام المغيّب وبالتالي فرضوا الطاعة الكاملة على الجموع. وهكذا، فإن ولاية الفقيه تحمل طابعاً ثورياً لأنها تدعو لمشاركة العلماء الناشطة (التعبئة) في السياسات والحكومات.

يكمن تجديد الخميني في تحويل ولاية الفقيه بما لا يقبل الشك إلى نظام إدارة سياسية. فقد جمع الخميني بصفته كولي فقيه ومرجع تقليد الإمامة والولاية والمرجعية، الأمر الذي يشكل سابقة في الإيديولوجيا الدينية الشيعية. [92]

---

(١) راجع على سبيل المثال حميد ماويني، «تحليل لإثباتات الخميني حول الولاية المطلقة»، لدى ليندا أس والبريدج Linda S. Walbridge (ناشر)، المرجع العلمي الأعلى لدى الشيعة: إرساء مرجع التقليد The Most Learned of the Shi'a: The Institution of Marja' Taqlid (أكسفورد: منشورات جامعة أكسفورد، ٢٠٠١)، ص. ١٨٣ - ٢٠١.

يرتدي هذا الأمر حيوية بالغة بما أن حكم الحاكم ينقض فتوى المجتهد في الفقه الشيعي، إذا ما تطلبت مصلحة النظام الإسلامي مثل هذا التحرك. وهكذا، آمن الخميني بالولاية المطلقة ومارسها.

٢ . ٢ التضحية بالنفس والعلاقة مع الجهاد والاستشهاد

أكد الإمام الخميني أنه من الواجب إطاعة الولي الفقيه في الشؤون العامة ومن بينها الدفاع عن الإسلام والمسلمين ضد الكفار والطغاة والمستكبرين[١]. استخدم الخميني التضحية في إطار الجهاد الأصغر والاستشهاد. فأكد أن ما من شيء ينجز من دون التضحية والاستشهاد؛ والاستشهاد نعمة وكرامة أزليتان. تماشياً مع المفهوم الشيعي الكلاسيكي للعلاقة بين الجهاد والاستشهاد (سورة التوبة، الآية ٥١)، شدد الخميني على أن المسلمين المؤمنين الذين يتوقون للاستشهاد هم بلا شك منصورون. بمنحه الشهداء هذه المنزلة الخاصة، شدد الخميني على أنهم ضحوا بما منحهم الله فحصلوا على بركات الله والسعادة الأبدية؛ غير أنه اعترف أن سائر الناس بمن فيهم هو نفسه يختلفون عنهم[٢]. أضاف الخميني أن هذه القناعة في الاستشهاد هي مصدر راحة وسر انتصار الثورة الإسلامية[٣].

أعلن الخميني أن التضحية بالنفس وبالممتلكات تشكل واجباً شرعياً ودينياً بهدف الدفاع عن الأرض وملاجئ المسلمين المحاصرين من قبل عدو يهدد أرض الإسلام ومجتمعه[٤]. وبرأيه أن علة وجود أو شرعية التضحية بالنفس

---

(١) الإمام الخميني، تحرير الوسيلة، كما جاء في الجهاد وخصال المجاهدين، ص. ٣٥ - ٣٧.

(٢) راجع حديث النبي محمد: «للشهداء كرامات لا ينعم بها الأنبياء بمن فيهم أنا».

(٣) الإمام الخميني، «خطاب أُلقي أمام وفد من موظّفي الجمارك»، ٢٧ آذار/مارس ١٩٧٩، كما جاء لدى ألغار، جذور الثورة الإسلامية في إيران، ص. ١٦١ وما بعدها.

(٤) الإمام الخميني، تحرير الوسيلة، المجلد ١، بيروت: دار التعارف، ١٩٨١، ص. ٤٨٥. يشكل تحرير الوسيلة الرسالة العملية للإمام الخميني. راجع ١,١,٣,٢ مراحل الاجتهاد تؤدي إلى المرجعية.

وبالممتلكات موجودة في سلسلة من الآيات القرآنية[1]. كان الخميني أول فقيه يجيز العمليات الاستشهادية، للنساء والرجال على حد سواء، مؤكداً أنها تشكل أرفع مستوى من التضحية بالنفس في سبيل الدين[2]: «بصفتنا شيعة، نحن نرحب بأي فرصة للتضحية بدمائنا. تسعى أمتنا للحصول على فرصة للتضحية بالنفس والاستشهاد»[3]؛ وهكذا، «فالموت الأحمر أفضل من الحياة السوداء»[4]. خلال الحرب الإيرانية العراقية (١٩٨٠ ـ ١٩٨٨)، شرّع الإمام الخميني الاستشهاد وحض عليه عبر أمر أفراد الباسيدج[5] (١,٥ مليون شهيد

---

(١) الآيات الأبرز هي التالية: (السورة ٦١: الآية ١١ - ١٢): ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾؛ (السورة ٤٩: الآية ١٥): ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾؛ (السورة ٩: الآية ٤١): ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾؛ (السورة ٤: الآية ٩٥): ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾؛ (السورة ٣: الآية ١٦٩): ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

(٢) الإمام الخميني، كما جاء لدى المجلس اللبناني لعلماء المسلمين، مسائل جهادية وحكم العمليات الاستشهادية، بيروت: دار الوحدة الإسلامية، ٢٠٠٢، ص. ٢٧ - ٢٨.

(٣) الإمام الخميني، ١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٩، كما جاء لدى ريتشارد تي. أنطون Richard T. Antoun، فهم الأصولية: الحركات المسيحية والإسلامية واليهودية، أكسفورد: منشورات ألتاميرا Altamira Press 2002، ص. ٤٣. قدّم الإمام الخميني دلائل من القرآن الكريم على فكرة التضحية بالنفس.

(٤) الإمام الخميني، كما جاء لدى جوي سام دايفس Joyce M. Davis، «الابن كجندي شهيد: محمد حسين فهميده في إيران»، الشهداء: براءة، انتقام ويأس في الشرق الأوسط، نيويورك: بلغرايف ماكميلن Palgrave Macmillan، ٢٠٠٣، ص. ٤٥.

(٥) ضمّ الباسيدج نحو نصف مليون فتى إيراني متطوّع في الثانية عشرة من العمر تقريباً راحوا يقاتلون في الجبهات الأمامية. وكان هؤلاء المقاتلون مشهورين بتضحيتهم بذاتهم. وصحيح أنّه تمّ ضمّهم إلى الحرس الثوري الإيراني، إلا أنهم احتفظوا بهويتهم. راجع فرهد خوسروخافار Farhad Khosrokhavar الأيديولوجيا الإسلامية والموت: الشهيد الثوري في إيران L'Islamisme et La Mort: Le Martyre Revolutionnaire en Iran، باريس: لارماتان L'Harmattan، ١٩٩٥، ص. ٤١٥.

يبلغون الثانية عشرة من العمر) الذين يرتدون «مفتاح الجنة» بعبور حقول ألغام الأعداء. جعل هؤلاء الأولاد الذين فجروا أنفسهم أمام دبابات العدو قادة للشهداء. [93]

٢.٢.٢ الجهاد الأكبر

بحسب الخميني، يشكل الجهاد الأكبر العملية الديناميكية التي تهدف إلى تغيير الواقع عبر تحرير الإنسان من قيود الرغبات المادية التي تضعف روحه وتهدد نفسه بالانحلال. حث الرجل على تجاوز الملذات الدنيوية وحب العالم بمفاسده، لينخرط في الروحانيات وهدفه الوحيد حب الله وخدمته ليتمكن من ممارسة الجهاد الأكبر. يشرح الخميني أن الرجل يصل إلى هذه الحقيقة عندما ينتقل إلى الحياة الآخرة حيث تزال الأقنعة. ثم يعي الرجل معنى أعماله في العالم وما كان تأثيرها وكيف تنعكس على الآخرة. يضيف الخميني أنه يتعين على الأشخاص الذين يؤمنون بهذه الأمور أن يمتنعوا عن العالم الانتقالي الآني ويرتفعوا بأعمالهم ويحموا ألسنتهم وينظروا أين تطأ أقدامهم ويستثمروا في إصلاح نفسهم وتطهيرها[١].

يصف الخميني كيفية حصول عملية التغيير هذه التي تقود بلا أدنى شك إلى تنقية النفس وتطهيرها فضلاً عن إصلاح الطبائع. ويشدد على أن الله أرسل أنبياءه لتخليص البشر من الرذائل والفساد والمفاسد الخلقية ولحثهم على الفضيلة والسلوك الحسن ومكارم الأخلاق[٢]. ويشرح أن حجاب الظلام يعمي الرجل عندما لا يشكل الله هدفه الأساسي وعندما يسعى الرجل للانغماس في الرذائل والفساد. بحسب الخميني، فالحقيقة مخفية على الرجل بمجموعة من الأحجبة المتتالية التي تشكل رذائل الرجل المميتة ورغباته الشهوانية. ويشرح أن الرجل لا

---

(١) الإمام الخميني، الجهاد الأكبر، ترجمة حسين كوراني، طهران: المكتبة الإسلامية الكبرى، ١٩٨٠، ص. ٣١ - ٣٦.

(٢) المرجع نفسه، ص. ٢٢ - ٢٣.

يستطيع القيام بالجهاد الأصغر بينما تعمي رغباته الشهوانية فكره وتعمي بصيرته عن الحقيقة. فعليه أولاً أن يتجاوز الملذات الدنيوية كي يمزق أحجبة الظلام ويعيش وفق روح الله وحبه. ولا يمكن القيام بذلك إلا إذا ما نقّى الرجل نواياه وصحح أعماله وطرد حب العظمة والشهرة والنفس من قلبه موجهاً كافة انتباهه إلى عبادة الله، شاكراً له رحمته وصدقته. عندها فقط، يصل الرجل إلى منزلة أعلى تخوله القدرة على اختراق أحجبة النور وبلوغ مصدر العظمة والحقيقة عبر تخليه بالكامل عن كل شيء باستثناء الله. وهكذا يتعين على المؤمن المسلم الانخراط في الجهاد الأبدي الذي لا يضعف عبر النضال لإزالة هذه الأحجبة حتى ينير نور الله قلبه وعقله ويطهر روحه ونفسه؛ يتعين على الرجل أن يزيل هذه الأحجبة حتى يصبح أكثر قرباً من الله. يسمي الخميني النضال لإزالة الأحجبة الجهاد الأكبر. وهو يحذر من أن المؤمن لا يستطيع الانخراط في الجهاد الأصغر قبل إزالة كافة هذه الأحجبة وبالتالي تطهير نفسه(١). [94]

بحسب الإمام الخميني، يتعين على الذين يمارسون الجهاد الأكبر أن يكونوا على اطلاع كبير بدعائم الإسلام حتى يصبحوا حزب الله. ويضيف الخميني أنهم لا بد من أن ينأوا بأنفسهم عن القشور الخارجية وملذات الحياة ويكونوا كرماء في التضحية بأنفسهم لإرضاء الله ورفع كلمته وتقديم الأفكار الإسلامية وخدمة الأمة(٢). وقد شدد الخميني على أنه بعد أن يبني المؤمنون أنفسهم ويصلحونها ويطهرونها، يستطيعون أن يكونوا في خدمة الأمة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ (سورة مريم، آية ٩٥). على هذه الأسس، حث الإمام الخميني المؤمنين على ممارسة الجهاد في سبيل الله والتضحية بالنفس حيث سينالون بالطبع جزاءهم وأجرهم من الله إن لم يكن في هذه الحياة ففي الحياة الآخرة التي هي أفضل بكثير لهم إذ إن الجزاء في

---

(١) المرجع نفسه، ص. ٥٧ - ٥٩، ص. ٦٧ - ٨٢.

(٢) المرجع نفسه، ص. ٢٩.

الجنة لا حدود له. ويرى الخميني أن ممارسة الجهاد الأكبر تقود بلا شك هؤلاء الأفراد الحكماء (الشهداء المستقبليين) إلى القيام بالجهاد العسكري الأصغر عبر التضحية بدمائهم في أرض معركة الاستشهاد في الصفوف الأمامية(١).

في النهاية، استناداً إلى المفهوم الشيعي العام الذي يفرق بين الجهاد العسكري الأصغر (محاربة أعداء المسلمين في أرض المعركة)، والجهاد الأكبر (جهاد النفس)، وسع الإمام الخميني نطاق الجهاد الأكبر عبر التأكيد على أن أي مسلم لا ينخرط في الجهاد الأكبر ليس مؤمناً حقيقياً وداعياً للإيمان. عوضاً عن جهاد النفس، فضل الخميني استخدام مجاهدة النفس(٢) بمعنى الصراع الأبدي الذي يهدف إلى القضاء على النفس الأنانية. كما قلب الخميني النظام التقليدي القائم على ممارسة الجهاد الأصغر قبل الجهاد الأكبر؛ بالنسبة إليه، فالجهاد الأصغر لا يشكل سوى بعد صغير جداً في عملية تدمير الروابط وإلغاء المتاريس وأحجبة الظلام التي تقف عقبة أمام تكامل الرجل مع الجيد الأعظم الذي يربط المجتمع المدني ويخوله الوصول إلى الحقيقة. وشدد على أنه يتعين على المؤمن المسلم ممارسة الجهاد الأكبر أولاً قبل الانخراط في الجهاد الأصغر إذ إن الجهاد الأكبر يشكل رأس حربة التغيير فيما الإنسان هو نقطة ارتكاز هذا التغيير. شدد الخميني على أن الجهاد الأكبر هو إصلاح إسلامي يعمد إلى إصلاح الشخص والنفس قبل إصلاح المجتمع. وقد حدد الجهاد الأكبر على أنه بعد صوفي وعرفاني. [95]

يتطلب الأمر بعض الشروحات. باختصار، بحسب الخميني، فإن العرفان يغوص في جوهر الأشياء لاكتشافها، أي ينقل الأشياء ويصفها بواقع الرؤيا. ويمكن التعبير عن الحالة الباطنية والخارجية بالتوالي من خلال التجاوزي وما فوق الطبيعة والحقيقة، التي تشكل أبعاداً مكملة بحسب الخميني. وقد استند في

---

(١) المرجع نفسه، ص. ٢٤ - ٢٥.

(٢) من الصعب جداً بالنسبة إلى أيّ ترجمة إنكليزية أن تقف على الفارق الدقيق بين الاثنين.

تمييزه هذا بين الباطني والخارجي إلى الآية السابعة من سورة الروم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾. تعني هذه الآية أن الأمور الباطنة في الحياة تقود إلى الآخرة أو بمعنى آخر فإن بلوغها يعني بلوغ الآخرة أي أن الانخراط في الجهاد الأكبر يعني روحية وتجاوزية ذات بعد ميتافيزيكي ترفع الرجل من الحياة إلى الآخرة. وبالتالي، فإن حصر الفرد نفسه في البعد الخارجي للحياة في القشرة الخارجية لهذا العام يؤدي إلى تجاهل الآخرة، ما يعني تجاهل الحقيقة والواقع في هذا العالم[1].

٣. مساهمة آية الله فضل الله الممكنة في إيديولوجيا حزب الله وتفكيره

على الرغم من أن آية الله العلامة محمد حسين فضل الله يرفض ويقف بشدة ضد ولاية الفقيه[2] التي انتهجها الخميني ولا ينفك يعارض السلطة الدينية الإيرانية، ومع أن فضل الله ليس قائد حزب الله الروحي، إلا أن كتاباته وفكره لم تؤثر على إيديولوجيا حزب الله[3] وفكره لا سيما كتابي فضل الله الشهيرين «الإسلام ومنطق القوة» (١٩٧٦) و«الحركة الإسلامية» (١٩٨٤) التي استقت منها الحالة الإسلامية في لبنان تطلعاتها وأهدافها.

في الإسلام ومنطق القوة، يواجه فضل الله منطق القوة في الصراعات

---

(١) بلال نعيم، «الحقيقة والخفايا في العرفان للإمام الخميني»، الانتقاد، العدد ١١٢٠ (٢٩ تموز/ يوليو ٢٠٠٥).

(٢) راجع على سبيل المثال «خصائص مرجع التقليد والولي الفقيه»، في فقه الشريعة، المجلد ١، الطبعة الخامسة، بيروت: دار الملك، ٢٠٠١، ص. ١٧ - ١٩. راجع أيضاً مجلة الشراع بتاريخ ٢٦ أيار/ مايو و٤ آب/ أغسطس ١٩٨٦.

(٣) من المؤلّفين الذين يتبنّون هذا الرأي طالب عزيز، «فضل الله وإعادة إنتاج المرجعية»، في «المرجع العلمي الأعلى لدى الشيعة»... ، ص. ٢٠٧؛ عجمي، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢١٣ - ٣٣٩؛ ص. ٢١٨؛ فولر، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٨؛ ومارتن كرايمر، «المرجع الروحي لحزب الله» The Oracle of Hizbullah، في «الناطقون باسم المستضعفين» Spokesmen for the Despised، نقّحه آر سكوت آبلباي، شيكاغو: منشورات جامعة شيكاغو، ١٩٩٧، ص.

الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية. برأيه أن الإيديولوجيا الثورية لمنطق القوة غاية في الأهمية لا سيما لدى تزايد الضغوط على الأمة بما يعرض المعتقدات الدينية المسلمة والأسباب العقائدية ومصير الأمة للخطر. قد يكون حزب الله قد ارتكز على منطق فضل الله حول القوة من أجل تحويل مفاهيم المستضعفين والمقموعين وتمكينهم(١). [96]

يضع فضل الله في الحركة الإسلامية الأوصاف والتعليمات لأمة حزب الله حيث يناصر حكم الأمة بنفسها في اعتراض على الولاية المطلقة التي هي برأيه مثالية وغير متجذرة في الدولة الإسلامية والمجتمع بشكل أوسع(٢). غير أن الكتاب ككل يشكل بحثاً معمقاً في الشريعة والأسس الفقهية للسياسات الإسلامية. استناداً إلى هذه النظرية والرؤيا الموسعة، يرسم فضل الله معالم أي حركة إسلامية تعتمد على القرآن والسنة آخذة بعين الاعتبار مستقبل الحركة الإسلامية غداة الفوضى في المفاهيم التي تقطع أوصال العالم الإسلامي. بعد عشر سنين من نشره، أصبح الكتاب إطاراً مرجعياً للحركة الإسلامية إذ إنه ارتكز على الأرجح في مفاهيمه الإيديولوجية عليه. وهكذا، تماثل حزب الله مع هذه الهوية الإسلامية الجماعية كإطار عمل إرشادي ومبدأ للممارسة(٣).

---

(١) تبلور هذا التحليل وما تبعه نتيجة لنقاشات الكاتب الخاصة مع هاني علي عبد الله، المستشار السياسي والإعلامي لفضل الله، والتي أجراها على الأقل في مناسبتين: ٢٧ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠١، و١٤ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥.

(٢) محمد حسين فضل الله، الحركة الإسلامية: هموم وقضايا، الطبعة الرابعة، بيروت: دار الملك، ٢٠٠١، ص. ٦٥ - ١٠٨، ص. ٣٠٨ - ٣١٦.

(٣) هاني علي عبد الله، وفاروق رزق وجعفر عقيل، مدراء جمعية المبرّات التابعة لفضل الله أكدوا ذلك، كما أكدوا التحليل اللاحق من خلال نقاشات شخصية مع الكاتب بتاريخ ١٤ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥. وحتّى في الآونة الأخيرة أيضاً، يبدو أن فكر فضل الله يستمر في التأثير في حزب الله. وبما أن فضل الله يدعو إلى المقاومة الناشطة للاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية، يجد كتابه «إرادة القوة» آذاناً صاغية لدى حزب الله، لا سيّما بعد الانسحاب الإسرائيلي شبه الكامل من لبنان في أيار/ مايو ٢٠٠٠. وفي هذا السياق، يؤكد السيد حسن نصر الله، الأمين العام لحزب الله على ما يلي: «لأن قوة الحق ليست كافية في عالم أحادي القطب تحكمه الولايات المتحدة، لزام علينا أن نمتلك حق القوة إلى جانب قوة الحق». راجع خطابه =

وبالتالي، يبدو أن نظام حزب الله الجهادي التنظيمي يتلاءم مع سلطة فضل الله الدينية والثقافية المرجعية من منظور النظام السياسي الموقت والمشروع الإسلامي الأوسع(١) على حد سواء: «عظمت أفعال حزب الله من كلمات فضل الله، بحيث نقلت صوته بعيداً عن منابره إلى العالم أجمع. لقد فسرت كلمات السيد فضل الله أفعال حزب الله وبررتها محولة الاستياء إلى مقاومة»(٢). غير أن الاختلافات ما بين حزب الله وفضل الله تطفو بشكل مرئي على السطح إذا ما غاص أحدهم في خصوصيات كل طرف. على سبيل المثال، خلال الثمانينيات، دعا فضل الله علناً إلى تسويغ كاريزما حزب الله معارضاً خطاب الحزب الحماسي لكن غير المتوازن(٣). وهكذا يمكن وصف العلاقة بين حزب الله وفضل الله من المنظور التالي: قدّم لحزب الله ما هو لحزب الله وقدّم لفضل الله ما هو لفضل الله(٤). [97]

٤. تطبيق حزب الله للإيديولوجيا الدينية التأسيسية الشيعية الأساسية

٤. ١ الإيمان بالإسلام الشيعي

٤. ١. ١ عقيدة الإمامة

يعترف أتباع حزب الله بالأئمة الاثني عشر ويجلّون سلطتهم الدينية. لكن

= بمناسبة الذكرى الثالثة للتحرير في ٢٥ أيار/ مايو ٢٠٠٣ على الموقع الإلكتروني: (تاريخ الزيارة الأخيرة للموقع: أبريل/ نيسان ٢٠٠٥).

(١) راجع «فضل الله الذي يُعتبر مقرّباً من حزب الله إنما يرفض أن يتم وصفه بالقائد الروحي للحزب..»؛ دانيال سوبلمن Daniel Sobelman، «قواعد اللعبة: إسرائيل وحزب الله بعد الانسحاب من لبنان»، مذكرة رقم ٦٩، جامعة تل أبيب: مركز جافي للدراسات الاستراتيجية، كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٤، ص. ١١٧.

(٢) كرايمر، «المرجع الروحي لحزب الله»، ص. ٨٤.

(٣) الحركة الإسلامية في لبنان، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٧٥ - ١٧٦.

(٤) المديني، أمل وحزب الله. . ، ص. ٢٠٣. للتعمق في العلاقة بين آية الله فضل الله وحزب الله، راجع: حسن فضل الله، الخيار الأكبر، ص. ٨٣ - ٨٩. وقد أكد نبيه برّي على أن حركة أمل تتبع مرجعية فضل الله. عدنان الغول، «في الخلوة الشيعية، بري يدعم المسعى =

بما أن تقليد مرجع ميت في الشيعة يعتبر شذوذاً عن القاعدة، يشدد حزب الله على الضرورة المطلقة للاعتراف بالإمام الحي[1] الذي لا يخطئ والذي يملك المعرفة المطلقة بالقرآن والتقاليد والشريعة. ويركز الحزب تحديداً على هذه النقطة بما أن الله ورسوله وأهل البيت هم الوحيدون الذين يعلمون حقيقة الإسلام. ويعترف حزب الله أنه في التاريخ الشيعي، لطالما ساد الاختلاف حول مسألة المرجعية. وهكذا، أفاد حزب الله مراراً «هذه ليست المرة الأولى التي تبرز فيها الاختلافات حول السلطة الدينية. فهذه مسألة طبيعية في التاريخ الشيعي»[2]. نظر الحزب باحترام إلى الإمام الخميني، مرجع التقليد الرسمي في الجمهورية الإسلامية وجلّ سلطته الدينية بصفته الفقيه الأول الذي يحمل لقب نائب الإمام المهدي بعد الغيبة الكبرى وفي التاريخ المعاصر[3].

٤ . ١ . ٢ التقية

يؤكد الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله أن التقية هي ضرورة فرضت بسبب البطش السياسي الذي مورس ضد الشيعة خلال فترات سياسية محددة. وهكذا، لجأ المضطهدون الشيعة إلى التقية لتفادي المواجهة مع الحكام غير العادلين. أفاد نصرالله أن هذه هو السبب الذي حمل قادة حزب الله وكوادره على ممارسة التقية السياسية كاستراتيجيا بقاء، فعملوا في الظل حتى العام ١٩٨٤ . ورأى أن السبب الثاني لاتباع التقية هو تفادي الفتنة والانشقاق في صفوف المسلمين. من هذا المنظور، أعلن نصرالله عن ضرورة ردع الفتنة مهما

= النووي لإيران: المراقبون يرون في «الصفقة» زخماً لصورة أمل» At Shiite conclave, Berri backs Iran's nuclear quest: Observers see deal to boost Amal prestige، صحيفة دايلي ستار Daily Star بتاريخ ٢٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٤.

(١) الإمام الحي هو الإمام المهدي الذي جعله اختفاؤه بعيداً عن أعين الناس. (راجع قاسم، حزب الله: المنهج. . .، ص. ٣٨٨).

(٢) سليم الحسني، المعالم الجديدة للمرجعية الشيعية، الطبعة الثالثة، دار الملك، ١٩٩٤، وعلى وجه الخصوص ص. ٤٨ - ٥٨؛ راجع أيضاً المديني، أمل وحزب الله. . .، ص. ٢٠١.

(٣) استمر ذلك حتى وفاة الإمام الخميني في حزيران/ يونيو ١٩٨٩.

كان الثمن بما أن عواقبها كارثية على الأمة. وقد دعا نصرالله دائماً للوحدة في الجبهات الإسلامية والداخلية كإحدى ممارسات التقية السياسية بهدف تفادي الفتنة(١). [98]

٤ . ١ . ٣ التعبئة

يستخدم حزب الله حادثة كربلاء ليجمع دعم أتباعه من خلال التعبئة. في الواقع، تماشياً مع الإمام الخميني، اتبع حزب الله خط التعبئة الناشط ضد السكون السياسي الذي مارسته الغالبية الشيعية لعقود خلت. انسجاماً مع التعريف الشيعي التقليدي ورأي الخميني حول التعبئة، ينظر حزب الله إلى التعبئة على أنها محاولة من قبل المؤمنين بقيادة العلماء للسيطرة على السلطة وتولي الحكم بهدف إرساء حكم الله أو الشريعة الإسلامية، بمعنى آخر، النظام الإسلامي. كان هذا شعار حزب الله وهدفه منذ البداية كما يبرز في إعلاناته السياسية الأولى التي نشرت في العامين ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥ ووُقِّعت كالتالي: «حزب الله ـ الثورة الإسلامية في لبنان»(٢).

يختصر حزب الله إطار عمل أسلوب التعبئة الإسلامية عبر الادعاء أنه أكثر وسيلة صادقة وفاعلة بين الإسلاميين بما أنها تحمي الأصالة الثقافية الإسلامية من المادية والاستهلاك والانحلال الأخلاقي والاجتياح الثقافي للشرق والغرب. بصفته حركة جهادية إسلامية، يدعو حزب الله لتعبئة كافة موارده في قتال العدو كضرورة عقائدية وعملية فيما يمارس في الوقت نفسه التوازن في هذه المواجهة(٣). يشدد حزب الله على أن التعبئة تشكل عصب

---

(١) طلال سلمان، سيرة ذاتية لحركة مقاومة عربية منتصرة: حزب الله، بيروت: السفير، ٤ حزيران/يونيو ٢٠٠٠. ولهذا السبب لم يكن مفاجئاً أن يخصّص حزب الله في «رسالته المفتوحة» أو دستوره السياسي قسماً خاصاً عن مخاطر الفتنة. راجع «المحلق أ»، القسم ٢٢: «الله في وحدة المسلمين».

(٢) حسن فضل الله، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٣٥؛ ص. ١٦٣ - ١٨٣. منذ العام ١٩٩٨، تحوّل التوقيع والشعار إلى «حزب الله - المقاومة الإسلامية في لبنان».

(٣) علي الكوراني، أحد كوادر الدرجة المتوسطة في حزب الله، وكان أول من كشف =

استراتيجيا تجنيده التي تشكل عملية تدريب طقسي. تشكل التعبئة والانضباط الصارم ميزات حزب الله البارزة التي تميزه عن سائر الحركات والمجموعات والأحزاب السياسية(١).

٤ . ٢ ولاية الفقيه

٤ . ٢ . ١ اعتماد حزب الله ولاية الفقيه

اعتمد حزب الله ولاية الفقيه التي انتهجها الخميني كركيزة أساسية في إيديولوجيته الدينية. منذ أولى بداياته، التزم الحزب بالقيادة الشرعية للإمام الخميني كخلف للنبي والأئمة الاثني عشر. أما الخميني، بصفته الأكثر معرفة ويملك المهارة المعرفية والصفات القيادية، فقد رسم التوجيهات العامة للعمل داخل الأمة؛ لهذا السبب لا بد من تطبيق أوامره ونواهيه. اعتبر حزب الله الإمام الخميني ولي أمر المسلمين أو الولي الفقيه فكنوا له الولاء المطلق تماشياً مع المسؤولية الشرعية للفقيه، الذي يمثل مرجع التقليد الإيراني الرسمي. يحدد الفقيه التكليف وهو الوحيد الذي يحدد الشرعية(٢). [99]

= عن استراتيجيات التعبئة في الحركة الاجتماعية عبر كتابه المعنون «طريقة حزب الله في العمل الإسلامي»، طهران، مكتب الإعلام الإسلامي: المؤسسة العالمية، ١٩٨٥، ص. ٩ - ٢٩؛ ص. ١٦٥ - ١٨١.

(١) ينبغي على المجنّدين المحتملين الخضوع لتدريب تعبوي صارم قد يستغرق أكثر من عام. وخلال هذه الفترة يخضعون لتلقين ثقافي إسلامي يتم على أساسه تقييم سلوكياتهم وأفعالهم التي ينبغي أن تعكس المعايير الإيديولوجية الدينية الشيعية التي يبني عليها حزب الله طريقته في التعبئة الإسلامية. وبعد المرور بهذه المرحلة، ينبغي أن ينتظم المجنّدون في فتتين هامّتين: (١) اتباع أوامر القيادة التراتبية أو الهيكلية الهرمية مهما حدث؛ و(٢) الخضوع لتدريب عسكري مكثّف وهو واجب محتّم يُفرض على كلّ أفراد حزب الله حتى وإن كان بعضهم لن يشارك في أي جهاد عسكري أصغر في خلال عضويته. راجع مقال شريف الحسيني «حزب الله: حركة عسكرية أم سياسية أم دينية؟» في القسم المعنون «حالة متفرعة عن الثورة الإسلامية في إيران»، بيروت: الشراع (١٧ آذار/مارس ١٩٨٦)، ص. ١٤ - ٢١، وعلى وجه الخصوص ٢٠ -٢١.

(٢) حسن فضل الله، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٣٩ - ٤٣؛ قاسم، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٣.

٤ . ٢ . ٢ تطبيق حزب الله لولاية الفقيه

يقع ارتباط حزب الله بولاية الفقيه ضمن نطاق التكليف والالتزام الملزمين للمكلَّفين. وقد يعود المكلفون إلى مرجع آخر[١]؛ غير أنه عندما يتعلق الأمر بالتقليد، فالأمر الأخير في الشأن الإسلامي العام هو الفقيه[٢]. يميز الشيخ قاسم بين استشارة المرجع وتقليده. ويعني قاسم أنه في ما يتعلق بالعبادة والمعاملة يستطيع أتباع حزب الله استشارة واتباع مرجع آخر؛ لكن عندما يتعلق الأمر بالنطاق العام للشؤون السياسية، فالمرجع الوحيد الواجب تقليده هو الإمام الخميني الذي يحدد الأوامر الشرعية السياسية[٣]. يضيف قاسم أن الحدود التي يفرضها الفقيه تأخذ بعين الاعتبار النقطتين الأساسيتين التاليتين في السلسلة: أولاً تطبيق أوامر الشريعة وعدم الانخراط في أفعال معادية لها؛ وثانياً احترام الخصوصيات التي تؤثر على دائرة المسؤوليات المناطة بكل مجتمع أو بلد. يؤكد قاسم أن التزام حزب الله بولاية الفقيه يشكل دائرة في هذه السلسلة: فهو يعمل في نطاق الدائرة السياسية بهدف تطبيق الأوامر؛ كما يشكل السلوكيات تماشياً مع التوجيهات التي يعطيها الفقيه وأحكامه[٤].

علمت من مقابلاتي أنه في بداية الثمانينيات، أمر الإمام الخميني خامنئي الذي كان في ذاك الوقت نائب وزير الدفاع بأن يصبح المسؤول بالكامل عن حزب الله اللبناني وعهد إليه بذلك. مذاك الحين، أصبح خامنئي عراب حزب الله. لهذا السبب، منذ البدايات، يتقيد حزب الله بالكامل، من منطلق ديني وإيديولوجي، بأفكار الإمام الخميني وآرائه التي أوصلها خامنئي[٥]. خلال هذه

---

(١) راجع سعد ـ غريّب الذي يذهب حتّى إلى التأكيد على أن «أفراد حزب الله أحرار في تقليد مرجع آخر كما يفعل بعض أتباعه». راجع حزب الله: السياسة والدين، ص. ٦٥.

(٢) قاسم، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٧٥.

(٣) المديني أيضاً يؤكّد على موقف قاسم وتفسيره. راجع أمل وحزب الله. . . ، ص. ١٧٦.

(٤) قاسم، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٧٥ - ٧٦.

(٥) يبدو أن ثمة إجماعاً بين أولئك المدرجة أسماؤهم أدناه على أنّ هذا هو الحال: البروفسور مسعود إسلامي (عميد سابق لكلية العلاقات الدولية)؛ البروفسور حيماتي (خبير في الدين =

الفترة، يمكن الاطلاع على الرابط الديني الإيديولوجي بين الجمهورية الإسلامية الإيرانية ولبنان من خلال التصريحات التالية لقادة حزب الله والقادة الإيرانيين: «إيران ولبنان شعب واحد في بلد واحد... لا نقول إننا جزء من إيران، بل نحن إيران في لبنان ولبنان في إيران؛» «سندعم لبنان سياسياً وعسكرياً كما ندعم إحدى مقاطعاتنا الإيرانية»؛ «نعلن للعالم أجمع أن الجمهورية الإسلامية في إيران هي أمنا وديننا والكعبة وعروقنا»(١). [100]

٤.٢.٣ آراء حول النظام الإسلامي في ما يتعلق بولاية الفقيه

يستخدم حزب الله للتعبير عن النظام الإسلامي «الدولة الإسلامية» و«الحكومة الإسلامية» و«الجمهورية الإسلامية» في ما بينها. جمع عالم الدين لدى حزب الله من أصول إيرانية السيد صادق الموسوي في مجلدين من ١٣٠٠ صفحة الإعلانات والآراء الداعمة لإنشاء جمهورية إسلامية في لبنان فوراً من دون أي تأجيل. تماشياً مع ولاية الفقيه التي تفرض تأسيس نظام إسلامي بوصاية نائب الإمام المهدي، يؤكد صادق الموسوي أن القرآن هو الدستور الإلهي الأبدي للمسلمين؛ لذا عليهم الانصياع له والتصرف وفق أحكامه لأنه كلمة الله الظاهرة. كما يضيف أن على المسلمين إطاعة الله ونبيه وتنفيذ الواجب الشرعي والقضاء على أي حاكم غير عادل بهدف إنشاء حكومة إسلامية تفرض العدالة والمساواة وتردع تمرد الشيطان وتضع حداً للنزاع بين المسلمين. ووفق ما

= والفلسفة، متخصّص في التطوير والحداثة؛ مستشار لدى خامنئي)؛ البروفسور محمد رضا دهشيري (رئيس قسم الدراسات الإقليمية في كلية العلاقات الدولية وخبير في شؤون السياسة الخارجية الإيرانية)؛ والبروفسور محمد رضا مالكي (مدير الدبلوماسية والعلاقات الدولية في كلية العلاقات الدولية ونائب عميد كلية الحقوق والعلوم السياسية في جامعة أزاد في كراج. وهو خبير في قضايا الشرق الأوسط والصراع العربي الإسرائيلي). أجريت هذه المقابلات بين ٣٠ آب/أغسطس و٦ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٢. وعلمت أيضاً أن خامنئي ملمّ جداً بالمد والجزر في النظام السياسي اللبناني والمجال العام أكثر من أي لبناني ربّما. وهذا يفسّر على ما يبدو أسباب اتباع حزب الله لتوصيات خامنئي.

(١) مصادر حزب الله الأساسية: الشيخ حسن طراد؛ السيد إبراهيم الأمين السيد؛ علي أكبر محتشمي؛ الشيخ حسن سرور (العهد، عدد ١٤٦).

يقول، فإن الحاكمية والسيادة وحدهما ملك الله: (القرآن، سورة يوسف، الآية ٣٩). فقانون الله الإلهي يفرض أوامر السلوك الإنساني وقوانين الحكم على مستوى أكثر شمولية. ويشدد أن الإسلام ينفذ الأوامر بواسطة حكومة عادلة يجسدها شخص النبي (ص) والأئمة والعلماء وورثة الرسول: (سورة النساء، الآية ٥٨). تماشياً مع الإمام الخميني، يؤكد صادق الموسوي أن الله أمر المسلمين بلعن كل سلطة أو حكومة لا تحكم بما أمر الله به واعتبارها كافرة. فالله قد حرّم حكم الطغاة واصفاً إياه بالنفاق والرذيلة في هذا العالم والعالم التالي: (سورة النساء، الآيتان ٥١، ٦٠). وبتأثير من الخميني أيضاً، يؤكد صادق المهدي أن الالتزام بالقوانين الوضعية بدل الشريعة الإسلامية أمر غير إسلامي بالكامل[١].

من جهته، أكد السيد حسين الموسوي[٢] أن إيديولوجيا حزب الله الدينية أملت على الحزب تأسيس نظام إسلامي يرتكز على ولاية الفقيه. وقد برر خيار حزب الله للشعار الديني الإيديولوجي للجمهورية الإسلامية كما يُستخدم في إيران وإمكانية تطبيقه في لبنان. وأكد الموسوي بشكل عام أن الحكومة الإسلامية ترتكز على مبادئ إلهية مذكورة في القرآن، والتقليد، وفي الاجتهادات التشريعية المندرجة منهما والتي تتطرق إلى هموم الفرد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. كما أكد أن المفهوم المعاصر لـ«الجمهورية الإسلامية» هو امتداد لجهود الأنبياء والأئمة وتجسيد حي للتجربة الطويلة التي قام بها الرسل. وشدد الموسوي على أن نظام الحكم الذي كان سائداً في زمن الرسول (ص) لم يحمل اسماً معيناً. لكن بفعل تعقيدات الحياة المعاصرة، استخدم المسلمون كلمات

---

(١) الشراع (١٩٨٤)، ص ٣٢٣-٣٣٦. راجع روح الله الخميني، الحكومة الإسلامية. طهران: معهد تنسيق ونشر تراث الإمام الخميني، ١٩٩٦، ص ٦٠ وما يليها. الحركة الإسلامية في لبنان، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٣٢٣ - ٣٣٦. راجع الخميني، الحكومة الإسلامية، ص. ٦٠ وما بعدها.

(٢) كان نائب رئيس حركة أمل. في العام ١٩٨٢ انشق عنها وأسس أمل الإسلامية التي أصبحت لاحقاً جزءاً من حزب الله.

مختلفة كالخلافة والإمارة أو الدولة للتعبير عن النظام الإسلامي. واستخدم ذلك للتلميح إلى أن الباب مفتوح أمام المسلمين لاختيار الصفة التي يرونها مناسبة للتعبير عن النظام والحكم الإسلامي بحسب السياق الكلامي. ويرى الموسوي أن ذلك يفسر لما لا يشعر المسلمون بأي انزعاج لدى اختيارهم تسمية النظام الذي يفرض تطبيق الشريعة الإسلامية حتى لو اختلفت التسمية عن تلك التي كانت سائدة لدى الجيل الأول من المسلمين. وبما أن «الجمهورية» تعني نظاماً سياسياً يرتكز على إرادة الشعب، وبما أن «إسلامي» تعني أن آراء الشعب تفقد مصداقيتها إن لم تكن متماشية مع الثوابت الإسلامية، لذا يستخدم حزب الله شعار «الجمهورية الإسلامية في لبنان» للتعبير عن نظام يطبق القوانين الإسلامية في لبنان استناداً إلى أوامر الله الواردة في القرآن كما تنص عليها ولاية الفقيه: ﴿...وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ... فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ (سورة المائدة، الآية ٤٣) ﴿...فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ (سورة المائدة، الآية ٤٥)[(١)].

الجهاد

٤ . ٣ الجهاد والاستشهاد

٤ . ٣ . ١ موقف حزب الله من الجهاد وتبريره

تصف إيديولوجيا حزب الله الدينية الجهاد على أنه نقطة ارتكاز الإيمان بالإسلام[(٢)]. تلتزم إيديولوجيا الحزب الدينية بالمفهوم الشيعي التقليدي حول الجهاد العسكري الأصغر حسب فكر الخميني، كما ورد في سورة الحج، الآية ٧٨ ﴿وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ

---

(١) مقابلة أجرتها مجلة الشراع بتاريخ ٢٦ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٣ كما جاء في «الحركة الإسلامية في لبنان»، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢١٩ - ٢٣٣.

(٢) كما أكد قاسم في: الحرب السادسة: الاجتياح الصهيوني للبنان ١٩٨٢، المجلد ٢٢، الحلقة ٣، بيروت: دار المنار للإنتاج المرئي والتوزيع، ٢٠٠٢.

مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾. يشدد حزب الله على المعنيّ بالجهاد في الآية المذكورة هو المعنى العام أي الجهاد وحده في سبيل الله. كالخميني، يشدد الحزب على ذلك عبر التأكيد أن المؤمنين بالجهاد يدخلون الجنة فيما الكفار يذهبون إلى الجحيم(١). [102]

كما التفسير التقليدي، تضع إيديولوجيا حزب الله الدينية الجهاد فوق العلاقات الدنيوية (المادية) الثماني المذكورة في الآية ٢٤ من سورة التوبة: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾. وهكذا، فالأولوية هي لحب الله والنبي محمد (ص) وممارسة الجهاد في سبيلهم بدل حب العلاقات الدنيوية والرغبات المادية. يشدد حزب الله على أن هذه الأولوية تصبح جلية عندما يبرز النزاع بين إعطاء المال للجهاد والاحتفاظ به مخافة خسارته، وعندما يمنع أحد الأهل أولادهم من التضحية بأنفسهم. ينظر إلى الحالتين على أنهما انحراف عن طاعة الله. لكن في حالة التضحية في سبيل الله والجهاد في سبيله وفي سبيل رسوله، ما من نزاع بين العلاقات الدنيوية الثماني المذكورة والجهاد. في هذه الحالة، تعتبر العلاقات الدنيوية الثماني كعوامل مساعدة على تكليف الفقيه(٢).

توسع إيديولوجيا حزب الله الدينية المفهوم التقليدي لفعل جَهَدَ عبر تفسيره على أساس قيام الفرد بأقصى ما يمكنه للدفاع عن نفسه ضد العدو(٣).

---

(١) قاسم، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٤٤ -٤٥. تفسير الآية القرآنية (السورة ٢٢: الآية ٧٨) قدّمه الطبطبائي. راجع الجهاد وخصال المجاهدين، ص. ٣١ - ٣٧.

(٢) قاسم، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٥٣ - ٥٤.

(٣) المرجع نفسه، ص. ٤٤.

يصف حزب الله الجهاد على أنه بُعد تعاقدي (اتفاق ضمني) مع الله يرتكز على مبايعته بهدف دخول الجنة مقابل هذه التضحية (سورة التوبة، الآية ١١١) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(١).

٤.٣.٢ حماية الجهاد: الالتزام بأوامر الفقيه

تماشياً مع الإمام الخميني، تشدد إيديولوجيا حزب الله الدينية على أن الجهاد يرتكز على التضحية بالنفس والممتلكات. ولا يمكن جني ثمار الجهاد إلا عبر تضحية وتقدمات المقاتلين وعوائلهم والجرحى لأن اعتداءات الأعداء ترتكز على توجيه الآلام والمعاناة بهدف فرض الاستسلام. يشكل الجهاد وسيلة للدفاع لمنع العدو من تحقيق أهدافه مع أن ذلك قد يؤدي بالحزب إلى تسديد ثمن باهظ والعديد من التضحيات والآلام التي يجيزها فقيه مسؤول ومؤهل بحيث ترتكز على هدف شرعي واضح(٢). [103]

يدعم حزب الله إصرار الخميني على طاعة الفقيه في الشؤون العامة بما فيها الدفاع عن الإسلام والمسلمين ضد الكفار والطغاة والمستكبرين، بما يتناغم وآراء رجال الدين. يقدر الفقيه ويحكم بموضوعية ما إذا كان لا بد من القيام بالجهاد وحده لبلوغ النصر أو وضع حدود معينة على مستوى التضحية. وبما أن قرار الفقيه مطلق ولا يمكن الرجوع عنه، لا يستطيع حزب الله نقضه مستخدماً منطقه الخاص وتحليله(٣).

---

(١) المرجع نفسه، ص. ٥٥.

(٢) المرجع نفسه، ص. ٥٣.

(٣) راجع القسم الأول من الرسالة المفتوحة: «أما ثقافتنا، فمنابعها الأساسية، القرآن الكريم، والسنة المعصومة، والأحكام والفتاوى الصادرة عن الفقيه مرجع التقليد عندنا. هذه المصادر واضحة وغير معقدة ومتوافرة للجميع من دون استثناء ولا تحتاج إلى أي تنظير أو فلسفة، بل إن جلّ ما تحتاج إليه هو الالتزام والتطبيق».

في الواقع أن السياسة المعلنة لحزب الله ترتكز على أن قرار القيام بالجهاد يقع على الفقيه الذي يحدد ما إذا كان الوضع يقع ضمن الحدود الضيقة للجهاد الدفاعي. كما يحدد أحكام التورط وسبل حمايته. يشكل هذا الأمر أهمية حيوية إذ ثمة مسؤولية خطيرة في إهراق الدماء حيث إنه لا يتعين على المقاتلين الدخول في أي معركة من دون إرساء واجب الجهاد أو من دون وجود أساس متين لأهداف المعركة. بما أن الصلاحية تعود للفقيه، فالكلمة الفصل والقرار يعودان إليه، ويكونان ملزمين لكل المسلمين الذين يتبعونه(١).

أخبرني أحد أفراد حزب الله، وهو يود المحافظة على سريته، أنه يتعين على أعضاء حزب الله الجدد أن يقولوا كممارسة لعقيدتهم وتكريس لانخراطهم: «إذا قال لك الولي الفقيه أن اقتل نفسك، فعليك فعل ذلك». هذا لا يشرح تشرب العقيدة وحسب، بل الطاعة المطلقة للفقيه.

٤.٣.٣ الانخراط في الجهاد الأكبر قبل الجهاد الأصغر

تؤكد إيديولوجيا حزب الله الدينية على أن المعنى الإسلامي لكلمة الجهاد يشير إلى شيء أكثر من النضال العسكري ضد العدو. فيمكن توسيع معنى الجهاد ليشمل الجهاد الأكبر الذي يشكل قتال العدو الداخلي للإنسان. تعدل إيديولوجيا حزب الله الدينية تفسير الخميني للجهاد الأكبر عبر التمييز بين: أولاً الإيحاءات التي تدعو الفرد للقيام بكافة أشكال الرذائل وثانياً، الشيطان الذي يحض على ارتكاب الأفعال الجانحة والفاسدة والشيطانية(٢). لكن تماشياً مع خط الخميني، يشدد الحزب على حاجة الفرد لتحضير نفسه قبل الانخراط في الجهاد العسكري الأصغر عبر إظهار استعداده للتضحية بأغلى ما عنده: روحه وممتلكاته كلها وليس جزءاً منها. ولا يمكن القيام بذلك إلا بعد سلسلة من الجهود والجهاد مع النفس(٣).

---

(١) قاسم، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٥١.

(٢) المرجع نفسه، ص. ٤٤.

(٣) المرجع نفسه، ص. ٥٥.

تماشياً مع خط الإمام الخميني، وقبل الانخراط في الجهاد العسكري الأصغر، يتعين على كلّ عضو في حزب الله الخضوع لعملية تشريب منهجية وصارمة للعقيدة بهدف غرس روح الجهاد الأكبر في عقله وقلبه. وهكذا، بهدف إنجاز التعبئة الناجحة والفاعلة، انطلق الحزب [104] لسنوات عدة في إعطاء الدروس المكثفة حول أهمية التضحية بالنفس وجعلها مركز حركته الثقافية أو العقائدية. عبأت إيديولوجيا حزب الله الدينية أتباعه وشربتهم العقيدة على أسس إيديولوجية ودينية من خلال عملية تدريجية ترتكز على تحويل روحي أدى في النهاية إلى تعزيز القوة الداخلية الضرورية للتضحية بالنفس، الأمر الذي يمكن الضعيف على القوي والمستضعف على المستكبر(١). وهكذا، فإن التدريب العسكري المعقد والمكثف (الجهاد العسكري الأصغر) ليس كافياً لتحويل الفرد الذي ينوي التضحية بنفسه. بل لا بد من أن يترافق ذلك مع تعبئة نفسية وتحول روحي كتقنية أساسية لتشريب عقيدة الجهاد الأكبر بهدف غرس روح التضحية بالنفس في قلوبهم وتحديث قوتهم الممكنة(٢).

ذكرت إيديولوجيا حزب الله الدينية التأطير المكثف والمرهق الذي يمر به أعضاء حزب الله المستقبليون حتى يعوا كيف يمكنهم الذهاب أبعد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأبعد من الانخراط في الجهاد المقنع (الجهاد غير العسكري الأصغر)(٣). وقد أشار إلى التوجيه الروحي الخاص الذي يخضع له المجندون الجدد بهدف غرس روح الجهاد الأكبر في أرواحهم والتسبب بتحول في الروح عبر عملية متواصلة للبناء الروحي. عندها فقط يستطيعون الانخراط في الجهاد العسكري الأصغر والتضحية بالنفس. بحسب حزب الله، ثمة حاجة ضرورية لإعادة إحياء ثقافة الجهاد والجهاد في سبيل الله وتشريب مبادئه وأوامره

---

(١) المرجع نفسه، ص. ٥٩ - ٦١.

(٢) «أحزاب لبنان...»، الجزء ١ (١٩٧٩ - ١٩٨٩)، الشبكة الوطنية للإرسال أن بي أن NBN، ٢١ تموز/ يوليو ٢٠٠٢.

(٣) علي الكوراني، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٠٤ - ١١٣.

في عقول الأطفال وشعوب الأمة(١). وشدد على الحاجة للذهاب إلى ما وراء الجهاد الفكري (الجهاد المقنع: الجهاد غير العسكري الأصغر) والجهاد العسكري الأصغر بما أن الميزة المميزة في ثقافة حزب الله هي غرس ثقافة الجهاد الروحي والجهاد الأكبر وجهاد تنقية النفس للذهاب إلى ما بعد الدنيا بهدف ممارسة التعبئة وطاعة الفقيه. يشدد حزب الله على أن التعبئة والطاعة تعطيان التزاماً دينياً إيديولوجياً(٢).

الميزة البارزة في ثقافة حزب الله حول الجهاد الأكبر هي التقوى والانبعاث الروحي والصوفية والعرفان، إلى جانب الممارسات التي حددها الإمام الخميني حول الحلال الشرعي. عدّلت إيديولوجيا حزب الله الدينية تفسير الإمام الخميني للجهاد الأكبر عبر تشديدها على الحاجة ليس لبناء الروحية وحسب بل لمواصلة تعزيزها وتمتينها عبر القتال في سبيل الله، إذ إن قتال الأعداء يساعد على غرس الروحية في الروح أو النفس بعمق وبسرعة. لهذا السبب أمر الله بالطاعة الدينية عبر طلب الاندفاع إلى ساحة المعركة (سورة التوبة، الآية ١٢٢)، إذ إن الله يعي جيداً أن حرب الأمة مع أعدائها مفتوحة، بحيث تعلّق أسلمة العالم أجمع. [105]

يضيف الحزب أن الله أراد لحروب الأمة أن تأخذ بعداً شاملاً حيث تسرع الشعوب القريبة والبعيدة للمشاركة. أما التبرير لهذا السلوك فهو أن الله يعلم أن ظروف مواجهة الأعداء والتضحية بالنفس تساعد روح المسلم على فهم حقيقة الإسلام والتقوى الدينية من دون أحجبة الظلام والنور(٣).

٤.٣.٤ العلاقة بين الجهاد والاستشهاد

تؤكد إيديولوجيا حزب الله الدينية أن عشق الاستشهاد لا يقوض بأي شكل من الأشكال الرغبة بالنصر. وهكذا، تماشياً مع النظرة الشيعية التقليدية ومنظور

---

(١) المرجع نفسه، ص. ١٤٣.
(٢) المرجع نفسه، ص. ١٧١ - ١٧٣.
(٣) المرجع نفسه، ص. ١٧٥ - ١٧٧.

الإمام الخميني، تشدد إيديولوجيا حزب الله الدينية على أن للجهاد جزاءين عظيمين أو حسنيين: الاستشهاد (للشخص) والنصر (للأمة)، (سورة التوبة، الآية ٥٢)[١].

استناداً إلى منطق الخميني ونقاشه، تدافع إيديولوجيا حزب الله الدينية عن العمليات الاستشهادية من منظور ديني كتعبير عن طاعة الله للقيام بالجهاد العسكري الأصغر، ولتحقيق واجب الاستشهاد الديني، المفروض على المؤمنين بهدف الدفاع عن حقوقهم وأراضيهم المحتلة[٢]. يشرح حزب الله أن النشوء على مفهوم الجهاد يدعم روح الاستشهاد والجهوزية للموت في سبيل الله. يرتكز منطق الاستشهاد على المفهوم الديني والإيمان بحياة أخرى في الجنة حيث يعيش الإنسان بهناء، وتتحقق أحلامه كلها فضلاً عن الثمار التي تجنيها الأمة جراء استشهاده. يتجاوز الاستشهاد البعد المادي لتحرير الأرض المحتلة؛ هو واجب ديني وشهادة عن طاعة أوامر الله، لهذا السبب يكون الاستشهاد في سبيل الله[٣].

الاستشهاد

٤.٣.٥ تبرير حزب الله للعمليات الاستشهادية

تحث إيديولوجيا حزب الله الدينية الأهل على تربية أولادهم على مفهوم الاستشهاد في سبيل الله[٤]. يرتكز المنطق وراء الاستشهاد على مفهوم ديني وإيمان بالآخرة حيث يعيش الناس بسعادة ويحققون أحلامهم بالإضافة إلى جني الأمة للثمار نتيجة للاستشهاد. يؤكد حزب الله أن [106] الاستشهاد بصفته واجب

---

(١) قاسم، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٥٨.
(٢) المرجع نفسه، ص. ٥٥.
(٣) المرجع نفسه، ص. ٦١ - ٦٢.
(٤) يلمّح قاسم إلى أن الحركات الإسلامية وحزب الله يستخدمون التنشئة على مفهوم الاستشهاد؛ ولهذا السبب كانت هذه الحركات ولا تزال منتصرة، في حين أن الحركات الوطنية تعتمد التنشئة على مفهوم النصر فلا تحصد سوى الهزيمة والخيانة. المرجع نفسه، ص. ٥٨ - ٥٩.

الدفاع عن الأرض المحتلة وتحريرها يتجاوز البعد المادي. يشكل الاستشهاد تجسيداً لمفهوم طاعة الله وهو واجب ديني شرعي يقود إلى الحياة الأبدية. يشدد الحزب على أن الرغبة القوية بالاستشهاد ترتكز على قناعات دينية قوية. لقد تعلم الحزب أن النشوء على مفهوم الاستشهاد فاعل ويؤدي إلى انتهاج الاستشهاد حيث يربط الأجر بالمسؤولية المناطة بالقيام بالعمليات الاستشهادية (الجهاد العسكري الأصغر). تماشياً مع الإمام الخميني، تشدد إيديولوجيا حزب الله الدينية على أن الاستشهاد هو خيار جدي يتطلب الإيمان والتفاعل مع الشهيد المستقبلي. ولتحقيق الاستشهاد، لا بد من العديد من العقائد المرتكزة على النشوء الديني والروحي؛ فالاستشهاد واجب ديني مفروض على المؤمن الذي يجزى بذهابه إلى الجنة[١]. في هذا الصدد، يقال إن الأمين العام لحزب الله كان يلتقي بكل شهيد قبل قيامه بعمليته ضد القوات الإسرائيلية التي كانت تحتل جنوب لبنان والبقاع. وكان يشدد، بهدف رفع معنوياتهم، على ذهابهم إلى الجنة لأن الحرب الدينية (الجهاد) هي واجب في الإسلام فيقول لهم: «أبلغوا تحياتي إلى النبي محمد»[٢]. لهذا السبب، فإن العديد من أفراد الحزب مستعدون لتأدية تكليفهم عبر الفوز بشرف الاستشهاد من أجل الحصول على بركات الله وطاعته. وهكذا، ما من دهشة في هرولة المؤمن نحو الاستشهاد إذ إنه جزء من الالتزام والتعبئة الدينية[٣].

استناداً إلى إيديولوجيته الدينية، يبرر حزب الله العمليات الاستشهادية عبر التأكيد أنها تشكل جزءاً من منطق ورؤيا، أو رؤيا شاملة تستند إلى ضرورة استخدام القوة الممكنة لمواجهة العدو الإسرائيلي. لهذا السبب أطلقت العمليات الاستشهادية ضد القوات الإسرائيلية التي كانت تحتل جنوب لبنان

---

(١) المرجع نفسه، ص. ٥٨.

(٢) راجع سامي مبيض، «لبنان الذي يسيّره عامل نصر الله» Lebanon guided by the Nasrallah Factor، مجلة آسيا تايمز The Asia Times، ٢٦ شباط/فبراير ٢٠٠٥.

(٣) قاسم، حزب الله: المنهج...، ص. ٥٨.

كسياسة وبرنامج يعتبره حزب الله أسلوباً عملياً لتحقيق ضربات متتالية ضد العدو، مستنفداً معنوياته وموارده. أما الحافز من هذه العمليات الاستشهادية فهو استهداف الجيش الإسرائيلي المحتل بضربات عنيفة تهز قدراته العسكرية حتى يشعر بعجزه وبالتالي ينسحب. بهذا الأسلوب، يكون حزب الله قد حقق هدفه القائم على تحرير الأرض المحتلة. يشدد حزب الله على أن العمليات الاستشهادية كانت جزءاً من خطة مدروسة تحولت إلى كونها الأسلوب الوحيد القادر على تغيير المعادلة في مواجهة العدو الإسرائيلي الأقوى[١].

شدد آية الله السيد فضل الله على أن العمليات الاستشهادية التي ينفذها حزب الله منحت أعضاء الحزب نوعاً من التمكين ضد ما كان يُسمى الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر. [107]

وأكد أن «ما من بديل عن الجهاد القاسي والصعب النابع من قوة الجهود والصبر والتضحية ـ وروح الاستشهاد»[٢].

٦.٣.٤ تطبيق حزب الله لنموذج الإمام الحسين وتقليد نظرية الخميني حول الاستشهاد كبطاقة إلى الجنة

شدد الشيخ علي ياسين، وهو رجل دين في حزب الله على أن إيديولوجيا حزب الله الدينية تعتبر أولئك الذين ينفذون عمليات استشهادية ضد أعداء المسلمين شهداء أحياء في الجنة[٣]. مستنداً على سابقة الإمام الحسين[٤] وموقف الإمام الخميني الديني الإيديولوجي، الذي يعتبر الاستشهاد

---

(١) راجع الحرب السادسة. . . ، المجلد ٢، الحلقة ٦.

(٢) السيد محمد حسين فضل الله، «الثورة الإسلامية في إيران: تأملات من الداخل»، المنطلق، العدد ٨ (كانون الثاني/يناير ١٩٨٠)، ص. ١١ - ١٢، كما جاء لدى كرايمر، «المرشد الروحي لحزب الله»، ص. ١٠٩.

(٣) جريدة اللواء، بتاريخ ٩ تموز/يوليو ١٩٨٤.

(٤) على الرغم من أن الإمام الحسين لم يفجّر نفسه (لأنّ المتفجرات لم تكن متوافرة آنذاك بكل بساطة)، إلا أنه يُعتبر سيد الشهداء والشهيد الخالد بحسب العقيدة الدينية الشيعية باعتبار أنه واجه جيشاً متفوقاً في ساحة المعركة وكان على يقين تام من أنه سيموت. راجع عنايات، =

واجباً دينياً وبطاقة إلى الجنة، اختار حزب الله شعار الخميني «كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء»[١] وطبّقه. بحسب الشيخ نعيم قاسم، عندما ينشأ المجتمع على نموذج الإمام الحسين ورفاقه، فيكتسب المداد من سلوكهم الريادي وتضحياتهم[٢]. تعلم حزب الله من استشهاد الإمام الحسين في كربلاء حب الاستشهاد من خلال حب الله وعشق الجهاد في سبيل الإسلام. كما أن الحزب ملم بالكامل بالإنجازات العظيمة التي تحققت بفعل استشهاد الإمام الحسين بعد انبعاث كربلاء إذ إن اهتمامه الأبرز كان مستقبل الإسلام والمسلمين[٣].

بالإضافة إلى استنادها إلى آراء الخميني حول الاستشهاد، تأثرت إيديولوجيا حزب الله الدينية على الأرجح بآراء السيد فضل الله[٤]. فقد عادل الحزب بين عملياته الاستشهادية ضد الجيش الإسرائيلي المحتل جنوب لبنان واستشهاد الإمام الحسين في كربلاء، مرتكزاً على تأييد رجال الدين الشيعة وإجازتهم العمليات الاستشهادية[٥]: «هل تريديون أن تعانوا مع الحسين؟ فالمكان حاضر: كربلاء الجنوب (لبنان). قد تصابون أو تصيبون، تَقتلون أو تُقتَلون وتشعرون بالسعادة الروحية التي شعرها الحسين عندما قبل دماءه وجروحه الخاصة. فالمقاومون المؤمنون في الشريط الحدودي (المنطقة الأمنية

= «الفكر الإسلامي السياسي المعاصر...»، ص. ١٨١ - ١٩٤. يدرج عنايات الاستشهاد ضمن «الأوجه الثلاثة للمذهب الشيعي المعاصر»، علماً بأن الوجهين الآخرين هما المؤسساتية والتقية.

(١) الإمام الخميني، كشف الأسرار...، ص. ١٦٩ - ١٧٠؛ الإمام الخميني، الاستقامة والثبات، ص. ١٥٦ - ١٦٩.

(٢) للاطلاع على نقاش مفصّل حول تحليل حزب الله لاستشهاد الإمام الحسين، راجع نعيم قاسم، «عاشوراء: مدد وحياة»، طبعة ثانية موسّعة، بيروت: دار الهادي، ٢٠٠٣، وعلى وجه الخصوص ص. ٨٥ - ٢١٧.

(٣) قاسم، حزب الله: المنهج...، ص. ٦٠.

(٤) كرايمر، المنطق الأخلاقي لحزب الله، ص. ٩.

(٥) مجلس علماء المسلمين، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٥ - ٤٢.

التي أعلنتها إسرائيل في الجنوب من جانب واحد) هم الذين يسوطون نفسهم بحق وليسوا أولئك الذين يجلدون نفسهم في النبطية[١]. أولئك الذين يجلدون نفسهم بالسيوف، هم شبابنا المقاتل. أولئك المعتقلون في الخيام والمحتجزون من قبل إسرائيل في بنت جبيل، هؤلاء هم الذين يشعرون بعذابات الحسين وزينب. أولئك هم الذين يعانون الضربات على صدورهم ورؤوسهم [108] بطريقة تحرر، هؤلاء هم الذين يعيشون عاشوراء في زنزاناتهم[٢]. وهكذا حدد حزب الله شهداءه على أنهم يستلهمون أفعالهم من الإمام الحسين ويتبعونه.

٤ . ٣ . ٧ إيديولوجيا حزب الله الدينية تميز بين المعاني الأربعة للاستشهاد

يعترف حزب الله بما لا رجوع عنه أن المعاني الأربعة للاستشهاد هي الثوابت التي تشكل ركيزة مهمة في إيديولوجيته الدينية منذ بداياته الأولى[٣]:

الاستشهاد ١: الاستشهادي المجاهد: يتم التلميح إلى كلمة المجاهد من دون قولها بشكل مباشر. يشار بالاستشهادي المقاتل إلى شخص مسلم يقوم ـ بواسطة الجهاد الأصغر بتفجير نفسه عمداً وبكامل إرادته في أرض المعركة أو يواصل القتال حتى يموت بغية تكبيد العدو أفدح الخسائر في الأرواح والماديات. تماشياً مع المنظور الشيعي التقليدي ورأي آية الله فضل الله، يؤكد

(١) يقصد فضل الله أولئك الذين يعمدون خلال التخليد السنوي لذكرى عاشوراء إلى جلد أنفسهم بالسوط وتعذيب أنفسهم عبر ضرب صدورهم وشرط فروة الرأس بالسيوف وسوط أجسادهم بالسلاسل.

(٢) خطاب فضل الله، جريدة النهار بتاريخ ٢٧ أيلول/ سبتمبر ١٩٨٥، كما جاء لدى مارتن كرايمر في «التضحية والاستشهاد في لبنان الشيعي»، الإرهاب والعنف السياسي ٣ (خريف العام ١٩٩١)، العدد ٣، ص. ٣٠ - ٤٧.

(٣) جمعت هذه المادة مستنداً إلى حد كبير على حوار مطوّل مع نائب أمين عام حزب الله الشيخ نعيم قاسم حول موضوع «الشهادة والإيثار» في برنامج تحت عنوان «الدين والحياة»، قناة المنار، ١٠ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٢.

حزب الله أن النبي محمد (ص) أمر بأن هذا الرجل لا يُغسَل ولا يكفَّن[١]، مع أن ذلك واجب ديني بشكل عام[٢]. غير أنه وكما هو معلوم من «الحديث» فإن «الملائكة يغسلونه». تماشياً مع المفهوم الشيعي التقليدي ورأي الإمام الخميني، يشدد حزب الله على أن هذه المعاملة الخاصة هي نوع من الاعتراف بمنزلته الخاصة أو عربون امتنان ودليلٌ على تكريم خاص لمآثره العظيمة. هكذا هي الحال على سبيل المثال لمقاتلي حزب الله الاثني عشر الذين فجروا أنفسهم مستهدفين قوات عسكرية واستخباراتية إسرائيلية خلال احتلال لبنان[٣]. بحسب حزب الله، فإن المقاتل الاستشهادي هو محب للغير قام بفعل يتخطى حدود المطلوب أي ضحى بنفسه لمصلحة المجتمع والأمة، فينظر إلى تضحيته على أنها فعل يتخطى الواجب. إنه فعل يتخطى حدود المطلوب إذ إن الاستشهاد ليس لزاماً على كل فرد.

---

(١) قال النبي محمد ﷺ: للشهداء بعض الكرامات التي لا تنسب إلى الأنبياء بمن فيهم أنا. فلو مت، فسأُغسَل وأكفن؛ غير أن الشهيد لا يغسل ولا يكفن... فالملائكة تغسله»، يستشهد وينسينك بالبخاري في «الجنائز» ٧٤: «بحسب القانون والعادات يُذكَر صراحة أنه لا يتم غسل الشهداء» وينسينك، «العقيدة الشرقية للشهداء»، ١٧١. لمزيد من التفاصيل راجع الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، «وسائل الشيعة». بيروت: مؤسسة الحلول، دار إحياء التراث، ١٩٩٣، ٥٠٦-٥١١، حديث ١ إلى ١٢، أبواب غسل الميت خاصة غسل الشهيد، في باب ١٤، حديث ٧:
قال رسول الله ﷺ: « للشهداء كرامات لا ينعم بها الأنبياء بمن فيهم أنا. إذا مت سأُغسل وأكفّن. أما الشهيد، فلا يُغسل ولا يُكفن.. الملائكة تغسله». راجع الحر العاملي، وسائل الشيعة...، ص. ٥٠٦ - ٥١١، الأحاديث ١ إلى ١٢، أبواب غسل الميت، وتحديداً غسل الشهيد، في الباب ١٤، الحديث ٧.

(٢) هذا ما يقوله السيد محمد حسين فضل الله باعتباره حقيقة لا جدال فيها. راجع فقه الشريعة، المجلد ١، الطبعة الأولى، بيروت: دار الملك، ١٩٨٣، ص. ١٩٢.

(٣) على الرغم من أن الإمام الحسين لم يفجر نفسه، يصنف في هذه الخانة. وفق العقيدة الشيعية الدينية، يعتبر الإمام الحسين سيد الشهداء «والشهيد الخالد» كما يقول عنايات إذ إنه واجه جيشاً قوياً في ساحة المعركة وهو يعلم أنه سيقتل. راجع حميد عنايات «الفكر الإسلامي السياسي المعاصر: رد المسلمين الشيعة والسنة على القرن العشرين»، لندن: ماكميلان، ١٩٨٢، ١٨١-١٩٤. يخلص عنايات إلى أن الاستشهاد هو أحد «أوجه الشيعة المعاصرة الثلاثة»، ويشكل الوجهان الآخران المؤسساتية والتقية.

الاستشهاد ٢: الشهيد المجاهد: هو شخص مسلم سقط خلال تأديته الجهاد الأصغر في أرض المعركة بينما هو يواجه العدو. على سبيل المثال هذه هي حال هادي نصرالله ومقاتلين آخرين من حزب الله واجهوا إسرائيل في نضال تقليدي من دون تفجير أنفسهم. لا يتم غسل الشهيد المقاتل ولا تكفينه كما في الفئة الأولى. فالملائكة يغسلونه. هذه هي حال مقاتلي حزب الله الذين قتلوا خلال مواجهتهم الاحتلال الإسرائيلي(١). مستخدماً التفكير نفسه المستخدم في الاستشهاد ١، يؤكد حزب الله أن الشهيد المقاتل هو محب للغير يقوم بفعل يتخطى حدود المطلوب. [109]

الاستشهاد ٣: الشهيد (ضحية، لا يتخطى فعلاً حدود المطلوب): يشار بالشهيد إلى مدني مسلم بريء قُتِل من دون أن يشارك في القتال. يتم غسله وتكفينه لأنه مات خارج أرض المعركة. غير أن التقييم عند الله. يلتزم حزب الله بما يقوله آية الله خامنئي الذي يؤكد أن الاستشهاد امتياز خاص لكل شخص. ولو استجاب الله لدعائه واعتبر موته استشهاداً لوهبه أعلى الامتيازات والكرامة مقابل روحه التي صعدت إلى الجنة»(٢). ويؤكد السيد حسين الموسوي ذلك عبر قوله إن من ينشد الاستشهاد من الله باستقامة يحصل على مكانة الشهيد حتى لو توفي في مضجعه(٣). ويناقش قاسم أن الشهيد ضحية لم يقم بفعل تخطى حدود المطلوب.

الاستشهاد ٤: شهيد الوطن أو شهيد القضية: يشار به إلى غير المسلم الذي قتل في ساحة المعركة وهو يحارب في سبيل وطنه أو القضية التي يؤمن بها. يبقى التقييم عند الله إن كان سينال أجر الشهيد المسلم ويُرفَع إلى مستوى

---

(١) قدم حزب الله ١٢٨١ شهيداً منذ الاجتياح الإسرائيلي الثاني في حزيران/ يونيو ١٩٨٢ وحتى الانسحاب الإسرائيلي شبه الكامل في أيار/ مايو ٢٠٠٠.

(٢) الخامنئي، «عطر الشهادة...»، ص. ١٧.

(٣) مقابلة مع السيد حسين الموسوي أجرتها مجلة الشراع بتاريخ ٢٦ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٣.

(الاستشهاد ٢) في المعنى الإسلامي الفقهي للكلمة. هذه هي، على سبيل المثال، حال جنود الجيش اللبناني غير المسلمين الذين قتلوا خلال المواجهة مع إسرائيل في اليوم نفسه من استشهاد هادي نصرالله ورفيقيه. أيضاً شكل المقاتلون غير المسلمين في حزب الله في أيلول/ سبتمبر ١٩٩٧ السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي وهي تقع في هذه الخانة. هؤلاء يتم دفنهم وفق الطقوس الخاصة بدينهم. بحسب حزب الله، هذه الفئة من الاستشهاد هي فئة الأفعال المحبة للغير، التي تتخطى حدود المطلوب إذ ليس من واجب كل مواطن محاربة العدو في أرض المعركة.

٤ .٣ .٨ الاستشهاد والإيثار[١]

تشرح إيديولوجيا حزب الله الدينية أهمية مفهوم التفضيل وعلاقته بالاستشهاد. تشدد على أن الاستشهاد هو فعل إرادي حر يرتكز على الأسس الفكرية والنظرية للتكوين الديني والنفسي والثقافي الموجود في المفهوم القرآني للتفضيل، تفضيل الحياة في الآخرة بدل الدنيا وتفضيل الأمة على الفرد. ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ (سورة الإنسان، الآيتان ٨ ـ ٩). وهكذا فإن إيديولوجيا حزب الله الدينية توسع نطاق التفضيل ـ من الصوم ثلاثة أيام وتفضيل إطعام الآخرين بدل إطعام النفس ـ لتتضمن تقديم الدماء في سبيل الأمة[٢]. [110]

٤ .٣ .٩ التمييز بين الاستشهاد والانتحار

أدان رجال الدين الشيعة بالإجماع الانتحار، معتبرين أنه سلوك غبي يؤدي إلى الهلاك. في المقابل، مجّدوا العمليات الاستشهادية في سبيل الله ضد الجيوش المعتدية بهدف تحرير الأرض المحتلة في حروب المقاومة

---

(١) أكد قاسم مجدداً على أن هذا مبدأ ثابت.

(٢) قاسم، حزب الله: المنهج. . .، ص. ٦٢ وما بعدها؛ قاسم، «الشهادة والإيثار».

الوطنية. استناداً إلى الإجماع بين رجال الدين المسلمين الذين أدانوا هجوم جندي أو مجموعة قليلة من الجنود على جيش معتد كبير، أكد العلماء الشيعة أنه لو كان المسلمون في القرون الأولى يملكون المتفجرات العصرية، لكانوا استخدموها بالطريقة نفسها التي يستخدمها الاستشهاديون لتفجير أنفسهم في العدو بهدف تكبيدهم أكبر عدد من الخسائر في صفوفهم[١]. تشدد إيديولوجيا حزب الله الدينية على أن القيام بالعمليات الاستشهادية هو فعل تضحية بالنفس مجزي دينياً يتعارض وجهاً لوجه مع الانتحار المحرم كلياً في الإسلام، حيث إن عقابه هو اللعنة الأبدية في الجحيم. بكلمات أخرى، تنظر إيديولوجيا حزب الله الدينية إلى التضحية بالنفس على أساس الجهاد الأكبر كعمليات استشهادية شرعية وليس كانتحار. غير أن الحزب يوضح أنه لو فجر أحدهم نفسه من دون الحصول مسبقاً على إذن العلماء، فيعد فعله انتحاراً[٢].

تشدد إيديولوجيا حزب الله الدينية على أن الاستشهاد هو فعل إرادي يقوم به شخص محب للحياة ومتمسك بها ويملك كافة الأسباب للعيش[٣]. ويؤكد الحزب أن الغرب احتار في درجة ومستوى العميات الاستشهادية الإرادية التي

---

(١) مسائل جهادية. . .، ص. ٢٥ - ٤٢.

(٢) «أحزاب لبنان. . .»، الجزء ١ (١٩٧٩ - ١٩٨٩)؛ الحرب السادسة. . . من منظور الأخلاقيات النظرية والعملية، يرتكز هذا الأساس إلى التمييز بين ما تسمّيه الأنانية النفسية الانتحار: «الأفعال البشرية الإرادية كلها تحفزها غاية أنانية»، وبين ما تسميه النظريات الأخلاقية المعيارية الإيثار. فالانتحار هو المقابل للإيثار أو السلوك القائم على التضحية بالذات. أما الإيثار، فهو فعل نافل، أي أنه فعل يتجاوز نداء الواجب الأخلاقي. راجع طوم أل. بوشان Tom L. Beauchamp الأخلاقيات الفلسفية: مدخل إلى الفلسفة الأخلاقية Philosophical Ethics: An Introduction to Moral Philosophy الطبعة الثانية، نيويورك: شركات ماك غروهيل McGraw-Hill, Inc. 1991، ص. ٦٨ - ٧٠، ص. ٢٤١ - ٢٤٤، ص. ٢٤٦ - ٢٤٨؛ وبيتر سينغر Peter Singer الأخلاقيات العملية Practical Ethics، الطبعة الثانية، كامبريدج: منشورات جامعة كامبريدج، ١٩٩٩، ص. ٢٤٣، ص. ٣٢١، ص. ٣٣٤.

(٣) قاسم، حزب الله: المنهج. . .، ص. ٦٢.

يسميها انتحاراً. اعتقد الغرب أن الشباب يحتاج لأن يكون مخدراً يواجه ظروفاً معيشية صعبة ومشاكل نفسية معقدة أو يتم وعده بجوائز مادية أو مالية ضخمة حتى يقدم على الاستشهاد. يضيف الحزب أن الغرب قد تشرب العقيدة بحسب خلفيته الفكرية التي تقدس الحياة المادية وتتمسك بها مهما يكن. لهذا السبب، يعجز الغرب عن تفسير معنى وجود الاستشهاديين باستثناء التفسير المادي والعلماني لمعتقدات الاستشهاديين الدينية. يشدد حزب الله على أن الغرب يملك الحق في عدم فهم التشرب الديني للعقيدة حول الإسلام لأن فهم ظاهرة الاستشهاد لا يستند أو ينحصر بالتفسيرات والتبريرات العقلانية وحسب، بل يحتاج إلى احتكاك حقيقي ومقرب ومتابعة لمختلف مراحل الحيوات التي يمر بها المقاتلون والاستشهاديون المستقبليون. كما يتطلب معرفة بالمحيط الإسلامي الذي يسمح بنشوء مثل هذا التفاني للاستشهاد استناداً إلى روح الجهاد الأكبر. يختم حزب الله بالقول إن الغربيين الذين شهدوا حقيقة الاستشهاد لا يسعهم إنكاره، حتى لو أصابهم الإرباك في شرحه لأنهم لم يتمكنوا من تفسير الحافز الحقيقي وراء الاستشهاد[١]. [111]

رسم آية الله فضل الله التمييز بين الانتحار والاستشهاد (التضحية بالنفس) مجيزاً الاستشهاد عبر التأكيد أنه لو كان هدف الشخص الذي يضحي بنفسه في عملية استشهادية «القيام بتأثير سياسي على العدو الذي يستحيل قتاله بالوسائل التقليدية، فيمكن لتضحيته أن تشكل جزءاً من الجهاد (العسكري الأصغر)». وتماشياً مع رأي الحزب الأول حول الاستشهاد، «الاستشهادي المقاتل»، أكد العلامة فضل الله: « قلما يختلف مثل هذا المشروع عن ذاك الجندي الذي يقاتل ويعلم أنه سيقتل في النهاية. تؤدي الحالتان إلى الموت؛ باستثناء أن إحداهما تحدث في المجريات التقليدية للحرب، بعكس الثانية..[٢]. يؤمن المسلمون

(١) المرجع نفسه، ص. ٥٨ - ٥٩.

(٢) مقابلة مع فضل الله، السياسة الدولية Politique Internationale، العدد ٢٩ (خريف ١٩٨٥)، ص. ٢٦٨، كما جاء لدى كرايمر في «التضحية والاستشهاد في لبنان الشيعي»، ص. ١٠.

بالنضال عبر تحويل النفس إلى قنبلة حية كما لو كانوا يقاتلون بالسلاح. ما من فرق بين الموت والسلاح بين يديك أو تفجير نفسك»[١]. ويضيف فضل الله «ما الفرق بين التوجه إلى المعركة مع العلم أنك ستموت بعد قتل عشرة (من أعدائك)، والتوجه إلى الأرض لقتل عشرة وأنت تعلم أنك تموت وأنت تقتلهم؟»[٢].

٤ . ٣ . ١٠ أهداف العمليات الاستشهادية وموانعها

منذ البداية، وضع حزب الله ضرورات حمائية على العمليات الاستشهادية؛ أهمها كان أن عدد الجنود الإسرائيليين الواجب قتلهم يجب أن يكون ثلاثين على الأقل، كي تجاز العملية دينياً[٣]. بحسب إيديولوجيا حزب الله الدينية، فإن الاستشهاد هو خلاصة التضحية بالنفس حيث يجري على أساس شروط حماية دينية محددة لمواجهة العدو المحتل القوي. إذا كان تكبيد العدو خسائر كبيرة أو الانتصار عليه يعتمد على استشهاد عدد قليل من المقاتلين المقاومين، فسعيهم مكلل بالشرعية[٤].

في السياق نفسه، يؤكد آية الله فضل الله أنه «لا يجب القيام بالعمليات الاستشهادية إلا إذا كانت تحدث تغييراً سياسياً أو عسكرياً يتناسب مع العشق الذي يحمل الرجل على تحويل جسده إلى قنبلة متفجرة»[٥]. وشدد فضل الله

---

(١) مقابلة مع فضل الله، مجلة Middle East Insight، المجلد ٤ (حزيران/ يونيو - تموز/ يوليو ١٩٨٥)، العدد ٢، ص. ١٠ - ١١، كما جاء لدى كرايمر في «التضحية والاستشهاد في لبنان الشيعي»، ص. ١٠.

(٢) السيد محمد حسين فضل الله، المقاومة الإسلامية، بيروت: منشورات الإمام الرضا، ١٩٨٤، ص. ١٨، كما جاء لدى كرايمر في «التضحية والاستشهاد في لبنان الشيعي»، ص. ١٠.

(٣) راجع أمين مصطفى، المقاومة في لبنان: ١٩٤٨ - ٢٠٠٠، بيروت: دار الهادي، ٢٠٠٣، ص. ٤٦١. على الرغم من أن أحمد قصير، الشهيد الأول لحزب الله، كان الوحيد الذي نجح في تحقيق هذا الهدف، إلا أن حزب الله لم يهتم لهذه الحراسة ونفّذ بعد قصير إحدى عشرة عملية استشهادية.

(٤) قاسم، حزب الله: المنهج. . .، ص. ٦٢.

(٥) مقابلة مع فضل الله في Monday Morning بتاريخ ١٦ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٥، كما جاء لدى كرايمر في «التضحية والاستشهاد في لبنان الشيعي»، ص. ١٠.

على وجود بعض الموانع المتعلقة بفعل الاستشهاد. فهو يرى أن «العمليات الاستشهادية ممنوعة إلا إذا كانت تهز العدو. فلا يستطيع المؤمن تفجير نفسه إلا إذا كانت النتائج معادلة لتضحيته بالنفس أو تتخطاها. فالعمليات الاستشهادية ليست حوادث مميتة بل تكليف شرعي تسيطر عليه الأحكام لذا لا يمكن للمؤمنين تخطي أحكام الله[1]. [112]

٥. خاتمة الفصل

يرتكز عصب إيديولوجيا حزب الله الدينية على المكونات التالية: الإيمان بالإسلام الشيعي (عقيدة الإمامة والتقية والتعبئة) واعتماد عقيدة ولاية الفقيه وتطبيقها والجهاد في سبيل الله.

ينظر حزب الله إلى ولاية الفقيه بحقيقته الثقافية الإسلامية الصادقة. مستنداً على التفسير الشيعي التقليدي لعقيدة الإمامة، اعترف حزب الله بالإمام الخميني على أنه مرجع التقليد الرسمي في الجمهورية الإسلامية والفقيه الأول بعد الغيبة الكبرى وفي التاريخ المعاصر الذي يحمل لقب نائب الإمام المهدي. مؤمناً بجمع الخميني الإمامة والولاية والمرجعية، اتبع الحزب السلطة الدينية في إيران وقدم الولاء للخميني بصفته القائد السياسي والديني للأمة والتزم بولاية الفقيه كركيزة أساسية في إيديولوجيته الدينية.

مارس حزب الله التقية كضرورة اجتماعية سياسية وكاستراتيجيا بقاء لكن ليس على أسس عقائدية، إذ أبقى على اسمه وهويته وأهدافه بحكم السرية خشية منه من إبادة أعدائه له وهو لا يزال يطور الشكل الأولي. يتماشى هذا السلوك مع تعاليم الإمام الخميني الذي منع التقية بعد انتصار الثورة الإسلامية في العام ١٩٧٩ إذ لا حاجة لها بعد إرساء النظام الإسلامي. يبقى الاستثناء الوحيد في

---

(١) خطاب فضل الله، جريدة النهار بتاريخ ١٤ أيار/ مايو ١٩٨٥، كما جاء لدى كرايمر في «التضحية والاستشهاد في لبنان الشيعي»، ص. ١٠ - ١١.

المحافظة على الحياة والدين تماشياً مع أهداف الشريعة الإسلامية. وسّعت إيديولوجيا حزب الله الدينية نطاق التقية والتزمت بها في الحالات المحددة بهدف تفادي الانشقاق. يمكن تسويغ هذا السلوك إذا إن الحزب يعمل في لبنان في دولة متعددة الطوائف وليس في نظام إسلامي.

عمد حزب الله إلى تعبئة مجموعة كبيرة من موارده لقتال القوات الإسرائيلية المحتلة حيث جعل من التعبئة والانضباط الميزات الخاصة بأسلوبه الإسلامي واستراتيجيا التجنيد التي تهدف إلى رفع الأصالة الثقافية الإسلامية. استخدم التعبئة حيث سعى أبناء أمة حزب الله إلى السيطرة على السلطة السياسية من خلال عملية من أعلى الهرم إلى أسفله، بهدف إرساء نظام إسلامي تحكمه الشريعة والحاكمية تماشياً مع ولاية الفقيه التي انتهجها الخميني. [113]

اعتمد حزب الله اشتراط الإمام الخميني حول ضرورة الانخراط في الجهاد الأكبر قبل ممارسة الجهاد العسكري الأصغر وطبقه. غير أن الحزب أدخل تعديلات طفيفة على نظرية الخميني عبر حث المقاتلين المستقبليين على الإسراع نحو ساحة المعركة لغرس التفاني الديني في أرواحهم. تماشياً مع الخميني، أكدت إيديولوجيا حزب الله الدينية أن الجهاد الأكبر يحول الفرد إلى إنسان مندمج وصافٍ روحياً. نظر الحزب إلى التعبئة الروحية والطاعة الصارمة واحترام الله والفقيه على أنها المكونات الدينية الإيديولوجية للجهاد الأكبر. أصحبت التعبئة والانضباط النفسي أبرز مكونين في جهاد الحزب الأكبر. وهكذا، فإن التخلي عن ملذات الجسد عبر إعطاء الأولوية للبعد الروحي للوعد بالجنة وبركات الله يعطي العضو في حزب الله إرادة قوية ليثبت في إيمانه ويدافع عن قناعاته. يتبع أعضاء حزب الله شروطاً حمائية دينية محددة عندما يتعلق الأمر بتقديم الدماء واتباع سبيل الله بغضّ النظر عن التضحيات التي يواجهونها إذا تلقوا الأمر من القيادة الشرعية التي يمثلها الفقيه.

شدد حزب الله على أن أساس الإيمان الإسلامي هو الجهاد العسكري

الأصغر الذي يمارس ضد الجيش الإسرائيلي المحتل في جنوب لبنان. وهكذا، تماشياً مع نظرة الإمام الخميني حول التضحية بالنفس والممتلكات التي تعتبر كقوة اجتماعية محررة في هذا العالم وبطاقة إلى الجنة، انخرط حزب الله في الجهاد الأصغر فضحى أعضاؤه بأنفسهم في المعركة ضد العدو. ادعى الحزب أنه قام بالجهاد بطريقة واقعية وعملية وفاعلة لأنه يتبع التعاليم الإسلامية ويلتزم بنواهي الفقيه وتوجيهاته وإشرافه.

انسجاماً مع تكليفه، يعد حزب الله أجياله على أساس روح الاستشهاد. اعتبر الحزب العمليات الاستشهادية التي أطلقها أفراد أحرار ضد القوات الإسرائيلية في بداية الثمانينيات على أنها شرعية ومجزية دينياً أجريت ضد جيش عسكري مستكبر قوي حيث أثبتت وسائل الجهاد العسكري الأصغر التقليدية عدم جدواها. لكن الحزب شدد على ضرورة وجود فتوى وراء كل عملية استشهادية وإلا تعتبر انتحاراً. وهكذا لا تعتبر إيديولوجيا حزب الله الدينية تفجير النفس في قوات العدو أو الانخراط في معركة معهم حتى الموت انتحاراً بل استشهاداً معظماً يرتكز على المفهوم القرآني للتفضيل، أي تفضيل رفع شرف وكرامة الأمة على العيش في الذل تحت الاحتلال؛ وتفضيل العيش أبدياً في الجنة بدل الاستمرار في العيش بالذل في هذا العالم. [114]

استناداً إلى تبريرات الإمام الخميني وآية الله فضل الله الدينية الإيديولوجية للاستشهاد، حدد حزب الله صراحة الاستشهاديين على أنهم يستوحون من استشهاد الإمام الحسين في كربلاء ويقلدونه. ويبدو أن نقاش الحزب القائم على أن ما من فرق بين الموت خلال القتال في ساحة المعركة وتفجير الشخص لنفسه قد حطم النظرة اللاهوتية المشتركة التي تميز بين تقديم الفرد حياته في سبيل الاستشهاد وتفجيره نفسه. غير أن التبريرات الدينية الإيديولوجية للتضحية بالنفس والاستشهاد لا تستبعد السهولة العملية السياسية في إجبار العدو على الانسحاب من الأرض المحتلة وتحقيق النصر إذ إن هذه السهولة العملية ترتكز على أسس دينية إيديولوجية تنظر إلى الجهاد على أنه يؤدي إلى حسنيين

عظيمتين، هما الاستشهاد والنصر في المعركة، كما ذكر في القرآن في الآية ٥٢ من سورة التوبة. يشكل هذا الأمر علامة على الهوية الجماعية للتضحية بالنفس والاستشهاد حيث تستفيد الأمة وتجني أجر الاستشهاد.

يمكن القول إن إيديولوجيا حزب الله الدينية كانت إلى حد بعيد ناجحة في السيطرة على هوية الدولة اللبنانية، على الأقل في دوائر الحزب الكبرى وفي الحالة الإسلامية التي تستقي القوة منها. وهكذا نجح حزب الله في زيادة تأثيره الإسلامي وهويته في الوسط الإسلامي على حساب الدولة اللبنانية(١). [115]

---

(١) «مقدرة الإسلام على السيطرة على هوية الدولة موضع خلاف كبير. ففي حين يتجلى حضور حركات إسلامية قوية في العديد من دول المنطقة (الشرق الأوسط)، تواجه هذه المجموعات تعريفات بديلة للجماعة استناداً إلى الانقسامات ضمن الإسلام (الشيعة مقابل السنة)، أو العرق واللغة (العربية مقابل غير العربية)، أو العشيرة والقبيلة... وفي حين أن هذه الحركات وبعض الدول تحاول تعزيز النفوذ الإسلامي والهوية الإسلامية في دول أخرى، يبدو نجاح هذه المساعي غير مؤكّد»؛ ستيفن سيدمن Stephen Saideman، «التفكير نظرياً في الهوية والسياسة الخارجية» Thinking Theoretically about Identity and Foreign Policy، في الهوية والسياسة الخارجية في الشرق الأوسط Identity and Foreign Policy in the Middle East، شبلي تلحامي Shibley Telhami ومايكل بارنت Michael Barnett (ناشرون)، (لندن: منشورات جامعة كورنل، ٢٠٠٢)، ص. ١٩١.

الفصل الثالث

بروز إيديولوجيا حزب الله السياسية

(١٩٨٤/٨٥ ـ ١٩٩٠)

١ . مقدمة

يقدّم هذا الفصل إيديولوجيا حزب الله السياسية في تكوينها بين العامين ١٩٨٤/ ٨٥ والعام ١٩٩٠ . وقد تم جمعها ووصفها استناداً إلى المصادر المتوفرة: الرسالة المفتوحة في شباط/فبراير ١٩٨٥[١]، وسلسلة إعلانات سياسية صادرة منذ العام ١٩٨٤، وخطابات وتصاريح أدلى بها قادة حزب الله وكوادره بين العامين ١٩٨٤/ ٨٥ وحتى العام ١٩٩٠[٢]. وقد ألقى الخطابات

(١) تستند ترجمة الرسالة المفتوحة إلى النص الأصلي الذي وضعه حزب الله. هي منقولة عن «المحلق .» مع الإشارة إلى أرقام الصفحات الملائمة كما وردت في جريدة العهد. والواقع أن الرسالة المفتوحة اكتفت بعرض مختصر لإيديولوجيا حزب الله السياسية، لكن وثائق أخرى قدمت عرضاً مسهباً لمحتوى الإيديولوجيا السياسية.

(٢) أبرز البيانات السياسية لحزب الله المشار إليها في هذا الفصل هي التالية: «القدس هي أقدس قضايانا» (٢٩ حزيران/يونيو ١٩٨٤)؛ «صراعنا مع إسرائيل عقائدي» (تموز/يوليو ١٩٨٤)؛ «المقاومة والنضال المستمر» (تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٤)؛ «التهديدات الأميركية والمواجهة» (٢٨ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٤)؛ «المفاوضات مع إسرائيل محرّمة دينياً» (تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٤)؛ «المفاوضات مع إسرائيل وخيانة النظام السياسي اللبناني» (تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٥)؛ تصريح حزب الله السياسي حول استشهاد أحمد قصير (١٩ أيار/مايو ١٩٨٥)؛ تصريح حزب الله السياسي في ذكرى إلغاء اتفاق ١٧ أيار (٢٣ أيار/مايو ١٩٨٦)؛ وتصريح حزب الله السياسي حول العلاقات مع المسيحيين (٣١ أيار/مايو ١٩٨٦). كذلك تمت =

والتصاريح التي وردت في هذا الفصل على وجه التحديد قادة حزب الله وكوادره التالية أسماؤهم: الشيخ صبحي الطفيلي[١]، السيد عباس الموسوي[٢]، السيد حسين الموسوي[٣]، السيد إبراهيم أمين السيد[٤]، السيد محمد حسين فضل الله[٥]، السيد حسن نصرالله[٦] والشيخ نعيم قاسم[٧]. كما تم اللجوء بشكل كبير إلى كتاب محمد زعيتر بعنوان «نظرة إلى اقتراح الجمهورية الإسلامية في لبنان»[٨]، وإلى ذكر موجز لكتاب علي الكوراني بعنوان «طريقة حزب الله في التعبئة الإسلامية»[٩].

سأقدم أدناه عرضاً موضوعياً من سبع نقاط لمكونات إيديولوجيا حزب الله: (٢.١) وجهة نظر حزب الله تجاه المستكبرين والمستضعفين؛ (٢.٢) منظوراته حول الدولة الإسلامية أو الحكومة الإسلامية أو الجمهورية الإسلامية[١٠]؛ (٢.٣) موقفه من العلاقات مع اللبنانيين المسيحيين؛ (٢.٤)

= الإحالة إلى جريدة العهد ومراجع أخرى مثل الصحف اليومية كالنهار والسفير واللواء والأنوار والكيهان، والمجلات الأسبوعية مثل الشراع والمسيرة.

(١) عضو في مجلس الشورى والأمين العام الأول لحزب الله في العام ١٩٨٩.

(٢) عضو في مجلس الشورى وقائد المقاومة الإسلامية.

(٣) أخو السيد عباس. المدني الوحيد في القيادة. عضو في مجلس الشورى، نائب رئيس أمل؛ أسس أمل الإسلامية التي أصبحت لاحقاً جزءاً من حزب الله.

(٤) كان الناطق الأول باسم حزب الله وتلا الرسالة المفتوحة؛ عضو في مجلس الشورى.

(٥) فضل الله هو آية الله لبناني محلي يحظى باحترام حزب الله.

(٦) عضو في مجلس الشورى، ورئيس المجلس التنفيذي لحزب الله في العام ١٩٨٧.

(٧) عضو في مجلس الشورى.

(٨) كان زعيتر آنذاك من أبرز كوادر حزب الله. نظرة على طرح الجمهورية الإسلامية في لبنان. بيروت: الوكالة الشرقية للتوزيع، ١٩٨٨.

(٩) كوراني، وهو من كوادر الصف الأوسط في حزب الله، كان أول من عرض لاستراتيجيات التعبئة في الحركة الاجتماعية في كتابه المعنون «طريقة حزب الله في العمل الإسلامي». طهران، مكتب الإعلام الإسلامي: المؤسسة العالمية، ١٩٨٥.

(١٠) للإشارة إلى النظام الإسلامي، يستخدم حزب الله عبارات «الدولة الإسلامية»، و«الحكومة الإسلامية»، و«الجمهورية الإسلامية» الواحدة مكان الأخرى، ربما لأن الخميني عنون كتابه «الحكومة الإسلامية» وأسمى إيران «الجمهورية الإسلامية» وليس «الدولة الإسلامية». =

منظوره تجاه إسرائيل؛ (٢ . ٥) وجهة نظره تجاه وحدة المسلمين؛ (٢ . ٦) موقفه من الغرب؛ وأخيراً (٢ . ٧) آراؤه حول الجهاد والاستشهاد. يستتبع ذلك ملخص عن المكونات الأساسية لإيديولوجيا حزب الله السياسية

٢ . النقاط المكوِّنة لإيديولوجيا حزب الله السياسية

آراء حول المستكبرين والمستضعَفين

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾، (سورة المائدة، الآية ٥٥). [116]

تقدِّم الرسالة المفتوحة حزب الله على أنه حزب المستضعفين الذي يخدم مصالح العالم المستضعَف كله، وثورته الدائمة بهدف تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. اعتبر حزب الله دول العالم الثالث التي تتضمن الدول المسلمة كلها العالم المستضعف. بحسب السيد إبراهيم أمين السيد، فإن كلمة المستضعفين تنطبق على كافة المستضعفين والمظلومين في الأرض. أضاف أن أصدقاء حزب الله هم هؤلاء المسلمون والمسيحيون كلهم الذين يواجهون المستكبرين(١). أعلن حزب الله صراحة في رسالته المفتوحة أنه يوسِّع دعوته لتشمل كافة المظلومين أو المستضعفين من غير المسلمين(٢). ذكر حزب الله أنه على الرغم من أن أصدقاءه المستضعفين نقلوا أفكاراً لا تنبع من الإسلام (على سبيل المثال، يسوع هو ابن الله والإيمان بالثالوث الأقدس) إلا أن هذا الأمر لا يحول دون تعاون حزب الله معهم بغية تحقيق أهداف (التخلص من الغطرسة والقمع وتحقيق مجتمع عادل) خاصة أن حزب الله يشعر أن دوافع محاربة المستكبرين التي تحض المستضعفين على النضال هي دوافع إسلامية بالدرجة

= وحتى العام ٢٠٠٠، كان علم حزب الله يحمل العبارة «الثورة الإسلامية في لبنان». لكن كوادر آخرين أشاروا إلى الجمهورية الإسلامية في لبنان.

(١) السيد إبراهيم أمين السيد، جريدة العهد (٢١ ذو القعدة ١٤٠٤/ ١٧ آب - أغسطس ١٩٨٤).

(٢) راجع القسم ١٣: كلمات برسم المسيحيين في لبنان.

الأولى (كحماية النفس والعائلة والنسل والدين والملكية[1]، نتيجة للقمع والطغيان الذي كان يُمارَس ويُفرَض على المستضعفين حتى لو تشكلت هذه الدوافع من أفكار غير إسلامية (كلاهوت التحرير liberation theology)[2]. وعلى الرغم من أن كوادر حزب الله اعتبروا أن فكرة التحرير غير إسلامية بما أنها تستند على مفاهيم إنجيلية وماركسية، إلا أنهم اعترفوا أنه يمكن تفسير الآيات القرآنية التالية على أساس أنها تشير إلى مفاهيم التحرير: (سورة البقرة، الآية ٢٢٠)، (سورة الأعراف، الآيات ٥٦ و٨٥ و١٧٠)، (سورة هود، الآيتان ٨٨ و١١٧)، (سورة الشعراء، الآية ١٥٢)، (سورة ص، الآية ٢٨)[3]. أضاف حزب الله أن أصدقاءه هم شعوب العالم المستضعفة فضلاً عن جميع الذين يقاتلون عدوه ويصدّون شره. إلى ذلك، حضّ حزب الله العالم المستضعف أجمع على الالتحام لمواجهة غرور مستكبري العالم، عبر تشكيل اتحاد دولي لحركات التحرير. وهكذا يهدف نضال حزب الله إلى تحقيق هذه الأهداف في الأمة الإسلامية وما يتخطاها عبر مواجهة المستكبرين الذين يستغلون مستضعَفي العالم[4].

يعتبر آية الله السيد فضل الله أن القرآن يميز بين مجموعتين من

---

(١) هذه تُسمى مقاصد الشريعة، وستتم مناقشتها في الفصل ٤.

(٢) ابتكر المصطلح بدايةً في العام ١٩٧٣ غوستافو روتيريز Gustavo Rutierrez، وهو راهب بيروفي كاثوليكي. وخلاصة القول أن لاهوت التحرير عقيدة مستوحاة من الإنجيل تحض الكنيسة على استخدام مواردها بهدف تحرير شعوب العالم من الفقر والقمع والظلم وعدم المساواة من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية.

(٣) راجع القسم ٨: «أيها الأصدقاء». وصلني هذا التفسير حول هذا القسم الخاص من الرسالة المفتوحة من خلال مقابلتين مستقلتين مع الحاج عماد فقيه والسيد إبراهيم الموسوي بتاريخ ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٤ و٢٩ تشرين الأول/أكتوبر العام ٢٠٠٤ على التوالي. فقيه هو مسؤول في حزب الله للعلاقات العامة والرخاء الاجتماعي؛ الموسوي هو من كوادر حزب الله الإعلامية، وهو محرر في قناة تلفزيون المنار وكاتب عمود في الصحيفة الأسبوعية الانتقاد.

(٤) راجع القسم ٢: «العالم المستكبر متفق على حربنا»، القسم ٨: «أيها الأصدقاء»، القسم ٢١: «جبهة عالمية للمستضعفين»، والقسم ١٤: «قصتنا مع الاستكبار العالمي».

المستضعَفين. تتضمن المجموعة الأولى المستضعَفين الذين يملكون القدرة لكنهم لا يطبقون إرادتهم لتضميد جراحهم عبر التضحية بأمنهم وموقعهم جراء الخوف والتراخي. أما المجموعة الثانية فتتضمن أولئك الذين يعانون ظروف قمع فطرية وطبيعية لكنهم يقررون التحرك للتخلص من وضعهم هذا. يلحق العقاب بالمجموعة الأولى لأنهم لا يلتزمون بالآية القرآنية القائلة بالهجرة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾. [117] ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾. (سورة النساء: الآيات ٩٦ ـ ٩٧ ـ ٩٨). وهكذا بحسب السيد فضل الله فإن القرآن يذكر وسائل عدة[١] لمواجهة القمع كالهجرة لمن استطاعوا ذلك إلى أرض جديدة ومزدهرة حيث يستطيعون ممارسة شعائرهم الدينية بحرية[٢].

---

(١) بحسب يوسف علي، سياق الانتقال كان «يتعلق بالهجرة من الأماكن التي تعرض فيها الإسلام للاضطهاد والقمع. ومن الجلي أن واجب المسلمين كان يقضي مغادرتهم مثل هذه الأماكن، حتى وإن كان ذلك يعني تخليهم عن منازلهم، وانضمامهم ودعمهم للمسلمين الذين يمكنهم العيش في أوساطهم بسلام والتعاون معهم من أجل محاربة الأشرار الذين يحيطون بهم. لكن المعنى أوسع من ذلك. فالإسلام لا يقول «لا تقاوموا الشر». بل على العكس، هو يفرض النضال الدائم والمستمر ضد الشر. وقد يقتضي مثل هذا النضال التخلي عن المنزل، والتوحد وتنظيم الصفوف والانضمام إلى إخوتنا من أجل الهجوم على معقل الشر والانقلاب عليه. فواجب المسلمين لا يقتصر على الأمر بالمعروف، بل يشمل أيضاً النهي عن المنكر. ولكي نحقق هجومنا، ينبغي أن نكون مهيئين لأن نضع أنفسنا في موضع يجعل مثل هذا الهجوم ممكناً، وأرض الله واسعة كفاية لتحقيق ذلك. ولا يشمل «الموضع» الموضع الجغرافي فقط، إنما أيضاً الأخلاقي والمادي. فعلى سبيل المثال، يجدر بنا أن نتفادى المنكر عندما لا يكون بمقدورنا القضاء عليه، على أن ننظّم موضعاً يمكّننا من القضاء عليه». لكنه يضيف قائلاً: «إذا كنا لا نستطيع، بفعل العجز الجسدي (الجهاد العسكري الأصغر) أو الفكري أو الأخلاقي (الجهاد المقنع)، أن نخوض الحرب الجيدة، فعلينا أن نشعر بالرضى عن مواجهة المنكر وحماية أنفسنا منه. فرحمة الله الرحمن الرحيم ستغفر لنا ضعفنا إذا كان ضعفاً حقيقياً وليس مجرد حجة». (القرآن الكريم. . .، ٢١١ - ٢١٢).

(٢) فضل الله، مع الحكمة. . .، ٤٦ - ٤٥. يظهر هنا بعض التشابه مع السنة النبوية حيث =

وصف حزب الله دولياً وإقليمياً الدول المتقدمة الإمبريالية والرأسمالية بالدول المستكبرة، يقودها «الشيطان الأعظم» (الولايات المتحدة، وفرنسا و«الشيطان الأصغر»، و«الكيان الصهيوني» (إسرائيل). داخلياً، شدد حزب الله على أن المستكبرين كانوا الموارنة السياسيين[١] وميليشياتهم (الأجنحة اليمينية كالكتائب والجبهة اللبنانية والقوات اللبنانية)[٢]. يشير زعيتر إلى أن السياسيين الموارنة المستكبرين والمتغطرسين والمنافقين نشروا الرعب بين المسلمين المستضعفين بإيحاء من المستكبرين «البابا الصليبي في روما» ورؤسائهم: الفرنسيين والأميركيين والصهيونيين[٣]. كما شدد على ضرورة معاقبة المستكبرين الموارنة وفق درجة قمعهم وظلمهم وجورهم واستغلالهم وخيانتهم وجرائمهم. فالعدالة هي ما يطلبها المستضعَف جزاءً من المستكبرين[٤]. وفي خط موازٍ، يقول آية الله السيد فضل الله أنه من أجل التخفيف من آلام المستضعفين لا بد من اجتثاث أسباب القمع، وأبرزها النخبة السلطوية المتمثلة بالسياسيين الموارنة[٥]. ويؤكد زعيتر أن المواجهة بين المستكبرين

= أمضى الرسول ١٣ سنة في مكة يمارس دعوته ونجح في أسلمة ٨٣ شخصاً فقط. وعندما بات الخطر يهدد حياته، بحسب المعتقد الإسلامي، أمره الله بالهجرة إلى المدينة. فامتثل وقوّى دعوته، وجعل من المدينة قاعدة لنشر رسالة الإسلام.

(١) يقصد حزب الله بالمارونية السياسية الزعماء الموارنة وأتباعهم الذين يشكلون رمز النظام السياسي اللبناني. وقد شمل أتباعهم رئيس مجلس الوزراء السنّي ورئيس مجلس النواب الشيعي اللذين كانا يخضعان لإمرتهم بالكامل وينفذان رغباتهم ونزواتهم. وقد قال رئيس الوزراء الراحل سامي الصلح إن رئيس مجلس الوزراء مجرد «صلصة كاتشاب» في يد الرئيس. وبالتالي، منذ العام ١٩٤٣ وحتى العام ١٩٩٠، كان المسلمون عموماً، والشيعة على وجه الخصوص مهمّشين سياسياً بما أن الموارنة كانوا يستحوذون على النفوذ الاقتصادي والسياسي ويسيطرون بالكامل على موارد البلد وثرواته.

(٢) راجع القسم ٢: «العالم المستكبر متفق على حربنا»، القسم ٨: «أيها الأصدقاء»، القسم ٢١: «جبهة عالمية للمستضعفين»، والقسم ١٤: «قصتنا مع الاستكبار العالمي».

(٣) زعيتر، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٦٣.

(٤) المرجع نفسه، ص. ٧٥ - ٨٠.

(٥) السيد محمد حسين فضل الله، مع الحكمة في خط الإسلام. بيروت: دار الوفاء، ١٩٨٥، ص. ٤٧.

والمستضعفين لا بد أن تشكل دافعاً للمسلمين للثورة على حكوماتهم الظالمة المتغطرسة التي استعبدتهم وصادرت مواردهم الطبيعية ونهبت ثرواتهم[١].

يعود حزب الله بتشريع مفهوم المستضعفين والمستكبرين الإيديولوجي السياسي إلى سلسلة آيات قرآنية[٢] تتناول المستضعفين والمستكبرين (سورة سبأ، الآيات ٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٣): ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾. [118]

وتشدد آيات قرآنية أخرى على أن الله يفضِّل المستضعفين ويمنحهم النصر على المستكبرين: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾ (سورة القصص، الآيتان ٤ ـ ٥)[٣] ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (سورة الأنفال، الآية ٢٥)[٤]، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ (سورة الشورى، الآية ٣٨).

---

(١) زعيتر، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٠٠.

(٢) على الأقل الآيات الست المذكورة أدناه.

(٣) جريدة العهد، العدد ٩ (ذو القعدة ١٤٠٤/آب - أغسطس ١٩٨٤)، ص. ٩. راجع أيضاً قاسم، حزب الله: المنهج. . .، ص. ٣٨٨. جاء في الصفحة الإلكترونية لحزب الله باللغة الإنكليزية ترجمة الآية الرابعة من سورة القصص: «ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين». راجع. وبحسب يوسف علي، «كانت خطة الله أن يحميهم باعتبارهم مستضعفين، لا بل ويجعلهم أوصياء وقادة في الإيمان به، ويورثهم أرضاً «تفيض لبناً وعسلاً». راجع القرآن الكريم. . .، ص. ١٠٠٢.

(٤) علّق يوسف علي على هذه الآية: «تم تذكير المسلمين بأنهم كانوا يشكلون فرقة صغيرة في =

قال السيد إبراهيم أمين السيد إن هذه الآيات القرآنية ظهرت في العديد من منشورات حزب الله في الثمانينيات[١] وتوّجت خطابات وتصاريح قادته وكوادره الذين كرروا خطاب الإمام موسى الصدر حول الحرمان. والأهم من ذلك، أضاف أن الإمام الخميني قد أعطى مغزى الآيات الآنف ذكرها مؤكداً أن حزب الله ينتقد بقوة المادية الماركسية الجدلية التاريخية ولا يرى أي سابقة من منظور صراع الطبقات كما يفعل الاشتراكيون بل كصراع بين المفاهيم القرآنية للمستكبرين والمستضعفين. تماشياً مع ما يجيزه الخميني ويرفضه، يشدد السيد على أن مساعدة المحرومين والمستضعفين تشكل واجباً إسلامياً (التكليف) ـ بغضّ النظر عن الطبقة الاجتماعية أو العرق أو الدين ـ وتخليصهم من قبضة المستكبرين. أضاف السيد أن الخميني يشدد على أن علماء الدين المسلمين يضطلعون بواجب ديني وهو محاربة المستكبرين والمستعمرين عبر منعهم من استغلال المستضعفين وإبعادهم. وعلى علماء الدين المسلمين ألا يسمحوا للمستكبرين بنهب موارد الأمة الطبيعية ونشر الجوع والحرمان بين الشعب. دعا الإمام الخميني المستضعفين إلى التعبئة والثورة فكان محرك الثورة الإسلامية التي قضت على سلسلة الحكام الباطشين وغير العادلين وأرست حكومة إسلامية تحمي الأمة[٢].

تناول آية الله السيد فضل الله أيضاً المضمون السياسي الإيديولوجي لفهم

= مكة، كانوا محتقرين ومنبوذين؛ يعيشون في حالة من عدم الأمان بالنسبة إلى أنفسهم، وحياتهم، وممتلكاتهم، وحياة وممتلكات من يعيلونهم؛ كانوا مضطهدين ومنفيين، وبفضل رحمة الله وجدوا ملاذاً آمناً في المدينة، ووجدوا أصدقاء ومساعدين، وتم الاهتمام بحاجاتهم الكثيرة، وبمرور الوقت ازدادوا قوة وعدداً لهزم قوى الكفر والظلم والاستكبار». القرآن الكريم. . .، ص. ٤٢١.

(١) ظل حزب الله يعمل في الخفاء وأطلق بياناته السياسية الأولى في العام ١٩٨٤.

(٢) أمين السيد، جريدة العهد (٢١ ذو القعدة ١٤٠٤/١٧ آب - أغسطس ١٩٨٤). راجع أيضاً الحكومة الإسلامية. طهران: معهد تنسيق ونشر إرث الإمام الخميني، ١٩٩٦، ص. ٦٠ - ٦٢؛ ٦٤ - ٦٥.

المستكبرين والمستضعفين. قدّم السيد فضل الله نظرية إسلامية عن القمع عبر وصف التاريخ العالمي كنضال جدلي أبدي بين المستكبرين المتغطرسين الأقوياء والمستضعفين المذلولين الضعفاء، وبين اللاعدالة والعدالة. كما أدان السيد فضل الله الإمبريالية الاقتصادية والسياسية؛ فنظر إلى القمع والاستعمار والإمبريالية والصهيونية على أنها مفاسد فشرّع وبرَّر استخدام المستضعفين للقوة ضد هذه المفاسد. [119]

كما أكد أن القمع يقود إلى نزع صفة الإنسانية عن المستضعفين وإذلالهم وسلبهم حريتهم الأساسية التي منحهم إياها القرآن(١). أضاف السيد فضل الله أن لفظة «المستضعفين» هي مفهوم قرآني حيث يعاني المستضعفون الاستغلال الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والإقصاء، الأمر الذي يمنحهم شعوراً حاداً باليأس والحرمان. وبحسب السيد فضل الله، فإن القرآن يحث المستضعفين على الثورة على قمعهم(٢).

ومع أن الإمام موسى الصدر كان أول من أشار إلى جذور مفهوم المستكبرين والمستضعفين في نظريته حول الشيعة اللبنانيين المقموعين الذين يعانون الحرمان(٣)، إلا أن حزب الله يشدد في رسالته المفتوحة(٤) وإعلاناته السياسية على أنه تأثر أيضاً بمبادئ الإمام الخميني القرآنية الثورية حول المستكبرين والمستضعفين(٥). ويشدد حزب الله أيضاً على أنه يدعم نضال كافة

---

(١) السيد محمد حسين فضل الله، الإسلام ومنطق القوة. بيروت: دار الحروف، ١٩٨٧، ص. ١٧١ وما بعدها.

(٢) السيد محمد حسين فضل الله، المقاومة الإسلامية. بيروت: الدار الإسلامية، ص. ١٩٨٦، ص. ٤٧.

(٣) جريدة العهد (٢١ ذو القعدة ١٤٠٤/ ١٧ آب - أغسطس ١٩٨٤).

(٤) راجع الأقسام ٢، ٨، ١٤ و٢١ من الرسالة المفتوحة.

(٥) راجع الحكومة الإسلامية، ص. ٦٠ - ٦٢؛ ٦٤ - ٦٥.

المستعضفين ضد المستكبرين بهدف الحصول على حقوقهم على مستوى أكثر شمولية[١].

آراء حول الدولة الإسلامية والنظام السياسي اللبناني (المارونية السياسية)

نشر حزب الله واجبه المتمثل بحكم الإسلام (الدولة الإسلامية) فدعا الشعب إلى اختيار النظام الإسلامي وهو وحده القادر على ضمان العدل والحرية والأمن. وقد وصف حزب الله خطابه بألفاظ سياسية إيديولوجية، مؤكداً أن النظام الإسلامي وحده كفيل بوقف أي تدخل استعماري ـ إمبريالي جديد في لبنان[٢]. وتماشياً مع الإمام الخميني، أكد حزب الله أن الالتزام بالقوانين الوضعية بدل الشريعة الإسلامية هو ثاني أسلوب تعتمده الإمبريالية من أصل أربعة لتشويه الإسلام[٣].

تماشياً مع آراء آية الله السيد فضل الله[٤] ووفق الرسالة المفتوحة[٥] والإعلانات السياسية، يتناول أحد أهداف حزب الله منح الشعب اللبناني (مسيحيين ومسلمين) حق تقرير المصير عبر حرية اختيار شكل أو نظام الحكم الذي يعتبرون أنه يناسبهم استناداً إلى الاتفاق المتبادل[٦]: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى

---

(١) راجع دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية. الفصل العاشر «السياسة الخارجية»، المادة ١٥٤. طهران: قسم الترجمة والنشر، منظمة العلاقات والثقافة الإسلامية: الهدى للنشر والتوزيع، ١٩٩٧، ص. ١١٨.

(٢) راجع القسم ٧: «أهدافنا في لبنان».

(٣) الخميني، الحكومة الإسلامية، ص. ٦٠ وما بعدها.

(٤) شريف الحسيني، «حزب الله: حركة عسكرية أم سياسية أم دينية؟» بيروت: الشراع (١٧ آذار/ مارس ١٩٨٦)، ص. ٢٠.

(٥) راجع القسم ٧: «أهدافنا في لبنان».

(٦) راجع البيان السياسي لحزب الله في الذكرى الثالثة لإلغاء اتفاق ١٧ أيار/مايو العام ١٩٨٣ مع إسرائيل. جريدة العهد، العدد ١٠٠ (١٥ رمضان ١٤٠٦/٢٣ أيار - مايو ١٩٨٦)، ص. ١١.

﴿ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. (سورة البقرة، الآيتان ٢٥٥، ٢٥٦). غير أن حزب الله استبق النتيجة عبر التأكيد «أنهم يختارون ومن دون أدنى شك الإسلام». لهذا السبب دعا الحزب إلى تطبيق النظام الإسلامي. [120]

في الواقع، شدد حزب الله في رسالته المفتوحة وإعلاناته السياسية على أنه لا يريد للإسلام أن يحكم في لبنان بالقوة كما يفعل «النظام القمعي» الذي يميز المارونية السياسية(١).

وقد علّق الشيخ نعيم قاسم على ما سبق ذكره عبر التأكيد أن الرسالة المفتوحة واضحة في دعوتها إلى إرساء الدولة الإسلامية في لبنان على أساس حرية الشعب وإرادته وخياره. أضاف أن حزب الله يتناغم كلياً مع قناعاته ومع الظروف العملية الموضوعية التي يعمل في إطارها (أي الوسط اللبناني). وبالتالي، بحسب قاسم، طالما أن هذه الظروف تحول دون إرساء حزب الله دولة إسلامية لأن خيار الشعب مغاير لذلك، فعلى الشعب إذاً تحمّل مسؤولية النظام السياسي الذي اختار: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ (سورة يونس، الآية ٩٨)(٢).

في صحيفة العهد، شدّد حزب الله على أنه لا يحق للمسلمين تحت أي شكل من الأشكال تداول فكرة إقليم إسلامي (دولية إسلامية)(٣) أو إقليم شيعي

(١) المرجع نفسه. راجع أيضاً القسم ٩: «نلتزم بالإسلام ولا نفرضه بالقوة».

(٢) قاسم، حزب الله: المنهج...، ص. ٣٩.

(٣) يُقصد بالإقليم دولة دينية صغيرة داخل الدولة اللبنانية، أو دولة داخل الدولة. وفي حالة حزب الله، كان تأسيس إقليم شيعي في المناطق الخاضعة لسيطرته ليعني ضمناً إرساء دولة إسلامية صغيرة أو نسخة طبق الأصل عن دولة إسلامية مصغّرة. لكن خلافاً للآخرين، لم ينشئ حزب الله دولة مصغّرة - لها موانئها ومطاراتها وإدارتها المدنية الخاصة - داخل الدولة اللبنانية، كما لم يدعُ إلى الفدرالية. وفي أواسط ثمانينيات القرن العشرين، كانت مسألة إنشاء أقاليم طائفية في لبنان تحتل الأولوية على جدول أعمال معظم الطوائف، وضمناً المسيحيين. على سبيل المثال، صرّح نائب رئيس حزب الوطنيين الأحرار حبيب مطر في العام ١٩٨٦ بأنه لا ينبغي النظر =

أو إقليم سني. . . فالكلام على الأقاليم يبطل الإسلام ويبدد قوتهم الممكنة ويقودهم من حرب داخلية إلى أخرى. وحدها الدولة الإسلامية تحفظ وحدتهم[1].

يشدد حزب الله في الرسالة المفتوحة على أن الإسلام[2] أو النظام الإسلامي يتميز بالإيديولوجيا والعقيدة والنظام السياسي وأسلوب الحكم[3] من دون تحديد مكونات هذه الألفاظ، بعكس ما فعل زعيتر. فقد اعتبر أنه استناداً إلى معايير دينية صارمة، تتخذ الحكومة الإسلامية القرارات وتعلن عن مشاريعها وتشن الحروب وتصادق على المعاهدات أو ترفضها وتتعامل مع الوضع الدولي من موقع تغييره وأسلمته. كما أضاف أن الحكم الإسلامي يشكل تجسيداً عملياً للقوانين والأوامر الإسلامية. فعلى الحاكم أن يكون مطلعاً على قوانين الإسلام وأوامره وعليه أن يكون عادلاً في تطبيقها لأن الحاكم الجاهل يقود بالشعب إلى الضلال، والحاكم الظالم يسرق الأموال ويقيّد الحقوق ويقضي على الأمة:

= إلى الدعوة التي وجهها إلى الفاتيكان من أجل إنشاء دولة مسيحية في لبنان باعتبارها دعوة إلى تفكيك لبنان، وإنما إلى إنشاء الدولة المسيحية على كل الأراضي اللبنانية. وقد سأل مطر: «لمَ لا يكون للمسيحيين في الشرق ملاذ آمن أو دولة صغيرة؟». وعندما سُئل ماذا يفعل المسلمون عندئذٍ، أجاب قائلاً: «هذه مشكلتهم. ففي العالم العربي أماكن عدة خالية (يمكنهم الذهاب إليها)، أو فليخضعوا لحكم الدولة المسيحية، وهذا أفضل لهم». (المسيرة، الأسبوع الأخير من العام ١٩٨٦). وكان بشير الجميّل قد أعلن من قبل عن وجهة نظر مماثلة عندما قال في العام ١٩٨٢ إن الموارنة يسعون إلى تحويل لبنان إلى دولة مسيحية يمكن لكافة العرب المسيحيين أن يعيشوا في ظلها. أما في ما يتعلق بحدود الدولة المارونية المزعومة، فيزعم زعيتر أنها في توسّع دائم. (محمد زعيتر، المشروع الماروني في لبنان: جذوره وتطوراته. بيروت: الوكالة العالمية للتوزيع، ١٩٨٦، ص. ١٤. لكن هذا الكتاب ممنوع رسمياً في لبنان بسبب اشتماله على ١١٣٦ صفحة يشن فيها الكاتب هجوماً إيديولوجياً سياسياً حاداً على الموارنة). (يصوّر غلاف الكتاب خارطة زرقاء للبنان يتوسطها صليب أسود).

(١) السيد حسن نصر الله، جريدة العهد، العدد ٩٥ (٩ شعبان ١٨/١٤٠٦ نيسان - أبريل ١٩٨٦)، ص. ١١.

(٢) في هذا ترجمة لمواقف الخميني الذي يشدد على أن الإسلام دولة وشريعة وحكومة عادلة تدعم حكم القانون وتمنح الشعب الطمأنينة. الحكومة الإسلامية، ص. ٨٦ - ٨٨.

(٣) راجع القسم ٩.

﴿. . . ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (سورة البقرة، الآية ١٢٣). شدّد زعيتر على أن حزب الله يسعى إلى تحقيق هدفين مهمين في إرسائه الجمهورية الإسلامية في لبنان: أولاً منع أي حاكم من أن يصبح طاغية فيستغل الشعب في أمنه وحريته؛ وثانياً تعزيز المضمون الإسلامي للنظام. وقد شدّد على أن مفهوم الدولة الإسلامية يعني أن على حزب الله بناء جمهوريته الإسلامية وإرساء حكمه القرآني وبناء مجتمع إسلامي يرتكز على أسس معرفة إسلامية بالكون والحياة الإنسانية وهذا برأيه أفضل الأنظمة للإنسانية[١]. [121]

اختصر زعيتر واقعياً مكونات النظام الإسلامي. فاعتبر أن السلطة في الإسلام هي وسيلة للاهتمام بحقوق الشعب ولتحسين حياتهم اليومية. كما أكد أن نظام الحكم الإسلامي بالإضافة إلى تطبيق القانون الجزائي (الحدود) يأمر بالعلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمالية؛ وينسق ويوازي بين الحقوق والواجبات. وهو يرتكز على ما يلي: التضامن الاجتماعي والعدالة الاجتماعية؛ الحق، والخوف من الله والثقة به وطاعة القرآن والسنة؛ إعطاء الشعب حقه وضمان أمنه؛ والعدالة والحق والمساواة والتعاطف والعلاقة مع الشعب والثقة المتبادلة. باختصار يرى زعيتر أن نظام الحكم الإسلامي يعدُّ الأرضية المناسبة لتربية أشخاص أحرار ونبلاء عبر البرامج الاجتماعية الشمولية وعبر تطبيق الشريعة وتشجيع التعليم والتقدم ومعاملة الجميع بالتساوي أمام القانون، استناداً إلى الحديث والقرآن على التوالي: «لا فرق بين عربي وأعجمي إلا على حسب درجة إيمانهم» ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات، الآية ١٢)[٢].

٢.٢.١ مكان المسيحيين في الدولة الإسلامية

تماشياً مع الرسالة المفتوحة، أعلن حزب الله في إحدى تصريحاته السياسية

(١) زعيتر، نظرة على طرح الجمهورية الإسلامية في لبنان، ص. ٥٧ - ٦٠.
(٢) المرجع نفسه، ص. ٥٢ - ٥٧.

أنه يرى في وجود المسيحيين المحبين للسلم الذين يقطنون مناطق خاضعة لسيطرته، مصداقية انفتاحه وتسامح الإسلام. يشدد حزب الله على أن أهل الذمة[١] يتشاركون مع المسلمين القيم الاجتماعية التي تتمحور حول التسامح الصريح والهادف كالمحبة والأخوة والتضامن. غير أن حزب الله أوضح في إعلانه السياسي أن المارونية السياسية مستثناة من ذلك التسامح إذ ينظر إلى أتباعها على أنهم منافقون: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ (سورة المنافقون، الآية ١)[٢].

يشرح السيد فضل الله أن الدستور الأول للإسلام وهو الصحيفة يشدد على الأمن وحماية أفراد وممتلكات أهل الذمة طالما ليسوا بالغدارين. يوضح السيد فضل الله أنه في الدولة الإسلامية تُحكَم العلاقات بين المسلمين من جهة واليهود والنصارى من جهة أخرى [122] وفق «عقد الذمة» الذي نظَّم هذه العلاقات وفرضها بحكم موجبات تعاقدية محددة على أساس القبول المتبادل، حيث يحظى اليهود والنصارى بحقوق المواطن المسلم وموجباته نفسها. يضيف السيد فضل الله أنه بما أن العدالة[٣] كانت دوماً على ارتباط وثيق بالحرية، تلك الحرية التي تمنح المنافع وتحول دون وقوع الأذى[٤]، منح عقد الذمة أهل الذمة الحرية ولا سيما حرية المعتقد وحماية ممارساتهم الدينية[٥]. بدوره، يفيد علي كوراني

---

(١) أهل الكتاب هم غير المسلمين الذين يعيشون في ظل الحماية الإسلامية. الموحّدون من غير المسلمين (اليهود والمسيحيين) الذين يحظون بالحماية في ظل حكم المسلمين في مقابل الجزية (ضريبة الرأس) التي لم يُعفَ منها إلا أولئك الذين حاربوا إلى جانب المسلمين.

(٢) راجع البيان السياسي لحزب الله بتاريخ ٣١ أيار/ مايو ١٩٨٦.

(٣) في ما يتعلق بالرابط بين النظام السياسي الجيد (الدولة الإسلامية) وتطبيق العدالة للمجموعات كافة، وضمناً الأقليات، راجع الآيات القرآنية التالية: (سورة النساء، الآية ٢٨)؛ (سورة الشورى، الآية ١٥)؛ (سورة المائدة، الآية ٨)؛ (سورة المائدة، الآية ٤٢)؛ (سورة الأنعام، الآية ١٥٢)؛ (سورة النحل، الآية ٩٠).

(٤) كان فضل الله يشير إلى قاعدة من قواعد الفقه تنص على أن درء الرذائل أفضل من كسب الفوائد.

(٥) راجع القسم المعنون «القوة وعلاقتها بالسيادة والإسلام»، لدى فضل الله، الإسلام ومنطق القوة، ص. ٢٤٥ - ٢٥٩.

أن الحرية الممنوحة لأهل الذمة في الدول الإسلامية تقع ضمن حدود إجراءات الشريعة الإسلامية الوقائية[١]. وقد أوضح أن الأقليات المسيحية التي تعيش في ظل الحكم المسلم تُمنَح كامل حقوقها المدنية والدينية لكنها لا تحصل على أي حقوق سياسية إذ تخضع للحكم ولم تعد حاكمة كما كانت الحال في ظل المارونية السياسية[٢].

بحسب زعيتر، فإن الجمهورية الإسلامية التي يبذل المسلمون جهدهم لإرسائها في لبنان لا تفرض على المسيحيين بشكل عام، والموارنة السياسيين بشكل خاص، التحول إلى الإسلام لأن الإسلام لا يحتاجهم كي يكونوا في صفوفه، بل هم الذين يحتاجون للإسلام. وقد حذر من أن حكم الأمة وإدارتها لا بد من أن يكون من امتياز المسلمين دون سواهم، ولا يجب أن يسمح المسلمون للآخرين بالتدخل في شؤونهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾. (سورة آل عمران، الأية ١١٧). استناداً إلى هذه الآية، طرح زعيتر السؤال البلاغي التالي: بما أن الدين يفرض عدم السماح للنصارى بالمشاركة في الحكم، كيف يقبل المسلمون أن يحكمهم النصارى إذاً[٣]؟

في هذا الصدد، يقول السيد عباس الموسوي إنه لا إكراه في الدين وإلا لما كان النبي محمد (ص) قد كشف صحيفة المدينة. يعتبر السيد عباس أن النبي هو الحَكَم في الأمور الدينية بين المسلمين وأهل الذمة وآخرين. ويشدد السيد عباس على أن صحيفة المدينة قد أشارت إلى أنه على الرغم من أن المدينة قد تشكلت من جماعات دينية مختلفة، إلا أن المدينة جماعة سياسية ذات وحدة

---

(١) علي الكوراني، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٨١.

(٢) وأضاف الكوراني أن المسيحيين اللبنانيين ليسوا موضع اهتمام إسرائيل أو الولايات المتحدة، باعتبار أنهما كبّدتا المسيحيين أكلافاً باهظة ولم تعودا عليهم بمنافع تُذكر. المرجع نفسه، ص. ١٩١.

(٣) زعيتر، نظرة على طرح الجمهورية الإسلامية في لبنان، ص. ١٠٦.

متراصة ومتناغمة يرأسها النبي محمد (ص). وبالتالي منح غير المسلمين الشرعية للنبي بصفته القائد السياسي والحكم النهائي. يشدد السيد عباس على أنه بما أن سلطة النبي السياسية على غير المسلمين كانت محصورة، فقد منحت الصحيفة كل جماعة دينية كامل الحقوق كي تتبع دينها الخاص وتمارس شؤونها الداخلية كما تراه مناسباً. وقد أكد السيد عباس أن هذه هي الطريقة التي يعامل بها حزب الله أهل الكتاب بموجب صحيفة المدينة التي ميزت بين السلطة الدينية والسلطة السياسية أو القيادة[١]. [123]

٢.٢.٢ موقف حزب الله من المارونية السياسية

يرى زعيتر أن النقاط الأساسية في إيديولوجيا المارونية السياسية هي كالتالي: أولاً، لقد تم إرساء الهوية المارونية الحصرية للبنان منذ آلاف السنين؛ ثانياً، القومية الرهابية: «نحن الأمة اللبنانية المسيحية والآخرون لا ينتمون إليها». وبما أن لبنان هو أمة الموارنة، فالمسلمون هم الأجانب ولا بد من ترحيلهم؛[٢] ثالثاً، التفوق المسيحي الماروني: الشعب اللبناني ماروني وكلمة «ماروني» تعني لبناني. وبالتالي فاللبنانيون هم موارنة ولبنان والموارنة معنى واحد؛ رابعاً، لا يذكر تاريخ الموارنة الإسلام بحد ذاته بل يشير إليه على أنه «فتح العرب» مشدداً على الحاجة لتحرير لبنان من الوجود المسلم وتحويله إلى دولة ـ أمة مارونية. وبما أن اللغة العربية هي لغة الفاتحين المسلمين، لذا طالب الموارنة بإلغائها واستبدالها بالأحرف اللاتينية؛ خامساً، الالتئام بين الموارنة، «الصليبيين»، و«الصهاينة» كوسيلة للتمكّن عبر الاعتماد على الغرب ووصايته[٣].

---

(١) جريدة السفير، ٧ أيلول/ سبتمبر ١٩٨٥.

(٢) أكد زعيتر على أن الموارنة انخرطوا على مر السنوات السبعمائة الأخيرة في حملة منظّمة لإبعاد المسلمين إلى أن تمكنوا من السيطرة فعلياً على جبل لبنان. وادعى زعيتر أيضاً أن هذه الحركة كانت تستند إلى قرار دولي لكي يستفيد الغرب من تبعية الموارنة وتعاونهم.

(٣) زعيتر، المشروع الماروني في لبنان، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١١ - ١٢.

بما أن الدولة الإسلامية تتعارض والنظام السياسي الإقطاعي اللبناني وتشكل النقيض المباشر له، فقد أدانت رسالة حزب الله المفتوحة المارونية السياسية وحرّمت الحكومة اللبنانية الكافرة التي لا بد من اجتثاث جذورها حتى يصبح في الإمكان إرساء نظام إسلامي مكانها. شدد حزب الله على أن النظام اللبناني مغالٍ في الغطرسة وغير عادل لدرجة أن ما من إصلاح أو تعديل يستطيع تصحيحه. وبحسب حزب الله، هذا هو السبب الذي يحمل على التغيير من أساسه[١] لأنه نظام غير عادل[٢].

في رسالته المفتوحة، ذكر حزب الله أن حزب الكتائب أحد ألدّ أعدائه في الشرق الأوسط. وأحد أبرز أهداف حزب الله إخضاع الكتائب «لسلطة عادلة وسوقهم كلهم أمام العدالة لمحاسبتهم على الجرائم التي ارتكبوها ضد المسلمين والمسيحيين[٣]». يشدد زعيتر على أن المسلمين سيمحقون الموارنة السياسيين الصليبيين الذين قتلوا المسلمين وذبحوهم. ويضيف أن الإسلام قد حرّم قتل الناس الأبرياء إذ ورد في حديث النبي: «إن قلب السماوات والأرض أسهل على الله من قتل مسلم» وأكد أن الموارنة يتبعون أوامر الصليبيين الحقيرين[٤] عبر سحق الإسلاميين وترهيبهم[٥]. وبحسب زعيتر أيضاً فإن المارونية السياسية

---

(١) راجع القسم ١١: «لماذا نواجه النظام القائم؟».

(٢) راجع القسم ١٢: «موقفنا من المعارضة». أشارت الرسالة المفتوحة إلى الرئيس اللبناني بشير الجميّل باعتباره «سفّاحاً» وانتقدت بشدة أخاه أمين الجميّل - وكلاهما كان عضواً في حزب الكتائب الماروني اليميني - بسبب محاولتهما سحق مسعى حزب الله إلى إقامة دولة إسلامية. وقد انتقد حزب الله أمين الجميّل بسبب تدميره منازل المهجّرين، ومهاجمته المساجد، وإصداره الأوامر إلى الجيش اللبناني لقصف أحياء المستضعفين والمقموعين في ضاحية بيروت الجنوبية. كذلك تهجّم حزب الله بعنف على أمين الجميّل للأسباب التالية: (١) دعوة قوات الناتو لتمتين نظامه ومحاربة المستضعفين؛ (٢) توقيع اتفاق ١٧ أيار/مايو العام ١٩٨٣ مع إسرائيل ما جعل من لبنان دائرة نفوذ لإسرائيل والولايات المتحدة. (راجع القسم ٥: «تنسيق صهيوني كتائبي»).

(٣) راجع القسم ٦: «أعداؤنا الأساسيون»، والقسم ٧: «أهدافنا في لبنان».

(٤) بحسب زعيتر، هؤلاء يتمثلون «بالعواصم الصليبية في أوروبا وأميركا» التي يرأسها «بابا الصليبيين في روما». زعيتر، نظرة على طرح الجمهورية الإسلامية في لبنان، ص. ٧٧.

(٥) المرجع نفسه، ص. ٧٥ - ٨٠. الإسلاميون هم مسلمون ملتزمون، جديّون، صادقون، =

تابعة لشرعية الصهاينة والصليبيين الزائلة والقبلية والجاهلية[١]، وهي غير شرعية لأنها تستند على القتل والإرهاب ولا تعنى بأي شكل من الأشكال بحقوق الإنسان[٢]. [124]

بدوره، نسف علي كوراني العلمانية الوقحة والمتمردة التي تميز المارونية السياسية، حيث تتجاهل أو تضع جانباً الإيديولوجيا السياسية الإسلامية والرابط الإيديولوجي لمصلحة تحرير المضامين السياسية والإنسانية والاجتماعية والاقتصادية، والأبعاد التي تخضع بشكل كامل لمادية الغرب والشرق[٣].

كما أكد زعيتر أنه من حيث الواجب الديني، يتعين دائماً على الحركات السياسية الإسلامية أن تجد سبيلاً لها للاستحصال على السلطة السياسية عبر عملية تبدأ من رأس الهرم وتنتهي بأسفله بهدف استبدال النظام الحالي. على الصعيد العملي، يؤكد أن حزب الله اعتقد أن لبنان مؤهل لكسر أغلال المارونية السياسية وإرساء جمهورية إسلامية طالما استمرت عملية الإحياء الإسلامية والحركات الإسلامية التي تفرض سلطتها على الساحة اللبنانية. من هذا المنظور، يشدد زعيتر على الحاجة الملحة للإطاحة بالنظام الحالي وإرساء حكومة إسلامية مكانه. غير أن زعيتر انتقد تباطؤ الحالة الإسلامية أو مقاربتها الحذرة نحو إرساء دولة إسلامية في لبنان[٤]. وقد ذكر صراحة تصميم حزب الله الكبير على الأسلمة عبر عملية من رأس الهرم حتى أسفله بهدف إبادة النظام السياسي اللبناني الكافر واجتثاثه من جذوره[٥].

= أوفياء، وناشطون سياسياً يلتزمون بالدين كمبدأ إرشادي في جوانب حياتهم كافة. وبالتالي، يستخدم الإسلاميون الخطاب الديني كهوية مميّزة لهم.

(١) بدأ عصر الجاهلية سنة ٥٠٠ بعد الميلاد واستمر حتى ظهور الإسلام سنة ٦١٠ بعد الميلاد.

(٢) زعيتر، نظرة على طرح الجمهورية الإسلامية في لبنان، ص. ٨٦ - ٨٨.

(٣) الكوراني، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٧٩ - ١٨١.

(٤) زعيتر، نظرة على طرح الجمهورية الإسلامية في لبنان، ص. ١٦٩ - ١٧٤.

(٥) المرجع نفسه، ص. ٢٠٩ - ٢١٣.

كما أوضح زعيتر أن خلاف حزب الله مع المارونية السياسية ليس حول عدد المقاعد في المجلس النيابي أو في الحكومة ولا حول المراكز الإدارية في جهاز الدولة، ولا حول التعديلات السطحية للدستور؛ بل إن المسألة تتمحور حول تأييد سبب الأمة التي لم تتواجد إلا لحكم الآخرين وبقاء وجودها: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (سورة البقرة، الآية ١٤٢)(١). وقد هدد بأن الطريق واضحة لتدمير الاستعلاء الماروني المفترض وسحق النظام اللبناني الماروني السياسي الذي جعل من واجبه إبادة المسلمين(٢).

يطالب زعيتر بإرساء جمهورية إسلامية بدل المارونية السياسية. وقد حذر زعيتر من أن حزب الله والإسلاميين سيقطعون في النهاية أيدي الخونة ويحررون لبنان من الكفار الموارنة والطغاة السياسيين. كما شدد على أن الإسلام واضح جلي في نبذ أي سلطة للكفار (الموارنة) على المؤمنين (المسلمين). لهذا السبب، يخشى الموارنة السياسيون من الإسلام ويحاولون ترهيب المسلمين ومنعهم من تغيير النظام وإرساء دولة إسلامية مؤكدين أن هذا الأمر يتعارض بقوة مع الدستور والتقاليد اللبنانية(٣). [125]

وشدد زعيتر أن لا شرعية للأقلية المارونية، إذ أي «شرعية» تتعارض مع الشريعة الإسلامية هي مرفوضة. ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ (سورة يوسف، الآية ٣٩). بحسب ما يقول، فإن الإسلام يرفض حكم الكفار ويمنع المسلمين من قبول سلطتهم من دون أي اهتمام بمنزلتهم الأعلى. لهذا السبب لا يمكن للنظام الماروني أن يكون شرعياً. فالشرعية للإسلام وحده وأي أمر غير ذلك هو حكم جاهلي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ

---

(١) المرجع نفسه، ص. ١٠٦ - ١٠٧.
(٢) المرجع نفسه، ص. ٧٦.
(٣) المرجع نفسه، ص. ٧٥ - ٨٠.

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (سورة المائدة، الآية ٥٠). يضيف زعيتر أنه حتى لو حوّل الموارنة لبنان إلى قطعة جنة، غير أن حكمهم يبقى مرفوضاً وغير شرعي من وجهة نظر إسلامية. ويوضح أن أي حكومة وأي سلطة لا تحكم بما نص عليه الله، فهي حكومة كافرة وغير شرعية ويحرَّم التعامل معها.

ويضيف أن المارونية السياسية التي تواجه وضعاً غير مستقر في لبنان، تعيش في حالة خوف من الإسلام وتبذل ما في وسعها لتأييد النظام السياسي اللبناني مستخدمة ذريعة أن المسلمين يريدون إنشاء جمهورية إسلامية. اشمأز زعيتر من فكرة مساواة الإسلام بالمارونية السياسية معتبراً أن المارونية السياسية هي نظام دخيل طارئ على بلاد المسلمين. وخلص إلى أن الموارنة يخشون من انبعاث الإسلام في الأمة، الأمر الذي من شأنه أن يقضي على النظام الماروني الكافر، كما سبق وقضى على شاه إيران الكافر ويرسي جمهورية إسلامية تعيد الحقوق إلى المالكين المحقوقين(١).

وشدد زعيتر على أنه حتى ولو أمسك المسلمون بزمام السلطة وأنشأوا نظام حكومة وطنية وديمقراطية وقومية، لكن حكمهم لا يزال غير شرعي ومرتداً لأنه مرفوض من الله ورسوله إذ يُنظَر إليه على أنه من أنظمة الجاهلية المجردة من أدنى ضرورات الشرعية: (سورة المائدة، الآيات ٤٤ و٤٦ و٥٠)(٢). ويؤكد زعيتر أن كل حكومة لا تنصاع لأوامر الله وتقاليد نبيه يرفضها الإسلام مهما كانت تقدمية ومتحضرة. يفرض الإسلام رفض الحكومات الكافرة ويدعو لقتالها حتى النهاية. فالحكومة الشرعية هي الحكومة الإسلامية والحكم الشرعي هو القاعدة المسلمة الملزمة. وخلص أنه طالما لا ينصاع الرئيس أو الحكومة أو كلاهما للإسلام، فتعتبر قراراتهم وأوامرهم كلها غير عادلة وغير شرعية(٣).

---

(١) المرجع نفسه، ص. ٨٠ - ٨١.

(٢) المرجع نفسه، ص. ١٠٣ - ١٠٤.

(٣) المرجع نفسه، ص. ٨٦ - ٨٨.

اعتبر السيد إبراهيم أمين السيد أن المسلمين في لبنان لا يقبلون أن يكونوا جزءاً من المشروع السياسي للدولة اللبنانية أو المارونية السياسية؛ بل على الدولة اللبنانية أن تجد مكاناً لها في مشروع الإسلام(١). ولمزيد من التأكيد، يرى زعيتر أنه على مر التاريخ، كانت كل الكيانات عابرة، إلا الجمهورية اللبنانية التي كانت من اختيار المستعمرين والصليبيين. [126]

وشدد أن على حزب الله أن يكتسب شرف تطبيق حكم الله على الأرض عبر إرساء الجمهورية الإسلامية: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة الأنعام، الآية ١٠٥)(٢).

علاقة حزب الله بالمسيحيين اللبنانيين(٣)

في معرض توجهها للمسيحيين اللبنانيين بشكل عام والموارنة بشكل خاص، فصلت الرسالة المفتوحة بين الموارنة وسائر المسيحيين(٤). كما ميزت

(١) راجع الصحف اللبنانية اليومية الصادرة بتاريخ ٨ شباط/ فبراير ١٩٨٨. وبالتالي، لجأ حزب الله إلى خطاب قائم على المواجهة مع حزب الكتائب والدولة اللبنانية، فيما حصر مواجهته العسكرية مع الحزب الشيوعي اللبناني (منذ ١٩٨٤ - ١٩٨٥) وحركة أمل (١٩٨٨ - ١٩٩٠).

(٢) زعيتر، نظرة على طرح الجمهورية الإسلامية في لبنان، ص. ٢٤٣ - ٢٤٥.

(٣) من منظور تاريخي، تؤكد ماكي Mackey على أن «مسيحيي لبنان... ليسوا مجموعة واحدة، وإنما مجموعات متميّزة عدة ذات تنوعات بارزة. وهم ينقسمون عموماً إلى ثلاث مجموعات طائفية رئيسة تتمثل بالموارنة والملكيين - كلا المجموعتين من الروم الكاثوليك - والروم الأرثوذوكس الذين يشكلون جزءاً من الكنيسة الأرثوذوكسية الشرقية... يرفض الموارنة إدراجهم في العالم العربي صراحةً، فيما يقبل الروم الأرثوذوكس باعتبارهم جزءاً من هذا العالم. أما الملكيون، فيتأرجحون بين الموقفين. لكن مسيحيي لبنان كلهم يعتبرون بقاءهم كأقلية دينية محتجزة في بحر إسلامي عرضة للخطر». ساندرا ماكي Sandra Mackey، لبنان: موت أمة Lebanon: Death of a Nation. نيويورك: كونغدون أند وييد إنك .Congdon and Weed Inc، 1989، ص. ٣٠. كما ورد لدى جويس أم. دايفس Joyce M. Davis الشهداء: البراءة والانتقام واليأس في الشرق الأوسط Martyrs: Innocence, Vengeance and Despair in the Middle East. نيويورك: بلغراف ماكميلان Palgrave Macmillan، ٢٠٠٣ ص. ٨٠.

(٤) يبدو أنه ما من حوار سياسي أو اتصالات رفيعة المستوية قد أُجريت بين حزب الله والمسيحيين منذ مطلع ثمانينيات القرن العشرين وحتى العام ١٩٩٠. وما حدث عوضاً عن ذلك كان =

الرسالة المفتوحة بين الموارنة أنفسهم استناداً إلى الأسس التالية: أولاً، وجهاء الموارنة الحاكمون وأتباعهم الذين يشكلون رموز النظام السياسي أي المارونية السياسية، أو أولئك الذين يرتبطون بروابط فاضحة مع إسرائيل؛ وثانياً سائر الوجهاء الموارنة والمواطنين العاديين. اعتبر حزب الله أن مشكلته الأساسية هي مع رموز النظام السياسي أي المارونية السياسية والمتعاونين مع إسرائيل. وقد طالب حزب الله قادة المارونية السياسية للتوقف عن استخدام ميليشياتهم المسيحية بهدف ممارسة سياسات قمعية ضد المسلمين، لأن من شأن تلك السياسات أن تنقلب على المسيحيين وتهدد سلمهم وأمنهم، خاصة أن هذا الاستغلال يستند إلى اصطفافية محدودة التفكير وإلى ميزات طائفية فضلاً عن التعاون مع الاستعمار ومع إسرائيل. كما أن الرسالة المفتوحة حثت المسيحيين على تحرير أفكارهم وعقولهم وقلوبهم من الامتيازات الطائفية والعصبية[١]. بالإضافة إلى ذلك، أوضح حزب الله في رسالته المفتوحة أن آراءه ضد المارونية السياسية لا تعني أن حزب الله يسعى للانتقام من المسيحيين كلهم، مشدداً على أنه لا يتمنى أي أذى لا للمسيحيين الذين يعيشون بسلام في المناطق الخاضعة لسيطرته ولا لأولئك «الوطنيين» الذين يعيشون في مكان آخر[٢].

غير أن حزب الله مارس في رسالته المفتوحة نشر الإسلام عبر حثّ المسيحيين على اعتناق الإسلام للحصول على الهناء في هذا العالم وفي العالم الآخر: «افتحوا قلوبكم للدعوة[٣] التي نوجهها إليكم. افتحوا أنفسكم للإسلام حيث ستجدون النجاة والسعادة على الأرض وفي الحياة الآخرة». دعا حزب الله

= لقاءات جانبية في البقاع والضاحية. فضلاً عن ذلك، تمثل إطار العمل العام الذي نشط حزب الله في حدوده بحظر عام لجهة التعامل مع المسيحيين، وعلى وجه الخصوص الموارنة (حسن فضل الله، الخيار الآخر. . .، ص. ١٣٧).

(١) راجع القسم ١٣: «كلمات برسم المسيحيين في لبنان».

(٢) المرجع نفسه.

(٣) أفضّل ترجمة «دعوة» في اللغة الإنكليزية إلى Islamic propagation or call (نشر الإسلام) وليس Islamic indoctrination (تشريب عقيدة الإسلام) كما يفعل بعض الكّتاب.

المسيحيين للتخلص من الولاء الطائفي المحدود ومن احتكار الميزات على حساب الطوائف الأخرى. كما شدد حزب الله أن على المسيحيين أن يستجيبوا إلى النداء الصادر من الجنة وأن يلجؤوا إلى الحكمة بدل السلاح؛ أي إلى الإقناع بدل الطائفية. كما شجع حزب الله المسيحيين على مراجعة حساباتهم ومعرفة أن مصلحتهم تكمن في ما يقررون بإرادتهم الحرة وليس بما يُفرَض عليهم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ (سورة آل عمران، الآية ٦٣). [127]

وفي محاولة لإظهار تسامح حزب الله مع غير المسلمين، يؤكد زعيتر أن النبي محمد (ص) كان يضع الآية القرآنية (سورة آل عمران، الآية ٦٣) في بداية رسائله كلها التي يوجهها إليهم. ويشدد زعيتر على أن هذا الأمر يثبت «الحرية المطلقة الممنوحة لغير المسلمين، وهي حرية تكسر غلال العبودية وتستند على التلاحم الإنساني والميول الحدسية والبعد الروحي للوجود الإنساني[1]، أي الحرية الدينية والاجتماعية وليس الحرية السياسية كما سبق شرحه في القسم الأسبق. غير أن الرسالة المفتوحة أضافت أنه لو رفض المسيحيون اعتناق الإسلام، فلن يجبرهم حزب الله على القيام بذلك، بل يتوقع منهم احترام ميثاقهم مع المسلمين وعدم الاعتداء عليهم[2]. والأهم من ذلك أن حزب الله شدد في رسالته المفتوحة على أنه ما من إكراه في الدين كما جاء في الآية ٢٥٥ من سورة البقرة[3].

يوضح زعيتر أن الإسلام يرفض الحوار بين مسلم مستضعف وبين صليبي مستكبر (المارونية السياسية)، خاصة أن هؤلاء الصليبيين يتآمرون منذ قرون ضد

(١) زعيتر، نظرة على طرح الجمهورية الإسلامية في لبنان، ص. ٦٠ - ٦١.

(٢) راجع القسم ١٣: «كلمات برسم المسيحيين في لبنان». يفسّر الكوراني هذا الأمر باعتباره إحالة واضحة إلى اليهود الذين لم يحترموا ميثاقهم مع النبي بحسب ما نص عليه دستور المدينة. الكوراني، طريقة حزب الله. . .، ص. ١٦٠.

(٣) راجع القسم ٩: «نلتزم بالإسلام، ولا نفرضه بالقوة».

المسلمين مع الصهاينة. ويشدد على أنه معروف أن كل من يتحالف مع أعداء الإسلام يصبح عدواً للإسلام حتى لو لم يتم تصنيفه كذلك منذ البداية. وهكذا بحسب زعيتر، فإن صديق عدوي هو عدوي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (سورة المائدة، الآية ٥٠). ويضيف أنه في الواقع، لا يتوق الموارنة السياسيون إلى الحوار؛ بل هم يحتاجون إلى حلفاء. وهكذا فإن الحوار هو سبيل لبلوغ الغاية المنشودة للسيطرة على المسلمين ليس إلا: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (سورة البقرة، الآية ١١٩). ويؤكد زعيتر أن الموارنة السياسيين لا يعارضون عقد اجتماع مع قادة الميليشيات أجمعين واتخاذ قرارات تدعو للتسوية السياسية التي تؤكد على دعم ما يسمونه «الشرعية» و«الدستورية». وبذلك، يضلل الموارنة السياسيون شعبهم ويمتصون الاستياء المتصاعد ضدهم ويخدعون الله: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (سورة الأنعام، الآية ١٢٠). ويخلص إلى طرح سؤال بلاغي، وهو بما أن الموارنة السياسيين مسؤولون عن تدمير لبنان، فلم يتعين على أي كان التفاوض معهم وعلى ماذا[١]؟ [128]

كرّر حزب الله الآراء الواردة في رسالته المفتوحة حول المسيحيين في إعلاناته السياسية. في العام ١٩٨٦، أصدر حزب الله إعلاناً سياسياً مفاده أنه لا يجد نفسه ملزماً التحاور مع المارونية السياسية التي تتعاون مع الأعداء؛ بل يفتح حزب الله قلبه ويمد يده للحوار والتفاهم مع المسيحيين والديانات الأخرى على أساس الاقتناع الراسخ بالعداء للولايات المتحدة وإسرائيل[٢].

---

(١) زعيتر، نظرة على طرح الجمهورية الإسلامية في لبنان، ص. ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) راجع البيان السياسي لحزب الله في ذكرى إلغاء اتفاق ١٧ أيار/مايو العام ١٩٨٣ مع إسرائيل. جريدة العهد، العدد ١٠٠ (١٥ رمضان ١٤٠٦/٢٣ أيار - مايو ١٩٨٦)، ص. ١١.

موقف حزب الله من إسرائيل

في أحد أوائل إعلاناته السياسية، أكد حزب الله موقفه من استمرار نضال المقاومة الإسلامية حتى محو إسرائيل من الوجود، وهو مفهوم أسس عليه حزب الله مقاومته العسكرية والسياسية والفكرية والإيديولوجية، وبناها ضد الاحتلال الإسرائيلي. وقد شدد الإعلان على أن وجود الكيان الصهيوني غير شرعي؛ فهو لا يملك أي حق بالوجود ولا أي حق في أرض فلسطين ولا يملك أي عربي أو مسلم حق منح إسرائيل أي اعتراف أو شرعية[١]. أعلن حزب الله أن عداءه لإسرائيل هو شعار يُرفَع ضد الصهيونية لتحرير القدس[٢] والأراضي المقدسة[٣]. وقد أشار السيد إبراهيم أمين السيد إلى درجة كبيرة من التوافق بين خطاب الإمام موسى الصدر وخطاب الإمام الخميني. وأكد إبراهيم السيد أن ما من فرق بين قول الخميني إنه «يجب إزالة إسرائيل من الوجود» وإعلان الصدر أن «إسرائيل شر مطلق»؛ «قاتلوا الإسرائيليين بأسنانكم وأظافركم»؛ «لن تتحرر القدس إلا على أيدي المؤمنين المسلمين»[٤].

---

(١) راجع البيان السياسي لحزب الله في تشرين الثاني/ نوفمبر العام ١٩٨٤، المعنون «المفاوضات مع إسرائيل محرّمة دينياً».

(٢) أشار الكوراني إلى المشروع الثقافي (التربوي) المتميّز لحزب الله لجهة «تحرير القدس» ومعاداة الكيان الصهيوني، باعتبار هذا المشروع من الركائز الأساسية في إيديولوجيا الحزب السياسية. وقد أوضح أن المسلمين اللبنانيين، وعلى وجه الخصوص الشيعة في الجنوب، كانوا يعتبرون، قبل أن تبصر ثقافة التعبئة المتميّزة لدى حزب الله النور، أن مقاومة الاحتلال الإسرائيلي ضرب من الغباء. وأضاف أن الإيديولوجيا السياسية التعبوية لدى حزب الله غيّرت هذه العقلية الاستسلامية وحضت الجماهير على الانضمام إلى المقاومة الإسلامية من أجل محاربة الاحتلال وتحرير لبنان كخطوة أولى على الطريق إلى تحرير القدس. ويؤكد الكوراني على أن لدى حزب الله مشروعاً تحريرياً شاملاً للإصلاح الفردي والاجتماعي، يشمل ضمناً تحرير القدس، ويختلف عن الصراع السياسي الذي تقوده مجموعات أخرى ضد إسرائيل. (راجع «الميزة السابعة في ثقافة حزب الله: ثقافة تحرير القدس»، لدى الكوراني، طريقة حزب الله. . .، ص. ١٧٧ - ١٧٨).

(٣) البيان السياسي لحزب الله بتاريخ ٢٩ حزيران/ يونيو ١٩٨٤، المعنون «القدس أقدس قضايانا».

(٤) راجع برنامج «أحزاب لبنان: حزب الله: الجزء الأول (١٩٧٩ - ١٩٨٩)»، الشبكة الوطنية للإرسال أن بي أن NBN، ٢١ تموز/ يوليو ٢٠٠٢. راجع أيضاً البيان السياسي لحزب الله =

أكدت رسالة حزب الله المفتوحة على أن موقفه الإيديولوجي من العداء لإسرائيل ينبع من «وعي سياسي إيديولوجي وتاريخي لعدوانية الكيان الصهيوني منذ نشوئه حيث شُيِّد على أراض اغتُصِبت من أصحابها على حساب حقوق المسلمين»[1]. وقد أعادت إعلانات سياسية أخرى التأكيد على أن وجود إسرائيل متجذر في «الإيديولوجيا الغربية العرقية والاستعمارية التي تهدف إلى اغتصاب أرض المسلمين». وقد شدد حزب الله على أن الكيان الصهيوني دولة استيطانية مستعمرة حصلت على دعم القوى الغربية الاستعمارية التي أنشأتها اصطناعياً، عبر اغتصاب الأرض الفلسطينية وإبادة الدولة والشعب الفلسطيني واقتلاع جذوره بغية حماية المصالح الغربية في الشرق الأوسط. وشدد حزب الله على أن القوى الاستعمارية الغربية شكلت عاملاً أساسياً في بناء إسرائيل وفي دعمها المتواصل لتحولها مركز مراقبة لها. ويضيف حزب الله أن الكيان الصهيوني هو كيان توسّعي اصطناعي يهدف إلى التهام المنطقة بأكملها من النيل وحتى الفرات ليس عسكرياً وحسب بل أيضاً سياسياً واقتصادياً. [129]

وبالتالي، تشكل السيطرة الإسرائيلية بواسطة الاختراق الغربي خطراً كبيراً على وجود المسلمين في الشرق الأوسط. وترتكز إيديولوجيا الحزب الصارمة على تدمير إسرائيل والتحرير الكامل لفلسطين التاريخية. أخيراً، توضح الإعلانات السياسية الثلاثة إيديولوجيا حزب الله الرافضة لأي مفاوضات مع إسرائيل قد تؤدي إلى تسوية لما يسمى الصراع العربي الإسرائيلي[2].

تماشياً مع إعلاناته وتصاريحه السياسية التي تثبت إيديولوجيا حزب الله

= بتاريخ ٢٩ حزيران/ يونيو ١٩٨٤، المعنون «القدس أقدس قضايانا»، الذي يعادل بلا لبس بين تصريح الخميني وتصاريح موسى الصدر.

(١) راجع القسم ١٥: «إسرائيل يجب أن تزول من الوجود».

(٢) راجع البيانات السياسية لحزب الله في تموز/ يوليو ١٩٨٤، المعنونة «صراعنا مع إسرائيل عقائدي»، وبياني أيلول/ سبتمبر وتشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٤: الأول بمناسبة الذكرى الثانية للمجازر في المخيمات الفلسطينية، والثاني في ذكرى عاشوراء.

القائمة على مقاومة الاحتلال الإسرائيلي والقمع، دعا حزب الله في رسالته المفتوحة إلى موت إسرائيل، وأشار إليها بفلسطين المحتلة، كما طالب باستعادة أراضي فلسطين العام ١٩٤٨. كما أضافت الرسالة المفتوحة أن حزب الله يحث المجتمع الدولي على تبني قرار يقضي بطرد إسرائيل من الأمم المتحدة لأنها «كيان غاصب وغير شرعي، يتعارض بشكل كبير مع الإنسانية»[(١)]. وفي هذا الصدد، يدّعي زعيتر أن زوال الأنظمة غير الإسلامية يلحقه لا محالة زوال إسرائيل. ويضيف أن ذلك يستتبع انهيار كافة القوى والمنظمات الدولية الداعمة لإسرائيل، فضلاً عن الأنظمة التابعة التي تتعاون معها (وعلى سبيل المثال المارونية السياسية)[(٢)].

على الرغم من أن حزب الله ركز هجومه على الصهاينة إلا أنه يذكر بقوة اليهود في رسالته المفتوحة، ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ (سورة المائدة، الآية ٨١)[(٣)]. كما أشار إعلان حزب الله السياسي في ذكرى أول عملية استشهادية إلى اليهود والصهاينة: «إن عملية خيبر، تلك العملية التي بثت الذعر في قلوب العدو الصهيوني (إسرائيل) زعزعت أسسه وتوازنه العسكري وشكلت نصراً تاريخياً عظيماً ضد اليهود...»[(٤)]. استناداً إلى السيد عباس، فإن اختيار الاسم ليس عبثياً لأنه يرتكز على سابقة تاريخية بالعداء لليهود. وقد شرح السيد عباس أن دستور المدينة منح غير المسلمين الشراكة الكاملة في البنية السياسية على أساس مضامين الحرية والعدل والمساواة الأساسية. وهكذا، شكل اليهود جزءاً من البنية السياسية وكانوا خاضعين لها. حتى أنه سُمِح لهم بالقتال جنباً إلى جنب مع المسلمين والمشاركة في صنع

---

(١) راجع القسم ٢٤: «كلمة أخيرة حول المنظمات الدولية». يبدو أن حزب الله يشكل مجموعة ضغط لتحقيق أمر أقوى من قرار الأمم المتحدة رقم ٣٣٧٩ الذي لم يعد معمولاً به اليوم، والذي ينص على أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية.

(٢) زعيتر، نظرة على طرح الجمهورية الإسلامية في لبنان، ص. ١٩٨.

(٣) راجع القسم ٣: «أميركا وراء كل مصائبنا».

(٤) راجع البيان السياسي لحزب الله بتاريخ ١٩ أيار/ مايو ١٩٨٥.

السلام. شدد السيد عباس على أنه على الرغم من أن اليهود حصلوا على مقام رفيع في دستور المدينة، إلا أنهم كسروا الاتفاق مع الرسول حتى اضطر لقتالهم لأنه توجب عليهم الانصياع إلى ما كشف الله عنه. وقد استشهد بالقرآن الكريم للتأكيد على أقواله: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ * فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ * وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ * وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ * وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ...﴾ (سورة الأنفال، الآيات ٥٦ ـ ٥٧ ـ ٥٨ ـ ٥٩ ـ ٦٠). [130]

يشرح السيد عباس أن جيش النبي محمد (ص) ردد الشعار التالي عندما كان يهاجم بوابة خيبر: «خيبر خيبر يا يهود، جيش محمد قادمون». وأضاف أن حزب الله استبدل المعاداة لليهودية الذي كان سائداً في زمن النبي (ص) بإيديولوجيا الإمام الخميني السياسية عن معاداة الصهيونية: «خيبر خيبر يا صهيون، حزب الله قادمون»(١). ويشدد السيد عباس على أن حزب الله يرفض من هذا المنظور التفاوض مع إسرائيل لأن اليهود تاريخياً غدارون ولم يلتزموا باتفاقياتهم، ولأن اليهود في فلسطين المحتلة هم مغتصبون للأرض وصهاينة لن يُمنَحوا أي شرعية من حزب الله مهما حصل(٢).

غير أن حزب الله أوضح في صحيفة العهد أنه من منظور إسلامي شرعي، يعتبر اليهود «أهل الكتاب» ويجب بالتالي منحهم حقوقهم الدينية والشرعية والثقافية والسياسية كما تنص الشريعة الإسلامية. وقد برر حزب الله هذا الموقف

---

(١) «أي عبر معاقبتهم بشدة».

(٢) كبادرة رمزية لدعم الأمة الإسلامية عموماً، والفلسطينيين على وجه الخصوص، يفتتح حزب الله على الدوام الاحتفال السنوي بيوم القدس بعرض عسكري يبدأ من بوابة خيبر «التي تُبنى لهذا الغرض».

(٣) السيد عباس الموسوي، جريدة السفير بتاريخ ٧ أيلول/ سبتمبر ١٩٨٥. راجع أيضاً نعيم قاسم، الحرب السادسة. . .، ١٩٨٢.

بتشبيهه بالطريقة التي عامل بها النبي (ص) اليهود وفق دستور المدينة وبالطريقة التي تعامل بها الجمهورية الإسلامية مواطنيها اليهود. ويلجأ حزب الله إلى الإمام الخميني الذي أوضح أنه بعكس اليهود، ليس الصهاينة لا «شعب دين» وليس لهم ذمة. وأضاف الخميني أن الجمهورية الإسلامية تقف بصرامة ضد الصهاينة الذين ينقادون بفعل إيديولوجيا سياسية تستغل اليهودية وتمقت الأعراق الأخرى كلها. وشدد الخميني على أنه إذا ما هزم المسلمون والفلسطينيون الكيان الصهيوني، وحدهم الصهاينة (الإسرائيليون اليهود) سيلقون مصير الشاه نفسه، فيما لن يلحق أي أذى بسائر اليهود الذين يعيشون في الدول العربية والمسلمة وسيحصلون على الحقوق نفسها التي يتمتع بها أي شعب أو عرق[1]. وهكذا أوضح حزب الله أن عداءه ليس موجهاً لليهود كعرق أو دين، بل ضد الصهاينة الذين اغتصبوا الأرض الفلسطينية وأنشؤوا كيانهم الصهيوني[2].

تماشياً مع إعلاناته السياسية، كرر حزب الله في رسالته المفتوحة أنه يرفض مبدأ «الأرض مقابل السلام» ولا يعترف بأي هدنة أو وقف إطلاق نار أو معاهدة سلام مع إسرائيل، «العدو». [131]

رفضت رسالة حزب الله المفتوحة الاعتراف بما يسمى النزاع العربي/ الفلسطيني ـ الإسرائيلي ورفضت بالكامل أي شكل من أشكال المفاوضات[3] أو

---

(١) راجع أيضاً الإمام الخميني، صحيفة النور (مجموعة أعمال الخميني)، المجلد ١٠. بيروت: لا تاريخ، ص. ١٦٤ - ١٧١.

(٢) راجع جريدة العهد، ١٨ جمادى الأولى ١٤١٠/ ١٥ كانون الأول - ديسمبر ١٩٨٩.

(٣) راجع البيان السياسي لحزب الله في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٤، تحت عنوان «المفاوضات مع إسرائيل محرّمة دينياً». راجع أيضاً جريدة العهد، العدد ٢٠. (تتكرر المواضيع نفسها في البيان السياسي لحزب الله «المفاوضات مع إسرائيل وخيانة النظام السياسي اللبناني» الصادر في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٨٥). ويؤكد قادة حزب الله في كل خطاباتهم تقريباً على أنهم عازمون على القتال من أجل تحرير جنوب لبنان وفلسطين، ولن يخضعوا لإسرائيل أو للولايات المتحدة. وهم يتحدثون على الدوام مراراً وتكراراً عن مركزية صراعهم ضد إسرائيل. وقد أعلن الطفيلي أنه في حال عقد العالم كله اتفاق سلام مع إسرائيل، فإن حزب الله سيستمر في محاربة الصهاينة حتى وإن انسحبت إسرائيل من جنوب لبنان. وقد أضاف أنه سيتم تمزيق وثائق السلام، =

محادثات السلام مع إسرائيل إذ من شأنها أن تمنح الشرعية «للاحتلال الصهيوني لفلسطين». وقد أدان حزب الله الحكومة اللبنانية لإجرائها مفاوضات مع إسرائيل معتبراً أطراف التفاوض أعداء يرتكبون «خيانة خطيرة» تجاه حزب الله: «لا يمكن أن ينظر إلى المفاوضات مع العدو سوى على أنها مؤامرة تهدف إلى الاعتراف بالاحتلال الصهيوني وإلى منحه الشرعية كما الامتياز مقابل الجرائم التي ارتكبها ضد المستضعفين في لبنان...». وأضافت الرسالة المفتوحة أن حزب الله لن يوقف نضاله «حتى يخلي الصهاينة الأراضي المحتلة وهي خطوة بالاتجاه الصحيح لمحوهم عن وجه الأرض»(١).

وكما تؤكد صحيفة العهد، فإن موقف حزب الله الرسمي من الصراع الإسرائيلي ـ الفلسطيني يطالب باسترجاع فلسطين كلها ولا سيما فلسطين العام ١٩٤٨ من نهر الأردن حتى البحر المتوسط، وعودة كافة اليهود الذين قدموا بعد اتفاقية سايكس ـ بيكو في العام ١٩١٦ حيث قسّمت هذه الاتفاقية الشرق الأوسط بين البريطانيين والفرنسيين وذلك بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية فوضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني(٢).

= ولن يحدث أي تطبيع للعلاقات مع العدو، بل إن المقاومة ستستمر. مجلة الشراع، ٣١ آب/ أغسطس ١٩٨٦.

(١) راجع القسم ١٥: «إسرائيل يجب أن تزول من الوجود». وتماشياً مع الرسالة المفتوحة والبيانات السياسية، أعلن حزب الله عن رفضه لعملية السلام ولمؤتمر السلام في مدريد، مؤكداً على أنهما يخدمان مصالح الشيطان الأكبر (الولايات المتحدة) والشيطان الأصغر (إسرائيل) على حساب مصلحة العرب والمسلمين. وكان يُفترض بمؤتمر السلام في مدريد أن يكون مؤتمر تحديد المصير بالنسبة إلى لبنان والشرق الأوسط والقضية الفلسطينية، والصراع على المستوى الوجودي بين الصهاينة والعرب والمسلمين. (نتجت اتفاقية مدريد عن مؤتمر السلام في مدريد الذي انعقد في تشرين الأول/ أكتوبر - تشرين الثاني/ نوفمبر العام ١٩٩١). راجع خطاب السيد الموسوي في إحياء الذكرى الثالثة عشرة لتغييب الإمام موسى الصدر، ٣١ آب/ أغسطس ١٩٩١.

(٢) جريدة العهد، ٢٠ صفر ١٤٠٦/ ٢٥ تشرين الأول - أكتوبر ١٩٨٥؛ جريدة العهد، ١٢ شعبان ١٤٠٧/ ١٠ نيسان - أبريل ١٩٨٧؛ جريدة العهد، ٢٤ صفر ١٤٠٨/ ١٦ تشرين الأول - أكتوبر ١٩٨٧.

تناقش إيديولوجيا حزب الله السياسية الأسباب الباطنية والظاهرية للفتنة بين المسملين. وقد حذرت الرسالة المفتوحة من الفتنة الإمبريالية التي تهدد بالقضاء على العالم المسلم كله. كما لامت «المؤامرة الشيطانية» التي ترتكبها الأمم الإمبريالية ـ الاستعمارية عبر قتل وإخفاء العلماء أمثال الإمام موسى الصدر وآية الله مرتضى مطهري(١)، وآية الله السيد محمد باقر الصدر(٢) ـ الذين اعترضوا على خططها العدوانية وكانوا يدعون للوحدة الإسلامية بهدف إحباط المؤامرة الغربية ونزع فتيل الفتنة السامة التي ينشرونها بين المسلمين(٣).

وقد حذر زعيتر من أن النزاع الداخلي قد يؤدي إلى تدمير أهم جدران وتحصينات تقف في وجه تصويب المجتمع الإسلامي نحو الفتنة والمؤامرات. كما حذر من أن على كل فرد أن يبقى متيقظاً وينبذ الفتنة التي يسعى إليها الموارنة السياسيون بجهد، حتى يبقى نظامهم غير العادل ممسكاً بالسلطة(٤). كما يضيف أنه لا بد من القضاء على الموارنة السياسيين الحقيرين؛ وعندئذ يتوقف القتال بعد التخلص من المتآمرين كلهم (سورة النساء، الآية ٩١)(٥). بحسب كوراني، تشكل وحدة المسلمين كارثة كبرى للكيان الصهيوني والشيطان الأكبر وحلفائهما. لهذا السبب، يشددون على نثر بذور الفتنة عبر إثارة النزاعات الداخلية بين المسلمين حتى يتقاتلوا باستمرار فيما بينهم(٦). [132]

---

(١) يُزعم أنه قُتل بسبب كتابه الواقع في مجلدات عدة والمعنون الأسباب المسؤولة عن الميول المادية في الغرب The Causes Responsible for Materialist Tendencies in the West.

(٢) أعدمه صدام بتاريخ ٩ نيسان/ أبريل ١٩٨٠. ولا عجب أن حزب الله يعتبر الإمام موسى الصدر والسيد محمد باقر الصدر من إيديولوجييه وقادته.

(٣) راجع القسم ٢٢: «الله في وحدة المسلمين».

(٤) زعيتر، نظرة على طرح الجمهورية الإسلامية في لبنان، ص. ١٢٣ - ١٢٧.

(٥) المرجع نفسه، ص. ١٠٧.

(٦) الكوراني، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٩٩ وما بعدها.

شدد آية الله السيد فضل الله على أن أي تعاون محلّي مع إسرائيل والولايات المتحدة يخلق فتنة، ساعياً إلى حث المسلمين على الشعور بالمسؤولية والتعبئة ضد مرتكبي الفتنة بغية حماية الوجود المسلم ومستقبله. كما شدد على أن الفتنة يمكن أن تنتج من الشراكة مع المارونية السياسية، أي الطبقة الحاكمة. لهذا السبب، نبه السيد فضل الله إلى ضرورة اجتثاث بذور الفتنة حتى يسعى المسلمون إلى تحقيق وحدتهم[1]. أما زعيتر، فقد أوضح أن المؤامرات كلها، حتى تلك التي تبدو وكأنها نابعة من داخل المسلمين هي نتاج الغرب[2].

على الرغم من تفادي حزب الله لهذه المسألة، إلا أن عهد الإيديولوجيا السياسية مفعم بالأمثلة عن الفتنة السنية ـ الشيعية. وبعكس الاتجاه السائد في خطاب حزب الله الرسمي، يعترف كوراني بأن المؤامرات لم تنشأ من الغرب وحسب بل نشأت أيضاً داخل المسلمين أنفسهم. يشير كوراني إلى «المؤامرة الصهيونية ـ المارونية السياسية» بمساعدة القادة الإقطاعيين المسلمين الذين شكلوا جزءاً من المارونية السياسية لسحق اللاجئين الفلسطينيين في لبنان وإخضاع المسلمين عبر تعبئتهم بشكل عام والشيعة بشكل خاص ضد الفلسطينيين[3]. ويعني كوراني بكلامه حرب المخيمات بين عامي ١٩٨٥ و١٩٨٨ بين اللاجئين الفلسطينيين السنة في لبنان من جهة وحركة أمل والألوية الشيعية المنشقة عن الجيش اللبناني من جهة أخرى. أدان حزب الله الحرب باعتبارها مؤامرة إمبريالية ضد وحدة الأمة، وقد تدخّل كوادر حزب الله أحياناً على الجهة الفلسطينية أو قدموا مساعدات إنسانية داخل المخيمات[4]. وثمة

---

(١) فضل الله، من أجل الإسلام. بيروت: دار التعارف، ١٩٨٩، ص. ١٢٩.

(٢) زعيتر، نظرة على طرح الجمهورية الإسلامية في لبنان، ص. ١٢٧.

(٣) الكوراني، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٧٨.

(٤) نورتن Norton، أمل ونضال الشيعة. . .، ص. ١٢١ وما بعدها؛ حسن فضل الله، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٣٣ وما بعدها؛ شرارة، دولة حزب الله. . .، ص. ٣٤٦ - ٣٥٠. طلال سلمان، سيرة ذاتية لحركة مقاومة عربية منتصرة: حزب الله. بيروت: السفير، حزيران/ يونيو ٢٠٠٠، ص. ١١.

أمثلة أخرى على الفتنة الداخلية أبرزها حرب ١٩٨٨ ـ ١٩٩٠ الشهيرة بين أمل وحزب الله[(١)] فضلاً عن حرب حزب الله مع الأحزاب السياسية اليسارية العلمانية[(٢)] التي كانت تقاتل جنباً إلى جنب مع حركة أمل وحزب الله ضد المارونية السياسية والاحتلال الإسرائيلي.

رداً على الفتنة، شدد حزب الله على وحدة المسلمين. ووصف نفسه «أمة ترتبط بالمسلمين في كل جزء من العالم برابط عقائدي إيديولوجي وسياسي قوي». كما شدد حزب الله على أنه جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية حيث يشاطرها أفراحها وأتراحها تحت توجيهات المرشد الأكبر القائد الإمام الخميني. وأفاد حزب الله أنه استوحى فكرة وحدة المسلمين من الإمام الخميني الذي أعلن أسبوع ذكرى المولد النبوي أسبوع الوحدة الإسلامية[(٣)] وشدد على الدفاع عن

---

(١) راجع حسن فضل الله، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٤٥ - ١٤٧. شرارة، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٣٤٦ - ٣٥٠.

(٢) لمزيد من التفاصيل حول مواجهة حزب الله العسكرية مع الحزب الشيوعي اللبناني (منذ ١٩٨٤ - ١٩٨٥)، راجع أوغسطس آر نورتن Augustus R. Norton «حزب الله اللبناني: الأفكار المتطرفة في مقابل السياسة الدنيوية» Hizballah of Lebanon: Extremist Ideas vs. Mundane Politics، مجلس العلاقات الخارجية، (شباط/فبراير ٢٠٠٠)، ص. ١٤ - ١٥؛ نورتن Norton «لبنان»، الكتاب السنوي للشؤون الشيوعية الدولية: الأحزاب والحركات الثورية Yearbook on International Communist Affairs: Parties and Revolutionary Movements. ستانفورد :Stanford، منشورات هوفر لإرساء المؤسساتية Hoover Institutionalization Press، ١٩٨٧ ص. ٤٤٩ - ٤٥٣؛ شرارة، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٣٤٩ - ٣٥٠؛ والحسيني، «حزب الله: حركة...»، ص. ١٥.

(٣) تضمنت الجمهورية الإسلامية في تركيباتها المؤسساتية الهرمية «المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية»، الذي بدأ، منذ العام ١٩٨٨، بتنظيم مؤتمر سنوي في طهران حول وحدة المسلمين من أجل تعزيز النشاطات التوحيدية داخل إيران. وقد استقطبت الكوادر البارزة في حزب الله الأضواء في مثل هذه اللقاءات. (راجع على التوالي الموقعين الإلكترونيين باللغة العربية والفارسية للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية Majma'-e Jahani-ye Baraye Taqrib-e baine Mazaheb-e Eslami على العنوان الإلكتروني و. راجع أيضاً ويلفريد بوشتا Wilfried Buchta من يحكم إيران؟ تركيبة القوة في الجمهورية الإسلامية Who Rules Iran? The Structure of Power in the Islamic Republic. واشنطن العاصمة: معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى وكونراد أدينوير ستيفتانغ Konrad Adenaueur Stiftung، ٢٠٠٠ ص. ٤٩ وما بعدها.

حقوق المسلمين كلهم[١]. وجعل حزب الله هذه الوحدة ترمز إلى حصن منيع يقطع الطريق أمام مؤامرات المستكبرين والأمم المتغطرسة[٢]. [133]

كما شدد حزب الله على أن وعي المسلمين ويقظتهم كفيلان برد الفتن وتعزيز الوحدة التي تشكل أمراً من الله: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٠٢) و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ (سورة الأنعام، الآية ١٥٨)[٣]. دعا آية الله السيد فضل الله إلى وحدة المسلمين مشدداً على أن القرآن يحذر من الفتنة[٤]. وبحسب قوله فإن الاستخدام القرآني للفتنة يعني درجة من الفوضى بين المؤمنين أو الشعب تقود إلى معاناة نفسية وعقلية فضلاً عن الضيق والعقاب[٥]. أما زعيتر، فقد حث المسلمين على تفادي الفتنة وحضهم على عدم تحولهم وقوداً يحرقهم ويحرق بلادهم[٦]. كما شدد على أنه لا بد من

---

(١) دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية. الفصل العاشر «السياسة الخارجية»، المادة ١٥٢. طهران: قسم الترجمة والنشر، منظمة العلاقات والثقافة الإسلامية: الهدى للنشر والتوزيع، ١٩٩٧، ص. ١١٧. أكد الإمام الخميني على أن الدفاع عن الإسلام وحزب الله يشكل أحد الثوابت الأساسية في سياسة الجمهورية الإسلامية. (راجع الكلمات القصار: الإسلام وأعمالنا. بيروت: لا تاريخ، ص. ١٨٧). يحتفل حزب الله سنوياً بذكرى دعوة الإمام الخميني إلى وحدة المسلمين من خلال اجتماعات وحوارات مع العلماء المسلمين والمراجع الدينية لكافة المذاهب.

(٢) راجع القسم ٢١: «جبهة عالمية للمستضعفين»؛ وزعيتر، نظرة على طرح الجمهورية الإسلامية في لبنان، ص. ١٢٧.

(٣) راجع القسم ٢٢: «الله في وحدة المسلمين».

(٤) ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ﴾ (سورة البقرة، الآية ١٩١)؛ ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ (سورة البقرة، الآية ١٩٣)؛ ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة الأنفال، الآية ٢٨)؛ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (سورة الأنفال، الآية ٧٣).

(٥) فضل الله، الإسلام ومنطق. . .، ص. ١٧١ - ١٧٢.

(٦) ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (سورة الأنفال، الآية ٤٦).

احتواء الفتنة في مراحلها الأولى وإلا انتشرت كالنار في الهشيم وعندها يستحيل إخمادها[١]. وقد حذر النبي محمد (ص) تحديداً المسلمين من عدم التورط في الفتنة أو المساعدة في انتشارها إذ يعتبرون عندئذ غير مؤمنين ويُحكَمون بمصير الجاهلية[٢].

دعت الرسالة المفتوحة المسلمين كافة إلى الاتحاد ضد المستكبرين والإمبرياليين والصهاينة، عبر اتباع شروط العلماء المحقة وعدم إفساد قضاة الدولة إذ قد ينحرفون عن تعاليم الإسلام ويتبعون مصالح الشيطان الأكبر والشيطان الأصغر. والأهم من ذلك أن حزب الله دعا العلماء المسلمين إلى الاتحاد مشدداً على خطورة الفتنة السنية ـ الشيعية التي يحاول الإمبرياليون والمستكبرون تغذيتها بهدف تقسيم الأمة الإسلامية وقهرها: «احذروا الفتنة الاستعمارية الخبيثة التي تهدف إلى تمزيق وحدتكم بغية نشر بذور الفتنة بينكم وإشعال المشاعر الطائفية السنية ـ الشيعية. . . لا تسمحوا لسياسة «فرّق تسد» أن تُمارَس عليكم»[٣]. أضاف زعيتر أن الصليبيين كانوا يبذلون ما في وسعهم لتفكيك المسلمين وتحطيمهم عبر نشر الفتنة والعداء بينهم. وقد شدد على أن أعداء الإسلام يعرفون جيداً أن الوحدة الإسلامية تمنح المسلمين قوة أكبر تستطيع فرض إرادتها على الحكومات الأقلية الحاكمة وإجبار الإمبرياليين والاستعماريين على الانصياع للمسلمين الذين يشكلون الأكثرية[٤].

أكد حزب الله على ضرورة احترام الخصائص الفقهية لكل من السنّة والشيعة، لكن هذا لا يعني أنه لا يمكن إيجاد وحدة في الموقف السياسي الإيديولوجي تجاه إسرائيل والولايات المتحدة على سبيل المثال. [134]

(١) ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً. . .﴾ (سورة الأنفال، الآية ٢٥).

(٢) زعيتر، نظرة على طرح الجمهورية الإسلامية في لبنان، ص. ١٢٣ - ١٢٧.

(٣) راجع القسم ٢٢: «الله في وحدة المسلمين». يكرر زعيتر الخطاب نفسه. راجع نظرة على طرح الجمهورية الإسلامية في لبنان، ص. ١٢٣ - ١٢٧.

(٤) المرجع نفسه، ص. ١٢٣.

لذا يضيف حزب الله أن الوحدة السياسية الإيديولوجية للبنانيين السنة والشيعة لا بد من أن توجه ضد الهجوم الغربي الذي تترأسه الولايات المتحدة وإسرائيل ضد المسلمين أجمعين[١]. وقد شدد كوراني على أن وحدة المسلمين في لبنان تعني وحدة العلماء السنة والشيعة فضلاً عن الشعب كخطوة أولى في توسيع هذه الوحدة لتضم المسلمين كلهم في الأمة[٢].

لقد سلطت كوادر حزب الله القيادية أمثال السيد حسن نصرالله وحسين الموسوي والشيخ صبحي الطفيلي الضوء على أهمية وحدة المسلمين على مستوى شامل في دولة إسلامية جامعة للكل[٣]. فضلاً عن ذلك، شددوا على العقيدة الإسلامية القائمة على توحيد الأمة الإسلامية. وهكذا، بالنسبة إلى حزب الله فإن وحدة المسلمين كلهم هي واجب شرعي يقع على عاتقهم لنبذ فتنة التكفير[٤]. ويناقش زعيتر معتبراً أن إنشاء دولة إسلامية شاملة تقود بلا أدنى شك إلى وحدة المسلمين وكرامتهم بعد أن مزقتهم الرغبات والقوميات والطوائف. وبالتالي فإن أهم وظيفة للحكومة الإسلامية هي توحيد الأمة[٥].

حزب الله والغرب، ولا سيما الولايات المتحدة

تأثرت إيديولوجيا حزب الله السياسية تجاه الغرب بالإمام الخميني القائد الذي لطالما كرر أن الولايات المتحدة هي «أم الرذائل كلها» وتقف وراء الكوراث التي تقض مضجع العالم الإسلامي[٦]. وقد أظهر حزب الله صراحة عداءه تجاه الولايات المتحدة وإسرائيل في العديد من الإعلانات السياسية.

---

(١) راجع القسم ٢٢: «الله في وحدة المسلمين».
(٢) علي الكوراني، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٤٧ - ١٦٣.
(٣) جريدة العهد، ٧ شباط/فبراير ١٩٨٦؛ جريدة كيهان، ٢٧ تموز/يوليو ١٩٨٦؛ جريدة العهد، ١١ شعبان ١٤٠٧ هـ/ ١٠ نيسان - أبريل ١٩٨٧.
(٤) جريدة العهد، العدد ١٤٦، (١٢ شعبان ١٤٠٧ هـ/ ١٠ نيسان - أبريل ١٩٨٧)، ص. ٧.
(٥) زعيتر، نظرة على طرح الجمهورية الإسلامية في لبنان، ص. ٥٤.
(٦) راجع القسم ٣ من الرسالة المفتوحة: «أميركا وراء كل مصائبنا».

ووصف الحزب الإدارة الأميركية بالكافرة مشدداً على مركزية نضال حزب الله ضد الولايات المتحدة وإسرائيل، ومفاخراً في «كسر الذراع الأميركية الصهيونية» تحت وقع هجمات المقاتلين المسلمين المستضعفين (المقاومة الإسلامية في حزب الله). وقد أدت هذه الهجمات إلى هزيمة الولايات المتحدة العسكرية المذلة وانسحابها مع حلفائها من قوات حلف شمال الأطلسي من لبنان. أضاف الإعلان أن حزب الله يذكّر المسلمين بقول مهم لقائد الأمة العظيم الإمام الخميني الذي قال إنه حتى لو أعلنت الولايات المتحدة وإسرائيل أن «لا إله إلا الله» فلن يُقبَل هذا الإعلان وسيواصل المسلمون نضالهم حتى يسحقوا السيطرة الأميركية ويجتثوا جذور الغدة السرطانية (إسرائيل) المترسخة وسط المسلمين[١].

اعتبرت الرسالة المفتوحة الولايات المتحدة وإسرائيل وفرنسا وحلف شمال الأطلسي أعداءها الأساسيين في الشرق الأوسط. وشددت على اجتثاث الرذيلة الأميركية والإسرائيلية من الشرق الأوسط ملقية اللوم عليهما كليهما لوقوع المصائب واللاعدالة والاعتداءات والذل في الأمة الإسلامية. علاوة على ذلك، أدان حزب الله الأنظمة العربية الرجعية التي تؤيد الدول الآنف ذكرها[٢]. [135]

على غرار الإيديولوجيا السياسية الإيرانية، شكل العداء للولايات المتحدة وإسرائيل شعاراً يردده قادة حزب الله وكوادره باستمرار حيث تم وصف الولايات المتحدة على أنها الشيطان الأكبر فيما اعتبرت إسرائيل الشيطان الأصغر: «الموت لأمريكا» و«الموت لإسرائيل». أكد السيد إبراهيم أمين السيد أن القرآن يحث المسلمين على محاربة الشيطان الأكبر (الولايات المتحدة) والشيطان

---

(١) راجع البيان السياسي لحزب الله، المعنون «التهديدات الأميركية والمواجهة»، ٢٨ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٤.

(٢) راجع الأقسام ٣، ٦، ٧، و٢٠: «أميركا وراء كل مصائبنا»؛ «أعداؤنا الأساسيون»؛ «أهدافنا في لبنان»؛ و«أنظمة الانهزام العربي».

الأصغر (إسرائيل): ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (سورة الأنفال، الآية ٥٩)[١].

حذر السيد فضل الله من مخاطر الاستعمار والإمبريالية، مشيراً إلى الغرب بصفته العدو الأول للعالم الإسلامي. ولام الغرب ولا سيما الولايات المتحدة وإسرائيل على سوء الحظ الذي يلحق بالشرق الأوسط ويصيب لبنان. كما شدد على أن المواجهة بين الغرب والإسلام تعود بشكل خاص إلى المسألة الفلسطينية[٢]. وحذر السيد فضل الله المسلمين من التنبه إلى أو إجراء تسوية مع الإمبريالية إذ سيتم اعتبار تصرفهم غير إسلامي[٣]. لذا، يكمن الخلاص الوحيد للمسلمين في تأسيس حركات اجتماعية سياسية (كحزب الله) تمارس إيديولوجيا المقاومة والثورة في محاولة لتخليص المسلمين من النفوذ الإمبريالي. وبحسب السيد فضل الله، لا يمكن إنجاز هذا الأمر إلا عندما يتلاحم المسلمون في ما بينهم ويرفعون راية الإسلام والحرية[٤].

أفاد حزب الله في رسالته المفتوحة أنه يعتنق مبادئ عدة من إيديولوجيا إيران السياسية. وباتباعه إيران، ينظر حزب الله إلى نفسه على أنه حركة تناضل بتوجيه من الإمام الخميني، ضد لا عدالة الإمبريالية والاستعمار المعاديين للإسلام[٥]. وقد شدد حزب الله على أنه تأثر بمفهوم الإمام الخميني الثوري القائل بلا شرقية ولا غربية إنما جمهورية إسلامية. وبالتالي لا شرق ولا غرب، وحده الإسلام يجسد نهضة الإنسان لأنه ﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ

(١) جريدة اللواء، ١ تموز/يوليو ١٩٨٦. في الدوائر الانتخابية الكبرى الخاضعة لحزب الله، تظهر يافطة حزب الله «أميركا وراء كل مصائبنا» وفي أسفلها العلم الأميركي مرصعاً بالقنابل عوضاً عن النجوم.

(٢) فضل الله، من أجل الإسلام، ص. ٦٢.

(٣) المرجع نفسه، ص. ١٢٩.

(٤) فضل الله، الإسلام ومنطق القوة، ص. ٢٩٣ وما بعدها.

(٥) راجع الرسالة المفتوحة: الأقسام ١، ٢، ٦، ١٣ و٢٠.

لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ . . .﴾ (سورة النور، الآية ٣٤)(١). وقد أكد حزب الله على أن أهدافه تتلخص في «إنقاذ لبنان من تبعيته للشرق والغرب ووضع حد للاحتلال الأجنبي واعتماد نظام يريده الشعب اللبناني بحرية»(٢).

في صحيفة العهد، يشرح حزب الله فهمه للمضمون الإيديولوجي السياسي لشعار الخميني: «لا شرقية ولا غربية إنما جمهورية إسلامية». فبحسب حزب الله، ليس الحافز الوحيد وجوهر الثورة الإسلامية هدفاً سياسياً واجتماعياً بل التزاوج المقدس بين الحياة الثقافية والدينية. ويضيف حزب الله أن هذا الخيط الثقافي الديني شكل إحدى أبرز دعامات المجتمع الإسلامي منذ بداية تأسيسه. [136]

ولإثبات ادعائه، يقتبس حزب الله قول آية الله مرتضى مطهري الذي شدد على أن الثورات لا تنشب كلها بسبب الاستغلال والحرمان والفقر ووالإخضاع والاستعباد. ويضيف مطهري أنه ليس أكيداً ما إذا كان الاحتكام إلى الحكومة أو الانخراط في العصيان المدني المحرك الأساسي لكل تحرك ثوري. فبحسب حزب الله، هذه هي الوسائل الوحيدة، أما الغاية فهي الإسلام(٣).

يتساءل حزب الله حول الدافع الحقيقي وراء الإيديولوجيات السياسية الثورية الغربية والمناصرة للغرب (العربية). ويوضح الحزب أن انتقاده الغرب لا ينحصر البتة بالرأسمالية والإمبريالية والاستعمار؛ بل يشمل كافة الإيديولوجيات

---

(١) إشارة حزب الله إلى الآية القرآنية حول الشرق والغرب تحظى بتأثير آخر، باعتبار أن استخدامها الأصلي، على سبيل التفسير الصوفي، يختلف عن الشرق والغرب في الحرب الباردة. راجع يوسف علي، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٩٠٧ - ٩٠٨؛ ٩٢٠ - ٩٢٤.

(٢) راجع القسم ١٠ : «الحد الأدنى لطموحنا في لبنان»، القسم ١١ : «لماذا نواجه النظام القائم»، والقسم ٢١ : «جبهة عالمية للمستضعفين».

(٣) «القوة الديناميكية الروحية للثورة الإسلامية: الحلقة الثانية»، جريدة العهد (١٠ شوّال ١٤٠٥ هـ/ ٢٨ حزيران - يونيو ١٩٨٥)، ص. ٩.

العلمانية بما فيها تلك ذات النزعة اليسارية كالاشتراكية والشيوعية. ويتنقد حزب الله الإيديولوجيات السياسية الغربية بصفتها متجذرة في المادية بينما يكمن إنجاز الثورة الإسلامية الرائد في غايته المتمحورة حول إرساء الهوية الإسلامية والثقافية للمجتمع الإسلامي بكل صرامة. بحسب الحزب، هنا تكمن الأصالة الثقافية للثورة الإسلامية، وهذا ما يسعى الحزب إلى المنافسة عليه. وخلاصة القول أن حزب الله يعتبر من هذا المنظور أن الحد الفاصل في الثورة الإسلامية هو منهاجها الأصلي واستراتيجيتها وبرامجها التي لا تدين بأي شيء للغرب، لا من حيث موقفها تجاه الإيديولوجيات الليبرالية الديمقراطية، ولا من منظور الإيديولوجيا الماركسية. وباقتباس مطهري مرة أخرى، يناقش حزب الله أن القراءة تختلف بين الثورة الإسلامية التي تنظر إلى الإسلام على أنه الغاية والإسلام الثوري الذي يعتبر الثورة والنضال الغاية، بينما الإسلام هو الوسيلة[١].

بحسب حزب الله، فإن شعار الإمام الخميني بتعديل الفرد لشخصه وتصحيحه قبل تعديل الآخرين وتصحيحهم يلخّص الكثير من المبادئ الإيديولوجية السياسية للثورة الإسلامية. على سبيل المثال، يؤكد الحزب أن الغرب يشهد عادة ثورات يتم التخطيط لها بانقلاب أو بكفاح ضد الإمبريالية أو عبر تطوير القطاعات المنتجة أو عبر المطالبة بالعدالة الاجتماعية وربما الاستقلال الثقافي. يشدد حزب الله على أن هذه الأبعاد كلها موجودة في الثورة الإسلامية لكنها تتضمن الوسائل ليس إلا، إذ إن النضال ضد سلطة الشاه الاستبدادية والكفاح ضد الإمبريالية القمعية والمستبدة لا يحددان الثورة الإسلامية. على العكس، فإن البعد المهم يكمن في تمتين الإسلام عبر تأسيس حكومة إسلامية ليس من حيث البعد الثقافي وحسب بل من حيث البعد السياسي

---

(١) «القوة الديناميكية الروحية للثورة الإسلامية...»؛ راجع أيضاً كتاب آية الله مرتضى مطهّري، المعنون الأسباب المسؤولة عن الميول المادية في الغرب The Causes Responsible for Materialist Tendencies in the West.

الاجتماعي والأهم من ذلك، البعد الروحي للإسلام بما أن الإسلام مقدس وشامل في توجهه(١). [137]

راية الجهاد والاستشهاد

الجهاد العسكري الأصغر والجهاد الأكبر: ممارسة الجهاد الأكبر قبل الجهاد العسكري الأصغر

شدد السيد إبراهيم أمين السيد على أن إيديولوجيا حزب الله السياسية فريدة في تجذرها في الوصف الإسلامي للجهاد العسكري الأصغر على أنه فلسفة المقاومة ضد احتلال الكيان الصهيوني وقمعه(٢). فضلاً عن ذلك، وعظ الحزب بالجهاد العسكري الأصغر بصفته واجباً إلزامياً ضد قمع المارونية السياسية ومن تبقى من الصليبيين الذين جعلوا من واجبهم سحق الإسلام والمسلمين(٣).

ميز حزب الله في رسالته المفتوحة بين الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر ولكن ليس بالتفصيل الممل. يؤكد حزب الله أنه سار على خطى الرسول (ص) في البساطة، والتوق إلى الصعود إلى الجنة، فنفذ عمليات استشهادية في سبيل الله وانخرط في الجهاد العسكري الأصغر ضد أعداء الإسلام ولا سيما «الكيان الصهيوني الغاصب» والشيطان الأكبر. كما أن استذكار حزب الله لتكرار الإمام الخميني المتواصل على الحاجة لتعديل النفس وتصحيحها وتشذيبها قبل تعديل الآخرين وتصحيحهم وتشذيبهم إلى العالم بشكل أوسع(٤) فما هو إلا استذكار مباشر لنقاشه حول الجهاد الأكبر في كتابه الذي يحمل العنوان نفسه(٥).

---

(١) «القوة الديناميكية الروحية للثورة الإسلامية...».

(٢) جريدة العهد (٢١ ذو القعدة ١٤٠٤/١٧ آب - أغسطس ١٩٨٤).

(٣) زعيتر، نظرة على طرح الجمهورية الإسلامية في لبنان، ص. ١٦١ - ١٦٥؛ ٢٤٤ - ٢٤٩.

(٤) راجع القسم ٢٣: «مناشدة لعلماء الإسلام».

(٥) قال الخميني في أكثر من مناسبة إن الناس اذا عرفوا أن صاحب حانوت غير صالح، فيقولون: إن فلاناً غير صالح، وإذا عرفوا أن تاجراً يغش الناس، فيقولون: إن فلاناً غشاش، أما إذا عرفوا =

توسّع حزب الله في تمييزه بين الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر في مقالة وردت في العهد[1]، حيث يتكرر تصريح الإمام الخميني حول تشذيب النفس قبل تشذيب الآخرين ويتم استعراضه بتحليل. أكد حزب الله أن تصريح الإمام الخميني يلخص الكثير من المفاهيم الإيديولوجية السياسية التي ترتكز عليها الثورة الإسلامية. كما شدد الحزب على أن الفهم القرآني لكلمة «الجهاد» لا يعني دائماً الحرب المقدسة (الجهاد العسكري الأصغر) لكن من الممكن أن تشير أيضاً إلى الجهد المبذول لإتمام واجبات المؤمن (الجهاد الأكبر). أضاف حزب الله أن على المجاهد الراغب في الانخراط في الجهاد الأصغر أن يبني أولاً وداخلياً نفسه[2] عبر عملية جهاد دائم غير ملغٍ تماشياً مع ما قاله الإمام الخميني ولا سيما أن القوى العظمى (الشرق والغرب) تخشى الإسلام لأنه يعمل على بناء فرد متكامل روحياً وأخلاقياً يستطيع إحداث توازن بين الأوجه الروحية والفكرية والمعرفية من جهة والأوجه العاطفية والجسدية والنفسية من جهة أخرى، فيسيطر بالتالي على النفس الداخلية.

في المقالة نفسها، يشرح حزب الله أن الجهاد الأصغر هو النضال ضد أعداء الإسلام الخارجيين. [138]

= أن عالم الدين المسلم - لا سمح الله - غير صالح، فإنهم سيعمدون إلى التعميم ويقولون: إن علماء الدين المسلمين كلهم غير صالحين ودين الإسلام ككل غير صالح. وقد اقتبس حزب الله هذا القسم من الرسالة المفتوحة، حرفياً إلى حد ما، عن القسم المعنون «المسؤوليات الجسام لعلماء المسلمين»، لدى الإمام الخميني، الجهاد الأكبر. ترجمها حسين الكوراني. طهران: المكتبة الإسلامية الكبرى Islamian Grand Library، ١٩٨٠، ص. ٩ - ١٠. راجع فشل نورتن في ترجمة وتحديد سياق هذا المفهوم للجهاد الأكبر. أوغسطس ريتشارد نورتن Augustus Richard Norton أمل ونضال الشيعة من أجل روح لبنان Amal and the Shi'a Struggle for the Soul of Lebanon أوستن: Austin منشورات جامعة تكساس University Press of Texas، ١٩٨٧، ص. ١٨٥.

(١) «القوة الديناميكية الروحية للثورة الإسلامية» التغير الإيديولوجي والاجتماعي... مفهوم جديد للجهاد، ١٠ شوّال ١٤٠٥ هـ/ ٢٨ حزيران - يونيو ١٩٨٥، ص. ٩.

(٢) في هذا استرجاع لحجة الخميني في الجهاد الأكبر، ص. ٨.

ويشدد الحزب على أن الجهاد الأصغر هو إما القتال في المعركة أو الاستشهاد النابع من داخل النفس أي الجهاد الأكبر. ويوضح حزب الله أن الجهاد العسكري الأصغر يرتكز على النضال الخارجي ضد أعداء الإسلام بينما يشكل الجهاد الأكبر النضال الداخلي بهدف تغذية الروح. وكما أفاد آية الله مطهري بعد انتصار الثورة الإسلامية في نيسان/ أبريل ١٩٧٩ فإن الخطر المحدق بالجمهورية الإسلامية يكمن داخل نفوس الشعب الإيراني (الجهاد الأكبر) وهو ليس بالعامل الخارجي. أما حزب الله فقد وسّع أفق نقاشه حول الجهاد الأكبر مشدداً على أن الخطوط المميزة للمجتمع وتطوير الأخلاقيات الحسنة هي أمور يمكن البدء بممارستها، عبر الاعتياد على المفاهيم، كالشرف والتقوى والفضيلة والرحمة والصدق والعفة والأمانة والحياء والجزم والالتزام في احترام القسم والتعهدات، والاستقامة والتضحية بالنفس والرأفة والعدالة والرحمة ومشاطرة المصير نفسه، والاهتمام بالآخرين ودعم حقوق الإنسان[١]. بحسب حزب الله، فإن هذه المفاهيم التي تشكل نتاج الوعي اليقظ للفرد تتعارض مع المنفعة الشخصية والأنانية الفردية. وبالتالي، يمكن ممارسة الجهاد الأكبر لكنه يتطلب عملية تدريب وبناء وتشذيب متواصلة للنفس للتمرن على ضبط النفس[٢].

وصف آية الله السيد فضل الله أهمية الجهاد الأكبر مؤكداً أن الإسلام هو دين الجهاد الأبدي وغير الملغى على المستويات والجبهات كافة، حيث يتمحور هدفه حول بناء الفرد. فالإسلام يهدف إلى إنجاز مبادئ الكرامة والحرية من أي نوع من الإمبريالية والعبودية. كما شدد على أن الشريعة تضع في المقدمة الجهادين الروحي والجسدي (الجهاد العسكري الأصغر)[٣].

---

(١) هذا يعكس إلى حد ما لائحة الخميني لمزايا ممارسي الجهاد الأكبر (الجهاد الأكبر، ص. ١٠ - ١١).

(٢) جريدة العهد (١٠ شوّال ١٤٠٥ هـ/ ٢٨ حزيران - يونيو ١٩٨٥)، ص. ٩.

(٣) السيد محمد حسين فضل الله، خطوات على طريق الإسلام. بيروت: دار الحروف، ١٩٨٦، ص. ٤٧.

بدوره، حدد السيد نصر الله الجهاد الأكبر بـ«قوة الصعود الروحي التدريجي». وأضاف أن ممارسة الجهاد الأكبر ترتكز على مبدأ ولاية الفقيه والطاعة لله كضرورة حيوية لتطبيق مفهوم السلوك التنظيمي الصارم. وأكد نصرالله أنه لا يجب ممارسة الجهاد العسكري الأصغر إلا بعد الاضطلاع جيداً بالجهاد الأكبر. فبحسب قوله، الشاهد على ذلك هو لائحة الشهداء الطويلة الذين تلقوا تعاليم التعبئة والعقيدة الثورية فضلاً عن اتباع السلوك الصارم والطاعة بغية تشرُّب طريقة معينة في التفكير تؤدي إلى تكوين فرد متكامل يستطيع تأدية دورين: أولاً دور روحي أخلاقي غير مرئي (الجهاد الأكبر)، وثانياً دور مادي مرئي (الجهاد العسكري الأصغر). بمعنى آخر، يناقش نصرالله أنه لا بد من صقل الفرد المتكامل روحياً وأخلاقياً في ثقافة الجهاد الروحي حتى يصبح مستعداً للانخراط في الجهاد العسكري الأصغر. ثم حدد نصرالله أربعة مجالات للجهاد العسكري الأصغر: [139]

«أولاً على الدور الجهادي أن يدافع عن إيديولوجيات وموارد حركة التغيير (حزب الله)؛ وثانياً عليه أن يضرب نقطة ارتكاز العدو ويبتر تحركه حتى يتوقف عن إذلال الأمة؛ وثالثاً عليه أن يقضي على المتاريس التي تضعها المارونية السياسية بين شعب التغيير (صفوف حزب الله) وشعب الأمة (أتباع حزب الله)؛ ورابعاً عليه أن يحمي إنجازات العمل الثوري الذي حققته حركة التغيير.

لقد أكد السيد نصرالله أن ثقافة الجهاد تترجم نفسها في بديل ثوري حيوي يقدم حلولاً مجزية إلى الأمة. واعتبر العمليات الجهادية ضد قوات المارينز الأميركية(١) مثالاً على ذلك. وبحسب نصرالله، تجعل ثقافة الجهاد الإسلامية من البديل الثوري احتمالاً حقيقياً ما يجعل الولايات المتحدة عاجزة عن

---

(١) كان نصر الله يشير إلى العملية الانتحارية بتاريخ ٢٣ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٨٣، التي أودت بحياة ٢٤١ عنصراً من المارينز بالقرب من مطار بيروت.

مواجهته، بما أن ثقافة الجهاد حطمت معنوياتها وأجبرتها على الانسحاب من البلاد بسبب الضربات القاسية التي تلقتها على أيدي المجاهدين اللبنانيين. ويخلص إلى التشديد على أن ثقافة الجهاد تفتح آفاقاً جديدة للشعب وللقائد وللأمة بشكل أوسع حتى «ترى بعيون الله وتتصرف برعايته»[١].

الاستشهاد

نظر آية الله السيد فضل الله إلى العمليات الاستشهادية التي ينفذها مؤمنون مسلمون، بعد موافقة وإجازة علماء الدين المسلمين، على أنها أعمال مقاومة جهادية دفاعية استشهادية ضد العدو الصهيوني المحتل. وبالتالي حدد السيد فضل الله الاستشهاد على أنه فعل مقاومة شرعي يُنظَر إليه على أنه ضرورة عملية تساعد على التخفيف من المعاناة التي تتسبب بها قوات الاحتلال وترسانتها العسكرية المتفوقة. وشدد فضل الله على أن الاستشهاد يطبع المسلمين بحسّ من العمل الجماعي والهوية والتمكين الذي يعكس للعالم جرح المستضعفين. وبالتالي هو يرى أن الالتزام المتواصل في الاستشهاد هو الحل الوحيد للاحتلال الصهيوني العنيف[٢].

صفح كوادر حزب الله عن العمليات الاستشهادية وفسروها وبرروها على الصعيدين الديني والإيديولوجي ـ السياسي. شدد الشيخ عبد الكريم عبيد، وهو عالم دين وأحد أبرز كوادر حزب الله، على الأساس الديني للاستشهاد عبر التأكيد أن ما من استشهاد إلا في سبيل الله؛ وهذا يعني بما لا لبس فيه أن كل شهيد سيُرفَع إلى الجنة[٣]. أما السيد حسين الموسوي، فقد فصل بين العمليات الاستشهادية ضد الإسرائيليين والفرنسيين والأميركيين من جهة، واختطاف

---

(١) راجع محاضرة نصر الله تحت عنوان «التعبئة الثورية في عملية التغيير» التي ألقاها في المقر الرئيس للاتحاد اللبناني للطلبة المسلمين بتاريخ ٢٧ كانون الثاني/ يناير ١٩٨٦.

(٢) فضل الله، الإسلام ومنطق القوة، ص. ١٩٣ وما بعدها.

(٣) جريدة السفير، ٢٨ تموز/ يوليو ١٩٨٦.

المواطنين الأجانب من جهة أخرى. أدان الأخيرة بشدة لكنه رفض إدانة العمليات الاستشهادية. [140]

لقد دعم العمليات الاستشهادية التي تنفذها المقاومة وأشاد بها وباركها كما بررها على أساس أنها أفعال جهادية دفاعية شرعية يقوم بها المستضعفون ضد الاحتلال الأجنبي الذي يقوم به المستكبرون في العالم. وقد نظر حسين الموسوي إلى أولئك الذين ينفذون عمليات استشهادية على أنهم أشخاص شرفاء وشجعان أدوا واجبهم الوطني والديني. غير أنه أضاف أن الإسلام يحرِّم العمليات الاستشهادية بحضور أفعال بديلة يمكن أن تحقق الأهداف نفسها التي يحققها الاستشهاد[١].

بحسب كوادره القيادية، فإن فكر حزب الله حول مفهوم الاستشهاد يعود إلى الإمام الخميني وآية الله السيد فضل الله[٢]. يشدد الشيخ يوسف دعموش، أحد رجال الدين في حزب الله، على أن أفراد الحزب نفذوا العمليات الاستشهادية بكامل وعيهم وملء إرادتهم بإرشاد من قادة حزب الله، وذلك بعكس الانتحار. فالاستشهاديون يفجرون أنفسهم في العدو الإسرائيلي المحتل بناءً على فتوى أصدرها الإمام الخميني، مرجع التقليد والولي الفقيه[٣]. ويركز السيد إبراهيم أمين السيد بشكل أكبر على الاعتماد على الخميني قائلاً إن المقاتلين الأحرار الذين اجتاحوا مقر قوات البحرية الأميركية في بيروت ومقر المخابرات العسكرية الإسرائيلية في صور[٤] بشاحنات محملة بالمتفجرات

---

(١) راجع برنامج «أحزاب لبنان: حزب الله: الجزء الأول (١٩٧٩ - ١٩٨٩)، الشبكة الوطنية للإرسال أن بي أن NBN ٢١ تموز/يوليو ٢٠٠٢.

(٢) راجع مارتن كرايمر Martin Kramer، المنطق الأخلاقي لحزب الله The Moral Logic of Hizbullah، مركز دايان للدراسات الشرق أوسطية والإفريقية Dayan Center for Middle Eastern and African Studies. جامعة تل أبيب: معهد شيلوا .Shiloah Institute أبحاث متفرقة، المجلد ١٠١ (آب/أغسطس ١٩٨٧)، العدد ٧، ص. ٩.

(٣) جريدة السفير، ١٩ آب/أغسطس ١٩٨٦.

(٤) لأسباب أمنية، لم يعلن حزب الله في العام ١٩٨٢ عن اسم شهيده الأول أحمد قصير، كما لم يتبنَّ مسؤولية عمليته الاستشهادية الأولى. وبتاريخ ١٩ أيار/مايو ١٩٨٥، أصدر حزب الله =

استشهدوا في سبيل الله لأن الإمام الخميني أجاز لهم عملياتهم الاستشهادية وغرس في قلوبهم وأرواحهم روح الاستشهاد والتضحية بالنفس، وقادهم إلى الحياة الأخرى تكريماً وتشريفاً لنصرهم العظيم على المحتلين الأميركيين والإسرائيليين[1]. أما السيد عباس الموسوي، فقد أثنى على مدرسة الباسدران[2] التي لقَّمت الشباب اللبناني مبادئ الاستشهاد وجعلتهم يطمحون إليه. لذا لا يبدو مفاجئاً أن يستقبل شاب شيعي الموت بوجه باسم بعد أسابيع قليلة من وصول الباسدران محملاً سيارته بـ١.٢ طن من مادة التي أن تي[3]. وبالتالي، تماشياً مع الإمام الخميني وآية الله السيد فضل الله يؤكد كوادر حزب الله أن الاستشهاد هو أعلى وأكثر أشكال الجهاد إطراءً حيث يلبي الاستشهادي واجبه السياسي الإيديولوجي القائم على إلحاق الهزيمة بالعدو فيجني ثمار تضحياته في الجنة.

الانتحار والاستشهاد

في معرض تمييزه بين الانتحار والاستشهاد، يؤكد السيد فضل الله أن الاستشهاد بالنسبة لمسلم ملتزم في مقاومة الاحتلال هو ضرورة مستمرة نابعة

= بياناً سياسياً قدّم فيه إلى الأمة العربية والإسلامية تشريعاً إيديولوجياً سياسياً لعمليته الاستشهادية الأولى. (راجع البيان السياسي لحزب الله، ١٩ أيار/مايو ١٩٨٥. نشرته أيضاً جريدة العهد، ٤ رمضان ١٤٠٥ هـ/ ٢٤ أيار/مايو ١٩٨٥).

(١) السيد إبراهيم أمين السيد، جريدة العهد، ٢٢ جمادى الأولى ١٤٠٧/٢٣ كانون الثاني - يناير ١٩٨٧، كما جاء لدى مارتن كرايمر Martin Kramer في «التضحية بالذات والاستشهاد لدى شيعة لبنان» Sacrifice and Self-Martyrdom in Shi'ite Lebanon، الإرهاب والعنف السياسي Terrorism and Political Violence المجلد ٣ (خريف ١٩٩١)، العدد ٣، ص. ٣٠ - ٤٧.

(٢) الحرس الثوري الإيراني.

(٣) مقابلة مع السيد عباس الموسوي، جريدة العهد، ٢٢ صفر ١٤٠٨/١٦ تشرين الأول - أكتوبر ١٩٨٧، كما جاء لدى مارتن كرايمر Martin Kramer في «حزب الله: حصاة الجهاد» Hizbullah: The Calculus of Jihad. في الأصوليات والدولة: إعادة تحديد السياسة والاقتصاد والنضال Fundamentalisms and the State: Remarking Politics, Economics and Militance، المجلد ٣. شيكاغو: منشورات جامعة شيكاغو، ١٩٩٣، ص. ٥٣٩ - ٥٥٦.

من إرادته الخاصة على أساس القناعات الدينية العقائدية والإيديولوجية السياسية للمؤمن. ويفيد السيد فضل الله بما لا لبس فيه أن الإسلام ينظر إلى الانتحار على أنه جريمة[1] إذ إن الشخص ليس حراً في التصرف بحياته كما يراه مناسباً. [141]

ويشدد على أن حياة كل شخص هي ملك لله وإن إلحاق الأذى بها وبحياة الآخرين لإثم عظيم. بحسب السيد فضل الله، إذا ما أزهق شخص حياته أو حياة الآخرين من دون مصادقة رجال الدين المسلمين، فسيلقى عقابه في الحياة الآخرة عبر تخليده في جهنم. ويضيف أن الانتحار وليس الاستشهاد قد يُنفَّذ من قبل أفراد معدومين أخلاقياً يعانون اليأس والضغط الاجتماعي والكآبة؛ فالانتحار غير عقلاني وغير أخلاقي وهو ضد أسس الدين. من هذا المنظور، يشدد السيد فضل الله على أن المقاربة النفسية[2] لدراسة الاستشهاد التي تساوي الاستشهاد بالانتحار غير منطقية ولا يمكن الدفاع عنها[3].

---

(١) هذا ما أثبته وينسينك Wensinck: «الانتحار، مهما كانت الظروف، محرّم في الإسلام» Suicide, under whatever circumstances, is forbidden in Islam آي. جي. وينسينك A. J. Wensinck، «العقيدة الشرقية للشهداء The Oriental Doctrine of the Martyrs، في Mededeelingen der Koninklijk Akademie van Wetenschappen, Afdeeling letterkunde; dl. 53, nr.6. أمستردام: Koninklijk Akademie van Wetenschappen (منشورات KNAW) ١٩٢٢، ص. ١٥٣.

(٢) راجع على سبيل المثال فرهاد خوسروخافار Farhad Khosrokhavar المذهب الإسلامي والموت: الشهيد الثوري في إيران L'islamisme et la Mort: Le Martyre Revolutionnaire en Iran. باريس: لارماتان L'Harmattan، ١٩٩٥ وتحديداً ص. ٢٥٨ - ٢٦٧؛ ريتشارد آر. أنطون Richard R. Antoun، فهم الأصولية: الحركات المسيحية والإسلامية واليهودية Understanding Fundamentalism: Christian, Islamic and Jewish Movements. أكسفورد: منشورات ألتاميرا Altamira Press، ٢٠٠١؛ فرهاد خوسروخافار Farhad Khosrokhavar شهداء الله الجدد Les Nouveaux Martyrs d'Allah، باريس: فلاماريون Flammarion، ٢٠٠٢.

(٣) فضل الله، من أجل الإسلام، ص. ٤٨ - ٥٢.

٣. خاتمة

لقد حددت رسالة حزب الله المفتوحة، فضلاً عن الإعلانات السياسية وصحيفة العهد وخطابات القادة والكوادر، مكوّنات إيديولوجيته السياسية: المستكبرون والمستضعفون؛ الدولة الإسلامية؛ العلاقات مع المسيحيين؛ المعاداة للصهيونية؛ الوحدة الإسلامية؛ المعاداة للإمبريالية؛ والجهاد والاستشهاد. استخدم الحزب التشريع القرآني لإيديولوجيته السياسية على شكل آيات قرآنية ليبرر موقفه. يمكن للفرد أن يلاحظ أن القسم الأول من الرسالة المفتوحة إنّما يشير بوضوح إلى إيديولوجيا حزب الله الدينية: الإيمان بالإسلام الشيعي وولاية الفقيه والجهاد في سبيل الله.

المستكبرون والمستضعفون

يشكل مبدأ «المستكبرين والمستضعفين» محوراً مركزياً لتكوين فهم صحيح عن إيديولوجيا حزب الله السياسية. على الرغم من أن الحزب يبدو وكأنه يستخدم خطاباً حصرياً[1] يصنف فيه الناس وفق التصنيف القرآني/ ثنائية حزب الله (سورة المائدة، الآية ٥٥) أو حزب الشيطان (سورة المجادلة، الآية ١٨)، غير أن حزب الله استخدم اللفظة القرآنية أو التعبير الإسلامي للمستضعفين وأنتج مبدأً شاملاً لتأييد العدالة السياسية والاجتماعية. ويظهر في الواجهة أن

---

(١) حزب الله لا يحتكر استخدام الدين، كما توحي روزي Rosy على ما يبدو، ولكن الحزب يستخدم العبارة «حزب الله» بمعناها الموسّع والشامل والتقدمي الذي يشمل المؤمنين كافة من كل الطوائف الدينية. الحاج محمد الجمّال، الناطق باسم حزب الله، أكد على هذه الخطوط في خلال استقبال بعثة دانماركية، تضم طلاباً وباحثين وممثلي كليّات، تحديداً من جامعة آرثوس Arthus University وجامعة جنوب كوبنهاغن University of Southern Copenhagen وبعض الصحافيين الدانماركيين، في المكتب الإعلامي المركزي بتاريخ ٣٠ آذار/ مارس ١٩٩٠. راجع أوليفييه روي Olivier Roy، الإسلام المعولم: البحث عن أمة جديدة Globalised Islam: The Search for A New Umma، نسخة مراجعة ومحدّثة. لندن: هورست وشركاه Hurst and Company، ٢٠٠٤ ص. ٢٤٩، ٣٢٩.

حزب الله يستخدم مصطلحات ماركسية تُتَرجَم في ألفاظ إسلامية في مضامين العدالة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، فينتج نوعاً من «الاشتراكية الإسلامية»، كما ادعى بعض العلماء(١).

غير أن حزب الله يؤكد بوضوح في رسالته المفتوحة وإعلاناته السياسية أن أصدقاءه هم العالم المستضعف بأكمله بغض النظر عن اللون أو العرق أو الدين. وقد ترجم حزب الله المفهوم المعاصر للمستضعف وطبقه عبر التشديد على أنه مفهوم قرآني برز مع انطلاق الثورة الإسلامية. [142]

ويشدد الحزب على أن هذا الاستخدام يتطابق وهويته كحركة إسلامية جهادية تناضل لمواجهة وتصحيح الظلم الذي يعانيه المستضعفون. غير أن حزب الله أوضح أن استخدامه للفظة «المستضعف» تختلف عن المفهوم السياسي الذي يستخدمه الاشتراكيون للتعبير عن الفلاحين الفقراء أو البروليتاريا، إذ إن المفهوم القرآني أكثر شمولية ودينياً في توجهه لأنه يطال المستوى الوجودي للقمع ويقدم وصفات وعلاجات للتعامل مع المستكبرين وكيفية ردعهم. وشدد حزب الله على أن لفظة «المستضعفين» تنطبق على المظلومين والمضطهدين والفقراء الذين لا يستطيعون الحصول على قوتهم اليومي ويعانون القمع في حرياتهم وكراماتهم ويبذلون أقصى جهدهم، بغضّ النظر عما إذا كانوا مسلمين أو مسيحيين. لذا تشدد إيديولوجيا حزب الله السياسية على كونية المفهوم القرآني ـ مقابل محدودية المفهوم الماركسي ـ الذي يتخطى الفروقات الطبقية والثقافية والدينية.

على الرغم من أن السيد فضل الله ليس من ضمن الأفراد المؤسسين

---

(١) راجع أسعد خليل، «إيديولوجيا وممارسة حزب الله في لبنان: إضفاء طابع إسلامي على مبادئ لينين المؤسساتية» Ideology and Practice of hizbollah in Lebanon: Islamization of Leninist Organizational Principles ودراسات شرق أوسطية Middle Eastern Studies، المجلد ٢٧ (تموز/ يوليو ١٩٩١)، العدد ٣، ص. ٣٩٥؛ روي، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٤٧ - ٢٤٨.

لحزب الله، إلا أنه لا بد أن الحزب قد تأثر بآرائه حول القمع. تكمن نقطة التلاقي في أن نظرية السيد فضل الله ونظرية حزب الله الإسلامية حول القمع تختلفان عن لاهوت التحرير. وعلى الرغم من أن لاهوت التحرير يضع الأقليات والنساء والعمال المستضعفين والمهمشين والذين يعانون التمييز في صلب خطابه، منحازاً إلى المستضعفين في معرض نضالهم للحصول على حقوقهم، إلا أنه لا يطالب بأسلمة شاملة للمجتمع أو يهدف إلى إرساء مجتمع ديني ونظام سياسي. فلاهوت التحرير يرتكز على مصادر دينية فيعيد تفسيرها لأهداف ماركسية علمانية، عبر دعم نضال المستضعفين «بؤساء الأرض» لإرساء العدالة الاجتماعية. وعلى الرغم من ذلك، يبدو ثمة فارق كبير بين وجهتي النظر، إذ إن تشريع فضل الله الإيديولوجي السياسي يضفي بعض التحديد في توصيفه للقمع على خلاف وجهة نظر الحزب، ولا سيما تشريعه القرآني الذي يميز بين مجموعتي المستضعفين. يبدو وكأن السيد فضل الله يلمِّح إلى تمييز بين المستضعف المهمل والعاطل عن العمل الذي يترك المياه تجري بين قدميه من دون أن يمارس الجهاد المقنع، ومن جهة أخرى المستضعف الملتزم الذي يتعبأ لمواجهة المستكبر (الجهاد العسكري الأصغر) أو يغير وضعية قمعه عبر الهجرة إلى أرض الإسلام إذا أمكنه ذلك. [143]

الدولة الإسلامية

صنفت الرسالة المفتوحة حزب الله كحركة اجتماعية تدعو إلى إرساء دولة إسلامية(١) في لبنان على نموذج الجمهورية الإسلامية في إيران. دعت

---

(١) «فأن تصبح إحدى الحركات الإسلامية (حزب الله) متطرفة أمر يتوقف على قبولها أو رفضها صحة وشرعية الدولة المحلية وسعيها إلى الثورة الشاملة بهدف تقويض هذه الدولة باسم الأمة. . . في المقابل، يتميز متطرفون مسلمون آخرون، ربما لا يعتمدون العنف، بآراء طوباوية تعتبر أن إنشاء «دولة إسلامية» هو الحل لكل المشاكل، أو طريقة لتمكين العالم المسلم واسترجاع قوة الحضارة المسلمة». فولر Fuller، مستقبل الإسلام السياسي The Future of Political Islam، ص. ١٧، ٨٨.

إيديولوجيا حزب الله السياسية إلى وضع حد للمارونية السياسية ورفضت أي مشاركة في النظام اللبناني السياسي العلماني ـ الطائفي. لكن على الرغم من ذلك، شددت إيديولوجيا حزب الله السياسية على عدم فرضها أي دولة إسلامية في لبنان بالإكراه، بل إن حزب الله ينشئ دولة إسلامية في حالة واحدة وهي إذا ما طلب الشعب اللبناني ذلك ووافق عليه، إذ من الضروري اختيار نظام سياسي في لبنان بالاتفاق المتبادل بين المسلمين والمسيحيين. وبالتالي كان حزب الله يدعو الآخرين إلى أن يصبحوا جزءاً من دولة إسلامية في لبنان رافضاً أن يكون تحت حكم نظام لبناني غير إسلامي أو أن يتعاون معه.

لم تحدد الرسالة المفتوحة المضمون الإيديولوجي ـ السياسي للنظام الإسلامي؛ بل أشارت فقط إلى الدولة الإسلامية كعقيدة إيديولوجية ونظام سياسي وأسلوب حكم. غير أن زعيتر سلط الضوء على أبرز خطوط الحكم الإسلامي أو القرآني أو الدولة الإسلامية أو الجمهورية الإسلامية. يستخدم حزب الله هذه الألفاظ في ما بينها لأنه معني بإرساء نظام إسلامي ولا يهمه التسمية التي يعطيها له. يرتكز النظام الإسلامي بحسب زعيتر على تطبيق عملي للشريعة والأوامر السماوية؛ وعلى تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بغية تثبيت التضامن الاجتماعي ونشر العدالة الاجتماعية؛ إلى الاتفاق المتبادل والثقة بين الشعب والحكام؛ والعدالة والمساواة والتعاطف فضلاً عن التوازن بين الحقوق والواجبات.

غير أن زعيتر صاغ آراءه حول الدولة الإسلامية بتعابير أقوى من تلك التي وردت في الرسالة المفتوحة أو التي جاءت على لسان كوادر الحزب، إذ شدد على التطبيق الفاعل لحكم الله وسيادته. وقد بدا زعيتر أكثر تطرفاً في آرائه الإيديولوجية السياسية من مؤسسة حزب الله. وهذا من شأنه أن يبرز أنه يمثل تياراً عسكرياً داخل الحزب يناصر إرساء الدولة الإسلامية بالقوة على حساب القضاء على المارونية السياسية. وقد بدا أنه معارض لسلوك الحزب المغالي في

الاسترضاء وفي إيجاد تسوية. ويمكن تفسير انتقاد زعيتر للوسط الإسلامي على أنه هجوم غير مباشر على آية الله السيد فضل الله الذي لم يكن بحسب زعيتر صارماً بما فيه الكفاية في طرح مشروعه الإسلامي. لم يتقبل زعيتر منطق السيد فضل الله القرآني حول المهادنة(١) وتطبيق المشروع الإسلامي خطوة بخطوة عبر عملية تبدأ من الأسفل وحتى الأعلى، [144] بل طالب بإسقاط عنيف ومتطرف للنظام عبر عملية تبدأ من الأعلى وإلى الأسفل حتى لو لم يكن ميزان القوى راجحاً لمصلحة الإسلاميين. وكما سبق وذُكِر في الفصل السابق، فقد تبنى حزب الله فكرة النظام الإسلامي من الإمام الخميني فتأثر بآرائه حول ولاية الفقيه. ويمكن أيضاً رد تحريم حزب الله للنظام السياسي اللبناني إلى آراء الخميني أيضاً(٢). لكن في الواقع، لم تكترث مؤسسة حزب الله الرسمية لآراء زعيتر.

أبقى حزب الله في نظامه الإسلامي على فئة أهل الذمة وبالتالي شدد على أن الأرضية المشتركة بين أهل الذمة والمسلمين هي القيم الاجتماعية المبنية على التسامح المتبادل والاحترام والأخوة والتضامن. على هذا الأساس، منح حزب الله المسيحيين حريتهم الإنسانية أي الحرية الاجتماعية والدينية وليس الحرية السياسية. وبالتالي، بعكس تقليد النبي (ص) الذي منح غير المسلمين الشراكة في البنية السياسية، يستثني تسامح حزب الله أو شموليته المسيحيين من الحياة السياسية. ويبدو أن حزب الله يلمِّح إلى أن مسؤولية هذا التسامح تقع على عاتق «الأكثرية» فيما تقع مسؤولية الاندماج على عاتق «الأقلية».

---

(١) فضل الله، الإسلام ومنطق القوة، ص. ٢٥٨ وما بعدها.

(٢) أصدر الإمام الخميني فتوى أكد فيها على أن النظام اللبناني غير شرعي ومجرم. وفي العام ١٩٨٦، أوضح خامنئي فتوى الخميني، مشدداً على ضرورة أن يحكم المسلمون لبنان بما أنهم يشكلون الأكثرية. (المديني، أمل وحزب الله...، ص. ١٦٢ - ١٦٣؛ شرارة، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٣٤٢). وقد أكد قائد الحرس الثوري في لبنان على أن حزب الله والحرس الثوري سيسقطان النظام الماروني تماماً كما أسقط الإيرانيون نظام الشاه (جريدة الأنوار، ٩ شباط/ فبراير ١٩٨٨).

أغلب الظن أن معاملة حزب الله للمسيحيين بصفتهم أهل الذمة يشكل تفسيراً محدداً لدستور النبي السياسي في المدينة، وقد ألهم أيضاً دستور الجمهورية الإسلامية. فضلاً عن ذلك، من الممكن أن يكون حزب الله قد تأثر أيضاً بالسيد محمد حسين فضل الله الذي أكد مستنداً إلى القرآن أن موقف المسلمين من المسيحيين يرتكز على أفق التعايش المتبادل والتعاون والحوار الذي لا بد أن يستند إلى نقاط التلاقي والأسس المشتركة التي توافق عليها الأطراف كافة[١].

العلاقات مع المسيحيين

كانت إيديولوجيا حزب الله السياسية انتقائية في تعاملها مع المسيحيين اللبنانيين. وعلى الرغم من أنه قد يبدو في الواجهة أن نداء حزب الله يتوجه إلى كل المسيحيين، إلا أن الحزب في الواقع نأى بنفسه عن أي اتصال مع المارونية السياسية والموارنة وأي متعاون مع إسرائيل. ومع أن الحزب قد أجرى اتصالات على مستويات متدنية مع المسيحيين الذين يعيشون في دوائره، لكن ما من حوار ملموس أو على مستوى رفيع قد تحقق بين حزب الله والمسيحيين. وعلى الرغم من حث حزب الله المسيحيين على اعتناق الإسلام إلا أنه لم يفرض هذا الاعتناق بالقوة؛ بل طبق الحزب نظرية التسامح على أولئك المسيحيين الذين يعيشون في مناطق تقع تحت سيطرته، وعلى المسيحيين الآخرين طالما لم يقوموا بأي خيانة أو اعتداء.

اعتبر بعض الكتاب أن حزب الله يلتزم إيديولوجيا سياسية لم تكن متسامحة وحسب تجاه المسيحيين، [145] بل اتُّهِم الحزب بفرض إرادته وإسلامه على اللبنانيين أجمعين من مختلف الانتماءات والطوائف والأديان[٢]. أعترف أنه

---

(١) السيد محمد حسين فضل الله، «تأملات في الحوار المسلم المسيحي»، محاضرة ألقاها في جامعة بيروت الأميركية، ٢٢ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٧.

(٢) شرارة، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٣٤٨.

يبدو ثمة تجاذب بين اقتراحي حزب الله: أولاً نية الحزب بعدم فرض الإسلام وإجبار المسيحيين على اعتناقه؛ وثانياً واجب الحزب بإرساء نظام إسلامي. ربما يكمن الإرباك في إنكار زعيتر للحاجة إلى هدي المسيحيين ودعوة مؤسسة حزب الله إلى هديهم عبر الوسائل السلمية. ومع ذلك، وافق كل من زعيتر وحزب الله على أن ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٥٦) وأن لا بد من أن تسود ﴿كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ﴾ (سورة آل عمران، الآية ٦٣) وتحكم العلاقات بين المسلمين والمسيحيين.

المعاداة للصهيونية

يبدو أن إيديولوجيا حزب الله السياسية المعادية للصهيونية غالباً ما تمزج بين الهوية اليهودية والإيديولوجيا الصهيونية فتعادل بين اليهود والصهاينة. كما يبدو ثمة تناقض بين آراء حزب الله حول أهل الكتاب وكيف يعامل اليهود في إسرائيل. غير أن الرسالة المفتوحة والإعلانات السياسية ذكرت صراحة أن الحزب يساوي الإسرائيليين كلهم بالصهاينة. علاوة على ذلك، أوضحت صحيفة العهد التابعة للحزب فضلاً عن خطابات قادته أنه لا يميز ضد اليهود كعرق أو دين وأنه يمنحهم حقوقهم الإنسانية والمدنية كما فعل دستور المدينة، على الرغم من سوابقهم القرآنية والتاريخية غير المشجعة التي حفلت بالغش والرياء ونبكث الميثاق مع الرسول (ص) وبمحاربته في خيبر.

كما أن سلوك حزب الله العقائدي مسوَّغ في إيديولوجيا الخميني التي ميزت بين اليهود الذين يعيشون على الأراضي الإسلامية تحت حكم إسلامي و«الصهاينة» في إسرائيل. فإيديولوجيا حزب الله السياسية تعتبر أنه ما من يهود في إسرائيل بل صهاينة ليس إلا. لهذا السبب، يمكن طرد الصهاينة ومحو دولتهم. من هذا الموقف، أطلق حزب الله سمومه ضد «الكيان الصهيوني» الذي احتل فلسطين بالقوة العسكرية. ويصف الحزب إسرائيل على أنها غدة عدوانية، عنصرية، توسعية، معادية للإنسانية وسرطانية فرضتها قوى الاستعمار الغربية في

قلب العالم الإسلامي. لم تمنح إيديولوجيا حزب الله السياسية إسرائيل أي اعتراف بل دعت إلى محوها من الوجود، ونصت على التزام متواصل لتحرير فلسطين. يعكس هذا الموقف الإيديولوجي السياسي موقف الجمهورية الإسلامية: «اليوم إيران وغداً فلسطين»، أي أن تحرير إيران من الشاه سيُستَتبَع بتحرير فلسطين من الصهاينة. [146] من وجهة نظر مبدئية وعقائدية، تسعى إيديولوجيا حزب الله السياسية إلى استعادة الحقوق التاريخية العربية المسلمة في فلسطين وبالتالي هي تعارض بالمطلق أي وقف لإطلاق النار أو هدنة أو مبدأ الأرض مقابل السلام أو مفاوضات السلام أو تطبيع العلاقات مع إسرائيل.

الوحدة الإسلامية

تنبهت إيديولوجيا حزب الله السياسية إلى دعوة الإمام الخميني إلى إرساء الوحدة الإسلامية خاصة في صحوة ما سماه المؤامرة الدولية ضد وحدة المسلمين. لطالما دعت إيديولوجيا الحزب السياسية للوحدة ولا سيما على الجبهات المسلمة والداخلية لتفادي خطر الفتنة. وقد خصص الحزب في رسالته المفتوحة الفقرة ٢٢ بعنوان «الله مع وحدة المسلمين» التي تناصر الوحدة الإسلامية لتسليط المزيد من الضوء على مخاطر الفتنة، مشدداً على تمييز ثوري بين علماء الدين المسلمين المستقيمين وأولئك الفاسدين أو قضاة الدولة الذين يتبعون أوامر المستعمرين الإمبرياليين عبر تطبيق مبدأ فرِّق تسد. وقد استند حزب الله في دعوته لوحدة المسلمين ورد الفتنة على مجموعة من الآيات القرآنية: (سورة آل عمران، الآية ١٠٢)؛ (سورة الأنعام، الآية ١٥٨)؛ (سورة البقرة، الآيتان ١٩٠ و١٩٢)؛ (سورة الأنفال، الآيتان ٢٧ و٧٢).

استناداً إلى ما ورد في الفقرة ٢.٥، يبدو أن نظرية المؤامرة تسود بكثرة في آراء حزب الله. لهذا السبب، يعتبر الحزب أي نزاع سياسي أو عسكري بين السنة والشيعة على أنه مؤامرة من المستعمر المستكبر تهدف إلى نشر الفتنة والفرقة بين المسلمين. وبالتالي، يلقي الحزب بلائمة الفتنة الداخلية على

الغرب. وقد أعاد حزب الله مراراً وتكراراً تحذيره من هذا الأمر ودعا المسلمين إلى دعم الأرضيات المشتركة التي تؤدي من دون أدنى شك إلى فرض قوة المسلمين في وجه التحديات المتصاعدة التي تواجهها الأمة.

يرتدي خطاب حزب الله طابعاً عاماً بمعنى أنه لا يقدم أمثلة محددة حول الاختلافات السنية الشيعية إذ إن ذلك يؤدي إلى الفتنة بينما تكمن غاية الحزب في توحيد المسلمين كلهم. غير أن جهود الحزب لتوحيد المسلمين تبقى على مستوى نظري كنوع من الجهاد الأصغر المقنع باللسان والقلب بدل الحصول على وحدة سنية شيعية حقيقية، بسبب التشهير المتبادل بخطاب التكفير والتفكك الذي يشهده المجتمع الإسلامي. غير أنه في السياق اللبناني، غطى «تجمع العلماء المسلمين»[١] بعض الأرضيات المشتركة في سبيل توحيد العمل الإسلامي بين العلماء السنة والشيعة وبالتالي أتباعهم من الشعب. [147]

يؤكد حزب الله أن احترام الفوارق التشريعية بين الشيعة والسنة لا يحول دون تطبيق الوحدة أو التعاون بين المسلمين السنة والشيعة حول مفاهيم إيديولوجيا سياسية مشتركة كمعاداة الإمبريالية ومعاداة الصهيونية و«تحرير القدس» إلى ما هنالك. في الواقع، صاغت تلك المفاهيم الإيديولوجية السياسية وحدة مصالح وأهداف مشتركة بين حزب الله والإسلاميين السنة كحركة التوحيد الإسلامية والجماعة الإسلامية[٢] في لبنان فضلاً عن الإسلاميين السنة الفلسطينيين الذين تلقوا كلهم الدعم المادي من إيران.

المعاداة للإمبريالية

شدد حزب الله على أنه يمارس حقه الشرعي في الدفاع عن حقوقه وكرامة الأمة عبر مواجهة أعدائه الأساسيين: الولايات المتحدة وفرنسا وإسرائيل. وقد

---

(١) تم إنشاء «اتحاد علماء المسلمين» في أعقاب الاجتياح الإسرائيلي في حزيران/ يونيو ١٩٨٢.

(٢) راجع الحركات الإسلامية في لبنان، والكوراني، طريقة حزب الله...، وتحديداً ص. ١٤٧ - ١٦٣.

أوضح الإمام الخميني أن حساسية الإيرانيين ليست موجهة ضد الشعب الأميركي بل ضد الحكومة الأميركية[١]. وبالتالي، يقف حزب الله ضد مفهوم الغربنة[٢] لكنه لا يمارس شعور الكراهية تجاه الغرب والشرق. لكن غربنة الحزب متجذرة في كراهيته للإدارة الأميركية وليس للشعب الأميركي.

استخدم حزب الله قراءة محددة للخميني إذ أخذ مظهراً واحداً ولا سيما إصلاح الفرد قبل الآخرين ودمجه في نقاش آخر كانتقاد للمفاهيم الغربية حول الثورة. وقد هدف الحزب بذلك إلى تثبيت تفوق النظام الإسلامي ـ الذي يعنى بمظاهر الحياة كلها، خاصة البعد الروحي ـ على المظهر المادي للغرب والشرق والاشتراكية والرأسمالية. لم يتطرق حزب الله لفرضية أن الرأسمالية الغربية متجذرة في ملامح ثقافية واجتماعية محددة.

وبالتالي، تدعي إيديولوجيا حزب الله السياسية نوعاً من التفوق الأخلاقي تجاه الغرب. ببنائه فرداً روحياً مندمجاً، يُظهر حزب الله أن مشروع الجمهورية الإسلامية لا يهدف إلى عصرنة الإسلام بل يطمح الإسلام إلى أسلمة الحضارة، الأمر الذي يشكل خطراً مزدوجاً للمادية والعقلانية الموجودة في الغرب. بحسب حزب الله، هذا ما يقدمه الإسلام رداً على ما هو موجود.

الجهاد والاستشهاد

يميز حزب الله بين الجهاد العسكري الأصغر والجهاد الأكبر، محيلاً دور الأول إلى الجهاد الدفاعي على أرض المعركة ضد أعداء الإسلام والثاني إلى النضال الداخلي ضد النفس. لقد مارس الحزب الجهاد العسكري الأصغر ضد

---

(١) الإمام الخميني، الكلمات القصار: الإسلام وأعمالنا، ص. ١٩٣، كما ورد لدى رفيق سليمان فضة، أثر الإمام الخميني على القضية الفلسطينية. بيروت: لا تاريخ، ص. ١٧٠.

(٢) الغربنة مصطلح تم ابتكاره في ستينيات القرن العشرين من قبل مفكر إيراني يُدعى جلال الأحمد، وهو مصطلح يُقصد به التأثير السام للحضارة الغربية وهيمنتها على الحضارات والثقافات الأخرى.

أعداء الإسلام المحليين، الموارنة السياسيين، وضد الأعداء الإقليميين والدوليين ـ إسرائيل، فرنسا والولايات المتحدة. كما شدد الحزب على البعد السياسي الإيديولوجي للجهاد الأكبر حيث إن مجرد العضوية في حزب الله يعني الانخراط في الجهاد الأكبر بالمعنى المجازي العام للعضوية في جماعة «أبناء» «أمة» حزب الله. [148]

وبذلك، يكون حزب الله قد أتم مسؤوليته السياسية الشرعية (التكليف). لذا، عظَّم الحزب الجهاد الأكبر ليضم كافة مراحل العضوية في نشاط الحزب. وباستخدامه خطاباً دينياً عالي المستوى، ميز السيد نصرالله بين الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر مناقشاً وفق خطوط الخميني ضرورة ممارسة الجهاد الأكبر قبل الانخراط في الجهاد العسكري الأصغر. استناداً إلى أقوال الخميني والإمام فضل الله، يمكن الاستنتاج أن مفهوم حزب الله للجهاد الأكبر بصفته جهاداً روحياً تجاوزياً يهدف إلى بناء هوية إسلامية متميزة للفرد.

مجّد الحزب الاستشهاد إرادياً بصفته فعلاً جهادياً دفاعياً شرعياً مجازاً دينياً يُنفَّذ لمواجهة جيش غاز أو محتل مجهز بترسانة عالية التقنية. وفيما نظر حزب الله إلى مكافأة الاستشهاد بالحياة الأبدية في الجنة، حطَّ من قدر الانتحار معتبراً أنه جواز السفر إلى الجحيم في لحظة يأس أو إحباط. لقد شرَّع حزب الله عملياته الاستشهادية على أساس مراسيم دينية وكرر تحريمه القيام بها إذا أمكن تحقيق الأهداف نفسها بواسطة الجهاد العسكري الأصغر. [149]

الفصل الرابع

أفضلية البرنامج السياسي

(من ١٩٩١ إلى ٢٠٠٨)

مقدمة

يقدم هذا الفصل برنامج حزب الله السياسي كما صيغ بين الفترة الممتدة من العام ١٩٩١ وحتى العام ٢٠٠٥. وقد تم جمعه من المصادر المتوفرة: برامج حزب الله للانتخابات النيابية للأعوام ١٩٩٢ و١٩٩٦ و٢٠٠٠ و٢٠٠٥؛ و«الآراء والمفاهيم» الصادرة في ٢٠ حزيران/ يونيو ١٩٩٧؛ و«بيان الهدف» بتاريخ ٢٠ آذار/ مارس ١٩٩٨؛ وبرامج الانتخابات البلدية للعامين ١٩٩٦ و٢٠٠٤؛ و«حزب الله، من هو وماذا يريد»[١] في آب/ أغسطس ٢٠٠٤؛ وإعلانات حزب الله السياسية وخطابات قادته الممتدة من العام ١٩٩١ وحتى العام ٢٠٠٥. وتعود الخطابات المذكورة في هذا الفصل بشكل أساسي إلى قادة حزب الله وكوادره التالية أسماؤهم: السيد عباس الموسوي[٢]، والشيخ نعيم قاسم[٣]، والسيد حسن نصرالله[٤]، ونايف

(١) تشكل «الآراء والمفاهيم» و«بيان الهدف» و«حزب الله، من هو وماذا يريد؟» التوصيفات الذاتية لحزب الله التي تشمل أوجه إيديولوجيته السياسية وبرنامجه السياسي. تم نشر الأول عبر قناة تلفزيون المنار، والثاني عبر المكتب الإعلامي لحزب الله، والثالث عبر الموقع الإلكتروني الرسمي لحزب الله. راجع «الملحق أ».

(٢) الأمين العام الثاني لحزب الله، اغتيل بتاريخ ١٦ شباط/ فبراير ١٩٩٢.

(٣) نائب الأمين العام لحزب الله منذ العام ١٩٩١.

(٤) الأمين العام الثالث لحزب الله منذ العام ١٩٩٢.

كريِّم[١]، وبلال نعيم[٢]، وعلي فياض[٣]، والحاج محمد رعد[٤]، والحاج حسين شامي[٥]، والسيد نواف الموسوي[٦]، والسيد هاشم صفي الدين[٧].

أبدأ بعرض مقدمة لبرنامج حزب الله السياسي للعام ١٩٩١ والنقاشات التي دارت حول المشاركة في انتخابات العام ١٩٩٢ النيابية. ثم أقدم عرضاً موضوعياً من تسع نقاط يتناول مكونات برنامج حزب الله السياسي كما ورد في المصادر الآنف ذكرها: (٢.١) موقف حزب الله من المستكبرين والمستضعفين؛ (٢.٢) منظوراته حول الدولة الإسلامية؛ (٢.٣) حواره مع المسيحيين اللبنانيين؛ (٢.٤) بنود حزب الله التشريعية حول العمل النيابي والبلدي والحكومي؛ (٢.٥) برنامج حزب الله الاقتصادي الاجتماعي: منظماته غير الحكومية ومؤسساته المدنية؛ (٢.٦) حزب الله كحزب سياسي لبناني وطني؛ (٢.٧) موقفه من سوريا وإيران؛ (٢.٨) منظوره حول إسرائيل؛ (٢.٩) آراءه حول الجهاد والاستشهاد. تستتبع هذه الفقرات بملخص لأبرز المكونات في برنامج حزب الله السياسي.

---

(١) في العام ١٩٩٧، كان عضواً في المجلس السياسي لحزب الله ورئيس المكتب الإعلامي المركزي للحزب.

(٢) من كوادر الصف الأوسط، كاتب عمود في جريدة حزب الله الأسبوعية «الانتقاد».

(٣) مدير مجموعة الخبراء لدى حزب الله أي المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، وعضو في المجلس السياسي لحزب الله.

(٤) الرئيس الحالي للكتلة النيابية لحزب الله «كتلة الوفاء للمقاومة» التي تضم ١٢ نائباً؛ وفي السابق رئيس المجلس السياسي لحزب الله.

(٥) الرئيس السابق للمؤسسات الاجتماعية التابعة لحزب الله، والرئيس الحالي لجمعية دعم المقاومة الإسلامية التابعة لحزب الله.

(٦) عضو في المجلس السياسي ومسؤول العلاقات الخارجية.

(٧) الرئيس الحالي للمجلس التنفيذي في حزب الله.

١ . مقدمة لبرنامج حزب الله السياسي

خلفية برنامج حزب الله السياسي في العام ١٩٩١

كما سبق وذكر في الفصل الذي تناول التاريخ، شكّل اتفاق الطائف في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٩ أقرب بديل لمؤتمر سلام تجسد في تعديل الدستور اللبناني الجديد في أيلول/ سبتمبر ١٩٩٠ . [150]

غير أن الحرب الأهلية التي امتدت على مدار ست عشرة سنة، انتهت بعد عام واحد وتحديداً في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٠ وليس في ٢٢ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٩ كما أعلن رسمياً من قصر المؤتمرات في الطائف. وهكذا، «مع انتهاء الاعتداءات، دخلت الأحزاب السياسية على غرار الأطراف السياسية الأخرى، مرحلة ما بعد الحرب في السياسة اللبنانية. كان على الميليشيات التأقلم مع هذه الوضعية الجديدة والارتداد بسرعة إلى وضعية الأحزاب السياسية[١]. وجد حزب الله نفسه يواجه وضعاً جديداً؛ لم يعد باستطاعته تعبئة كافة موارده لمقاتلة القوات الإسرائيلية التي تحتل لبنان. وهكذا، برز واقع جديد عبر انفتاح جمهور داخلي لا يستطيع حزب الله تجاهله. غير أن حزب الله واجه مشكلة جدية في آذار/ مارس ـ نيسان/ أبريل العام ١٩٩١ عندما تصرفت الحكومة اللبنانية بناء على توجيهات اتفاق الطائف ودعت رسمياً إلى حل كافة الميليشيات طالبة منها تسليم أسلحتها إلى الجيش اللبناني وإغلاق مراكزها العسكرية وتلك الخاصة بالتدريب. ولتخطي ذلك الأمر، أطلق حزب الله حملة علاقات عامة عبر إصدار إعلانات سياسية وبرنامج سياسي. أعفي حزب الله باعتباره الاستثناء الأبرز من هذا القرار إذ صنفت الحكومة اللبنانية حزب الله على أنه مقاومة إسلامية، فيما اعتبر جناحه العسكري حركة مقاومة وليس ميليشيا؛ وبالتالي، سُمِح له بالاحتفاظ

---

(١) فريد الخازن، «الأحزاب السياسية في لبنان ما بعد الحرب: أحزاب تبحث عن محازبين» Political Parties in Postwar Lebanon: Parties in Search for Patisans، مجلة الشرق الأوسط Middle East Journal المجلد ٥٧ (خريف ٢٠٠٣)، العدد ٤، ص. ٦١٢.

بالسلاح ومواصلة النضال ضد إسرائيل. وهكذا نفعت حملة العلاقات العامة التي قادها حزب الله فيما حاول التكيف مع دوره المزدوج الجديد القائم على مواجهة الاحتلال الإسرائيلي في الجنوب والاندماج تدريجياً في الدائرة الشعبية اللبنانية التي أنشئت حديثاً والتي جاءت نتيجة للحرب الأهلية.

برنامج حزب الله السياسي للعام ١٩٩١ وسياسة الانفتاح

في ٣ كانون الثاني/ يناير ١٩٩١، أصدر حزب الله إعلاناً سياسياً دعا فيه الحكومة اللبنانية إلى حماية الحريات السياسية والفكرية والإيديولوجية والإعلامية بصفتها واجبات الدولة الأساسية تجاه مواطنيها. فضلاً عن ذلك، حث الحزب الحكومة على التمييز بين دور مختلف الميليشيات في لبنان ودور المقاومة الإسلامية التابعة لحزب الله، داعياً إلى حل الميليشيات وتصنيف المقاومة الإسلامية حقاً شرعياً وقانونياً وإنسانياً على الدولة دعمه صراحة وبما لا رجوع عنه[١]. استُتبِعت هذه المقاربة ببرنامج السيد عباس الموسوي[٢] السياسي للعام ١٩٩١ والقائم على أربع نقاط[٣]، وجهه إلى اللبنانيين كافة، مسلمين ومسيحيين: أولاً استمرار وإعادة تنشيط المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي[٤]؛ ثانياً، وضع حد لكافة تداعيات الفتن الداخلية التي كانت سائدة في ذلك الوقت[٥] في مختلف

---

(١) المكتب الإعلامي المركزي لحزب الله، ٣ كانون الثاني/ يناير ١٩٩١. وكما سيظهر لاحقاً، أدرج حزب الله في برامجه للانتخابات النيابية ثلاثة مبادئ.

(٢) البرنامج السياسي للسيد عباس جُمع من: كوكب الشهادة...؛ حيّان رزق، سيّد القادة...؛ الشيخ محمد علي خاتون، أمير القافلة...؛ قدوة الثائرين...؛ وسيّد شهداء المقاومة..

(٣) كما سنبيّن لاحقاً، تبرز هذه النقاط بوضوح في برامج حزب الله للانتخابات النيابية.

(٤) كما قال السيد عباس، «إذا أعطى المسلمون والمستضعفون أهمية فائقة للمقاومة، تصبح عندئذٍ مثمرة». وأضاف قائلاً: «الأمة تعيش أحداث الجهاد وبطولات المجاهدين الأحرار». وقد أكد السيد عباس على ضرورة محاكاة هذا النموذج من الجهاد في سائر أنحاء العالم التي تعاني الاحتلال.

(٥) يعتبر الكاتب أن هذه إشارة غير مباشرة إلى الحرب بين أمل وحزب الله التي استمرت سنتين ونصف السنة وانتهت في تشرين الثاني/ نوفمبر العام ١٩٩٠، تاريخ انتهاء الجرب الأهلية التي دامت ست عشرة سنة، وانشقاق الطفيلي (راجع الفصل الأول و«الترتيب الزمني للأحداث» في «المحلق د»).

المناطق اللبنانية (الجغرافية)(١) [151] والتعامل بشكل بناء مع مفاعيلها عبر نقاشات عامة جدية تعطي المجال للنقاش المفتوح حول المسائل السياسية والاجتماعية، ليس مع الحلفاء وحسب بل مع الأعداء السابقين أيضاً(٢)؛ ثالثاً، الانطلاق في عملية لبننة(٣) أو انفتاح موجهة بشكل خاص نحو المسيحيين عبر إطلاق حملة علاقات عامة وسياسية لا سابق لها، وبعيدة الأهداف موجهة نحو تعزيز الروابط على الرغم من الفروقات الإيديولوجية مع كافة القوى الاجتماعية والسياسية التي تتواجد في المزيج اللبناني(٤)، ولا سيما الأحزاب اللبنانية الحاضرة في ذاك الوقت على الساحة اللبنانية المحلية. يهدف الانفتاح أو اللبننة إلى غرس سياسة حوار منفتح في إطار تعددي عبر التفاعل والتعاون مع الطوائف والجماعات اللبنانية كافة بغية تخليص لبنان من مشاكله السياسية والاجتماعية وتمتين الوحدة الوطنية وبناء لبنان موحد أكثر قوة على أسس احترام القيم الإنسانية؛ رابعاً، تخصيص أهمية أكبر وتكريس جهد بناء نحو التخفيف من حدة المسائل الاجتماعية الاقتصادية والطائفية التي تطال جوانب الحياة كلها خاصة الطبقات التي تعيش في المناطق المحرومة. وبالتالي، تعبئة مؤسسات حزب الله لتحسين خدماتها للطبقات المستضعفة وتلبية احتياجاتها من دون إعاقة مواصلة المقاومة(٥).

---

(١) دارت الحرب بين أمل وحزب الله في الجنوب والضاحية؛ انتقلت الحرب اللبنانية الأهلية من مكان إلى آخر، فأحدقت تقريباً بكافة الأراضي اللبنانية.

(٢) أضاف السيد عبّاس أن لهذا الأمر أهمية حيوية باعتبار أن تمتين الجبهة الداخلية يجعل الشعب يحتضن المقاومة الإسلامية، ما يؤدي بالتالي إلى استمراريتها وبقائها.

(٣) اللبننة تعني انخراط حزب الله في الحياة السياسية اللبنانية المحلية. وجدير بالذكر أن «لبننة الدول الأوطان» تعني في علم السياسة التفكك أو القبلية، وهو معنى مختلف تماماً عن المعنى المقصود هنا. راجع على سبيل المثال بنجامين دجاي باركر Benjamin J. Barker، الجهاد في مقابل عالم ماك» Jihad vs. McWorld نيويورك: تايمز بوكز Times Books، ١٩٩٥؛ وجايمس أن روزنو James N. Roseneau، على الحدود بين الداخل والخارج: استكشاف الحكم في عالم مضطرب Along the Domestic-Foreign Frontier: Exploring Governance in a Turbulent World كامبريدج: منشورات جامعة كامبريدج، ١٩٩٧.

(٤) يُقصد بالنسيج أو الموزاييك اللبناني التركيبة الإثنية للطوائف اللبنانية التي يتكوّن منها لبنان، وضمناً الطوائف الثماني عشرة المعترف بها رسمياً.

(٥) يتماشى هذا الموقف مع شعارات السيد عباس الشهيرة: «سنخدمكم بأشفار عيوننا»؛ «سنحارب (حزب الله) الحرمان كما نحارب الاحتلال (الإسرائيلي)».

حجج حزب الله للمشاركة في انتخابات العام ١٩٩٢ النيابية

لم يكن قرار حزب الله المشاركة في انتخابات العام ١٩٩٢ النيابية قراراً سهلاً. وقد اتخذ بعد نقاشات داخلية حامية استتبعها تحكيم إيراني. يقلل الحاج محمد رعد، رئيس كتلة حزب الله النيابية الحالية المؤلفة من ١٢ عضواً من النزاع الداخلي في الحزب، ومن التدخل الإيراني الذي جاء لمصلحة المشاركة. في المقابل، يرجح رعد كفة البعد الداخلي في «قرار الحزب الإيجابي» من المشاركة. ويؤكد أنه عندما اتخذ الحزب قرار المشاركة في انتخابات العام ١٩٩٢، برزت سلسلة نقاشات إيديولوجية وفكرية وسياسية بين كوادر الحزب القيادية. ويضيف أن هذه النقاشات كانت حامية في بعض الأوقات وبناءة في أوقات أخرى. بحسب رعد، قوّمت النقاشات منافع المشاركة في نظام سياسي طائفي يختلف بشكل كبير عن رؤيا الحزب الإيديولوجية والفكرية. ويضيف رعد أن هذه النقاشات انتهت بقرار المشاركة على أساس وجود أرضيات مشتركة عدة بين حزب الله ومختلف الأطياف السياسية اللبنانية. ويشدد رعد على أن الحياة السياسية تفرض تفاعلاً عملياً مع المجموعات الأخرى من دون الولوج في الخلفية الإيديولوجية لكل حزب(١). [152]

بدوره، أعطى الشيخ نعيم قاسم عرضاً مفصلاً(٢) لموقف حزب الله من طبيعة النقاشات(٣) المتعلقة بالمشاركة في النظام السياسي اللبناني بشكل عام، والانتخابات النيابية بشكل خاص. بحسب قاسم، أدت مسألة دخول البرلمان اللبناني أو عدمها إلى نقاش داخلي موسع بين كوادر حزب الله القيادية. وقد شكل مجلس شورى الحزب المؤلف من سبعة أعضاء إضافة إلى خمسة كوادر قيادية لجنة مؤلفة من اثني عشر عضواً لتقويم الوضع. وقد تركزت النقاشات

---

(١) مقابلة شخصية، ٣١ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠١.
(٢) قاسم، حزب الله: المنهج...، ص. ٢٦٧ - ٢٧٣.
(٣) راجع سعد-غريّب، حزب الله: السياسة والدين، ٢٠٠٢، ص. ٦٧ - ٦٨.

على أربع نقاط أساسية: الشرعية، والرؤيا الإسلامية، والمصالح والمفاسد كحسنات وسيئات، والأولويات.

بحسب قاسم، اهتمت اللجنة في إيجاد إجابات على الأسئلة الأربعة التالية: أولاً، تمحور السؤال الأساسي حول شرعية المشاركة في برلمان يشكل جزءاً من النظام السياسي الطائفي الذي لا يعكس رؤيا الحزب نحو أفضل نظام. ثانياً، افتراضاً أنه تم حل مسألة الشرعية، هل تعني المشاركة اعترافاً ضمنياً بواقع النظام السياسي، وقد يؤدي هذا الاعتراف بحزب الله إلى الدفاع عن هذا النظام واعتماده، متغاضياً عن الرؤيا الإسلامية؟ ثالثاً، هل ثمة مصالح واضحة وأكيدة تتخطى المفاسد؟ رابعاً، هل تؤدي المشاركة إلى تعديل في أولويات حزب الله، لدرجة التخلي عن المقاومة الإسلامية لمصلحة الاندماج في اللعبة السياسية اللبنانية الداخلية[١]؟

١.٣.١ الشرعية

في ما يتعلق بمسألة الشرعية، اعترفت اللجنة أنه لا يسعها اتخاذ أي قرار إذ يعود الأمر إلى الولي الفقيه الإمام خامنئي. غير أن البعض اعتبر أن المشاركة في نظام غير إسلامي لا يتلاءم والرؤيا الإسلامية الشمولية إذ إن مسؤولية الحزب الشرعية وواجبه الشرعي محصوران بتأسيس دولة إسلامية. وأي شيء عدا ذلك لا بد وأن يبقى خارج إطار الأنظمة الوضعية. أضافت اللجنة أن الخوف من منح الشرعية لنظام غير إسلامي يمكن أن يؤدي إلى استدامته. بحسب اللجنة، يمكن اعتبار مشاركة الإسلاميين[٢] في النظام حاجزاً أمام إصلاح النظام أو تغييره

---

(١) قاسم، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٦٧ - ٢٦٨.

(٢) الإسلاميون هم مسلمون ملتزمون، جديّون، صادقون، أوفياء، وناشطون سياسياً. والإيديولوجيا الإسلامية شاملة في مقاربتها لأنها تشكل «إطار عمل سياسي ثقافي ديني» للالتزام بالمسائل التي تهم المسلمين الملتزمين سياسياً. (الحرف معتمد في النص الأصلي). فولر Fuller مستقبل الإسلام السياسي The Future of Political Islam، ص. ١٩٣. هذا التعريف يتضمّن العناصر الثلاثة المكوّنة لهوية حزب الله.

بالكامل. وفي نهاية المطاف، قررت اللجنة نقل مخاوفها إلى الإمام خامنئي وانتظار قراره(١). [153]

١ . ٣ . ٢ المشاركة

أكدت اللجنة أن المشاركة في الانتخابات النيابية تشكل تعبيراً عن المشاركة في البنية السياسية للنظام الحالي وتقود بالتالي إلى تأييده. غير أن هذا لا يعني بحسب اللجنة أنها ملزمة بحماية البنية الحالية والدفاع عن فجواتها ونقاط عجزها. فالمشاركة في البرلمان تعزز التمثيل الشعبي، حيث يستطيع النائب الدفاع عن وجهة نظره(٢) ويملك الحرية للمصادقة على ما يراه متلائماً مع آرائه ورفض ما هو عكس ذلك. استناداً إلى النظام الذي يؤمن به أو خلفية معرفته (الإيديولوجيا الدينية والسياسية)، يمكن للنائب أن يشارك في نقاشات تتعلق بمكونات النظام ويقترح تغييرات عليه، ويشارك في مسودات التشريعات ويقترح تشريعات مناسبة، من دون أن يؤثر ذلك على وفائه لدائرته الانتخابية. وقد شددت اللجنة على أن المشاركة في البرلمان لا تعني بحكم الواقع اعترافاً بالنظام. بل إن المشاركة والتمثيل يمنحان النائب هامشاً كبيراً للتحرك والتعبير عن رأيه والدفاع عنه من دون أن يجد نفسه رهينة للنظام السياسي الحالي(٣).

١ . ٣ . ٣ المصالح (الحسنات) والمفاسد (السيئات)

بحسب اللجنة، ثمة العديد من المنافع في المشاركة البرلمانية، أبرزها ما يلي: أولاً، استخدام البرلمان كمنبر سياسي يمنح الاهتمام اللازم للمقاومة فيناقش دعمها ويمهد الأمر أمام جو إيجابي حتى يستطيع الآخرون سماع صوت المقاومة من وجهة نظر التمثيل النيابي الشعبي. ثانياً، يستطيع حزب الله بواسطة المشاركة في النقاشات البرلمانية ومناظرات اللجان النيابية التدخل في

---

(١) قاسم، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٦٨ - ٢٦٩.
(٢) منذ العام ١٩٩٢، كان النوّاب الممثلون لحزب الله في البرلمان كلهم من الذكور.
(٣) قاسم، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٦٩ - ٢٧٠.

مسائل صياغة التشريعات المتعلقة بتحسين مستوى عيش الشعب وتنميته وصحته ومخاوفه الاجتماعية. كما أن الحزب سيعمل على تخفيف معاناة المناطق المستضعفة عبر تخصيصها بالأموال اللازمة من مختلف الوزارات. ثالثاً، العلم المسبق بمسودة التشريعات حيث يمكن دراستها مسبقاً بغية اقتراح التعديلات اللازمة بدل مواجهة قانون ملزم اعتمد رسمياً. رابعاً، بناء شبكة اتصالات سياسية مع ممثلي الطوائف والمحافظات لإجراء حوارات مباشرة معهم حول المسائل العالقة وغير المحلولة. وبما أن هذا الأمر يزيل العوائق والانطباعات الخاطئة، فإن عملية التآلف والتفاعل تفتح الآفاق أمام تطوير الحوار وقبول فوارق الآخرين(١). خامساً، منح حزب الله الاعتراف الرسمي من البرلمان اللبناني، [154] أحد مؤسسات الحكومة اللبنانية الذي يعكس التمثيل الشعبي. وهذا ما سيمنح المقاومة الإسلامية شرعية الدولة اللبنانية التي ستتكون أجزاؤها من نسيج الشعب اللبناني والدولة اللبنانية. سادساً، تقديم رؤيا إسلامية حول مختلف المسائل الخاضعة للنقاش، وجعلها جاهزة لتقبل آراء أخرى تقدمية(٢).

أشارت اللجنة إلى أن ثمة سلبيات أيضاً للتمثيل النيابي؛ أبرزها ما يلي: أولاً، ثمة صعوبات في تأمين تمثيل شعبي محدد بسبب خصوصية الدوائر الانتخابية السياسية التي تحدد عدداً معيناً من المرشحين يجعل من التواجد في البرلمان تمثيلاً سياسياً، بدل أن يكون مجرد تمثيل عددي. ثانياً، سن القوانين التي تخالف الشريعة على الرغم من اعتراض نواب حزب الله عليها. ثالثاً، قد يحمل الناس النواب مسؤولية تنفيذ الخدمات التي وعدوا بها دوائرهم. لكن البرلمان يشرِّع القوانين ويحاسب الحكومة على أفعالها لكنه لا يتولى التنفيذ، إذ يقع التنفيذ على عاتق الحكومة(٣).

---

(١) راجع الرسالة المفتوحة والفصل الرابع حول آراء حزب الله في ما يتعلق بقبول الآخر.

(٢) قاسم، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٧٠ - ٢٧١.

(٣) المرجع نفسه، ص. ٢٧١.

١.٣.٤ الأولويات

أشارت اللجنة إلى أن الأولويات تقع على عاتق جهاز اتخاذ القرارات السياسية[١] في حزب الله، الذي وضع مقاومة إسرائيل في قائمة أولوياته. بعد تداولات وقراءات مفصلة للدستور اللبناني، لم تجد اللجنة أي علاقة مسبقة بين المشاركة النيابية وخصوصية المقاومة. على الرغم من ذلك، أصرت اللجنة على تفنيد الانتخابات بإعلان جيد الصياغة يؤكد على استمرار المقاومة[٢]. بعد تقييم إيجابيات الوضع وسلبياته، خلصت اللجنة إلى أن الخوف من تأثير الانتخابات النيابية على المقاومة الإسلامية لا أساس له من الصحة؛ بل على العكس، تشكل الانتخابات النيابية دعماً إضافياً للمقاومة. وقد شددت اللجنة على التقارب بين انخراط حزب الله في الحياة السياسية اللبنانية واستمرار المقاومة، على أن يؤدي هذا التقارب إلى تحقيق الهدفين التاليين: أولاً التلاحم العملي بين مصالح الشعب ومحاولة تحقيقها وتعزيزها؛ وثانياً، مصلحة لبنان والأمة في تحرير الأرض من الاحتلال «الصهيوني» (إسرائيل)[٣].

بعد موازنة النقاشات، اتخذت لجنة حزب الله المؤلفة من اثني عشر عضواً قراراً إيجابياً بالمشاركة في الانتخابات بغالبية عشرة مقابل اثنين مؤكدة أن المصالح تفوق المفاسد. [155]

بالنظر إلى محصلة اللجنة الإيجابية، قدم حزب الله نتائجه إلى الإمام خامنئي وطلب منه استفتاءً رسمياً حول شرعية المشاركة في الانتخابات. ما إن

---

(١) يتكوّن في العادة من أعضاء مجلس الشورى وأعضاء المجلس السياسي.

(٢) عبّر حزب الله عن هذا القلق في برنامجه الانتخابي. الواقع أن المقاومة كانت البند الأول في برنامج حزب الله لانتخابات العام ١٩٩٢، والبند الأكثر تفصيلاً، ما يجعله الأولوية الرئيسة لدى الحزب.

(٣) قاسم، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٧١ - ٢٧٢.

أجاز خامنئي المشاركة وأيدها[١]، حتى انطلق الحزب في صياغة برنامجه الانتخابي وأعلن مشاركته رسمياً في الانتخابات[٢].

٢ . النقاط المكونة لبرنامج حزب الله السياسي

آراء حول المستكبرين والمستضعفين، الولايات المتحدة وإسرائيل على وجه التحديد

افتتح حزب الله برنامجه الانتخابي للعام ١٩٩٢ بآية قرآنية تصفه واقفاً في وجه المستكبرين لخدمة المستضعفين عبر استخدام مفهوم التمكين الإنساني[٣]: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ (سورة الحج، الآية ٤٠)[٤]. على الصعيد الداخلي، أكد برنامج الحزب التزامه مواجهة المؤامرات التي تحاك ضد لبنان والدفاع عن «المستضعفين اللبنانيين الأوفياء» بهدف دعم حقوقهم وشرفهم وكرامتهم.

---

(١) تؤكد سعد-غريّب على أن مباركة خامنئي لقرار حزب الله تعني ضمناً أنه لم يصدر فتوى. وهي تستند في زعمها هذا إلى مصدر ثانٍ (جريدة الديار). (راجع سعد-غريّب، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٦٨).

(٢) قاسم، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٣) الآية الأبرز التي يشير إليها حزب الله مراراً وتكراراً هي التالية: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ...﴾ (سورة القصص، الآيتان ٥ - ٦). وكما هو مذكور في الفصل الثالث، تم تثبيت المستضعفين في السلطة أو تمكينهم لأنهم اتبعوا حكم الله. أما الآيات القرآنية الأخرى التي يستند إليها حزب الله، فهي: (سورة يوسف، الآية ٢١)؛ (سورة يوسف، الآية ٥٦)؛ (سورة يوسف، الآية ٥٤)؛ (سورة الكهف، الآية ٨٤)؛ (سورة الأعراف، الآية ١٠)؛ (سورة الأحقاف، الآية ٢٦)؛ (سورة الأنعام، الآية ٦)؛ (سورة الحج، الآية ٤١)؛ (سورة الكهف، الآية ٩٥)؛ و(سورة القصص، الآية ٥٧).

(٤) يعلق يوسف علي على الآية التالية مؤكداً على أن تبرير حق الصالحين في مقاومة الاستكبار عندما لا يكونون هم فقط المضطهدين إنما أيضاً إيمانهم، وعندما يقودهم إمام صالح، يكمن في واقع أنه شكل من أشكال التضحية بالذات. فهم لا يقاتلون من أجل أنفسهم، أو من أجل الأرض أو السلطة أو المكانة المرموقة. هم يقاتلون من أجل الحق». (راجع القرآن الكريم...، ص. ٨٦٢). وكما سنؤكد في الخاتمة (٣,٤)، هذه الآية تؤكد على المفهوم القرآني لتمكين البشر.

استندت برامج حزب الله للانتخابات البلدية في العامين ١٩٩٨ و٢٠٠٤ على خط موازٍ، على ردع القمع الذي يستهدف المستضعفين: أولاً، بما أن الشعب يشكل الدعامات الأساسية وراء تحرك حزب الله، فمن مسؤولية الحزب صد كافة أشكال القمع والظلم بهدف خدمة الشعب وحماية كرامته؛ ثانياً، يقع أحد أهداف حزب الله في تبني جرح المستضعفين والمحرومين عبر حمايتهم والعمل بنشاط لوضع حد للقمع والتمييز الحاصل ضد المناطق المحرومة بغية رفع مستويات العيش فيها على الأصعدة كافة(١).

حذر برنامج حزب الله للانتخابات النيابية للعام ١٩٩٢ على الصعيدين الإقليمي والدولي من أن مشروع المستكبرين بقيادة الولايات المتحدة يراهن على إخضاع لبنان والشرق الأوسط بهدف الاعتراف بشرعية «الكيان الصهيوني»، وتطبيع العلاقات معه وبالتالي إذابة الهوية الثقافية لشعوب المنطقة وربط مصيرها باقتصاد السوق وأسلوب الغرب الإنتاجي. وقد حذر برنامج حزب الله من أن هذا الأمر سيؤدي إلى نهب الثروات واستنزاف الموارد الطبيعية وفرض أنظمة استبدادية وتنفيذ برامج وسياسات وخطط تناقض مصالح المستضعفين(٢). [156]

فضلاً عن ذلك، تعهد حزب الله بتحرير لبنان من «الاحتلال الصهيوني» ومن تلاعب المستكبرين المتغطرسين وسيطرتهم. أعاد الحزب تكرار الموقف نفسه في برنامج الانتخابات للعام ١٩٩٦ منتقداً سياسات السيطرة الأميركية و«الإرهاب الصهيوني»(٣). كما شدد حزب الله على أنه سيواجه التدخل الأميركي في الشؤون الداخلية اللبنانية ومؤامرات السياسات الأميركية القمعية التي تعطي الضوء الأخضر للاعتداءات الإسرائيلية المتواصلة يومياً(٤).

---

(١) أنظر صفحة الغلاف لمؤتمر البلديات الأول. بيروت: المكتب الإعلامي المركزي لحزب الله، ١٦ تموز/يوليو ٢٠٠٢.

(٢) راجع مقدمة برنامج حزب الله لانتخابات العام ١٩٩٢.

(٣) راجع مقدمة برنامج حزب الله لانتخابات العام ١٩٩٦.

(٤) راجع البند السابع: «السياسة الخارجية». أُعيد التأكيد على الموقف نفسه في «الآراء =

لا تأتي برامج حزب الله للانتخابات النيابية والبلدية للأعوام ١٩٩٢ و١٩٩٦ و١٩٩٨ و٢٠٠٠ و٢٠٠٤ و٢٠٠٥ على ذكر أي شيء عن تأسيس نظام إسلامي في لبنان[١]. غير أن آراء حزب الله حول الدولة الإسلامية في عهد البرنامج السياسي برزت في خطاب قادته وكوادره ولا سيما السيد نصرالله والشيخ قاسم.

أفاد حزب الله في «حزب الله، من هو وماذا يريد» الصادر في العام ٢٠٠٤، وهو آخر وصف ذاتي يتضمن أوجهاً من الإيديولوجيا السياسية والبرنامج السياسي، أن أحد أهدافه العليا الاستراتيجية تأسيس جمهورية إسلامية. ويؤكد حزب الله أنه في الحقيقة ما من حركة إسلامية لا تناصر إنشاء دولة إسلامية في بلدها[٢]. ويشدد الحزب على أن ما من مسلم ملتزم يتبنى العقيدة الإسلامية ويؤمن بشرعيتها، لا يناصر مشروع إنشاء دولة إسلامية كشكل من أشكال التعبير الطبيعي عن التزامه الإسلامي إذ تقف هذه الدولة مع العدالة (الاجتماعية) التي يطمح إليها الفرد[٣]. غير أن حزب الله أوضح في «بيان الهدف» الصادر في العام ١٩٩٨ أن هدفه هو تقديم الإسلام الذي يتوجه إلى عقول الناس وتفكيرهم. أضاف الحزب في «حزب الله، من هو وماذا يريد» أنه لا ينوي تطبيق الإسلام بالقوة أو العنف؛ بل عبر التحرك السياسي السلمي الذي يعطي الفرصة للغالبية في أي مجتمع باعتماده أو تطبيقه. وأوضح الحزب أنه لو أصبح الإسلام خيار أكثرية[٤] المسيحيين والمسلمين اللبنانيين، فسيطبقه عندئذ.

= والمفاهيم» الصادر عن حزب الله في العام ١٩٩٧، تحديداً في القسمين المعنونين «حزب الله - لبنان» و«حزب الله بين السلم والعنف».

(١) راجع الملاحق أ، ب، ج.

(٢) نصر الله، جريدة العهد، ٢٦ آب/أغسطس ١٩٩٤.

(٣) قاسم، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٣٨.

(٤) بما أن مسألة الأكثرية والأقلية تشكل موضوعاً بالغ الحساسية في السياسة اللبنانية، شدد نصر الله على الوحدة والتضامن بين اللبنانيين عبر إيضاح أنه عندما يتحدث، هو أو حزب الله، =

لكن إذا رفضته الأكثرية، فسيستمر حزب الله في ممارسة سياسية التعايش والنقاش والتفاوض والتجادل حتى بلوغ الإجماع. وقد شدد الحزب على أن إسلامه يرفض العنف كوسيلة للاستحواذ على السلطة وحض غير المسلمين على عدم اللجوء إلى القوة لتطبيق جدول أعمالهم(١). تماشياً مع ما سبق ذكره، رفض حزب الله اللجوء إلى القوة لإرساء دولة إسلامية. وأكد أن الدولة الإسلامية تحتاج إلى دعم شعبي كثيف وليست خياراً نظرياً. [157]

وأوضح الحزب أن ٥١٪ من الأكثرية لا تلبي هدف إنشاء دولة إسلامية بل لا بد من ارتكاز الدولة اللبنانية والنظام السياسي على إرادة الشعب بأكمله، مسلمين ومسيحيين. وشدد الحزب على أنه لو رفض الشعب الدولة الإسلامية، فلن يفرضها لا في ٥٠ سنة ولا حتى في ١٠٠(٢).

حوار حزب الله مع المسيحيين اللبنانيين

في العام ١٩٩٢، توجه حزب الله للمسيحيين وقام بزيارة تاريخية إلى البطريرك الماروني، فاتحاً بالتالي قنوات الاتصال مع المسيحيين(٣). استجاب البطريرك للزيارة، وتم تأسيس لجنة مشتركة للإشراف على حوار مسيحي ـ مسلم ديناميكي تتضمن كافة الفاعليات المسيحية والمسلمة فضلاً عن الأحزاب السياسية ومجموعات ومنظمات المجتمع المدني. دعا حزب الله للحوار المفتوح الذي يعالج كافة المسائل العقائدية والسياسية(٤). وشدد الحزب على أنه

= عن الأكثرية والأقلية، لا يتحدث عن الأكثرية المسلمة والأقلية المسيحية (لا سمح الله)، وإنما يتحدث عن أكثرية مسلمة مسيحية وأقلية مسلمة مسيحية. راجع خطاب نصر الله في إحياء «يوم القدس» بتاريخ ١٢ تشرين الأول/ نوفمبر ٢٠٠٤. (تاريخ الزيارة الأخيرة للموقع نيسان/ أبريل ٢٠٠٥).

(١) «حزب الله، من هو وماذا يريد؟». عبّر نصر الله عن الآراء نفسها في جريدة العهد، ١٦ شباط/ فبراير ١٩٩٨.

(٢) نصر الله، المؤسسة اللبنانية للإرسال أل بي سي LBC ٢٤ أيلول/ سبتمبر ١٩٩٥.

(٣) جريدة العهد، العدد ٤٤١.

(٤) نصر الله، جريدة العهد، ٦ نيسان/ أبريل ١٩٩٤.

يؤمن دوماً بالحوار مع مختلف الأطياف اللبنانية بغية مواجهة الفروقات والخلافات وتعزيز التعايش الوطني السلس والوحدة الوطنية[١]. ففي معظم الأحيان، يقود الحوار إلى نقاشات مفيدة وانتقادات بناءة تعيد رسم سياسة الانفتاح التي ينتهجها حزب الله نحو المزيد من الانفتاح[٢]. على هذه الأسس، أدرج حزب الله مسيحيين وسنة في تمثيله البرلماني والبلدي، فسمح للمسيحيين بالتكلم باسمه[٣] طالما أن خطابهم يبقى وفياً لثوابت الحزب كمقاومة الاحتلال. وقد أكد البطريرك الماروني أنه يحق للمقاومة الإسلامية التابعة لحزب الله تحرير الأرض اللبنانية المحتلة. وأضاف أنه يملك ثقة كبرى بالمقاومة وبحسن تدبيرها في إدارة النزاع[٤].

حددت هذه الاجتماعات وتيرة العلاقات وأصبحت حجر الأساس في حوار حزب الله مع المسيحيين الذي ارتكز في الأساس على «الإرشاد الرسولي» الذي أعلن للبنانيين خلال زيارة البابا الأخيرة للبنان في ١٠ نيسان/أبريل ١٩٩٧. في هذا الصدد، أصدرت «الوحدة الإعلامية المركزية»[٥] في حزب الله في ٢٠ آب/أغسطس ١٩٩٧ كتابين باللغتين الانكليزية والعربية بعنوان: «قراءة في الإرشاد الرسولي: وجهة نظر حزب الله»، تضمنا المسائل الثلاث التالية: أولاً، «الدعوة الأخيرة» التي أطلقها السينودوس الذي عقده المجمع الكاثوليكي

---

(١) خطاب نصر الله بتاريخ ١٠ تموز/يوليو ٢٠٠١. قناة تلفزيون المنار وإذاعة النور، ١٠ تموز/يوليو ٢٠٠١؛ جريدة السفير، ١١ تموز/يوليو ٢٠٠١. راجع أيضاً خطاب نصر الله «بمناسبة اختتام النشاطات الصيفية لجمعية صيف، ٤ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٤، http://www.nasrollah.org/audio/Hassan/2004/anshita04092004.html.

(٢) نايف كريّم، حول الدولة المنسوبة لحزب الله. بيروت: وحدة التعبئة التربوية في حزب الله، ١٩٩٧، ص. ٤١.

(٣) النائب السابق في كتلة حزب الله النيابية جورج نجم، كان يتلو، وهو يضع الصليب، بيانات حزب الله السياسية التي تبدأ بعبارة «بسم الله الرحمن الرحيم».

(٤) راجع الصحف اللبنانية اليومية المختلفة الصادرة في شهر نيسان/أبريل ٢٠٠٢، وعلى وجه الخصوص جريدة السفير بتاريخ ١٨، ٢٠ و٢٣ نيسان/أبريل ٢٠٠٢.

(٥) المكتب الإعلامي المركزي لحزب الله.

في الفاتيكان في ٢٠ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٥؛ ثانياً، «الرسالة التي وجهها حزب الله إلى قداسة البابا يوحنا بولس الثاني، بمناسبة زيارته إلى لبنان»، في ٦ نيسان/ أبريل ١٩٩٧؛ وثالثاً، «محاضرة ألقاها رئيس المجلس السياسي في الحزب، النائب محمد رعد في الحلقة الدراسية التي نظمها المجلس الثقافي في جبيل حول الإرشاد الرسولي»، في ١٣ حزيران/ يونيو ١٩٩٧. [158]

أثنى حزب الله في إعلانه السياسي الذي تناول «الدعوة الأخيرة» على الحاجة إلى تمتين العيش المشترك وتأسيس أرضيات مشتركة بين اللبنانيين عبر حوار بناء يقود إلى الوحدة الوطنية حول مسائل أساسية تتضمن هوية وطنية موحِّدة تساعد على دعم السلم الأهلي. كما حيّا وشجع الدعوة إلى إجراء نقاشات غير متحيزة وهادئة وإلى القيام بحوار موضوعي(١).

في رسالته إلى الراحل البابا يوحنا بولس الثاني، شدد حزب الله على أن الفرق في المعتقد الديني لا يشكل ذريعة لحسر الحق الإنساني. وبحسب الحزب، فإن الحوار هو من الخصال الدينية التي يتمتع بها الأنبياء ورسلهم. فكلا يسوع المسيح والنبي محمد (ص) كانا حريصين على إجراء حوار مع شعبيهما ومع الآخرين. من هذا المنظور، يعتبر حزب الله الحوار المسيحي ـ الإسلامي عنصراً أساسياً لإرساء تعاون منتج ومناسب وبناء محلياً ودولياً في المنتديات العالمية ولا سيما في مؤتمر السكان الذي نظمته الأمم المتحدة في القاهرة(٢). أخيراً، شدد حزب الله على ضرورة إرساء حوار حقيقي يجمع المسلمين في المجتمع المدني والدائرة اللبنانية العامة، ولا يتناول حصراً السلطات السياسية التي لا تمثل النسيج السياسي الاجتماعي الحقيقي في الدول المسلمة(٣).

(١) الوحدة الإعلامية المركزية لحزب الله، «قراءة بإرشاد باباوي»، ص. ٩ - ١٥.
(٢) شهد هذا المؤتمر انسجاماً غير مسبوق في الأفكار، ولا سيّما تلك المتعلقة بالدين والمسائل الأخلاقية، بين الفاتيكان والجمهورية الإسلامية الإيرانية.
(٣) الوحدة الإعلامية المركزية لحزب الله، «قراءة بإرشاد باباوي»، ص. ١٦ - ٢٥.

علّق الحاج محمد رعد[١] في محاضرته على الإرشاد الرسولي. أيّد دعوة البابا إلى الشباب المسيحي لكسر الجدران التي تحول بينهم وبين الآخرين، داعياً إياهم ألا ينسوا هويتهم المسيحية العربية وأن يعملوا على الحفاظ عليها. كما حثهم البابا على الاندماج في محيطهم العربي والتعايش فيه سلمياً والتفاعل معه بهدف إثرائه، وفي الوقت نفسه تسليط الضوء على مخاطر الاستثناء والعزل وردود الفعل القوية، إذ هم أقلية تعيش وسط أكثرية مسلمة. أطرى رعد على استخدام البابا للفظة «إخوان» عندما كان يشير إلى غير المسلمين مشدداً بالتالي على الأخوة بين الأفراد. كما شدد البابا على أن الكنيسة الكاثوليكية تعلن أن بناء المجتمع على أسس الحوار الجدي والتعاوني والأخوي يقع على عاتق اللبنانيين كلهم. ويضيف رعد أن الإرشاد الرسولي أكد أن مختلف الطوائف التي يتشكل منها لبنان هي بمثابة مصدر غنى البلاد وصدقيته. وشدد على أن الإرشاد الرسولي دعا في المجمل إلى الانفتاح الكامل بين اللبنانيين وإلى إجراء حوار يومي شامل على المستويات كافة بينهم وإلى الاعتراف المتبادل وإلى التخلي عن التقليد والتمييز. [159]

بحسب الحاج رعد، دعا الإرشاد الرسولي اللبنانيين إلى أن يكونوا شعباً موحداً على الرغم من اختلاف ولاءاتهم السياسية والفكرية والدينية. وشدد على أن الوحدة الوطنية التي يدعو إليها الإرشاد الرسولي هي أساس العيش المشترك بعيداً عن مفاهيم الأكثرية ـ الأقلية ومنطقها. تماشياً مع الفقرة الواردة في الإرشاد الرسولي تحت عنوان «العلمانية والعالم المعاصر»، يشدد رعد على أن التعايش الوطني تحت مظلة القيم الإنسانية التي تؤكدها المسيحية والإسلام هي أفضل بكثير للمجتمع من تبني العلمانية. وقد سلط رعد الضوء على دعوة الإرشاد الرسولي إلى إجراء حوار بناء بين المسيحيين والمسلمين وإلى التعايش الوطني والتضامن مع العالم العربي، فضلاً عن بناء مجتمع فاضل يدعم القيم

---

(١) آنذاك، كان يرأس المجلس السياسي (المكتب السياسي) لحزب الله.

الإنسانية وكرامة الإنسان ويعمل على إحلال السلام والتصالح. أعاد رعد التأكيد على أن حزب الله يعتبر أن الإرشاد الرسولي حدد إطار العمل لإصلاح واقعي للنظام اللبناني كما حدد سياسة إجماعية عامة بين المسلمين والمسيحيين كي يبنوا معاً مجتمعاً موحداً قادراً على إيصال رسالة متحضرة ومميزة تستند على الأخوة لبلوغ الخير المشترك وتعزيز مجتمع مدني سليم[١].

عكس برنامج حزب الله السياسي الشامل ميله نحو الانفتاح. فقد دعا في «حزب الله من هو وماذا يريد» إلى الحوار والتسامح وقبول الآخر. وأضاف الحزب أنه يملك خطته الثقافية للجذب والإقناع عبر الوسائل المتحضرة والإنسانية، كما تنص الشرعة الدولية لحقوق الإنسان، من دون أي لجوء إلى العنف أو الإكراه. من هذا المنظور، يفتح حزب الله قلبه أمام الصداقة مع أي كان على أساس الاحترام المتبادل[٢]. فإسلام حزب الله هو إسلام الفضيلة والأخلاق؛ إنه إسلام الحوار مع الآخر؛ وإسلام الوحدة والتعاون؛ وإسلام التوجيه الذي يكشف ما لديه أمام الآخرين حتى يلتزموا بأوامر الله: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٥٦)[٣].

في برنامجه للانتخابات النيابية للعام ١٩٩٢، لم يحطّ الحزب من قدر الحكومة اللبنانية أو الموارنة السياسيين؛ بل دعا حزب الله لإلغاء الطائفية السياسية[٤]، ملقياً باللائمة على الدولة اللبنانية، ليس لفساد النظام السياسي وحسب، بل للنكبات الثقافية والأمنية والاجتماعية والتنموية التي حلت بلبنان منذ عقود. كما لام حزب الله الطائفية السياسية على التدخل الحاقد للقوى

---

(١) الوحدة الإعلامية المركزية لحزب الله، «قراءة بإرشاد باباوي»، ص. ٢٦ - ٣٧.
(٢) «حزب الله، من هو وماذا يريد؟».
(٣) إذاعة النور، أخبار الساعة السادسة بتوقيت غرينيتش، ١٧ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٤.
(٤) جدير بالذكر أن المادة ٩٥ من اتفاق الطائف نصت على إلغاء الطائفية السياسية. وجل ما تم تحقيقه حتى اليوم على طريق إلغاء الطائفية السياسية هو أن البرلمان اللبناني شكل في العام ٢٠٠٤ لجنة يُفترض بها أن تمهد الطريق لإنشاء «الهيئة الوطنية لإلغاء الطائفية السياسية».

الأجنبية المتغطرسة في الشؤون اللبنانية الداخلية، معرضة مصير لبنان ومستقبله للخطر(١). [160]

وفي برنامجه الانتخابي للعام ١٩٩٦ وفي «الآراء والمفاهيم» الصادرة في العام ١٩٩٧، كرّر حزب الله دعوته لإلغاء الطائفية السياسية بهدف إنجاز نظام سياسي عادل ومنصف(٢). وفي إعلانه السياسي تعليقاً على «الدعوة الأخيرة»، نظر حزب الله إلى الدعوة إلى الانتقال من الولاء الطائفي إلى الولاء الوطني على أنها مرادفة لإلغاء الطائفية السياسية. غير أن الحزب دان الدعوة إلى ديمقراطية إجماعية على أساس الطائفية السياسية بهدف تفادي استبداد الأكثرية. وبدل النظام المقترح، دعا حزب الله إلى إيجاد بديل عن النظام السياسي الطائفي الذي يؤيد التنوع الديني والثقافي في إطار الوحدة في الممتلكات الثقافية على أساس إلغاء الطائفية السياسية التي وافق عليها اللبنانيون وأدرجوها في الدستور الجديد (اتفاق الطائف) مع آلية تنفيذها(٣). في برنامجه الانتخابي للعام ٢٠٠٠، حث حزب الله الحكومة اللبنانية على تأسيس «الهيئة الوطنية لإلغاء الطائفية السياسية»(٤). وقد تتوج هذا الأمر في دعوة السيد نصرالله في العام ٢٠٠١ إلى إلغاء الطائفية السياسية في النفوس قبل إلغائها في النصوص(٥)، الأمر الذي يشبه إلى حد كبير إعلان المطارنة الموارنة الذي حذر من أن إلغاء الطائفية السياسية من النصوص القانونية قبل محوها من عقلية الشعب اللبناني ـ بواسطة تربية فاعلة تتركز على العيش المشترك والاحترام المتبادل ـ قد يكون خطيراً(٦).

توجه برنامج حزب الله لانتخابات العام ١٩٩٢ النيابية إلى اللبنانيين بشكل

---

(١) برنامج حزب الله لانتخابات العام ١٩٩٢، البند الثاني: «إلغاء الطائفية السياسية».
(٢) راجع البند الثاني: «تحقيق المساواة وبناء الدولة العادلة».
(٣) الوحدة الإعلامية المركزية لحزب الله، «قراءة بإرشاد باباوي»، ص. ١٤.
(٤) راجع البند ٤: «بناء دولة القانون والمؤسسات، وتعزيز المشاركة السياسية».
(٥) راجع خطاب نصر الله بتاريخ ١٠ تموز/ يوليو ٢٠٠١، جريدة السفير، ١١ تموز/ يوليو ٢٠٠١.
(٦) صحيفة دايلي ستار Daily Star، ٥ شباط/ فبراير ٢٠٠٤.

عام والمسيحيين بشكل خاص، حيث وعدهم بتعزيز السلم الأهلي على أساس الإجماع السياسي وبدرء الفتنة الطائفية المقيتة والتبعية الضيقة الآفاق والتعصب. كما دعا حزب الله إلى إزالة بقايا الحرب الأهلية التي اجتاحت لبنان ومواجهة أسبابها ومفاعيلها على نحو موضوعي وبناء ومسؤول، حتى تتحقق العدالة والمساواة بين اللبنانيين. وأضاف الحزب أن بلوغ العدالة والمساواة بين اللبنانيين يشكل إحدى الدعائم الأساسية لتأسيس بلاد مستقرة ومزدهرة يشارك اللبنانيون كلهم في عملية بنائها باندفاع وتضامن على أساس توازن الفرص والتساوي في الحقوق والواجبات السياسية والاقتصادية والاجتماعية(١).

خصص حزب الله «في الآراء والمفاهيم» فقرة منفصلة لحواره مع المسيحيين. وبعد أن كشف حزب الله عن ولائه للإسلام الذي يدعو إلى تأييد القيم الإنسانية ونبذ كافة أشكال التمييز، أكانت عرقية أو طائفية أو فئوية، أعلن حزب الله استعداده ونيته القيام بحوار شامل مع الآخرين يتناول المسائل كافة كالقناعات والمعتقدات والمناهج والمواقف السياسية من دون أي عوائق أو ممنوعات. [161]

وشدد الحزب على مصلحته في بلوغ أرضيات مشتركة وتفاهم متبادل مع الآخرين، من دون اللجوء إلى القوة أو الإكراه. فحزب الله يؤمن بالحوار المتواصل دون سواه كأفضل وسيلة لتصحيح الآراء وتوضيح المواقف. أخيراً، شدد حزب الله على أن الحوار يشكل أبرز مرتكزات برنامجه السياسي. فضلاً عن ذلك، قدمت «المفاهيم والآراء» ميزة حزب الله الأساسية في الحوار: اجتثاث الحصرية والغطرسة في الانفعالات الإنسانية وغرس التواضع؛ كما تتضمن هذه الميزة تعزيز التعددية أي الوحدة في التنوع. لهذا السبب تقوم الحكمة على خفض النزاع إذ إن غياب التواصل السليم والفهم أدى إليه كما تبرز الحرب اللبنانية الأهلية. أضاف حزب الله أن الحوار ممكن بين الطوائف الثماني

---

(١) راجع البند الثاني: «تحقيق المساواة وبناء الدولة العادلة».

عشرة التي تشكل النسيج اللبناني[1] على الرغم من اختلاف إيديولوجياتها وعقليتها وفهمها وآرائها وأنظمة إيمانها. وقد شدد الحزب على الحرية والحق والعدالة والأمن والسلام كأهم القيم الإنسانية. وهكذا، لا بد من الانفتاح إذ يحتاج الجميع للانفتاح والعيش في لحظة وعي وديناميكية[2].

شروط حزب الله التشريعية للعمل النيابي والبلدي والحكومي

شددت مقدمة برنامج حزب الله لانتخابات العام ١٩٩٢ النيابية على أن مشاركته في الانتخابات عبر برنامج سياسي شامل تشكل واجباً دينياً وتكليفاً شرعياً[3] أمام الله، وواجباً وطنياً وتعبيراً عن إرادة الشعب. أضاف حزب الله أن مشاركته تعتمد على تشخيص واقعي للمخاطر الواضحة والممكنة وللفرص المتوفرة أمام الإسلاميين لأخذ دور قيادي في معرض تمتين المشروع الإسلامي، انسجاماً مع الشروط التشريعية التي تستند إلى القانون الإسلامي أو الشريعة، وهي بمثابة توجيه ملزم. وعد برنامج الحزب أن عمله في البرلمان سيكون حاسماً في الحفاظ على الدولة وحماية المصالح الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للشعب اللبناني وحاجاته[4]. وقد أعلن مضمون شروط الحزب التشريعية في مؤتمر بلدي في العام ٢٠٠٢ على لسان الحاج محمد رعد وبلال نعيم والشيخ عفيف النابلسي الذين شددوا على الدور الذي تضطلع به الشريعة مقارنة مع القوانين التي لا تندرج في إطارها.

---

(١) فضلاً عن الموارنة، بدأ حزب الله بحوار سياسي مع الوجهاء ورجال الدين المسيحيين من مختلف الطوائف مثل الروم الأرثوذوكس، الروم الكاثوليك، الأرمن، السريان، الآشوريين، إلخ.

(٢) راجع «المقدمة» و«حزب الله والحوار» في «الآراء والمفاهيم».

(٣) كما هو مذكور في الفصل الثاني، مفهوم التكليف مصطلح يُستخدم للموجب القانوني في أصول الفقه الإسلامي.

(٤) عكس مرشحو حزب الله للمناصب في الجهاز الحكومي التوقعات الطموحة في مجال خدمة المصلحة العامة. (راجع مقدمة برنامج حزب الله لانتخابات العام ١٩٩٢). يعتمد حزب الله سياسة مداورة دورية بين كوادره الذين تلقى العدد الأكبر منهم تحصيله العلمي في أوروبا وليس في المدارس والجامعات الإسلامية.

انطلق حزب الله في المؤتمر البلدي الذي عقد في تموز/ يوليو ٢٠٠٢ في تنظيم دراسات مفصلة تتعلق بالضوابط الشرعية للعمل البلدي والقرارات البلدية. وبالمجمل، شرّع حزب الله مشاركته في العملية الانتخابية عبر استخدام المفاهيم القرآنية التالية[١] : [162]

الشورى[٢] والبناءات الإسلامية العصرية كحكومة استشارية ديمقراطية تعكس إرادة الشعب؛ والاجتهاد[٣] كتفسير إسلامي أو تكوين رأي مستقل؛ والاختلاف[٤] والتعابير الإسلامية العصرية كالتعددية؛ والحقوق الشرعية[٥] والمفاهيم الإسلامية العصرية كحقوق الإنسان. وشدد الحزب على أنه على الرغم من أن القرآن والسنة والشريعة تشكل مصادر التشريع وأسسه؛ إلا أنه يمكن اللجوء في بعض المسائل الحياتية إلى مصادر أخرى كالقوانين الوضعية أي القوانين والتشريعات الإيجابية التي سنّها الإنسان[٦].

---

(١) أقصد بالمفاهيم القرآنية إما المفاهيم المذكورة صراحةً في القرآن، وإما تلك المنبثقة عن عقيدة قرآنية من خلال الارتباط بالدين أو التفسير الديني والإثبات في القرآن والسنة والشريعة.

(٢) راجع على سبيل المثال: (سورة الشورى، الآية ٣٨) ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، (سورة آل عمران، الآية ١٥٩) و(سورة البقرة، الآية ٢٣٣). يبدو أن حزب الله يفسّر الشورى على أنها نوع من الإجماع مبني عل النسخة الشيعية من الحديث: «الأئمة معصومون عن الخطأ» عوضاً عن «الأمة معصومة عن الخطأ».

(٣) راجع على سبيل المثال: (سورة آل عمران، الآية ٢٣) و(سورة الشورى، الآية ١٠٥).

(٤) راجع على سبيل المثال (سورة البقرة، الآية ٢١٣)؛ (سورة يونس، الآية ١٩)؛ (سورة المائدة، الآية ٤٨)؛ و(سورة السجدة، الآية ٢٥).

(٥) راجع على سبيل المثال (سورة الأنفال، الآية ٤١)؛ (سورة المزمل، الآية ٢٠)؛ (سورة البقرة، الآية ٢٧٧)؛ (سورة الشورى، الآية ١٧٢)؛ (سورة المائدة، الآية ١٢)؛ و(سورة الحج، الآية ٤١).

(٦) راجع مؤتمر البلديات الأول، ص. ١٦ وما بعدها. كذلك الحاج محمد رعد ود. علي فياض شرحا لي المفاهيم المشار إليها أعلاه في سياق مقابلات شخصية أجريتها معهما في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠١. راجع محمد جواد مغنية، «علم أصول الفقه في ثوبه الجديد». بيروت: دار التيار الجديد، ١٩٨٨، تحديداً ص. ٢٢٥- ٢٣٢؛ ٣٦٣ - ٣٦٥. راجع أحمد س. موصلي، البحث الإسلامي عن الديموقراطية والتعددية وحقوق الإنسان The Islamic Quest for Democracy, Pluralism, and Human Rights. غينسفيل - Gainesville فلوريدا: منشورات جامعة فلوريدا، ٢٠٠١.

تعليقاً على ما سبق، يؤكد الحاج محمد رعد على أن ما من نزاع بين هوية حزب الله الإسلامية وعمله الانتخابي إذ لا توجد عملياً أي صعوبة كبيرة بينهما، ويعود السبب في ذلك إلى أن جذور التشريع المدني أو التشريع الوضعي مشتقة من التشريع الديني الفقهي على الرغم من احتمال اختلاف تطبيقاتها. ويضيف رعد أن حزب الله يستند على القاعدة التالية: ما يقع في نطاق الحرام الشرعي، يسعى حزب الله للابتعاد عنه أو يقف في طريقه؛ وما يقف في تعارض حاد مع الحلال الشرعي، يحاول حزب الله إجهاضه أو تذليله؛ وما يقع في نطاق المباح، يسعى حزب الله جهده لإيجاد أفضل تطبيق عادل له تماشياً مع رؤياه الدينية. ويشرح رعد أنه فيما يتفاعل حزب الله مع مجموعات أخرى تشكل المجتمع اللبناني، يدخل حزب الله في عمله البرلماني في مفاوضات ومساومات فيقدم تسويات عندما يواجه مشروع قرار قد يشكل ضرراً خطيراً على رؤياه الدينية والأخلاقية. ويضيف رعد أنه بحسب شروط اللعبة الديمقراطية، لربما لم يتمكن نواب حزب الله من إجهاض مسودة التشريع إلا عبر التصويت لأخرى تعتبر أقل ضرراً على الرغم من عدم تمكن نواب الحزب أحياناً من القيام بذلك. وبالتالي، بحسب رعد، يرتكز عمل حزب الله النيابي على مبدأين أساسيين: أولاً تتقدم عملية إبقاء المفاسد بعيداً عملية عرض المصالح؛ ثانياً، المواجهة بين الأكثر ضرراً والأقل ضرراً. تماشياً مع الاجتهاد، يختم رعد أن المبادئ الفقهية التي تشكل أسس التشريع المدني تجيز هامشاً كبيراً من التحرك للتأثير على التشريعات والقرارات[1].

بدوره، يشدد بلال نعيم على أن ما يميز الإسلام عن الديانات الأخرى هو أنه نظام تشريع شامل يغطي أوجه الحياة كلها[2]، ويعمل على إثبات خطأ

---

(١) مقابلة أجراها فضيل م. أبو النصر بتاريخ ٢٤ نيسان/أبريل ٢٠٠٢، كما جاء في كتابه المعنون حزب الله: حقائق...، ص. ١٣٢ - ١٣٣.

(٢) بلال نعيم، «الإسلام في شموليته التشريعية». جريدة الانتقاد، العدد ١٠٦٥ (٩ تموز/يوليو ٢٠٠٤).

الاعتبارات التي تقول إن التشريع الإسلامي يفشل في توجيه الحياة العصرية، [163] ولا يملك المرونة الضرورية للتعامل مع تقدم الإنسان بل يواجه العموميات ليس إلا ويفشل في التعامل مع الخصوصيات الأساسية المتعلقة بضرورات الإنسان واحتياجاته. ويشدد نعيم على أن الإسلام هو دين الحاكمية أي حكم الله؛ إنه الدين الذي يدير الحياة اليومية ويوجهها؛ وهو دين يملك كافة التشريعات الضرورية لتنفيذ ذلك؛ وهو دين يتحلى بما يكفي من الانسجام والثبات حتى يحافظ على هويته؛ ودين يتصف بالمرونة التي تجعل حياة الناس أسهل. يوضح نعيم أن الإسلام قد واجه في تشريعاته الثابتة المزاج الإنساني الطبيعي الثابت(١). يتصل هذا الفرع من التشريع بالمصالح والمفاسد الأبدية التي وحده الله يعلم بها. لهذا السبب يصعب على العقل الإنساني التطفل في هذه التشريعات. ويضيف نعيم أن الإسلام في تشريعاته المتحركة ركز على المصالح والمفاسد الزمنية ـ الأبدية التي يمكن للعقل البشري اكتشافها (الاجتهاد) أي ما يقيّمه العقل استناداً إلى معرفته الخير والشر... وإذا ما قام العقل بدوره وأصدر التشريعات اللازمة والتزم بها، فكأن العقل قد طبّق جزءاً من التشريعات الإسلامية الإلهية. بحسب القوانين، فإن الشخص الذي يقوم بذلك، يتلقى حصته من الالتزام كما أمر الله، حتى لو كان غير مسلم. ويختم أن الإشكالية تكمن في الممارسة وليس في النظرية لأن الإسلام يتميز بمشروع حضاري شامل يطال كافة أوجه الحياة الإنسانية وهو بالتالي شمولي في توجهه(٢).

منح رئيس علماء الدين الشيعة في جبل عامل الشيخ عفيف النابلسي حزب الله الموافقة الدينية وشرّع له مشاركته في الحكومة اللبنانية، مجادلاً من وجهة نظر سياسية أنه ثمة حكمة ومصلحة توجب على حزب الله المشاركة على أساس قواعد الفقه الإسلامي التي تفيد بأن «الضرورات تبيح المحظورات» و«ما لا

---

(١) يؤكد حزب الله على أن لدى كل إنسان استعداداً طبيعياً لعبادة الإله أو الله. وتهدف دعوة حزب الله الإسلامية إلى تحفيز هذا العنصر في الطبيعة البشرية.

(٢) بلال نعيم، في المرجع المذكور آنفاً.

يُدرك كله، لا يُترَكُ جُلّه». بحسب الشيخ النابلسي، فإن الوضع السياسي الراهن ينزع أي محظورات على مشاركة حزب الله إذ إن أحد معتقدات مقاصد الشريعة ينصّ على حماية المقاومة كنتيجة طبيعية لحماية القانون والنظام في المجتمع اللبناني. ويضيف أن حماية القانون والنظام يشكل تكليفاً شرعياً بغية الحؤول دون وقوع الفوضى والفتن ومنعها من تمزيق المجتمع اللبناني وصدّ إسرائيل عن مهاجمة لبنان(١). كما يضيف الشيخ النابلسي أن المقاومة وسلاحها يشكلان ضرورة وجودية للبنان فضلاً عن كونهما ضرورة استراتيجية مرتبطة بأمنه القومي(٢). [164] يستحق برنامج حزب الله السياسي فضلاً عن استخدام نعيم قاسم ومحمد رعد وبلال نعيم وعفيف النابلسي لمبدأ المصالح والمفاسد بغية تسويغ المشاركة في العمليات الانتخابية والديمقراطية بعض الشروحات. باختصار، لقد تطورت نظريات الفقه الإسلامية في مراحل ثلاث أساسية: أولاً، من أصول الفقه؛ ثانياً إلى قواعد الفقه؛ وصولاً إلى مقاصد الشريعة(٣). يشدد حزب الله على المرحلة الثانية ويلمّح إلى الثالثة.

١ ـ تتعلق أصول الفقه بالمنهجية المتبعة لانتزاع القانون من مصادر السلطة. يتعلق الأمر بالطريقة التي يحاول فيها عالم الدين فهم النص.

٢ ـ تشكل قواعد الفقه أصولاً براغماتية يرجع إليها علماء الدين عندما يريدون تبرير السلطة. وهي براغماتية، لا بل مغالية في البراغماتية كما أراها لأنها تمنح إطار عمل يمكن استخدامه لمواجهة مختلف الأوضاع بأسلوب مرن. كما تعتبر أصولاً بمعنى توظيفها لتبرير السلطة. باختصار، تستند أحكام قواعد الفقه الإسلامي على البراغماتية. وبالتالي، فهي تشكل

---

(١) جريدة السفير، ٧ حزيران/ يونيو ٢٠٠٥.

(٢) الوكالة اللبنانية الوطنية للأنباء، ١٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٥.

(٣) راجع على سبيل المثال كتابَي الشهيد مرتضى مطهّري: دور العقل في الاجتهاد The Role of Reason in Ijtihad على الموقع الإلكتروني ودور الاجتهاد في التشريع The Role of Ijtihad in Legislation على الموقع الإلكتروني. راجع أيضاً مغنية، في المرجع المذكور آنفاً.

جسراً بين السياسة والدين. إليكم بعض قواعد الفقه الإسلامي التي سمعتها خلال عملي الميداني أو صادفتها لدى قراءتي خطاب حزب الله: (أ) «المشقة تجري بالتيسير»؛ «الضرورة تبيح المحظورات» المستندة على الآية ١٧٣ من سورة البقرة؛ (ب) «ما لا يُدرَك كله، لا يُترَك حلُّه» وتعني مواجهة الكل للعدم. (ج) «للأمور مقاصدها»، استناداً إلى النية التي لا بد وأن تتماشى مع أفعال الفرد. (د) قاعدة التزاحم: «إذا تزاحم أمران واجبان، فيجب تقديم الأهم على المهم، والمهم على الأقل إلحاحاً». غير أن أبرز قاعدة ـ التي استخدمها كل من نعيم قاسم ومحمد رعد وبلال نعيم ـ هي أن «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح». هذا ما يعنون به عندما يشيرون إلى المصالح والمفاسد. [165]

٣ ـ ترتكز مقاصد الشريعة على الحقوق التالية الطبيعية وغير القابلة للتحويل فضلاً عن لوازمها: (أ) حفظ العقل؛ (ب) حفظ النفس؛ (ج) حفظ النسل؛ (د) حفظ الدين؛ (هـ) وحفظ المال. بحسب مقاصد الشريعة، فإن الشريعة قد ظهرت للبشر بسبب المصلحة في إعادة تفسير القانون. وعلى الأرجح فإن حزب الله بإشارته إلى الحقوق الشرعية كحقوق الإنسان، فهو يشير إليها من موقف مقاصد الشريعة التي تشكل تفسيراً ليبرالياً. فمقاصد الشريعة باستنادها إلى تفسير إنساني للشريعة، تتوجه أكثر إلى مصلحة الإنسان فتجيز بالتالي الانخراط في الممارسات الديمقراطية وتدعو إلى دعم حقوق الإنسان.

برنامج حزب الله الاجتماعي ـ الاقتصادي: المنظمات غير الحكومية والمؤسسات المدنية التابعة له:

ثمة بند أساسي آخر في برنامج حزب الله الانتخابي وهو التزامه ببرنامج اجتماعي اقتصادي شامل[1]. فقد بقيت رؤيا حزب الله الاجتماعية الاقتصادية في

---

(١) راجع سعد ـ غريّب التي تؤكد على أن إيديولوجيا حزب الله وبرنامجه السياسي لا يتضمنان برنامجاً اجتماعياً اقتصادياً. في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٩٦، الملاحظة ٢.

العام ١٩٩٢ مبهمة إذ إن هدفه الأساسي كان حماية المقاومة الإسلامية. وبالتالي لم يتطرّق إلا إلى بعض التدابير السياسية التي تعنى بالإصلاح الإداري وتعزيز الخدمات الاجتماعية والتربوية. في العام ١٩٩٦، أعد حزب الله لائحة بسلسلة أفكار اجتماعية واقتصادية من دون تطوير خط سياسي واضح. غير أن التغيير المهم وقع في العام ٢٠٠٠ عندما تركز برنامج حزب الله الانتخابي كله على المسائل الاجتماعية الاقتصادية إذ إن الانسحاب الإسرائيلي قد فرض تغييراً في الأولويات والاستراتيجيات(١). استمر هذا النهج مع برنامج نصرالله السياسي الداخلي(٢) للعام ٢٠٠١ وبلغ ذروته في برنامج حزب الله للانتخابات البلدية في العام ٢٠٠٤ و«وثيقة العمل»(٣) التي أصدرتها في آب/أغسطس ٢٠٠٤ وحدة العمال والنقابات المركزية(٤).

شدد حزب الله على أن إيجاد حل بنّاء للمشكلة الاجتماعية الاقتصادية يتطلب بذل جهود استثنائية تهدف إلى إعداد خطة اقتصادية إصلاحية شاملة وتنفيذها. وقد أشار حزب الله إلى العناصر والأولويات والنقاط التي شدد عليها في برنامجه الاجتماعي الاقتصادي، فضلاً عن الإصلاحات السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية للقضاء على الفساد وعدم الفاعلية والهدر والبيروقراطية والمفاضلة والمحاباة واستبدال نظام الفساد (المحاصصة) بنظام الجدارة المرتكز على الوظيفة الاقتصادية والتخصص والشفافية والمحاسبة. [166]

---

(١) راجع الملحق ب.

(٢) قناة تلفزيون المنار وإذاعة النور، ١٠ تموز/يوليو ٢٠٠١؛ جريدة السفير، ١١ تموز/يوليو ٢٠٠١.

(٣) تعقد سنوياً حوزات منتظمة بغية دراسة وتقييم الوضع الاجتماعي الاقتصادي، وتصدر توصياتها في وثيقة منشورة.

(٤) انقسمت «وثيقة العمل» إلى قسمين رئيسين. أوصى القسم الأولى بخطة عمل من عشر نقاط الهدف منها العمل بشكل بناء على تلطيف حدة الأوضاع الاجتماعية الاقتصادية، في حين نص القسم الثاني على استراتيجية من عشر نقاط موجّهة نحو إيجاد حلول بنّاءة لمطالب العمال والنقابات. راجع جريدة الانتقاد، العدد ١٠٧٤ (١٠ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٤).

والأهم من ذلك، فقد حث حزب الله الدولة اللبنانية على التركيز على تشجيع الموارد البشرية أي النظر إلى جرح البشر وليس الحجر من خلال إعداد أسس علمية لبرنامج اجتماعي اقتصادي شامل يهدف إلى اجتثاث الفقر عبر تحفيز قطاعات الإنتاج وحماية الموارد الطبيعية وقدرات الدولة ومواصلة التنمية المتوازنة وإنجاز العدالة الاجتماعية وتحسين اهتمام الدولة بمواطنيها[١].

نظر كوادر حزب الله إلى الانتخابات البلدية على أنها حدث اجتماعي اقتصادي بامتياز. شدد قاسم على أن الانتخابات البلدية هي استحقاق تنموي اجتماعي اقتصادي بنكهة سياسية[٢]. أما السيد هاشم صفي الدين فقد ذكر أن الأمة ترفع فخرها وشرفها وكرامتها عبر المشاركة في الانتخابات البلدية التي أدت إلى مجالس بلدية (سيطر عليها حزب الله) تعمل على مستوى الصناعة لتحسين الظروف الاجتماعية الاقتصادية للبنانيين[٣]. أخيراً، شدد برنامج حزب الله للانتخابات البرلمانية للعام ٢٠٠٥ على الحاجة لإعداد برنامج اجتماعي اقتصادي شامل يهدف إلى اجتثاث الفقر عبر تحفيز قطاعات الإنتاج كالزراعة والصناعة والتجارة التي من شأنها أن تؤمن خدمات أساسية للمواطنين اللبنانيين.

فرض الواجب الإنساني الذي يستمد حزب الله شرعيته من القرآن عليه أن

---

(١) راجع على سبيل المثال خطاب نصر الله في حفل تكريم المجالس البلدية والمخاتير في الجنوب، ٣٠ حزيران/ يونيو ٢٠٠٤.

(٢) راجع إذاعة النور، أخبار الساعة الخامسة بتوقيت غرينيتش، ٥ نيسان/ أبريل ٢٠٠٤.

(٣) إذاعة النور، أخبار الساعة الخامسة بتوقيت غرينيتش، ٢٢ أيار/ مايو ٢٠٠٤. استطاع حزب الله أن يبني منظمة فعالة ومسؤولة تلبي الكثير من حاجات مكوّناتها وتتفادى في الوقت نفسه وصمة الفساد التي أُلصقت بالنظام السياسي اللبناني ومؤسساته ككل. وإذ كان حزب الله يدرك أن الدين العام في لبنان بلغ ٣٥ مليار دولار أميركي بحلول حزيران/ يونيو ٢٠٠٤، ويُتوقع - بحسب رئيس مجلس الوزراء الراحل رفيق الحريري - أن يبلغ ٤٥ مليار دولار أميركي في العام ٢٠٠٧، بدا أن جدول الأعمال الاجتماعي الاقتصادي بات يشكل الميزة الأبرز في برنامجه السياسي بعد الانسحاب الإسرائيلي في أيار/ مايو العام ٢٠٠٠. وجدير بالذكر أن الوضع الاقتصادي متعثر جداً إلى حد أن العديد من الشبان، ومعظمهم من الذكور، إما يهاجرون وإما يعملون في الخارج.

يواجه المفاعيل السلبية «للاستهلاك المقيت»[1] عبر استهداف المحيط ودعم حقوق الإنسان.

أدان حزب الله إهمال الحكومة اللبنانية تنفيذ واجباتها الإنسانية والاجتماعية الاقتصادية تجاه مواطنيها[2]. بحسب الحاج حسين شامي، فبينما واصلت الحكومة اللبنانية سياسة الاستهلاك المقيت مركزة على «الوسط»، انطلق حزب الله في تطبيق نظام التبادل وإعادة التوزيع مستهدفاً الضواحي المحرومة[3]. وأضاف أن الحكومة اللبنانية انخرطت تاريخياً في مشاريع تحديث وخطط تنموية مركزة على الوسط مثل بيروت وجبل لبنان وتجاهلت الضواحي التي تشكل ضاحية بيروت الجنوبية والمناطق المحرومة مثل الشمال والجنوب والبقاع. وشدد شامي على أن الهدف الذي يسعى إليه حزب الله وراء منظماته غير الحكومية ومؤسساته الاجتماعية وبرامجه الخيرية هو قلب هذا الميل والضغط على الحكومة عبر البرلمان لاتخاذ تدابير بناءة من شأنها أن تزيل التنمية غير المتوازنة[4].

تماشياً مع برنامجه السياسي حيث افتخر حزب الله بمنحه خدماته البشرية

---

(١) يُقصد بالاستهلاك المقيت «مصطلح ثورستاين فيبلن Thorstein Veblen للإشارة إلى التحول من الأخلاقيات البروتستانتية إلى الرغبة الشديدة في التبجّح بالثراء عبر الإسراف في استهلاك السلع». جايمس أم هانسلين James M. Henslin، علم الاجتماع: مقاربة واقعية Sociology: A Down-To-Earth Approach. نيويورك: آلن Allyn وبايكن Bacon، ٢٠٠٣ ص. ٤١١. راجع ثورستاين فيبلن Thorstein Veblen، نظرية طبقة الرفاهية The Theory of the Leisure Class. نيويورك: ماكميلان Macmillan، ١٩١٢.

(٢) راجع القسم المعنون «حزب الله وحقوق الإنسان» في «الآراء والمفاهيم».

(٣) راجع بيتر بورك Peter Burke التاريخ والنظرية الاجتماعية History and Social Theory. نيويورك: منشورات جامعة كورنل Cornell University Press، ١٩٩٢؛ ريتشارد بولييه Richard Bulliet الإسلام: المشهد من التخوم Islam: The View from the Edge. نيويورك: منشورات جامعة كولومبيا، ١٩٩٤.

(٤) الحاج حسين شامي كان الرئيس السابق لمؤسسات حزب الله الاجتماعية، وهو الرئيس الحالي لجمعية دعم المقاومة الإسلامية. راجع «حزب الله إن حكى»، الحريات، العدد ٩ (خريف ١٩٩٧)، ص. ٣٤ - ٤١. بيروت: مركز البحوث والتطوير.

إلى اللبنانيين في مختلف المناطق الجغرافية[١] من دون أي تمييز، ولا سيما في الضواحي، شدد شامي على أن خدمات الحزب الاجتماعية والإنسانية ليست محصورة بالشيعة أو المسلمين؛ بل يستفيد الكثير من المسيحيين من مختلف الأطياف من هذه الخدمات[٢]. [167]

وبالتالي فإن عائلة شهيد لبنان تعتبر من مسؤولية حزب الله بغضّ النظر عن انتمائها الديني[٣]. تماشياً مع شامي، يشدد الحاج عماد فقيه على أن الإنسان يحصل على نصيبه بحسب إنسانيته، الحق الذي يمكله كونه إنساناً بغض النظر عن معتقداته السياسية أو الدينية. ويشير فقيه إلى أن منظمات حزب الله غير الحكومية تقدم خدماتها من دون أي تمييز للشعب من دون الطموح للحصول على أي مكسب أو الضغط لانتخاب ممثليه. كما يؤكد أن الحزب يمتلك قاعدة اجتماعية قوية وهو يستثمر شرعيته في تأسيس العدالة الاجتماعية. ويضيف فقيه أن هذه هي الرؤيا الحقيقية للحياة الإنسانية التي يهدف إليها حزب الله ويطمح لها حتى يتمكن كل شخص من تحقيقها[٤].

تماشياً مع انفتاحه، يشدد حزب الله ويتعامل مع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية كلها تقريباً وبالتالي فهو شمولي في توجهه. في الواقع، أنجزت منظمات الحزب غير الحكومية ومؤسساته المدنية العديد من الخدمات بعضها ترميم المباني المتضررة وتقديم النصائح الزراعية وتأمين المنافع مقابل مبالغ زهيدة وأحياناً مجاناً، وتقديم العناية الصحية والاستشفاء وتأمين التعليم الابتدائي والمتوسط وتقديم المنح للتلاميذ المعوزين لإكمال تعليمهم الجامعي، فضلاً عن مدِّهم بالتوجيه المهني والإرشاد وتأمين المياه العذبة

---

(١) راجع القسم المعنون «حزب الله وحقوق الإنسان» في «الآراء والمفاهيم».

(٢) ساهم حزب الله بفعالية في تقديم مساعدات إنسانية للمواطنين في مختلف المناطق اللبنانية من دون تمييز بين مواطن وآخر، أو بين طائفة وأخرى.

(٣) شامي، حزب الله إن حكى.

(٤) مقابلة شخصية، ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٤.

للمناطق المحرومة منها[١]. لتوسيع قاعدة دعمه بين الشعب، بنى حزب الله شبكة بنى تحتية ومؤسسات مدنية ومنظمات غير حكومية ورعاية اجتماعية تتطرق لأوجه الحياة كافة[٢]. بالإضافة إلى ذلك، ثمة برامج توأمة فاعلة مع إيران وبعض مؤسسات حزب الله تشكل نسخة عن المؤسسات الإيرانية. وقد حظيت برامج التعليم والاستشفاء والرعاية باهتمام خاص حيث تم تسليط الضوء على دور المرأة في القطاع العام في تقليد للتجربة الإيرانية[٣].

شدد حزب الله على أنه يناضل لتقديم الإسلام على أنه حامي الحقوق الشرعية فيحدد الخيارات ويتبنى القناعات ويحركها بما يتماشى وبرنامجه الاجتماعي الاقتصادي. أضاف حزب الله أنه اختار تشكيل قوة ضغط سياسية في التربية والتعليم والرعاية الطبية إلى منافع اجتماعية اقتصادية أخرى تؤكد عليها الشرعية الدولية لحقوق الإنسان[٤]. ويشدد الحاج شامي على أن المنظمات غير الحكومية التابعة لحزب الله تستهدف الطبقات المحرومة بشكل خاص فتطور

---

(١) عماد فقيه يعمل مهندساً وهو ابن عم نصر الله من الدرجة الثانية، هو مسؤول العلاقات العامة والرخاء الاجتماعي في «مجمّع خاتم الأنبياء» التابع لحزب الله في النويري - الباشورة، المنطقة التي يسكنها عدد كبير جداً من المواطنين السنة في بيروت.

(٢) راجع القسم المعنون «حزب الله وحقوق الإنسان» في «الآراء والمفاهيم».

(٣) في ما يلي بعض من مؤسسات حزب الله المدنية والمنظمات غير الحكومية التابعة له: جمعية مؤسسة القرض الحسن، تأسست سنة ١٩٨٢؛ مؤسسة الشهيد، تأسست سنة ١٩٨٢؛ جمعية الهيئة الصحية الإسلامية، تأسست سنة ١٩٨٤، جمعية مؤسسة جهاد البناء الإنمائية، تأسست سنة ١٩٨٤؛ جريدة العهد (الصحيفة الأسبوعية الناطقة باسم حزب الله)، تأسست سنة ١٩٨٤، وتغيّر اسمها إلى الانتقاد في العام ٢٠٠١؛ جمعية لجنة الإمداد الخيرية الإسلامية (جمعية لجنة الإمام الخميني للإمداد)، تأسست سنة ١٩٨٧؛ المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق (مجموعة الخبراء لدى حزب الله)، تأسس سنة ١٩٨٨، إذاعة النور، تأسست سنة ١٩٨٨. (في تشرين الثاني/ نوفمبر العام ٢٠٠٤، أصبح البث الفضائي لإذاعة النور يغطي سائر أنحاء العالم)؛ مؤسسة الجرحى، تأسست سنة ١٩٩٠؛ المؤسسة التربوية، تأسست سنة ١٩٩١؛ قناة تلفزيون المنار، تأسست سنة ١٩٩١. (في أيلول/ سبتمبر العام ٢٠٠٠، وفي أعقاب الانتفاضة الفلسطينية الثانية، بدأت قناة تلفزيون المنار بالبث الفضائي)؛ إلخ.

(٤) طلال سلمان، سيرة ذاتية لحركة مقاومة عربية منتصرة: حزب الله. بيروت: السفير، ٢٠٠٠، ص. ١٢.

نظام رعاية متكامل يمزج بين التجربة الديمقراطية والاجتماعية والعقيدة الإسلامية للحقوق الشرعية(١) القائمة على الزكاة والخمس التي تشكل واجباً على كل مؤمن. في هذا الصدد، يستشهد فقيه بالإمام موسى الصدر الذي يرى أن الشيعة لو نفذوا كلهم واجب الخمس، لتمّ اجتثاث الفقر من المجتمع الشيعي في لبنان. [168]

بحسب فقيه، هذه هي العدالة الاجتماعية لأنها تصون كرامة الفقراء والمضطهدين وإنسانيتهم. ويضيف أن للفقراء حاجاتهم الخاصة التي يجب تلبيتها من الأغنياء وهذا ما يسعى حزب الله للقيام به في إطار الحقوق الشرعية(٢). يضيف كل من شامي وفقيه أن حزب الله لا يفرض ممنوعات على التعاون مع منظمات الرعاية التطوعية ومنظمات التنمية؛ بل يبتعد عن تلك التي تهدد مقاومته الإسلامية أو تستهدفها(٣). من هذا المنظور، أفاد حزب الله في برنامجه للانتخابات البلدية في العام ٢٠٠٤ أنه لم يتعاون وينسق مع المنظمات المحلية غير الحكومية ومنظمات المجتمع المدني وحسب بل مع الجمعيات الدولية المعنية والمنظمات الإقليمية والدولية كاليونسف وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية(٤).

شرّع حزب الله واجباته الإنسانية استناداً إلى آية قرآنية تجمع ما بين الحاجة إلى أعمال جيدة وخيرية في الحياة: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (سورة القصص، الآية ٧٦)(٥). يعتبر برنامج حزب الله

(١) هلا جابر تسمّيها «ضرائب دينية». جابر، حزب الله: مولودون بقوة Hezbollah: Born with a Vengeance، ص. ١٥١؛ يفضل الكاتب تسميتها «هبات دينية».

(٢) مقابلة مع فقيه، ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٤.

(٣) شامي، حزب الله إن حكى، مقابلة مع فقيه، ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٤.

(٤) راجع «الملحق ج»، القسم ٥ والقسم ٧.

(٥) يعلّق يوسف علي على الآية مؤكداً على أنها تعني «أنفق ثروتك على الإحسان وأعمال الخير. فالله هو من أعطاك إياها، ويجدر بك أن تنفقها في سبيل الله. ولا يجدر بك أن تنسى =

السياسي أن خدمة الشعب وصون حقوقه ودعم مصالحه وبذل الجهد لتحقيق التنمية الاقتصادية التي تمنح المواطنين حياة كريمة ومشرفة[١] إنما تشكل واجباً دينياً.

يستلهم حزب الله برنامجه الاجتماعي الاقتصادي ومنظماته غير الحكومية من مُثُل العدالة الاجتماعية نفسها. فقد شدد برنامج حزب الله السياسي على الجهد المنسجم بين هوية المقاومة من جهة عمله الاجتماعي الاقتصادي والفكري والثقافي من جهة أخرى[٢]. يسلط الحاج عماد فقيه الضوء على أهمية العدالة الاجتماعية مشدداً على أن حزب الله ليس حزباً عسكرياً وحسب[٣]؛ بل يملك بعداً إنسانياً. ويضيف أن حزب الله قد أُجبر على تحرير الأرض اللبنانية المحتلة في إطار مشروع إنساني شامل يحمل راية الإسلام[٤]. وينظر فقيه إلى النصر العسكري على إسرائيل على أنه خطوة باتجاه إرساء العدالة الاجتماعية[٥].

= الحاجات المشروعة في الحياة، كما يفعل البخلاء، بل إن معظم الناس يصبحون بخلاء عندما يفكرون حصرياً بثرواتهم. وإذا لم يتم استخدام الثروة بشكل صحيح، فتنشأ عن ذلك ثلاثة شرور هي: (١) قد يصير صاحبها بخيلاً وينسى كل المتطلبات المحقة له ومن أجله؛ (٢) قد ينسى الحاجات الأعلى للفقراء والمحتاجين، أو القضايا الحسنة التي تستوجب دعمه؛ و(٣) قد لا يحسن الإنفاق في بعض المناسبات ويتسبب بأذى وضرر كبيرين». القرآن الكريم...، ص. ١٠٢٣.

(١) راجع القسم المعنون «حزب الله وحقوق الإنسان» في «الآراء والمفاهيم».

(٢) تتردد هنا أصداء التصريح الهام للسيد عباس: «سنحارب الحرمان كما نحارب الاحتلال». وتجدر الإشارة إلى ان السيد إبراهيم أمين السيد، رئيس المجلس السياسي في حزب الله، وفي سياق الدعوة إلى مؤتمرات اقتصادية متفرقة، صرّح مراراً وتكراراً بالحاجة إلى التخفيف من حدة «التصحّر السياسي» وأيضاً مشكلة الحياة السياسية والحزبية في لبنان. راجع للاطلاع على المؤتمرات وورش العمل التي نظمها حزب الله حول المسائل الداخلية والقضايا الاجتماعية الاقتصادية.

(٣) يقصد أن حزب الله لم ينشأ فقط لتخليص لبنان من الاحتلال الإسرائيلي.

(٤) شدد فقيه على أن إرادة حزب الله وعزمه وتوكّله على الله كانت وراء تحقيق هذا «النصر الإلهي» على القوات الإسرائيلية المحتلة للبنان. وبالتالي، إذ رفع حزب الله راية الإسلام، تعامل مع العامة والعالم لما فيه مصلحة الشعب و«الرسالة».

(٥) مقابلة شخصية، ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٤.

حزب الله كحزب وطني لبناني سياسي (اللبننة)

يؤكد كوادر حزب الله أن الحزب لم يشارك يوماً في الحرب الأهلية اللبنانية[١]. ويشيرون إلى أن الحزب لم يفرض أبداً (بالقوة) أفكاره وآراءه أو إيديولوجيته الدينية السياسية وبرنامجه السياسي على أي شخص؛ بل على العكس، [169] لطالما احترم الحزب آراء الآخرين ومعتقداتهم وأفكارهم[٢]. وقد صرح حزب الله مراراً أنه يرفض أن يكون بديلاً اجتماعياً أو سياسياً أو أمنياً للدولة اللبنانية ومؤسساتها لذا عمل ضمن حدود الدولة اللبنانية الضيقة بدل أن يطمح إلى تشكيل دولة ضمن الدولة[٣].

ويشير حزب الله إلى أنه ليس حركة إسلامية وحسب، بل حزب وطني لبناني سياسي. وقد وصف برنامج حزب الله السياسي الحزب على أنه أبرز الأحزاب السياسية اللبنانية الرائدة التي يحتضنها الشعب والحكومة على حد سواء. كما هدف البرنامج إلى تقديم الحزب على أنه حزب سياسي وطني لبناني يرفع واجبه الوطني ويكون في الوقت عينه مخلصاً لهويته الإسلامية[٤].

---

(١) راجع: «لكن من المهم أن نتذكر أن حزب الله لم يتورط يوماً في إنزال «العقاب العادل» بالميليشيات المسيحية ولم يستهدف المدنيين اللبنانيين بالخطف والسيارات المفخخة والقنص كما فعلت معظم الميليشيات الأخرى في وقت من الأوقات». حريك، حزب الله: الوجه المتغيّر للإرهاب Hezbollah: The Changing Face of Terrorism، ص. ٦٧.

(٢) نصر الله ومحمد رعد، كما جاء في برنامج «أحزاب لبنان: حزب الله» الجزء الأول (١٩٧٩ - ١٩٨٩)، الشبكة الوطنية للإرسال أن بي أن NBN، ٢١ تموز/ يوليو ٢٠٠٢.

(٣) خطاب نصر الله بتاريخ ١٠ تموز/ يوليو ٢٠٠١. قناة تلفزيون المنار وإذاعة النور، ١٠ تموز/ يوليو ٢٠٠١؛ جريدة السفير، ١١ تموز/ يوليو ٢٠٠١. راجع أيضاً خطاب نصر الله بتاريخ ٤ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٤، في المرجع المذكور آنفاً. ويوضح الحاج عماد فقيه أن حزب الله يرفض الانخراط في مثل هذه الأعمال والعمل على الأرض لأن هذه الأعمال بكل بساطة ستلوّث الأيادي في النهاية، وهو ما لا يمكن لحزب الله أن يتحمّل حدوثه. (مقابلة شخصية، ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٤).

(٤) على سبيل المثال، راجع «حزب الله، من هو وماذا يريد؟»؛ برنامجه الانتخابي للعام ١٩٩٢، البند الأول: «المقاومة والاحتلال»؛ وبرنامجه الانتخابي للعام ٢٠٠٠، البند الأول: «المقاومة والتحرير».

شدد حزب الله على أنه كان يعمل على حشد نضاله الوطني والديني النبيل من أجل خدمة الحرية والحق والعدالة والسلام في لبنان[١]. يستند الحزب على مسؤولياته الوطنية فيؤكد أن هويته القائمة على المقاومة والنضال ستستمر حتى تحرير كافة الأراضي اللبنانية المحتلة لأنه أخذ على عاتقه واجب الدفاع عن أمن اللبنانيين وسيادتهم وشرفهم وكرامتهم ومصالحهم[٢]. من هذا المنظور، شكل حزب الله السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي في ٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٧ بعد شهرين تقريباً من استشهاد السيد هادي نصرالله، ابن السيد حسن نصرالله في مواجهة مع الجنود الإسرائيليين في جنوب لبنان. أثار استشهاد هادي نصرالله لدى اللبنانيين شعوراً بالوحدة الوطنية حول المقاومة. استند حزب الله على هذا الأمر مؤسساً السرايا اللبنانية التي اجتذبت رداً قوياً من الشباب اللبناني عبر الأطياف المذهبية. فالطبيعة المتعددة الطوائف والمذاهب للسرايا اللبنانية تشهد لمصداقية حزب الله في معرض بذله الجهد للبننة الحزب. تسجل هذه النقلة «لبننة» المقاومة أو انفتاحها[٣]. استغل حزب الله تصنيف الجيش الإسرائيلي لمقاتيليه بـ«مقاتلي الحرية» لينقل لبننته الثابتة[٤]:

---

(١) «الآراء والمفاهيم».

(٢) يستند نصر الله في حجته إلى الموقف الرسمي للحكومة اللبنانية كما نقله مندوب لبنان الدائم لدى الأمم المتحدة بتاريخ ٢ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٤ في أعقاب اعتماد قرار مجلس الأمن في الأمم المتحدة رقم ١٥٥٩ المدعوم من فرنسا والولايات المتحدة، والذي يشير بطريقة غير مباشرة إلى حزب الله باعتباره ميليشيا ويدعو الحكومة اللبنانية إلى حلها ونزع سلاحها. وقد احتج المندوب اللبناني مؤكداً على عدم وجود ميليشيات في لبنان وإنما مقاومة (المقاومة الإسلامية لحزب الله) معترفٌ بها رسمياً تحتضنها الحكومة اللبنانية. راجع خطاب نصر الله بتاريخ ٤ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٤، في المرجع المذكور آنفاً. وقد أُعيد التأكيد على هذه الحجة في البيان السياسي لمجلس الوزراء اللبناني في تموز/يوليو ٢٠٠٥.

(٣) تثبت المؤشرات الاجتماعية السياسية للسرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي طبيعتها الوطنية غير الطائفية. راجع القسم المعنون «تكوين الفرقة اللبنانية المتعددة الطوائف» في الفصل الأول.

(٤) نقلاً عن صحيفة يديعوت أحرونوت Yadi'ot Ahronot، كما جاء في جريدة السفير بتاريخ ١٢ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٥.

«إذا كانت هذه هي شهادة العدو فينا، فمن ذا الذي يجرؤ على سؤالنا عن خلفيتنا الوطنية؟»[١].

شدد خطاب قادة حزب الله على سياسة الانفتاح وعملية اللبننة. في برنامجه السياسي للعام ١٩٩١، قدم الحزب سياسته القائمة على الانفتاح في محاولة منه للانفتاح على مجموعات أخرى تشكل النسيج اللبناني ولا سيما المسيحيين. ومذاك الحين، تم عرض فروقات كثيرة لسياسة الانفتاح أو اللبننة التي ينتهجها حزب الله. فاللبننة تُعرَّف على أنها «مقاربة سياسية تدرس الحركة الإسلامية فيها الظروف السائدة في لبنان فتصوغ استراتيجيتها في هذا الإطار، حيث تسمح ببعض الإجازات وفقاً للظروف اللبنانية الخاصة والحساسيات الطائفية ومنظورها حول المحيط»[٢]. [170]

بشكل عام، يستعمل حزب الله لفظة «انفتاح» أو «لبننة» للتعبير عن خطابه السياسي ومآثره وسياساته في عصر البرنامج السياسي[٣]، أو للدلالة إلى انخراطه في الحياة السياسية الداخلية اللبنانية[٤].

شرح كوادر حزب الله القياديون كيف تعمل سياسة الانفتاح. بما أن العمل في بلد معين يرتبط بخصوصيته وظروفه، يوازن عمل حزب الله بين إسلامية المنهج ولبنانية المواطنة. فحزب الله هو حزب سياسي لبناني بكامل خصوصياته وقادته وكوادره وصفوفه كلهم لبنانيون. في الواقع، يهتم الحزب بما يجري في المجالات الجهادية والسياسية والاجتماعية والثقافية التي تحمل راية الإسلام. ما من تناقض بين الاهتمام لقضايا العالم الإسلامي ومعاناة المضطهدين (أبعاد إقليمية وشاملة) من جهة، والاهتمام بالمسائل الوطنية ـ القومية (البعد الداخلي)

---

(١) نسخت «التعبئة التربوية» في حزب الله عدد جريدة السفير وكتبت الاقتباس المذكور أعلاه في أسفل الصفحة، ووزعته على الكليات والجامعات اللبنانية.

(٢) آية الله فضل الله، مقابلة شخصية، تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٩.

(٣) قاسم، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٩٤، ٣٢٠، ٣٢٧.

(٤) المرجع نفسه، ص. ٢٨٦.

التي من شأنها أن ترفض الظلم والاحتلال، فضلاً عن السعي إلى إنجاز العدالة الاجتماعية والاهتمام بالأولويات والمصالح الداخلية[١].

شدد كوادر آخرون على أن الحزب يحاول في تعامله اليومي مع النسيج اللبناني المحافظة على بعض التوازن بين التزاماته السياسية الوطنية وخلفيته الإسلامية. يفيد حزب الله بما لا رجوع عنه أنه انخرط في مفاوضات ومساومات مبرماً تسويات (حتى بتحالفه مع أعداء إيديولوجيين سابقين) في عمله السياسي، حتى لا تؤذي قراراته السياسية بشكل عام رؤياه الإسلامية والأخلاقية[٢]. يؤكد حزب الله أن هويته الإسلامية تصادق على تأسيس مجتمع مدني تحكمه قيم الديمقراطية والسلم الأهلي والحريات العامة فضلاً عن نظام سياسي ذي وظائف فاعلة[٣]. هذه الأولويات تتماشى مع برنامج الحزب السياسي وعقيدته الإسلامية وتؤدي إلى خدمة المجتمع اللبناني على نطاق أوسع. يدعي حزب الله أن تأسيس مجتمع مدني في لبنان لا يتعارض ومشروعه؛ بل ويتلازم معه لأن أحد أركان الإسلام[٤] يحث على سن قوانين المجتمع المدني[٥].

لأداء حزب الله العملي مضامينه الموضوعية وأسسه ومبادئه التي تجيز الحفاظ على هويته الإسلامية خلال العمل ضمن إطار سيادة الدولة اللبنانية. يشدد حزب الله على أنه لا يجب النظر إلى هذا الأمر على أنه انحراف عن شريعة

---

(١) المرجع نفسه، ص. ٧٧.

(٢) الحاج محمد رعد، مقابلة شخصية، ٣١ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠١. راجع أيضاً المقابلة التي أجراها فضيل أبو النصر بتاريخ ٢٤ نيسان/ أبريل ٢٠٠٢، كما جاء في كتابه المعنون «حزب الله: حقائق. . .»، ص. ١٣٢. راجع أيضاً د. علي فياض الذي استخدم الحجة نفسها في المقابلة التي أجريتها معه في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠١.

(٣) الحاج محمد رعد، الوحدة الإعلامية المركزية في حزب الله، «قراءة بإرشاد بابوي»، ص. ٣٣ - ٣٦. تبرز هذه الأبعاد للمجتمع المدني بوضوح تام أيضاً في سائر برامج حزب الله للانتخابات النيابية.

(٤) كما نص عليه «دستور المدينة».

(٥) راجع مقابلة نصر الله مع جريدة السفير بتاريخ ٢٨ حزيران/ يونيو ٢٠٠٠.

الله إذ إن الحزب يعتبر أن تجربته السياسية في الدائرة الداخلية في لبنان قد أثبتت تماشيها مع الرؤيا الإسلامية في مجتمع متعدد الثقافات والمذاهب والطوائف، في بلد لا يستطيع تحمل الفكر أو الإيديولوجيا الإسلامية(١) كإدارة وتوجه وقناعة أساسية في نظام الحكم(٢). يفيد الحزب أن لبننته تتناغم وهويته الإسلامية. [171]

ويضيف بنوع من البراغماتية أنه ما من اعتراض على الاستفادة من معنوياته ومهاراته واستقامته وأتباعه واستثمار هذه الخصائص في السياسات الداخلية في إطار استقامة الأداء ولياقته(٣).

أخيراً، توضح أمثلة عدة عن بناء الهوية على المستوى الرمزي تضاؤل العناصر المحددة للهوية حيث إن الثقل الأقوى يعود إلى طابع حزب الله الوطني: (أ) بعد التحرير أو شبه الانسحاب الإسرائيلي الكامل من جنوب لبنان في أيار/مايو ٢٠٠٠، تم استبدال الشعار على علم حزب الله «الثورة الإسلامية في لبنان» بـ«المقاومة الإسلامية في لبنان». يؤكد الحاج عماد فقيه أن التغيير قد حصل منذ العام ١٩٩٨ في محاولة للتقارب مع المسيحيين والمجموعات الطائفية الأخرى(٤). (ب) في العام ٢٠٠١، لم تغير صحيفة حزب الله الأسبوعية العهد اسمها إلى «الانتقاد» وحسب، بل غيرت توجهها أيضاً حيث أبرزت صورة «علمانية» بإسقاطها التشريع القرآني (سورة المائدة، الآية ٥٥) على الجهة اليمنى وإزالتها صورة الخميني وخامنئي على الجهة اليسرى. في البداية، كانت وحدها صورة الخميني تبرز؛ لكن بعد مماته، أضيفت صورة خامنئي.

---

(١) أعتقد بأن قاسم يستخدم الكلمة «إيديولوجيا» للإشارة إلى نظام أو قاعدة للعمل السياسي والاجتماعي.

(٢) قاسم، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٣٩ - ٤٠.

(٣) راجع إذاعة النور، أخبار الساعة السادسة بتوقيت غرينيتش، ١٠ شباط/فبراير ٢٠٠٤؛ جريدة السفير، ١٠ شباط/فبراير ٢٠٠٤.

(٤) مقابلة شخصية، ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٤.

أيضاً في البداية كانت السنوات الهجرية تكتب مع ما يعادلها بالتقويم الميلادي. بعد تغيير الاسم، انقلب الاتجاه: برز التقويم الميلادي ثم ما يعادله من تقويم هجري[(١)]. (ج) خلال الانتخابات البلدية في العام ١٩٩٨، أزال حزب الله في الضاحية الجنوبية كافة الرموز الدينية والإيديولوجية، بما فيها الصور والشعارات، من المناطق التي تحيط بمراكز الاقتراع المسيحية بهدف عدم إزعاج المسيحيين أو إخافتهم. وقد تم هذا الأمر من منظور احترام خصوصية المسيحيين المهجرين الذين يتنافسون على المقاعد البلدية. (د) حتى قبل اغتيال الحريري، بدأ حزب الله يصوِّر طابعه الوطني في سياسات الشارع بدل هويته الإيديولوجية ـ الإسلامية. وكمثال على ذلك، أتناول تظاهرات ٣٠ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٤ و٨ آذار/مارس ٢٠٠٥ حيث خرج حزب الله حاملاً الأعلام اللبنانية بدل رفعه أعلامه وراياته وشعاراته الخاصة. وهكذا، يسجل اختفاء رموز هوية حزب الله نصراً مهماً لمنطق العمل ضمن حدود الدولة اللبنانية على منطق الثورة.

موقف حزب الله من سوريا وإيران

من وجهة نظره حول العرب والإسلام، شدد حزب الله في برنامجه السياسي على علاقاته الودية مع سوريا وإيران. في برنامجه الانتخابي للعام ١٩٩٦، اعتبر الحزب أن من أولوياته الحفاظ على علاقات لبنانية ـ سورية جيدة وأخوية كتطبيق عملي لإرث لبنان العربي وهويته وانتمائه وأصالته الثقافية[(٢)]. [172]

نظر حزب الله إلى هذه العلاقات على أنها الحصن المنيع الذي يقف في وجه أي محاولة تهدف إلى عزل لبنان في وجه التحديات الإقليمية. بحسب

---

(١) العدد الأخير من جريدة العهد كان رقمه ٨٩٦، بتاريخ ٦ نيسان - أبريل ٢٠٠١/١٢ محرّم ١٤٢٢ هـ؛ العدد الأول من جريدة الانتقاد كان رقمه ٨٩٧، بتاريخ ٢٠ نيسان - أبريل ٢٠٠١/ ٢٦ محرّم ١٤٢٢ هـ.

(٢) أعاد حزب الله التأكيد على أن لبنان يتميز بالهوية العربية والانتماء العربي. الوحدة الإعلامية المركزية في حزب الله، «قراءة بإرشاد بابوي»، ص. ٢٣.

الحزب، أثبتت السنوات السابقة أن هذه العلاقات تشكل عنصر استقرار في لبنان[١]. في مقدمة برنامجه للانتخابات البرلمانية للعام ٢٠٠٠، شدد حزب الله على أن العلاقات المميزة مع سوريا تشكل عنصر قوة للبنان وسوريا في مواجهة التحديات المتزايدة والضغوط الدولية التي بدأت تمارس ضد البلدين[٢]. حثت المادة الثالثة في برنامج حزب الله للانتخابات النيابية للعام ٢٠٠٥ الحكومة اللبنانية على وضع أسس علمية تنظم علاقة خاصة بين لبنان وسوريا. شدد برنامج حزب الله لانتخابات العام ٢٠٠٠ النيابية على توسيع آفاق العلاقات اللبنانية ـ الإيرانية وشكر الجمهورية الإسلامية في إيران التي لطالما اتخذت موقفاً حازماً في دعمها لبنان[٣].

يؤكد حزب الله أنه حزب لبناني سياسي يستقي شرعيته من نضاله لتحرير الأراضي اللبنانية المحتلة من قبل إسرائيل، ومن دعم الشعب اللبناني وحكومته (داخلياً)، كما أنه يتلقى دعم طرفين إقليميين قويين هما إيران وسوريا (إقليمياً). ويعترف الحزب أن إيران تقدم له المساعدة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية والمادية[٤]. كما يقر حزب الله بأنه يجري مشاورات منتظمة مع إيران وسوريا وأطراف أخرى أساسية، الأمر الذي يجعل أي قرار يتخذه أكثر نضوجاً وحكمة وصواباً[٥]. فلحزب الله، بصفته حزباً سياسياً، صلات داخلية وإقليمية ودولية تتماشى ورؤياه ومصالحه العامة. وهذا الأمر يؤدي إلى نشوء نوع من الانسجام والتنسيق بين لبنان من جهة، وإيران وسوريا من جهة أخرى، ما يمنح حزب الله المساعدة والدعم في حقه الشرعي القائم على المقاومة والتحرير. ويستفيد حزب الله من التقارب الإيجابي للمصالح والاستراتيجيا بين سوريا

(١) راجع البند ٧: «السياسة الخارجية».
(٢) راجع البند ٢: «السياسة اللبنانية الخارجية».
(٣) راجع البند ٢: «السياسة اللبنانية الخارجية».
(٤) راجع مقابلة نصر الله مع محطة الجزيرة الإخبارية بتاريخ ٢٥ أيار/ مايو ٢٠٠٠. عندما بدأ نصر الله زيارته إلى إيران في ٤ تموز/ يوليو ٢٠٠١، تم استقباله باعتباره رئيس دولة.
(٥) راجع مقابلة نصر الله مع جريدة السفير بتاريخ ٢٨ حزيران/ يونيو ٢٠٠٠.

وإيران كي يستعيد الأراضي المحتلة من إسرائيل أكانت لبنانية أو فلسطينية[١]. غير أن التفاصيل تترك ليعالج خصوصياتها اللبنانيون. فحزب الله يتخذ قراراته بمعزل عن إيران وسوريا لأنه لإيران وسوريا قناعاتهما ومسؤولياتهما الخاصة التي يمكن ألا تتفق دائماً مع سياسات حزب الله على صعيد الداخل اللبناني[٢].

أظهر خطاب كوادر حزب الله القياديين شراكة سياسية ـ استراتيجية بين حزب الله وسوريا. قبل الانسحاب السوري، دافع الحزب عن تدخل سوريا «الشرعي» في لبنان مثبتاً أن القوات السورية دخلت لبنان في العام ١٩٧٦ بطلب رسمي من السلطات اللبنانية [173] ومؤكداً على أن الوجود السوري المستمر يجيزه اتفاق الطائف. انتقد حزب الله الدعوات، ولا سيما دعوات المسيحيين، التي طالبت بخروج القوات السورية التي نظروا إليها على أنها تشكل تهديداً للسلم الأهلي. رفض حزب الله بقوة مساواة الوجود السوري «بالاستعمار والاحتلال»، مصنفاً هذا الوجود ضرورياً في أعقاب الاحتلال الإسرائيلي والتهديدات المتواصلة[٣]. تم تلخيص موقف حزب الله الرسمي من العلاقات مع سوريا على لسان عضو المجلس السياسي ومسؤول العلاقات العامة السيد نواف الموسوي الذي اعترف أن لبنان قد استفاد من موقف سوريا من النزاع العربي ـ الإسرائيلي ودعمها حركات المقاومة ضد الاحتلال. وأكد الموسوي أن هذا حصل نظراً لتطابق المصالح بين لبنان وسوريا في القتال ضد الاحتلال الإسرائيلي في جنوب لبنان. على الرغم من أن الموسوي اعترف بأن سوريا قد

---

(١) قاسم، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٧٧.

(٢) مقابلة مع نعيم قاسم، «صالون السبت»، إذاعة صوت لبنان بتاريخ ٢٥ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٣. راجع أيضاً خطاب نصر الله الناري في جنازة ثلاثة «شهداء» من حزب الله استشهدوا وهم يقاتلون القوات الإسرائيلية في بلدة الغجر اللبنانية الحدودية بتاريخ ٢٥ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٥: «نحن متحالفون مع سوريا وإيران انطلاقاً من مصلحة لبنان في تحرير أراضيه المحتلة. لكن أوامر المقاومة الإسلامية تصدر من بيروت». راجع جريدة الانتقاد، العدد ١١٣٨ (٢ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥)، ص. ٧ - ٨.

(٣) الوحدة الإعلامية المركزية في حزب الله، «قراءة بإرشاد بابوي»، ص. ١٣؛ ٣٦.

تكون استفادت من مقاومة الحزب إلا أنه نفى بشدة استخدام سوريا لحزب الله كأداة سياسية لتعزيز مصلحتها الاستراتيجية في استعادة مرتفعات الجولان أو الضغط على إسرائيل والولايات المتحدة عبر دفع حزب الله إلى إشعال الجبهة الشمالية مع إسرائيل(١).

بعد الانسحاب السوري، أكد نواف الموسوي أن حزب الله قرر إشراك نفسه أكثر في الساحة السياسية اللبنانية الداخلية عبر المشاركة في الحكومة اللبنانية غداة قرار الرئيس السوري في ٥ آذار/مارس ٢٠٠٥ سحب جيشه من لبنان. وشرح أن الحزب اتخذ قراره لملء الفراغ الناجم عن الانسحاب السوري ووضع حد لقوى الغرب ولا سيما الولايات المتحدة وفرنسا(٢) من ممارسة تأثيرها على الشؤون الداخلية اللبنانية(٣). كشف قاسم أن الانسحاب السوري فرض تغييراً في تكتيكات حزب الله. وأضاف أن الحزب اتخذ قراراً لا رجوع عنه يقضي بعدم اشتراكه بالحكومة طالما أن السوريين موجودون في لبنان إذ إن وجودهم يمنح حزب الله الحماية السياسية. كما أن التوجه العام في لبنان والتنسيق السوري اللبناني ساعدا في تأمين هذه الحماية. لكن قاسم أضاف أنه بعد الانسحاب السوري شعر حزب الله أنه سيتوجب على الحكومة اللبنانية اتخاذ قرارات سياسية مهمة قد تحمل مفاعيل خطيرة على مستقبل لبنان والمواجهة مع إسرائيل وخصوصية المقاومة. من هذا المنظور، اعتبر حزب الله المشاركة في الحكومة ضرورة «إجرائية وتنفيذية» تقدم للحزب حماية صادقة(٤). من جهته شدد الحاج محمد رعد على أهمية وضع العلاقات اللبنانية السورية على المسار الصحيح على أساس المنفعة والمصلحة المتبادلة بين البلدين خاصة في مجال التنسيق والتلاحم السياسي ـ الاستراتيجي والاقتصادي. [174]

---

(١) راجع «عضو المكتب السياسي يمتدح دور حزب الله» Politburo member lauds Hizbullah's role، جريدة دايلي ستار Daily Star، ١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٣.

(٢) الموسوي يشير إلى قرار الأمم المتحدة رقم ١٥٥٩.

(٣) جريدة دايلي ستار Daily Star، ١٨ حزيران/ يونيو ٢٠٠٥.

(٤) مقابلة مع وكالة رويترز للأنباء كما نقلت جريدة السفير بتاريخ ١٧ آب/ أغسطس ٢٠٠٥.

بالإضافة إلى ذلك، طالب رعد بالتنسيق والتعاون الكامل بين البلدين لردع أي اعتداء إسرائيلي وتدخل أجنبي أو وصاية أو سيطرة على لبنان وسوريا والشرق الأوسط[١]. في المقابل شدد السيد نصرالله على أن العداء لسوريا يضر بالمصالح اللبنانية[٢].

أظهر خطاب كوادر حزب الله القياديين تحالفاً استراتيجياً ـ إيديولوجياً بين الحزب وإيران. بعد وفاة الإمام الخميني، انتقل ولاء حزب الله إيديولوجياً إلى خلفه الإمام خامنئي، الفقيه الرسمي. أفاد حزب الله بما لا رجوع عنه أنه لا ينظر إلى النظام في الجمهورية الإسلامية في إيران على أنه قانون المسلمين كلهم وبالتالي لا يتعين على الحركات الإسلامية كلها الالتزام بأوامر أو توجيهات الفقيه أو النظام[٣]. تُمثَّل قيادة حزب الله بمجلس الشورى[٤] الذي يحصل على شرعيته من الفقيه. وهكذا، يحظى بهامش واسع من الامتيازات والمسؤوليات المناطة التي تسهل أداء واجباته بما يتماشى وهامش فردي محدد ويتناغم مع تقديرات مجلس الشورى حول الأداء التنفيذي الذي يعتبر مفيداً لأهدافه وخط عمله العام[٥].

في أيار/مايو ١٩٩٥ بعد بلوغ خامنئي مستوى مرجع التقليد، سمى السيد حسن نصرالله أميناً عاماً لحزب الله والشيخ محمد يزبك عضو مجلس شورى الحزب، ممثله الخاص في لبنان. منحت هذه الخطوة حزب الله بعض الامتيازات خاصة والمسؤوليات التي تعكس استقلالاً كبيراً في الأداء العملي. وعلى الرغم من أن الفقيه لا يحتاج على صعيد يومي، لأن يراقب أو يبقي عينه

---

(١) راجع الصحف اللبنانية اليومية الصادرة بتاريخ ٨ آب/أغسطس ٢٠٠٥، وجريدة الانتقاد، العدد ١١٢٢ (١٢ آب/أغسطس ٢٠٠٥).

(٢) راجع خطاب نصر الله أمام الهيئة النسائية في حزب الله بمناسبة حفل إفطار نظمته «جمعية دعم المقاومة الإسلامية»، ١٣ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٥.

(٣) راجع برنامج «أحزاب لبنان..»، الشبكة الوطنية للإرسال أن بي أن NBN، الجزء ٣.

(٤) بعد استحداث منصب الأمين العام سنة ١٩٨٩، ترأس الأمين العام مجلس الشورى.

(٥) قاسم أمين، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٧٦.

على حزب الله إلا أن قيادة الحزب تأخذ مبادرة الحصول على إذن الفقيه أو سؤاله عندما تحتاج لمعرفة القرار الشرعي المتعلق بمسألة معينة مثل المشاركة في انتخابات العام ١٩٩٢. كما يستشير حزب الله الفقيه إذا احتاج لأن يعرف شرعية أحد الأفعال لا شرعيته؛ أو إذا كان يواجه مرحلة أساسية أو حاسمة؛ أو إذا كان يواجه مسائل خطيرة قد تؤدي إلى تراجع أو انحراف في أدائه؛ أو إذا كان يطال مبدأً أساسياً(١).

على الرغم من أن القرار الحاسم بالمشاركة في الحكومة اللبنانية يتطلب إيديولوجياً قراراً شرعياً وشرعية من الفقيه، إلا أن حزب الله أمّن للمرة الأولى في تاريخه شرعيته من الشيخ عفيف النابلسي، رئيس جمعية العلماء المسلمين في جبل عامل في جنوب لبنان، وليس من الإمام خامنئي، الأمر الذي يعكس مزيداً من الاستقلالية في اتخاذ القرار. في الواقع، باتت المسائل الإدارية، كمتابعة أدق تفاصيل العمل السياسي اليومي والمسائل الثقافية والاجتماعية [175] وحتى الجهاد ضد المحتل الإسرائيلي، بكل تفاصيله، تدخل في إطار امتيازات ومسؤوليات القيادة المنتخبة والمؤلفة من كوادر حزب الله بما يتماشى وقوانين الحزب الداخلية(٢). وبالتالي، لا يتبع حزب الله بشكل أعمى السياسات الإيرانية ويلتزم بها، لأن الظروف اللبنانية تختلف عن الظروف الإيرانية في أوجه عدة. أما الإسلام فهو كوني؛ إنه ظاهرة عالمية. وعندما يُمارَس هذا الإسلام في إيران، فهو ينتج ديناميكية ويقدم تجربة إيجابية. غير أن حزب الله لا يلتزم بالإسلام على أساس تواجده في إيران وحسب(٣).

بما أن إيران مجبرة وملزمة باتباع توجيهات الإمام الفقيه خامنئي، فقد نتج من هذا الواجب تقارب سهل للمصالح الإيديولوجية والاستراتيجية بين إيران ورؤيا حزب الله حول مشاكل الشرق الأوسط، الأمر الذي أدى بشكل خاص إلى

---

(١) المرجع نفسه، ص. ٧٦.

(٢) نفسه.

(٣) «أحزاب لبنان...»، الشبكة الوطنية للإرسال أن بي أن NBN، ٢١ تموز/يوليو ٢٠٠٢.

دفع هوية حزب الله القائمة على المقاومة. فتقع علاقات حزب الله الإيديولوجية مع مرجع التقليد الرسمي، الإمام الخامنئي والمؤسسات الحكومية الإيرانية التي يسيطر على غالبيتها المحافظون. ولا يشارك حزب الله في النقاشات والديناميكيات الإيرانية الداخلية؛ فما يهم الحزب هو بناء علاقات جيدة مع كل من المحافظين والإصلاحيين، فضلاً عن قطاعات أخرى في إيران تدعم كلها، بحسب الحزب، حقه في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي وتساند كلها مبدأ تحرير الأرض[1]. وهكذا، يؤكد حزب الله أن النقاشات والمشاكل الإيرانية الداخلية لا تنعكس بأي شكل من الأشكال عليه إذ هي شؤون إيرانية داخلية لا يتدخل فيها حزب الله[2]. أيضاً، ما من علاقة بين إدارة شؤون الجمهورية الإسلامية وإدارة حزب الله، إذ لكل منهما خصوصياته وحقوقه. كما يملك كل من حزب الله وإيران رؤى إدارية مختلفة حتى لو كانا يجتمعان على الالتزام بتوجيهات الإمام خامنئي وأوامره[3]. ولا تملي علاقات حزب الله مع إيران أي ضوابط على جدول الأعمال الداخلي والإقليمي والدولي أو على سياساته على هذه الأصعدة. فداخلياً، لا يعيق هذا الالتزام انفتاح حزب الله أو بناءه علاقات مختلفة مع مختلف مؤسسات المجتمع المدني ولا سيما الأحزاب السياسية

---

(١) تقع زيارة خاتمي إلى لبنان في أيار/مايو ٢٠٠٣ في هذا السياق. وقد امتدح خاتمي في خطاباته مقاومة حزب الله الناجحة ضد الاحتلال الإسرائيلي وأثنى على إنجاز حزب الله في أيار/مايو ٢٠٠٠، أي تحرير جنوب لبنان من الاحتلال الإسرائيلي الذي دام اثنين وعشرين عاماً، فحقق إذ ذاك إنجازاً غير مسبوق في الصراع العربي الإسرائيلي. لكن خاتمي لم يركّز فقط على قدرات حزب الله العسكرية، بل دعا الحزب أيضاً، كما فعل في خلال زيارته في العام ١٩٩٧، إلى الاستمرار في سياسة الانفتاح على المجموعات الطائفية المذهبية الأخرى في لبنان وتخريج المفكّرين بموازاة المجاهدين الأحرار. وقد أطلق خاتمي على لبنان اسم أرض الحرية والحوار. والواقع أن موقف خاتمي الإيجابي من لبنان حمل المطران إلياس عودة لكنيسة الروم الأرثوذكس في لبنان على القول إنه لو أحب اللبنانيون كافة لبنان بقدر ما أحبه خاتمي، لما شهد لبنان أياً من الويلات التي هزته. إذاعة النور، أخبار الساعة الخامسة بتوقيت غرينيتش، ١٥ أيار/مايو ٢٠٠٣.

(٢) مقابلة مع قاسم، في المرجع المذكور آنفاً، إذاعة صوت لبنان، ٢٥ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٣.

(٣) قاسم، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٧٧ - ٧٨.

ومجموعات المصالح والمنظمات غير الحكومية. كما لا يتدخل في علاقات حزب الله الإقليمية أو تعاونه على الصعيد الدولي[١].

موقف حزب الله تجاه إسرائيل

يشير حزب الله إلى إسرائيل بـ«الكيان الصهيوني الذي يستند في أساسه على حرب ماكرة واغتصاب للأرض الفلسطينية وشعبها»[٢]. بحسب الحزب، «الكيان الصهيوني باطل؛ إنه المغتصب والقاهر والمحتل والإرهابي والكيان السرطاني الذي لا يملك أي شرعية أو وضعية قانونية على الإطلاق. [176] هذا معتقد راسخ والتزام في المقاومة الإسلامية وسلاحها ورصاصها ودماء مجاهديها: الموت لإسرائيل»[٣]. يشدد حزب الله على هويته كحركة جهادية إسلامية ضد «الكيان الصهيوني» إذ إن أسس الحزب العقائدية على المستوى الوجودي لا تترك أي مجال لمنح أي شرعية أو اعتراف بإسرائيل[٤]. نسف حزب الله «العدو الصهيوني» واحتلاله «الوحشي» وابتزازه وتهديداته واعتداءاته. وشدد حزب الله على أنه سيحرر لبنان من «الصهاينة المغتصبين» ومن احتلالهم وإرهابهم[٥].

وصف حزب الله الإسرائيليين بـ«اليهود الصهاينة المتعصبين»[٦]. وبطريقة مماثلة حط الحزب من قدر إسرائيل واصفاً إياها بـ«الكيان العدواني المتعصب»[٧]. كما أن حزب الله استغل تمرير الكنيست الإسرائيلي لقانون يمنع الفلسطينيين من الحصول على الجنسية الإسرائيلية ليتهم إسرائيل «بالتعصب

---

(١) المرجع نفسه، ص. ٧٦ - ٧٧.
(٢) راجع البند الأول من برنامجه لانتخابات العام ١٩٩٢ : «المقاومة».
(٣) راجع شريط الفيديو المصور «موت إسرائيل» على قناة تلفزيون المنار.
(٤) «حزب الله، من هو وماذا يريد؟».
(٥) راجع المقدمة والبند الأول من برامجه الانتخابية للأعوام ١٩٩٢، ١٩٩٦، و٢٠٠٠.
(٦) راجع «الآراء والمفاهيم»، القسم المعنون «حزب الله - لبنان».
(٧) الوحدة الإعلامية المركزية في حزب الله، «قراءة بإرشاد بابوي»، ص.٢٠.

والتمييز»[١]. يؤكد حزب الله على أن المجتمع الإسرائيلي مجتمع عسكري[٢]. ويشدد على أن التمييز في دولة إسرائيل بين اليهود «كأهل الكتاب» والصهاينة لم يعد قائماً بعد الآن لأن المواطنين كلهم يُعتَبرون صهاينة. ويؤكد حزب الله أنه لا يفرق في إسرائيل بين مدني وعسكري، امرأة، طفل أو عجوز. ويشدد بتوصيف قاسٍ[٣] أن ما من مدنيين في إسرائيل: كلهم غزاة ومحتلون ومغتصبون للأرض؛ يشاركون كلهم في الجريمة والمجزرة... كلهم صهاينة ويجب قتلهم[٤]. يضيف الحزب أن قتلهم واجب ديني والذين ينفذون ذلك هم شهداء[٥]. غير أن حزب الله يشدد على أن صيغة المساواة بين المدنيين والعسكريين تنطبق في إسرائيل حصراً وليس خارج حدودها أو تشكل القضية الخاصة بالكيان الصهيوني. وشدد حزب الله على أن اليهود في الأماكن الأخرى كلها هم «أهل الكتاب»[٦].

---

(١) راجع وكالة الأنباء الفرنسية أ ف ب AFP، ٣١ تموز/ يوليو ٢٠٠٣؛ و«العقاب الجماعي والتمييز العرقي: الكنيست يصادق على منع الفلسطينيين من الحصول على الجنسية (الإسرائيلية)»؛ جريدة السفير بتاريخ ١ آب/ أغسطس ٢٠٠٣.

(٢) قاسم، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٢٥٠.

(٣) مع الأخذ بعين الاعتبار أن القرآن يحرّم قتل النساء والأطفال والمسنّين، أقر نصر الله بأن لهذا الحديث ثمناً باهظاً من منظور الشريعة والأخلاق والمسؤوليات الجهادية.

(٤) يعقلن نصر الله هذا الموقف عبر التأكيد على أن الفلسطينيين لا يحتاجون إلى من يحارب باسمهم. فهم قادرون على القتال بأنفسهم، مستخدمين بنادقهم وقنابلهم وأجساد شهدائهم من أجل التحرر من الخزي والذل الصهيونيين والتغلب على الكيان الصهيوني.

(٥) خطاب نصر الله في الاحتفال «بيوم القدس»، بيروت، ١٤ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠١. أود التاكيد على أن حزب الله، وخلافاً للفلسطينيين الذين يفجرون أنفسهم في مدنيين إسرائيليين، لم يفعل ذلك قط. فحزب الله لم ينخرط في أي عملية انتحارية ضد مدنيين إسرائيليين على مر السنوات الثماني عشرة لصراعه مع القوات الإسرائيلية المحتلة لجنوب لبنان. وعلى العكس، كانت كل عملياته الميدانية والاستشهادية تستهدف عناصر من الجيش الإسرائيلي وجهازه الاستخباراتي. أضف إلى ذلك أن حزب الله لم ينفذ قط أي عملية انتحارية داخل إسرائيل، بل العكس، ترك هذا الأمر لحكمة الفلسطينيين.

(٦) محمد رعد، مقابلة شخصية، ٣١ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠١. كذلك شدد نصر الله على هذا الموقف في خطابه بتاريخ ٢٨ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ في حفل إحياء الذكرى الأولى للانتفاضة.

أضاف حزب الله «لا يملك أحد الحق بالتخلي عن ذرة من تراب أرض فلسطين؛ لا يملك أحد الحق بالتخلي عن حرف واحد من اسم فلسطين»[١]. وقد أكد الحزب أنه يعارض بالكامل إجراء أي مفاوضات مع إسرائيل أو تطبيع العلاقات أو الغزو الثقافي أو مفاوضات السلام[٢] أو إبرام المعاهدات التي من شأنها أن تمنح الشرعية لاغتصابها الأرض واعتدائها على الشعب الفلسطيني مقابل تنازلها عن ٢٢٪ من فلسطين «التاريخية» ـ حدود ٤ حزيران/يونيو ١٩٦٧[٣]. أوضح حزب الله أن موقفه يتلاءم والحل الذي قدمته الجمهورية الإسلامية للأزمة الفلسطينية ولا سيما إجراء استفتاء عام يضم «الشعب الفلسطيني الأصلي» المؤلف من المسلمين واليهود والمسيحيين ـ المنتشرين في بقاع العالم وداخل الأراضي المحتلة ـ بهدف تحديد مستقبلهم ونوع الحكم الذي يطمحون إليه[٤]. بكلمات أخرى، يطالب حزب الله باستعادة كامل فلسطين «التاريخية» المحددة في العام ١٩٤٨، [177] من نهر الأردن حتى البحر الأبيض المتوسط، وإعادة اليهود كلهم الذين جاؤوا بعد اتفاقية سايكس ـ بيكو المبرمة في العام ١٩١٦ التي قسمت الشرق الأوسط بين البريطانيين والفرنسيين إثر انهيار الأمبراطورية العثمانية، حيث وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني[٥].

---

(١) راجع شريط الفيديو المصور «موت إسرائيل» على قناة تلفزيون المنار.

(٢) يشير حزب الله إلى عملية السلام في الشرق الأوسط بعبارة «تسوية السلام».

(٣) راجع البند الأول في برامجه الانتخابية للأعوام ١٩٩٢، ١٩٩٦، و٢٠٠٠.

(٤) جريدة العهد، العدد ٨٨٧ (٢ شباط/فبراير ٢٠٠١)؛ جريدة السفير، ٣١ كانون الثاني/يناير و١ شباط/فبراير ٢٠٠١؛ مجلة الأفكار، العدد ٩٦٥ (١٢ شباط/فبراير ٢٠٠١).

(٥) هذه سياسة نموذجية لدى حزب الله استعادها قاسم ونصر الله في مناسبات عدة منها خطاب قاسم بتاريخ ٢٨ أيار/مايو ٢٠٠٢ في جامعة بيروت الأميركية تحت عنوان «تجربة المقاومة ومستقبل الانتفاضة»، وخطاب نصر الله بتاريخ ١٨ حزيران/يونيو ٢٠٠٢ بمناسبة «الاتفاقية الأولى للبرلمانيين الذين يدافعون عن القضية الفلسطينية». راجع على التوالي جريدة الانتقاد، العدد ٩٥٥ (٣١ أيار/مايو ٢٠٠٢)، ص. ١٦؛ جريدة الانتقاد، العدد ٩٥٨ (٢١ حزيران/يونيو ٢٠٠٢)، ص. ٦ - ٧.

الجهاد العسكري الأصغر والجهاد الأكبر

تمييز حزب الله بين الحلال والحرام في الجهاد العسكري الأصغر

أوضح حزب الله موقفه من قتل المدنيين الأبرياء عندما قدّم إدانة صريحة لتفجيرات ١١ آذار/مارس العام ٢٠٠٤ الإرهابية في مدريد[١]. أدان حزب الله التفجيرات التي لا تجيزها أي معايير واصفاً إياها بالجريمة المرعبة والهجوم الوقح ضد مدنيين أبرياء. كما شدد الحزب على أن كل هجوم يستهدف مدنيين أبرياء هو عمل جبان مرفوض بشدة من منظور إسلامي قرآني ومحمدي[٢].

أكد حزب الله على أن ليس كل قتال جهاداً، مشدداً على أن المصطلح الإسلامي ـ القرآني للجهاد أو تعريفه هو خصوصية القتال في سبيل الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ... وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (سورة النساء، الآيتان ٩٣ و٩٢). أضاف حزب الله أن هذا أقسى عقاب بامتياز ورد في القرآن لمن يقتل عمداً مؤمناً إذ يعتبر هذا الفعل كبيرة. بحسب الحزب، للجهاد أوامره الدينية وقواعده؛ فثمة حلال وحرام في الجهاد. لهذا السبب، شدد حزب الله على الحاجة لسؤال علماء الدين عن التفاصيل الفقهية المتعلقة بالعمل الجهادي وإلا لا يكون هذا العمل في سبيل الله بل لغاية أخرى. وهكذا، شدد حزب الله على ضرورة أن يخضع الجهاد في سبيل الله لحكم شريعة الله وشرعيته والخضوع والانصياع الكلي لإرادة الله[٣].

---

(١) تسببت الهجمات بمقتل ١٩١ شخصاً من المدنيين الأبرياء وجرح نحو ١٤٠٠ شخص آخرين.

(٢) راجع خطاب نصر الله في ذكرى أسبوع الشهيد يوسف مرعي، ١٤ آذار/مارس ٢٠٠٤، على الموقع الإلكتروني. (تاريخ الزيارة الأخيرة للموقع نيسان/أبريل ٢٠٠٥).

(٣) راجع خطاب نصر الله في اليوم الأول من محرّم ١٤٢٥ هـ/ ٢٠ شباط - فبراير ٢٠٠٤، على الموقع الإلكتروني. (تاريخ الزيارة الأخيرة للموقع نيسان/أبريل ٢٠٠٥).

غير أن جهاد حزب الله العسكري الأصغر ضد القوات الإسرائيلية المحتلة يقع في نطاق الجهاد الحلال إذ لا يجيزه القرآن والأوامر الدينية والفقه وحسب بل والشرعة الدولية لحقوق الإنسان وميثاق الأمم المتحدة(١). [178]

استناداً إلى ما سبق، أكد حزب الله على هويته كحركة جهادية إسلامية ضد الاجتياح «الصهيوني» واحتلال لبنان. وشدد الحزب على حق مقاومته الإسلامية الشرعي في ممارسة الدفاع عن النفس كحق طبيعي وغير قابل للتحويل تماشياً مع الشرعية الدولية(٢). وأكد حزب الله على هوية المقاومة عبر حشد نسبة كبيرة من موارده لبناء مجتمع المقاومة بهدف حماية الشعب اللبناني. لقد وصف حزب الله نفسه كحزب «المقاومة والتحرير». وبالتالي فالجهادي هو الشخص الذي يضحي بنفسه وبأملاكه في حرب مقاومة وطنية ضد قوات الاحتلال(٣). أثنى حزب الله على نموذج المقاومة الذي انتهجه والذي أدى إلى تحرير لبنان من الاحتلال الإسرائيلي فحث الشعوب في الشرق الأوسط بشكل عام والشعب الفلسطيني المضطهد بشكل خاص على اتباعه(٤). في العام ١٩٩٥، أسس الحزب «المجلس الجهادي» كبعد سياسي عملي لمراقبة النشاطات الجهادية عن كثب والإشراف عليها. تجدر الإشارة إلى أن المجلس الجهادي اكتسب أهمية إضافية بعد الانسحاب الإسرائيلي شبه الكامل في أيار/مايو ٢٠٠٠ إذ أصبح الأمين العام رئيساً له شخصياً منذ خلوة العام ٢٠٠٤ الأخيرة.

---

(١) راجع «الآراء والمفاهيم»، القسم المعنون «حزب الله والمقاومة». راجع أيضاً «بيان الهدف» الصادر عن حزب الله في العام ١٩٩٨.

(٢) «حزب الله، من هو وماذا يريد؟».

(٣) راجع البند الأول في برامج حزب الله الانتخابية للأعوام ١٩٩٢، ١٩٩٦، و٢٠٠٠ و٢٠٠٥. والواقع أن القسم ٦ من برنامج حزب الله للانتخابات البلدية في العام ٢٠٠٤، المخصص للمسائل الاجتماعية الاقتصادية، ركّز على تدعيم مجتمع المقاومة بهدف تثبيت هوية المقاومة الحالية.

(٤) راجع «بيان الهدف» الصادر عن حزب الله في العام ١٩٩٨، والبند الأول من برنامجه الانتخابي للعام ٢٠٠٠: «المقاومة والتحرير». يعزو حزب الله الفضل إلى نفسه لجهة إلهام اندلاع الانتفاضة الفلسطينية في ٢٨ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٠.

بعدٌ جديد للجهاد الأكبر

أعطى مجلس حزب الله الجهادي بعداً عملياً جديداً للجهاد الأكبر. وصف حزب الله مشاركته في الانتخابات النيابية للعام ١٩٩٦ على أنها جهاد أكبر. وتوج الحزب برنامجه الانتخابي بالآية القرآنية التالية: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة العنكبوت، الآية ٦٩). تجدر الإشارة إلى أن حزب الله اعتبر موافقة الحكومة اللبنانية على طلبه إنشاء قضاء منفصل في بعلبك الهرمل في تموز/يوليو ٢٠٠٣ نصراً له في الجهاد الأكبر. احتفل حزب الله بهذا النصر السياسي كما كان يحتفل بالعمليات الجهادية الناجحة ضد القوات الإسرائيلية على أرض المعركة[١]. شدد خطاب قادة حزب الله على أهمية الجهاد الأكبر. وقد لاحظ نصرالله لدى توجهه للمجالس البلدية والمخاتير في الجنوب أن الجهاد الأكبر موجَّه ضد النفس وأن المجاهد الأكبر هو ذاك الذي يستطيع الامتناع عن ارتكاب الرذائل وضبط نفسه والابتعاد عن الفساد. شدد نصرالله على أن سعي حزب الله وتخطيطه وتواجده على الأرض واجتماعاته في البلديات والمجالس الاختيارية وجهوده اليومية لخدمة الشعب تدخل كلها في خانة الجهاد. [179]

وأكد نصرالله على أن الجهاد الأكبر هو عندما يمتنع الشخص عن السرقة والاختلاس[٢]. أضاف نصرالله أن هذا الامتناع يشكل الجهاد الأكبر وهو قياس النصر والهزيمة كما النجاح والفشل. كما دعا إلى الشفافية والمحاسبة كأفضل الوسائل لمواجهة الفساد[٣]. أضاف نصرالله أن محاربة الفساد أصعب بكثير من

---

(١) شكر نصر الله شخصياً السلطات اللبنانية، ما يثبت أهمية هذا القرار بالنسبة إلى حزب الله وتأثيره الإيجابي على الدور الداخلي لحزب الله. (راجع «احتفال حزب الله بالقضاءين يعادل عملية جهادية متميّزة». جريدة المستقبل، ٨ تموز/ يوليو ٢٠٠٣).

(٢) حزب الله هو المجموعة أو الحزب السياسي اللبناني الوحيد الذي لم يُتهم باختلاس أو سرقة أموال عامة.

(٣) راجع خطاب نصر الله في الاحتفال بالمجالس البلدية والمخاتير في الجنوب، ٣٠ حزيران/ يونيو ٢٠٠٤.

مقاومة إسرائيل. وبرأيه أن المقاومة الإسلامية تستطيع هزيمة مئة إسرائيل لكن الفساد في لبنان أقوى من مئة إسرائيل. وشدد نصرالله على أن قتال الاحتلال الإسرائيلي حظي بالإجماع الوطني؛ غير أنه في محاربة الفساد، يتعين على الفرد القتال مع عدد مهم من رفاقه. وخلص نصرالله إلى القول إن الجهاد في مقاومة الفساد أقسى وأكثر مرارة من مقاومة الاحتلال(١).

تمييز حزب الله بين الانتحار والاستشهاد

في ما يتعلق بالنقاشات السياسية التي دارت قبل انتخابات العام ١٩٩٢، شدد حزب الله على أن قراره المشاركة في الانتخابات يستند على قناعات سياسية دائمة المبادئ، تعززها دماء الشهداء وعوائلهم ومعاناة وآلام سجناء الحرب والمعتقلين والمصابين والمضطهدين. أكد حزب الله على أنه ضحى من أجل هذه المبادئ والقناعات بأفضل كوادره الذين استشهدوا خلال مقاومة «الاحتلال الصهيوني» وطرده(٢).

تماشياً مع هويته المقاومة كحركة جهادية إسلامية، أجاز حزب الله العمليات الاستشهادية في برنامجه السياسي بصفتها استراتيجيا مقاومة محددة ضد جيش أكثر تفوقاً وتجهيزاً، عندما تثبت تكتيكات الجهاد العسكري الأصغر عدم جدواها. يفيد الحزب بما لا رجوع عنه أنه استخدم العمليات الاستشهادية كإحدى تقنياته المميزة وتكتيك المقاومة ضد القوات الإسرائيلية التي تحتل لبنان والمفترض أنها «لا تقهر». بالإضافة إلى رفع المعنويات في الأمة، يؤكد حزب الله أن عملياته الاستشهادية كبدت القوات الإسرائيلية المحتلة عدداً كبيراً من الإصابات ونشرت الرعب في صفوفها(٣). ينظر حزب الله إلى الاستشهاد في

---

(١) راجع خطاب نصر الله في الاحتفال بالمجالس البلدية والمخاتير في البقاع، ٤ تموز/يوليو ٢٠٠٤.

(٢) راجع مقدمة برنامج حزب الله لانتخابات العام ١٩٩٢.

(٣) «حزب الله، من هو وماذا يريد؟».

سبيل الله على أنه خلاصة التضحية بالنفس وتقديم النفس والممتلكات وإيثار حياة جليلة في الجنة بدل العيش تحت عار الاحتلال؛ وإيثار سلامة الأمة على سلامة الفرد(١). أضاف حزب الله أن أكثر حق إنساني حيوي كان يضحي بدماء شهدائه من أجله هو حق اللبنانيين بالحصول على أرضهم(٢). شدد حزب الله على أن الاستشهاد في سبيل الله لا بد من أن يُحكَم بشريعة الله وشرعيته والخضوع التام لإرادة الله والانصياع له. [180]

من هنا يأتي التفاني للاستشهاد وحب ملاقاة الله. أما في الحالات الأخرى كلها، فيتحول الاستشهاد إلى انتحار؛ لكن التقييم النهائي يعود لله(٣).

يميز حزب الله بين العمليات الانتحارية والعمليات الاستشهادية للرد تحديداً على اتهامات الغرب(٤). يؤكد الحزب أن الانتحار وليس الاستشهاد هو تعبير عن فقدان الأمل والإحباط واليأس من الحياة وهو ما يحصل لغير المؤمنين الذين يواجهون على سبيل المثال ضيقة اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية. يثق

---

(١) راجع مقدمة برنامج حزب الله لانتخابات العام ٢٠٠٠: «جمهورنا اللبناني الوفي».

(٢) راجع «الآراء والمفاهيم»، القسم المعنون «حزب الله وحقوق الإنسان».

(٣) راجع خطاب نصر الله في اليوم الأول من محرّم ١٤٢٥ هـ/ شباط - فبراير ٢٠٠٤، على الموقع الإلكتروني. (تاريخ الزيارة الأخيرة للموقع نيسان/ أبريل ٢٠٠٥).

(٤) حاولت كوندوليزا رايس، مستشارة الأمن القومي في الولايات المتحدة، أن تشرح العمليات الانتحارية، فأكدت على أن «الإحساس باليأس يشكل أرضاً خصبة لإيديولوجيات الكراهية التي تقنع الناس بالتخلي عن التعليم الجامعي والمهنة والعائلة والسعي عوضاً عن ذلك إلى تفجير أنفسهم، حاصدين معهم حياة أكبر عدد ممكن من الأبرياء». (راجع «كوندوليزا رايس مستشارة بوش تروّج للمخطط الديموقراطي في الشرق الأوسط» Bush adviser Condoleza Rice peddles democratic blueprint for Middle East، وكالة الأنباء الفرنسية أ ف ب AFP ٧ آب/ أغسطس ٢٠٠٣). وتعتمد باربارة فيكتور Barbara Victor وجهة نظر مماثلة. ففي دراستها حول «الانتحاريات الفلسطينيات» Palestinian women suicide bombers تؤكد على أن الدافع الرئيس لهذا «الكوكتيل الفتّاك» هو أن «ثقافة الموت» دخلت إلى الحالة النفسية للشعب الفلسطيني نتيجة لليأس والضغط الاجتماعي والكآبة، التي تعاني منها هؤلاء النساء المعوزات نسبياً. راجع كتابها المعنون: جيش الورود: داخل عالم الانتحاريات الفلسطينيات Army of Roses: inside the World of Palestinian Women Suicide Bombers. بنسلفانيا: منشورات رودال Rodale Press، ٢٠٠٣.

حزب الله أنه فيما يخضع المؤمن لمشيئة الله ويعلم أن صبره مجزيٌ في الآخرة؛ غير أن من يقدم على الانتحار مصيره جهنم لأنه لا يحق له التصرف بحياته كما يرى مناسباً. لذا فإن فهم الاستشهاد والموافقة عليه لا يخضع للمعاهدات الدولية أو سياسات الأعداء والمستكبرين[1].

يناقش حزب الله أنه من الطبيعي قيام البعض بحملات منظمة ضد الاستشهاد، بهدف تشويهه وتسميته بأوصاف قذرة لأن الحزب حصل بفضلها على قوة خاصة وعظيمة قوت من إرادة الحزب على تحقيق النصر، خاصة عندما انتقلت القوة باتجاه الأعداء[2]. بحسب حزب الله، يلجأ الغرب للتهديدات والترهيب التي لا تؤثر على الاستشهاديين الذين يعيشون في هذا العالم لكن لا يشكلون جزءاً منه. يشكل الاستشهاد خطراً مشابهاً لخطر الأسلحة غير التقليدية لأن الهدف لا يستطيع تحضير آلية دفاعية للتعامل معه بعكس الآليات الدفاعية التي تم اختراعها للتعامل مع أي سلاح تقريباً. لهذا السبب، فإن الاستشهاد سلاح يمكن المحافظة عليه ولا يقوى العدو على مراقبته أو احتوائه[3].

كرر حزب الله في مناسبات مختلفة أن النصر يأتي دائماً نتيجة للاستشهاد. وأشار إلى الفخر والكرامة التي تسكن قلوب الاستشهاديين. أكد حزب الله أن الشعب الفلسطيني (في الضفة الغربية وغزة)، كما الشعب اللبناني، يمتلكان قوة حقيقة؛ هم عشاق للاستشهاد، عشاق لملاقاة الله وعشاق للرحيل إلى جوار الله وجنات عدن[4]. لا يلجأ حزب الله إلى الاستشهاد كغاية بحد ذاته، بل كوسيلة لتحقيق النصر... من دون الحاجة الملزمة لجهاد دفاعي، يصبح الاستشهاد

---

(١) قاسم، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٦١ - ٦٤.

(٢) راجع برنامج «الدين والحياة»، قناة تلفزيون المنار، ١٠ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٢.

(٣) راجع خطاب السيد حسن نصر الله في النبي شيت بتاريخ ١٦ شباط/ فبراير ٢٠٠٣ في إحياء ذكرى استشهاد السيد عباس الموسوي والشيخ راغب حرب، وأيضاً الذكرى الثامنة عشرة لتأسيس الحزب (http://www.nasrollah.org).

(٤) المرجع نفسه.

انتحاراً، الأمر الذي يحرمه الإسلام وبالتالي لا يكافأ مرتكبه بالحياة الأبدية في الجنة كما هي الحال مع الاستشهاد الحقيقي: «قد يعتقد البعض أننا نتوق إلى الاستشهاد لأننا نحب الموت بأي طريقة كانت. كلا نحب الموت إن كان دمنا قيماً وله تأثير كبير (على إسرائيل)»[١]. [181]

أدان حزب الله وآية الله فضل الله وإيران[٢] تفجيرات ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ وتفجير ٧ تموز/يوليو ٢٠٠٥ في لندن[٣] بصفتها هجمات انتحارية إرهابية لا يمكن اعتبارها عمليات استشهادية تنفذها حركات مقاومة وطنية وتهدف إلى تحرير الأرض التي لا تزال محتلة[٤].

شجب آية الله فضل الله تفجيرات ١١ أيلول/سبتمبر معتبراً إياها أفعالاً إجرامية انتحارية تشكل إبادة إنسانية بشعة. وهي ليست، بحسب ما يقول، أعمالاً استشهادية. أضاف أن لا الجهاد الهجومي ولا الجهاد الدفاعي يبرران مثل هذه الأفعال المدانة شرعاً. فهي أفعال وحشية لا يجيزها أي دين أو حضارة أو منطق إنساني. ولا يصح استخدام المدنيين الأبرياء المسالمين كأدوات مقايضة

---

(١) السيد حسن نصر الله، المؤسسة اللبنانية للإرسال (آذار/مارس ١٩٩٧)، كما جاء لدى سعد-غريّب، حزب الله: السياسة والدين، ص. ١٣٣.

(٢) بعد بضعة أيام على أحداث ١١ أيلول/سبتمبر، أدان آية الله خامنئي الهجمات، «موقفنا هو موقف الإسلام: نشجب القتل الجماعي... هذه الويلات موضع استنكار أينما حدثت». راجع وتعليقاً على هجمات لندن بتاريخ ٧ تموز/يوليو ٢٠٠٥، قالت إيران إن اللجوء إلى العنف من أجل تحقيق أهداف خاصة مشجوب بالكامل. جريدة الانتقاد، العدد ١١١٧ (٨ تموز/يوليو ٢٠٠٥).

(٣) توفي ٥٦ شخصاً، وضمناً الانتحاريون الأربعة، وجُرح نحو ٧٠٠ شخص آخرين. جريدة الانتقاد، العدد ١١١٧ (٨ تموز/يوليو ٢٠٠٥)؛ جريدة السفير بتاريخ ٨ تموز/يوليو ٢٠٠٥.

(٤) للاطلاع على المزيد من التفاصيل حول آراء حزب الله، راجع جوزيف الآغا، «حزب الله والإرهاب و١١ أيلول/سبتمبر» Hizbullah, Terrorism, and Sep. 11، الشرق: المجلة الألمانية للسياسة والاقتصاد في الشرق الأوسط ORIENT: German Journal for Politics and Economics of the Middle East، المجلد ٤٤ (أيلول/سبتمبر ٢٠٠٣)، العدد ٣، ص. ٣٨٥ - ٤١٢؛ «حزب الله والاستشهاد» Hizbullah and Martyrdom، الشرق ORIENT المجلد ٤٥ (آذار/مارس ٢٠٠٤)، العدد ١، ص. ٤٧ - ٧٤.

ومساومة لتغيير إحدى السياسات (الأميركية). من وجهة نظر إسلامية، من الخطأ الاشتراك بمثل هذه الأفعال إذ ما من تبرير شرعي لها. واعتداء الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر فعل مشين لا يجيزه أي دين ولا توافق عليه أي «رسالة سماوية». وهكذا، يعارض العلامة فضل الله بقوة استهداف وسائل نقل المدنيين لأن سلامتهم وأمنهم شأن إنساني عالمي من منظور شرعي[1].

أدان حزب الله هجمات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر الانتحارية ضد الولايات، المتحدة مظهراً التعاطف مع الشعب الأميركي ومنتقداً في الوقت نفسه الإدارة الأميركية، فقد علق قائلاً:

بعد أن عبر العديد من رجال الدين المسلمين عن موقفهم جيال الهجمات الدموية التي وقعت في نيويورك وواشنطن، ندعو للحذر ولعدم السقوط ضحية الخوف والهلع الذي قصد نشره في العالم لإعطاء الإدارة الأميركية الحرية لإطلاق العنان لممارسة كافة أشكال الاعتداءات والإرهاب بحجة مقاومة الإرهاب. الآن، السؤال الكبير هو ما إذا كان ما تخطط له الإدارة الأميركية على علاقة فعلاً بمرتكبي الهجمات الأخيرة أو ما إذا كانت تنوي استغلال هذه الأحداث الأليمة لفرض هيمنتها على العالم وممارسة المزيد من السياسات الظالمة التي قادت إلى مبادرة العديد من شعوب العالم وحكوماته بهذا المستوى من الحقد تجاه الولايات المتحدة. فيجب ألا ينسى العالم الذي ينتظر حالياً رد الولايات المتحدة أن ثمة مجازر يرتكبها الاحتلال الإسرائيلي بحق الشعب الفلسطيني ويشعر بالفخر لصمت العالم تجاهه. نحن نأسف لمقتل الأبرياء في أي مكان من العالم. فاللبنانيون الذين عانوا من مجازر صهيونية متكررة في قانا وفي أماكن أخرى، وهي مجازر رفضت الولايات المتحدة إدانتها في مجلس

---

(١) فضل الله، بيان صحافي، ١٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، (جريدة السفير، ١٤ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١؛ مقابلة مع سركيس نعّوم في جريدة النهار، نُشرت على دفعات في أعداد النهار بين ١٩ و٢٦ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١؛ مقابلة مع مجلة الزمن بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠١.

الأمن الدولي، قد اعتادوا الألم وذوق معاناة أولئك الذين خسروا أحباءهم في الأحداث الأليمة(١). [182]

كما أصدر السيد فضل الله فتوى تعتبر هجمات ٧ تموز/ يوليو ٢٠٠٥ في لندن أفعالاً إجرامية انتحارة غير مقبولة في أي دين أو عقل، ومرفوضة من أي شريعة أو قانون إنساني. أضاف أنها نوع من الوحشية التي يرفضها الإسلام بالمطلق على الرغم من محاولة البعض إعطاء هذه الهجمات صبغة إسلامية أو الإيحاء بأن الإسلام يقبل بها. بدوره، شدد إعلان حزب الله السياسي على أن استهداف الأبرياء ممنوع بحكم كافة المعايير الإنسانية والأخلاقية والدينية. كذلك قدم حزب الله تعازيه لضحايا الهجمات معبراً عن تعاطفه مع عائلات الضحايا بشكل خاص والبريطانيين بشكل عام(٢).

٣. خلاصة الفصل

شكل إعلان حزب الله السياسي في العام ١٩٩١ وبرنامج السيد عباس السياسي في العام ١٩٩١ مقدمة للانفتاح والحوار وعملية اللبننة بصفتها الركائز الأساسية لبرنامجه السياسي الواقعي للعقود المقبلة.

في ما يتعلق بحجج حزب الله للمشاركة في انتخابات العام ١٩٩٢ النيابية، أوصت اللجنة بأن المشاركة في الانتخابات تشكل واجباً مفيداً، يتماشى مع رؤيا حزب الله الشمولية التي تشجع الاستجابة لتوقعات الشعب عبر خدمة أهدافه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. فلا يتعارض جهاد حزب الله الأكبر وتكريسه مواجهة مظالم الناس مع أولوية الجهاد العسكري الأصغر القائم على تحرير

---

(١) راجع البيان السياسي المعنون «حزب الله يأسف لخسارة الأرواح ويحذّر الولايات المتحدة من اللجوء إلى سياسات غير عادلة»، صادر عن «المكتب الإعلامي المركزي»، ١٦ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، (لم يتم تصحيح الأخطاء باللغة الإنكليزية). (تاريخ الزيارة الأخيرة للموقع آب/ أغسطس ٢٠٠٤).

(٢) جريد الانتقاد، العدد ١١١٧ (٨ تموز/ يوليو ٢٠٠٥)؛ جريدة السفير بتاريخ ٨ تموز/ يوليو ٢٠٠٥.

الأرض المحتلة. أما المشاركة في الانتخابات، فتقود إلى إنجاز نتائج سياسية جيدة وينظر إليها على أنها خطوة أساسية نحو التفاعل مع الآخرين. وبهذا يقدم حزب الله تجربة جديدة عن انفتاح حزب إسلامي صغير. وشددت اللجنة على أن هذه المشاركة تتلاءم والخصوصيات اللبنانية فضلاً عن طبيعة الانتخابات المقترحة التي تسمح لهامش مهم من حرية الاختيار. باختصار، خلصت اللجنة إلى أن مجموع المصالح يفوق بأشواط مجموع المفاسد؛ لهذا السبب، فإن المشاركة في الانتخابات جديرة بالاهتمام إذ تشكل إحدى وسائل التغيير وإسماع صوت حزب الله ليس على الصعيد الداخلي وحسب إنما الإقليمي والدولي أيضاً. وبالتالي، يبدو أن حزب الله قد أُجبِر بفعل الظروف السياسية واتفاق الطائف ونهاية الحرب الأهلية على الانتقال إلى مرحلة جديدة من تاريخه عبر نشره برنامجاً واقعياً وتعامله مع النظام اللبناني. [183]

آراء حول المضطهدين والمستكبرين، الولايات المتحدة وإسرائيل تحديداً

قدم حزب الله تبريراً إسلامياً لموافقته على المشاركة في الانتخابات النيابية عبر دعمه المضطهدين ضد المستكبرين. تخدم الآية القرآنية في مستهل برنامج حزب الله الانتخابي للعام ١٩٩٢ هذا الهدف إذ تشدد على المفهوم القرآني للتمكين الإنساني الذي من شأنه أن يولِّد عقائد حول السيادة الإنسانية ومسؤولية الجماعة. تجدر الإشارة إلى أن «إن مكنّاهم في الأرض» تعني منحهم السلطة السياسية. يذكّر هذا الأمر بالرسول الذي أسس المجتمع الإسلامي في المدينة. يبدو أن حزب الله يناقش فكرة أن الحصول على السلطة أو القوة السياسية بواسطة التمثيل البرلماني لا يمنعه من منح الاهتمام اللازم لدائرة الصلاة الخاصة والدائرة الاجتماعية أو العامة لتقديم الصدقات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أعتقد أن خطاب حزب الله التبريري الذي أجاز للإسلاميين المشاركة في العملية الانتخابية يعكس أيضاً النقاشات الداخلية الحامية بين كوادر حزب الله وقياداته والتي أدت بطبيعة الحال إلى إنتاج مثل هذا البرنامج وانُتشاره.

داخلياً، شدد برنامج حزب الله السياسي على أن عمله النيابي والبلدي من شأنه أن يحمي المصالح الاجتماعية ـ الاقتصادية والسياسية للمستضعفين اللبنانيين. إقليمياً ودولياً، أدان برنامج حزب الله السياسي إسرائيل والولايات المتحدة واصفاً الدولتين بالمستكبرتين: الولايات المتحدة لنيتها السيطرة على لبنان والشرق الأوسط وفي الوقت نفسه دعم الاحتلال الإسرائيلي واعتداءاته. انتقد حزب الله فرض الولايات المتحدة اقتصاد السوق والنموذج الغربي للإنتاج على شعوب الشرق الأوسط، بهدف نهب الثروات والموارد الطبيعية وزرع الأنظمة الباطشة لسحق هوية المستضعفين الثقافية وبترها.

آراء حزب الله حول الدولة الإسلامية

لا تذكر أي من برامج حزب الله للانتخابات النيابية أو البلدية للأعوام ١٩٩٢ و١٩٩٦ و١٩٩٨ و٢٠٠٠ و٢٠٠٤ و٢٠٠٥ تأسيس دولة إسلامية في لبنان أو تشير إليها أو تناصرها. شدد حزب الله على أن تأسيس دولة إسلامية لا يمكن أن يأتي نتيجة لمنطق مجموعة معينة أو فصيلة من الناس يفرضونها أو يفرضون آراءهم الخاصة على مجموعات أو فصائل أخرى في المجتمع. لا يطبق حزب الله الإكراه في مشروعه القائم على الأسلمة ولا يقبله؛ بل لا بد من أن يأتي تأسيس الدولة الإسلامية نتيجة لحرية الشعب وإرادته وخياره المباشر. [184]

ولن يذهب حزب الله باتجاه تطبيق دولة إسلامية في لبنان إلا على أساس عملية ديمقراطية ومتسامحة تجيزها غالبية غير المسلمين والمسلمين.

وهكذا، يبدو أنه لأسباب عملية، وضع حزب الله جانباً بشكل حاسم مسألة تأسيس أو تطبيق دولة إسلامية في لبنان. لهذا السبب يمكن اعتبار برنامجه السياسي براغماتياً. يعود الأمر لمشاركة حزب الله في السياسات الانتخابية وقراره المشاركة بشكل فاعل في الدائرة العامة اللبنانية. يبدو أن الحزب كان في برامجه السياسية واقعياً وعملياً إذ رأى أنه من غير المنتج وغير الحكيم سياسياً ذكر التزاماته المسبقة المتعلقة بتأسيس نظام إسلامي. لكن يبدو ثمة تعارض بين

هذه البرامج السياسية وخطاب قادته الذين يواصلون التفوه بعكس ما ينفذون حيث يكررون الالتزام الإيديولوجي القديم القائم على تأسيس نظام إسلامي. وهكذا، فإن حزب الله قد تأثر على الأرجح بالتصدير السياسي إذ قبل في برامجه السياسية واقع أن غالبية اللبنانيين لا تختار النظام الإسلامي وبالتالي لا يشكل فرضه بالقوة إحدى الخيارات.

حوار حزب الله مع المسيحيين اللبنانيين

تماشياً مع برنامج السيد عباس السياسي الذي دعا إلى عملية لبننة وانفتاح وحوار لا سيما مع المسيحيين، أخذ حزب الله المبادرة في العام ١٩٩٢ وزار البطريرك الماروني. تركزت المحادثات بشكل خاص على الحوار المسيحي ـ المسلم واندماج حزب الله التدريجي في الدائرة اللبنانية العامة. غير أنه مع مرور الوقت، لم يبقَ حوار حزب الله محصوراً بالموارنة وحسب، بل امتد ليشمل باقي المسيحيين الذين يشكلون النسيج اللبناني. قاد حزب الله الحوار مع المسيحيين ومع مجموعات أخرى على أساس الشفافية للتوصل إلى أرضيات مشتركة. أما في ما يتعلق بمضمون الحوار ومواضيعه، فقد حاول الحزب تفادي الدخول في مسائل لاهوتية أو دينية تشكل خصوصية كل طائفة في النسيج اللبناني وركز على تغذية الحوار المتعلق بالمسائل السياسية والاجتماعية الاقتصادية ومسائل المجتمع المدني. في برنامجه السياسي، حمّل حزب الله الطائفية السياسية مسؤولية المشاكل في لبنان داعياً إلى إلغائها تماشياً مع دستور لبنان الجديد الصادر في العام ١٩٩٠. انطلق الحزب في حوار مفتوح وسلمي وبنّاء مع كافة الطوائف والأحزاب السياسية ومنظمات ومجموعات المجتمع المدني بهدف التطرق إلى مصدر الفروقات الثقافية والسياسية والنظرية والعملية. [185]

حاول حزب الله وصف نفسه على أنه داع كبير للتعايش الإسلامي المسيحي مشدداً على أهمية التعددية من خلال التمثيل المتعدد الطوائف. أدخل المسيحيين بمن فيهم الموارنة في لوائحه الانتخابية النيابية ومنحهم الحق بالتكلم

باسمه طالما لا ينحرفون عن عقائد الحزب. كما أنه تقاسم مقاعد المجلس البلدي مع المسيحيين. وبالتالي، كان حزب الله واضحاً بأن الشرط الوحيد لتكلم مناصر له باسمه الالتزام بتوجيهات سياسته. وقد أدت سياسة حزب الله القائمة على الحوار مع المسيحيين كما ينص برنامجه السياسي إلى دعم الحزب في مقاومته إسرائيل إلى دعم سياسات الانفتاح خاصة لدى المسيحيين. باعتماده ما يعتبره عدد من المراقبين «خطاباً مسيحياً ولا سيما إلغاء الطائفية السياسية في الذهنية قبل إلغائها من النصوص، يرسم حزب الله وجهة نظر ليبرالية تقدمية وبراغماتية حول إلغاء الطائفية السياسية تتماشى مع موقف الكنيسة المارونية والإرشاد البابوي. وقد لاقت دعوة البابا للأخوة وغرس الحوار والتسامح بين اللبنانيين التجاوب في أوساط الحزب إذ إن معظم دعواه تذكر بخطاب الإمام موسى الصدر حول التفاهم المسيحي ـ الإسلامي والتعايش المتبادل والحوار المفتوح والدائم. وهكذا، سعياً منه للتقارب مع المسيحيين اللبنانيين، أسس حزب الله برنامجه السياسي القائم على الحوار معهم على أساس الإرشاد البابوي.

شروط حزب الله الفقهية للعمل النيابي والبلدي والحكومي

أظهرت شروط حزب الله الفقهية فهمه واستخدامه للقانون الإسلامي خلال تعامله مع القوانين غير الشرعية من خلال مقاصد الشريعة وقواعد الفقه الإسلامي مثل «الضرورة تجيز الممنوع»، «ما لا يدرك كله لا يترك جلّه» والأبرز « درء المفاسد مقدم على جلب المصالح». استناداً إلى هذا التشريع البراغماتي ـ الديني، تمكن حزب الله من تحقيق توازن بين هويته الإسلامية من جهة وعمله النيابي والبلدي والحكومي من جهة أخرى، مبرراً بالتالي مشاركته في النظام اللبناني. يتماشى هذا التفكير مع ما يسميه حزب الله المشروع الإسلامي الشامل الشمولي الذي يتطرق إلى كافة أوجه الحياة الإنسانية من خلال الشريعة المرنة التي تغطي احتياجات المرء وضروراته وتقدمه.

مع أن خطاب حزب الله وبرنامجه السياسي يتميزان باعتبار مبدأ التشريع الجوهري هو القانون الإسلامي تماشياً مع الشريعة، [186] إلا أن برنامج حزب الله السياسي يسلط الضوء على إمكانية جعل الشريعة مرنة من خلال توظيف مقاربة براغماتية خلال التمييز بين القوانين المرتبطة بالحالات أو القوانين غير الشرعية الزائلة من جهة والتشريعات الدينية أو الفقهية من جهة أخرى. كما أن تصنيف الحزب للمبدأين اللذين يشكلان أساس عمله السياسي ولا سيما النهي عن المنكر والمواجهة بين الأكثر والأقل ضرراً يرتدي طابعاً براغماتياً لأنه يستند على المصالح والضرورة. وقد خلص حزب الله إلى أن الشروط الفقهية التي تشكل عصب التشريعات المدنية تسمح بهامش أساسي من المناورة للتأثير على التشريعات والقرارات غير الشرعية. استناداً إلى هذا التفكير، يشرّع حزب الله مشاركته في العملية الديمقراطية على أساس التطبيق العملي لمفاهيم الشورى والاختلاف والحقوق الشرعية والاجتهاد القرآنية: أسلمة الديمقراطية بواسطة الشورى من خلال التمكين الشعبي؛ التسامح والقبول عبر التعددية (الاختلاف)؛ الاحترام والكرامة من خلال الحقوق الشرعية الإنسانية.

بعد تحديد البعد النظري المتعلق بالشرعية الدينية للمشاركة في الحكومة، يتعين على حزب الله وزن المصالح والمفاسد التي قد تنتج من هذه المشاركة بطريقة موضوعية وعملية. يبدو أن الحزب قد شارك في الحكومة اللبنانية عندما أملت عليه حساباته الاستراتيجية التي يشرعها تفسيره للشريعة مثل هذه المشاركة.

برنامج حزب الله الاجتماعي الاقتصادي: منظماته غير الحكومية ومؤسساته المدنية

أعلن حزب الله في برامجه للانتخابات النيابية والبلدية[1] أنه مشروع

(١) راجع برنامجي حزب الله للانتخابات البرلمانية في العام ١٩٩٦ والعام ٢٠٠٠، البنود ٣ إلى ٦، و٣ إلى ٧ على التوالي. راجع أيضاً برنامج حزب الله للانتخابات البلدية في العام ٢٠٠٤، وتحديداً الفقرة الافتتاحية.

مقاومة وطنية وتحرير أسس منظماته غير الحكومية ومؤسساته المدنية لدعم اقتصادي اجتماعي أكثر فاعلية وشمولية. وقد شدد برنامج الحزب السياسي على أن العمل الاجتماعي ـ الاقتصادي والفكري والثقافي يتلازم والمقاومة ولا بد من أن يتماشى خطوة خطوة معها. وبفضل وفائه لبرنامجه الاجتماعي ـ الاقتصادي، بنى حزب الله شبكة فاعلة من المنظمات غير الحكومية والمؤسسات المدنية التي تعنى بكافة أوجه الحياة من المسائل الاجتماعية الاقتصادية إلى الاهتمامات الثقافية والتربوية والصحية. وبما أن الحزب قد وسّع نطاق خدماته لتشمل كافة اللبنانيين الذين يعيشون في دوائره، زودته منظماته غير الحكومية ومؤسساته المدنية بالدعم الشعبي والسياسي حتى بين غير المسلمين. تشكل مؤسسات حزب الله المدنية ومنظماته غير الحكومية شهادة على قدرته على الاندماج في المجتمع المدني والانخراط في الممارسات الديمقراطية ما إن تنتفي الحاجة لخدمات المقاومة الإسلامية(١). [187]

شدد حزب الله على أن برنامجه السياسي يرتكز على انتمائه والتزامه الحضاري الطامح لمنح الإنسان الهناء والكرامة. استخدم حزب الله كتشريع ديني الآية القرآنية (٢٨ : ٧٧) التي تعني أن مشاركته في الانتخابات ترتكز على أن الانسان يجب ألا يتجاهل الحياة الحالية لمصلحة الحياة الأخرى إذ إن أي فرد في حزب الله يسعى إلى الهناء في هذا العالم والسعد في الدارين. وسّع الحزب من أفق المفهوم القرآني للحقوق الشرعية فباتت تتضمن إلى الزكاة والخمس حقوق الإنسان الأساسية التي تذكرها الشرعة الدولية لحقوق الإنسان والتي تمنحها منظمات حزب الله غير الحكومية ومؤسساته المدنية للشعب.

حزب الله كحزب سياسي لبناني وطني (اللبننة)

عبّر حزب الله عن تشريعه الإسلامي بطريقة ديمقراطية عبر وصف نفسه

(١) في هذه الحالة، سيتم إلحاق أفراد المقاومة الذين لا يريدون المشاركة في الحياة المدنية بالجيش اللبناني، وسيتم تسليم أسلحة الحزب إلى الجيش اللبناني كما فعلت الميليشيات الأخرى تماشياً مع اتفاق الطائف.

كتيار سياسي لبناني وطني أساسي يدعم في الوقت نفسه هويته الإسلامية. سعت سياسة الحزب القائمة على الانفتاح واللبننة إلى إظهار قدرته على الموازنة بين الهوية الإسلامية والبرنامج من جهة وولائه الوطني اللبناني من جهة أخرى، عبر الانفتاح على مختلف مكونات النسيج اللبناني. وعلى الرغم من إنكار الحزب لذلك، إلا أنه يبدو أن نجاحه في الموازنة بين الالتزامات السياسية الوطنية وخلفيته الإسلامية تطلب منه إجراء مفاوضات ومساومات وتسويات (حتى على بعض المسائل العقائدية) الأمر الذي يميز نظاماً ديمقراطياً مفتوحاً. عبر تشجيعه السلم الأهلي والحريات العامة وتأسيس مجتمع مدني فاعل، حاول حزب الله الحفاظ على هويته الإسلامية والعمل في آن واحد ضمن إطار سيادة الدولة اللبنانية، في دولة غير إسلامية ودولة متعددة الديانات والمذاهب والطوائف. وبالتالي لا يستطيع حزب الله تخطي كونه حزباً سياسياً يعمل ضمن الدائرة اللبنانية عبر تكييفه اعتراضه بواسطة النقاش[١] والإلزام[٢] والتمكين[٣]. تدخل سياسة الحزب القائمة على الانفتاح واللبننة في إطار النقاش؛ أما مشاركته في السياسات الانتخابية والعمل الحكومي فيمكن النظر إليها بصفتها الالزام؛ ويمكن اعتبار صعود حزب الله إلى الساحة السياسية وتحوله إلى حزب سياسي وطني

---

(١) يُقصد بالنقاش «فرض معارضة الحكومة، تشكيل تنظيمات سياسية، التعبير عن الآراء الذاتية بالنسبة إلى المسائل السياسية من دون خوف من أي انتقام حكومي، قراءة وسماع وجهات النظر البديلة، الانتخاب بطريقة الاقتراع السري في الانتخابات التي يتنافس فيها على الأصوات مرشحون من أحزاب مختلفة والتي يتخلى بعدها الخاسرون في الانتخابات بطريقة سلمية عن مطالبتهم بالمراكز للفائزين، إلخ». روبرت آي دال Robert A. Dahl «التعددية في الحكم: المشاركة والمعارضة» .Polyarchy: Participation and Opposition نيو هافن :New Haven منشورات جامعة يال Yale University Press، ١٩٧١ ص. ٢٠.

(٢) اعتمدت الالتزام للإشارة إلى «عدم تسلح» المعارضة من خلال دعوة قادة المعارضة إلى أن يصبحوا جزءاً من النخبة أو التركيبة الحاكمة.

(٣) أستخدم التمكين لوصف العملية التي تختبر من خلالها مجموعة مهمّشة تنامياً في قوتها من دون الشروع في فعل ذلك على حساب الآخرين. لكن المصطلح الرئيس هنا هو «القوة» الذي يشكل موضع جدل كبير.

على أنه التمكين. وبالتالي فإن الدائرة العامة اللبنانية تملي على الأرجح على حزب الله بعض السياسات فيما يبدو أن الهيكلية السياسية اللبنانية تلزم الحزب على اتخاذ قرارات قد تلقى بعض الشعبية في صفوفه وبين كوادره وقياداته. في المجمل، تستند قرارات حزب الله على السياسة الواقعية والملاءمة السياسية والمنفعة والمصلحة. [188]

يطرح هذا الأمر سؤالاً حول مدى استعداد حزب الله للقبول بما يلزمه النظام السياسي اللبناني/ الحكومة ومؤسسات الدولة فضلاً عن انتشاره الممكن في القطاع العام.

موقف حزب الله من سوريا وإيران

على الرغم من وجود تحالف إيديولوجي ـ استراتيجي بين حزب الله وإيران من جهة وشراكة سياسية استراتيجية بين حزب الله وسوريا من جهة أخرى، إلا أن العرض السابق قد أظهر أن الحزب ليس أداة سياسية بين أيدي السوريين والإيرانيين. بل اتبع الحزب مساراً مستقلاً في اتخاذ القرارات والتحرك يناسب خصوصيات المعادلة السياسية اللبنانية عبر تطبيقه برنامجه السياسي القائم على اللبننة والانفتاح والاندماج في الدائرة العامة اللبنانية.

موقف حزب الله من إسرائيل

يعتبر حزب الله إسرائيل في برنامجه السياسي كياناً صهيونياً لا بد من محوه من على وجه الأرض، حتى يعاد تأسيس دولة فلسطين استناداً إلى حدود ما قبل العام ١٩٤٨. بكلمات أخرى، لا يزال حزب الله يتبنى الخطاب القومي العربي السابق للعام ١٩٦٧ الذي لا يمنح أي شرعية أو اعتراف بإسرائيل ويرفض مفاوضات السلام معها ويعارض بشدة أي تطبيع للعلاقات معها.

يعتبر حزب الله اليهود «أهل الكتاب» وينظر حصراً إلى اليهود الذين يعيشون في إسرائيل على أنهم صهاينة يجب قتلهم كما يقول السيد نصر الله.

وقد اتهم الحزب الإسرائيليين بكونهم «يهوداً صهاينة متعصبين» معتبراً التمييز نوعاً من أنواع القمع. وعلى الرغم من أن حزب الله قد انتقد إسرائيل لكونها «كياناً متعصباً يعتمد التمييز» إلا أن الحزب لا يمارس التمييز ضد اليهود كدين أو عرق. وبالتالي يبدو أن حزب الله ليس بالمعادي للسامية في توجهه الشامل(١). تجدر الإشارة إلى أن مساواة حزب الله بين المدنيين والعسكريين في دولة إسرائيل، مهما بدا متطرفاً، إلا أنه ليس لا بالجديد ولا هو محصور به أو بالحركات الإسلامية(٢).

راية الجهاد والاستشهاد

شدد حزب الله في برامجه الانتخابية كلها على بطولات مقاومته الإسلامية التي انخرطت في الجهاد العسكري الأصغر ضد الجيش الإسرائيلي المحتل، معززة بالتالي هوية الحزب القائمة على المقاومة. افتخر الحزب في إنشاء مجتمع مقاوم وفي تصدير نموذج المقاومة كمثال لحركات المقاومة الأخرى. بالإضافة إلى الشرعية الدينية لمقاومة الاحتلال من خلال الجهاد العسكري الأصغر، [189] أضاف حزب الله شرعية المجتمع الدولي والهيئات الدولية. يقع نضال حزب الله ضد إسرائيل في إطار الجهاد العسكري الأصغر أو الجهاد ضد العدو فيما يشكل الجهاد الأكبر الجهاد الداخلي مع النفس وردعها عن العيش نزولاً عند تلبية الرغبات الجسدية والانغماس في الفساد. قدم حزب الله بعداً جديداً للجهاد الأكبر إذ شدد على أن مهمته في محاربة الفساد الداخلي في النظام السياسي والإداري اللبناني أصعب بكثير من هزيمة مئة إسرائيل. بمعنى آخر،

---

(١) راجع سعد-غريّب، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٧١ وما بعدها. جدير بالذكر أن قرار الأمم المتحدة الملغى رقم ٣٣٧٩، الذي ينص على أن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية، قد يُفسّر على أنه معادٍ للسامية.

(٢) حتى قبل إنشاء دولة إسرائيل، استخدم المسيحي أنطون سعادة، مؤسس الحزب القومي السوري الاجتماعي، منذ عشرينيات القرن العشرين، خطاباً متصلباً، ولا سيّما «اتصالنا باليهود هو اتصال عدو بعدوه». يمكن اعتبار تصريح سعادة معادياً للسامية لأنه يعتمد التمييز ضد اليهود كعرق.

يبدو أن حزب الله يناقش فكرة أن الانخراط في الجهاد الأكبر أكثر صعوبة بمئة مرة من الانخراط في الجهاد العسكري الأصغر.

كما وسّع حزب الله استخدامه للجهاد الأكبر ليشمل مشاركته في الانتخابات[١]. ولتشريعه استخدم الآية القرآنية (٢٩؛ ٦٩) تستخدم عادة لإجازة الجهاد العسكري الأصغر وتبريره وتقع لاهوتياً في إطار الجدل المتعلق بالإرادة الحرة والقضاء والقدر. اختار حزب الله الإرادة الحرة ووسع نطاق الآية: «سيساعدنا الله إن نحن مارسنا الجهاد الأكبر في الانتخابات». بحسب الحزب، ثمة طريقة أخرى غير تقديم الدماء[٢]. منذ العام ١٩٩٥، كان الجهادان العسكري الأصغر والأكبر خاضعين لإشراف المجلس الجهادي في الحزب، الأمر الذي منح بعداً ديناميكياً وبراغماتياً جديداً للجهادين.

قدّم حزب الله تمييزاً صارخاً بين الجهاد الحلال والجهاد الحرام. وقد رسم خطاً بين الجهاد في سبيل الله من جهة والتقوى الانتقامية أي عندما يعتبر الانتحاريون نفسهم منتقمين لله من جهة أخرى. مجّد الحزب الأول وحط من قدر الثاني. استناداً إلى الآية القرآنية (٤؛ ٩٣ _ ٩٤) والوصايا الدينية، شدد حزب الله على أن الجهاد المجاز دينياً لا يُنفّذ إلا لدى القتال في سبيل الله. أكد حزب الله أن قتل المدنيين الأبرياء عمداً جزاؤه نار جهنم. من هذا المنظور، أدان حزب الله تفجيرات ١١ آذار/ مارس ٢٠٠٤ الإرهابية في مدريد وهجمات ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ و٧ تموز/ يوليو ٢٠٠٥ في لندن الانتحارية. كما أدان الحزب بشدة كافة الهجمات الإرهابية الأخرى التي تستهدف مدنيين أبرياء في أرجاء العالم كله. وبما أن المجتمع الدولي ينظر إلى العمليات الاستشهادية على

---

(١) راجع حمزة الذي يقلل من شأن جهاد حزب الله السياسي والاقتصادي، وعلى وجه الخصوص التمثيل النيابي والانخراط في الهيئات النقابية المنتخبة، ليضعه في مرتبة الجهاد المقنع أو الجهاد الأصغر غير العسكري. أ. نزار حمزة، في مسار حزب الله .In the Path of Hizbullah سيراكوز: منشورات جامعة سيراكوز Syracuse University Press، ٢٠٠٤، ص. ٣٩.

(٢) راجع مقدمة برنامج حزب الله لانتخابات العام ١٩٩٦ في «المحلق ب».

أنها عمليات انتحارية، لم يستطع حزب الله الحصول على دعمهم لعملياته الاستشهادية بل اكتفى بالتشريع الديني والاستراتيجي كتكتيك للمقاومة ضد جيش أكثر تفوقاً. ينظر حزب الله للاستشهاد على أنه وسيلة استراتيجية تهدف إلى تحقيق النصر بدل كونها غاية بحد ذاتها. والاستشهادي في سبيل الله مستعد كما الجهادي للتضحية بنفسه وبممتلكاته. [191]

منظور محدد حول التغيرات العامة في مكونات إيديولوجيا حزب الله في المراحل الثلاث

مقدمة

تخضع حركة المقاومة الشيعية اللبنانية لتغير سياسي وإيديولوجي ملحوظ. تأسس حزب الله في العام ١٩٧٨ على يد مختلف قطاعات رجال الدين وكوادر الشيعة اللبنانيين، وتلقى الدعم الإيراني بصفته حركة إسلامية تعترض على الظروف الاجتماعية والسياسية. خلال السنوات الممتدة من العام ١٩٨٤/ ١٩٨٥ وحتى العام ١٩٩١، أصبح حزب الله حركة اجتماعية شاملة بمعنى حصوله على تنظيم شامل أوسع وهيكلية وإيديولوجيا تهدف إلى إحداث تغيير اجتماعي وعدالة اجتماعية كما يدعي. منذ العام ١٩٩٢، أصبح حزباً سياسياً رائداً يعمل ضمن الحدود الضيقة لبرنامجه السياسي البراغماتي. ويتمحور خط النقاش في هذا الكتاب حول تعديل حزب الله لهويته في المراحل الثلاث الآنف ذكرها عبر نقل التركيز بين مكوناته الثلاثة: أولاً من نشره إيديولوجيا دينية حصرية؛ ثانياً إلى إيديولوجيا سياسية أكثر شمولية؛ وثالثاً إلى برنامج سياسي أكثر واقعية.

غير أن هوية الحزب في هذه المراحل الثلاث كحركة جهادية إسلامية قد بقيت كإحدى ثوابته لكن تبرير المبادئ الإسلامية والجهاد بشكل خاص قد تغير. تتطرق التحولات المهمة في إيديولوجيا حزب الله في المراحل الثلاث إلى

المواضيع التالية: ولاية الفقيه؛ المستكبرون والمستضعفون مع تركيز خاص على الولايات المتحدة وإسرائيل؛ والجهاد والاستشهاد؛ والدولة الإسلامية؛ وعلاقات حزب الله بالمسيحيين اللبنانيين؛ واللبننة أو الانفتاح.

١.١ ولاية الفقيه

في المرحلتين الأولى والثانية، يناقش حزب الله أنه احتاج خلال المراحل الأولى لتكوينه إلى إيديولوجيا دينية سياسية موحدة بدل برنامج سياسي مفصل. لذا اعتمد حزب الله على ولاية الفقيه ونظر إلى الإمام الخميني على أنه فقيه المسلمين[١]. [192]

في المرحلة الأولى، كان حزب الله إيديولوجياً معتمداً بالكامل على الخميني. لكن في المرحلة الثانية، شهد هذا الاعتماد بعض التراخي حيث إن الحزب لم يتبع النظام الإيراني بشكل أعمى؛ بل بنى بعض الخصوصية إذ حدد الخميني بعض المبادئ بصفته قادراً على تحديد شرعيتها؛ غير أنه ترك أمر تطبيقها على عاتق حزب الله. وبالتالي، على الرغم من أن حزب الله كان معتمداً إيديولوجياً على النظام الإيراني، إلا أنه كان يتمتع ببعض الحرية لاختيار قراراته المتعلقة ببعض المسائل اللبنانية الداخلية. وعلى الرغم من استمرار تعددية المرجعيات لدى الشيعة بعد وفاة الخميني، إلا أن المرجعية في حالة حزب الله قد تحددت على أساس إيديولوجي عقائدي مبني على اتباع مرجع التقليد الرسمي في إيران الذي تعترف به الجمهورية الإسلامية. وبالتالي كان معتمد سلطة حزب الله الدينية وسيبقى ولاية الفقيه الإيرانية. وقد جعل هذا الأمر الانتقال بعد وفاة الخميني أكثر سلاسة في نهاية المرحلة الثانية وبداية المرحلة الثالثة خاصة بعد أن كان الخميني قد عين خامنئي عراباً لحزب الله منذ تأسيسه. وهكذا، في ما يتعلق بموقفه الديني والإيديولوجي، كان حزب الله ينصاع

---

(١) نصر الله، «أحزاب لبنان...»، الجزء الأول، الشبكة الوطنية للإرسال أن بي أن NBN، ٢١ تموز/ يوليو ٢٠٠٢.

بالمطلق لأفكار الإمام الخميني وآرائه كما ينقلها الخامنئي. وقد أوضح حزب الله أنه كان ينظر إلى الإمام الخميني من وجهة نظر دينية وإيديولوجية، بكل تقدير. وقد نقل بعد وفاته التقدير والاحترام نفسه إلى الإمام خامنئي.

غير أن انتقالاً جديداً وقع في المرحلة الثالثة عندما أكد حزب الله أنه لا يعتبر نظام الجمهورية الإسلامية في إيران النظام القانوني للمسلمين كافة، وبالتالي لا يتعين على الحركات الإسلامية كلها الالتزام بأوامر الفقيه أو النظام الإيراني وتوجيهاته(١). ثمة انتقال آخر وقع في المرحلة الثالثة، عندما عين الخامنئي في أيار/مايو من العام ١٩٩٥ الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله، وعضو مجلس شورى الحزب الشيخ محمد يزبك وكيليه الشرعيين في لبنان. نجم عن هذا الأمر مزيد من اللبننة التي تتلاءم أكثر وأكثر وخصوصيات المجتمع اللبناني بدل الولاء الأعمى لإيران. وهكذا، انتقل حزب الله من التبعية الإيديولوجية المطلقة للخميني في المرحلة الأولى، إلى تبعية أقل بعد وفاته في المرحلة الثانية. أخيراً، في المرحلة الثالثة، اكتسب حزب الله المزيد من الاستقلالية في اتخاذ القرارات ليس في المسائل السياسية العملية وحسب، بل أيضاً في المسائل الفقهية، حتى ليبدو أن الحزب يمارس استقلالية تامة في عملية اتخاذ القرارات، أقله في بعض الحالات. على سبيل المثال، بعد الانسحاب السوري في صيف العام ٢٠٠٥، حصل حزب الله على شرعية المشاركة في الحكومة اللبنانية للمرة الأولى في تاريخه من الشيخ عفيف النابلسي، رئيس هيئة علماء جبل عامل في جنوب لبنان. [193]

وبالتالي، يلتفت حزب الله إلى السلطة الدينية اللبنانية إلى جانب السلطة الإيرانية. لذا، فإن مشاركة حزب الله في الحكومة اللبنانية التي تتطلب، إيديولوجياً، قراراً شرعياً وشرعية من الفقيه، قد أُنزِلت إلى مرتبة مسألة إدارية تتمكن قيادة حزب الله من اتخاذ قرار مستقل حولها. وعلى الفور، التحق حزب

---

(١) نصر الله، راجع برنامج «أحزاب لبنان..»، الشبكة الوطنية للإرسال أن بي أن NBN، الجزء ٣.

الله بالحكومة بوزيرين وازداد تواجده في المؤسسات الحكومية اللبنانية وفي الهيكلية الإدارية قبل أن يتولى الرئيس الإيراني المحافظ محمود أحمدي نجاد وحكومته السلطة في إيران.

يرى كثيرون أنه منذ وفاة الإمام الخميني، يبدو ثمة تغيير ملموس في علاقة حزب الله السياسية مع إيران، مع التشديد على أن عملية التحرير في إيران قد تكون أرخت بظلالها على حزب الله وأثرت على سياساته نحو الاعتدال[1]. غير أنه ما من دليل على أن الإصلاحيين في إيران قد أثروا بشكل جذري على سياسات حزب الله الخارجية والداخلية. يعود الأمر إلى واقع أن علاقة حزب الله الأساسية مع إيران محصورة إلى حد كبير بالمرجع الرسمي وبالمؤسسات الإيرانية الحكومية. لذا، فإن الانتقال من رئاسة الإصلاحي خاتمي إلى المحافظ غير العالم (ليس رجل دين)[2] محمود أحمدي نجاد لا يبدِّل في علاقات حزب الله مع إيران. وقد أوضح قادة الحزب خلال زيارتهم إلى طهران في آب/أغسطس العام ٢٠٠٥ أنه بعكس النظرة السائدة عن انقسام إيران بين إصلاحيين ومحافظين، فهم ينظرون إلى إيران على أنها نظام موحد وليست قوتين متنافستين. في الواقع، يشير العرض السابق إلى تغيير في علاقات حزب الله مع إيران حيث تتجه إلى مزيد من الاستقلالية في اتخاذ القرارات، وفي تحديد الهوية اللبنانية والخصوصيات والمصالح اللبنانية بغض النظر عن شخص الفقيه أو الرئيس.

تجدر الإشارة إلى أنه، حتى اليوم، تستمر إيديولوجيا حزب الله الدينية في الاضطلاع بدور أساسي لأنه ببساطة يصعب فصل حزب الله عن الاهتمامات الدينية لأنه حزب يرتكز على الدين. غير أن الدين لم يعد يشكل التبرير والتشريع

---

(١) ويلفريد بوشتا Wilfried Buchta من يحكم إيران؟ تركيبة القوة في الجمهورية الإسلامية Who Rules Iran? The Structure of Power in the Islamic Republic، واشنطن العاصمة: معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى؛ وكونراد أدينوير ستيفتانغ Konrad Adenaueur Stiftung، ٢٠٠٠.

(٢) وهذه أيضاً سابقة منذ العام ١٩٨١.

الإيديولوجي الوحيد لسلوك حزب الله، إذ يرتكز استعماله اسمياً على الادعاءات الأخلاقية بالإسلام الشيعي بدل ارتكازه على أساس عقائدي ديني إيديولوجي متصلب كما كانت الحال في المرحلة الأولى من تكوينه. استناداً إلى مصادر داخلية وملاحظات ميدانية قام بها الكاتب، يمكن القول إن غالبية كوادر حزب الله تعتبر الاختلافات في الآراء السياسية لقادته ظاهرة تعكس جواً «ديمقراطياً» صحياً. غير أن الامتثال الحازم والسلوك الصارم يحولان دون تحول الاختلافات إلى نقاط نزاع باستثناء حال الطفيلي. [194]

١ . ٢ المستكبرون والمستضعفون، مع تركيز خاص على الولايات المتحدة وإسرائيل

في المرحلتين الأولى والثانية، ارتدى استخدام حزب الله للفظتي المستكبرين والمستضعفين طابعاً آخر إذ كان ينظر إلى الموارنة السياسيين وإسرائيل وفرنسا والولايات المتحدة بصفتهم المستكبرين، فيما دول العالم الثالث كلها هي الدول المستضعفة. في المرحلة الثانية، استخدم حزب الله بألفاظ سياسية إيديولوجية تعابير إسلامية خاصة أو مصطلحات قرآنية ضد الغرب مثل المستكبرين والمستضعفين والشيطان الأكبر والشيطان الأصغر(١) إلخ. وهكذا، شرّع حزب الله التمييز بين المستكبرين والمستضعفين على أساس القرآن (السورة ٣٤؛ ٣١ ـ ٣٣) مقدماً نظرية إسلامية للاستكبار. استناداً إلى مجموعة من الآيات القرآنية، (٢٨؛ ٥ ـ ٦) و(٨؛ ٢٦) و٤٢؛ ٣٩)، يؤكد حزب الله أن مفهوم المستضعفين هو مفهوم قرآني برز مع الثورة الإسلامية؛ وهكذا فهو لا علاقة له بالماركسية أو لاهوت التحرير اللذين يعتبرهما الحزب غير إسلاميين.

---

(١) بعد التحرير، أو الانسحاب الإسرائيلي شبه الكامل من جنوب لبنان في أيار/مايو ٢٠٠٠، بنى حزب الله دعامتين حجريتين صغيرتين، إحداهما تمثل الشيطان الأكبر (الولايات المتحدة) والأخرى تمثل الشيطان الأصغر (إسرائيل)، بحيث يتمكن الناس من رمي الحجارة عليهما، في محاكاة للعمل الرمزي المتمثل برجم الشيطان في المدينة المنوّرة في المملكة العربية السعودية في خلال موسم الحج. وهكذا حل حزب الله مشكلة إطلاق الجنود الإسرائيليين على الحدود النار على اللبنانيين الذين كانوا يستهدفون الجنود بالحجارة عبر الشريط الحدودي الشائك.

شدد آية الله السيد فضل الله على أن القرآن يميز بين مجموعتين من المستضعفين: المهمل الذي يمارس التقية ويرفض الهجرة والملتزم الذي ينخرط في التعبئة لتغيير وضعه (٤؛ ٩٧ ـ ٩٩). تشدد إيديولوجيا حزب الله السياسية على الطبيعة الشاملة لمفهوم الاستكبار القرآني الذي لا يميز بين عرق أو دين أو طبقة أو جندر أو خلفية ثقافية.

تُرجِم هذا الأمر بألفاظ سياسية ـ إيديولوجية عملية كمواجهة مع الشرق والغرب على حد سواء، حيث وحده شعار الإسلام يرفع عالياً. تحمل إحالة الحزب إلى الآية القرآنية التي تتناول الشرق والغرب معنى آخر إذ إن استخدامها الأصلي كتفسير صوفي، يختلف عن الشرق والغرب اللذين شهدا الحرب الباردة. يبدو أنه في المرحلتين الأولى والثانية، نتج من إيديولوجيا الحزب القائمة على مبدأ «لا شرق ولا غرب، وحده الإسلام» تبعية أساسية لأهداف السياسة الخارجية الإيرانية[١] في ما يتعلق بالمجتمع الدولي والغرب. على الأرجح أن حزب الله تبنى إطار العمل الإيراني للهوية. غير أن الحزب استبدل القومية الفارسية بالقومية العربية. تماشياً مع المكون الثالث للهوية الإيرانية، ولا سيما العداء للإمبريالية، بشرت إيديولوجيا حزب الله السياسية بالعداء تجاه الولايات المتحدة وفرنسا وإسرائيل. يمكن النظر إلى هذا الأمر كامتداد رمزي أوسع للنضال الإيراني الثوري ضد التدخل الأجنبي والاستعمار. نظرت النخبة الحاكمة في حزب الله إلى النضال الثوري في لبنان من منظور المنشور الإيديولوجي السياسي للعداء للإمبريالية والعداء للاستعمار ونشر الإسلام؛ وقد

---

(١) بحسب مالوني Maloney، تتمثل وظائف الإسلام السياسي في السياسة الخارجية، التي تميّز الهوية الإيرانية، بما يلي: «القومية الفارسية، الإسلام الشامل، والعداء الثوري للإمبريالية». (سوزان مالوني Suzanne Maloney «الهوية والتغيير في السياسة الخارجية الإيرانية» Identity and Change in Iran's Foreign Policy، لدى رايموند هانبوش Raymond Hinnebusch وأنوشيرابان إحتشامي Anoushiraban Ehteshami (ناشرون)، السياسة الخارجية لدول الشرق الأوسط The Foreign Policy of Middle East States. بولدر - Boulder كولورادو: لين راينر ناشرون Lynn Riener Publishers، ٢٠٠٢، ص. ٨٨ - ١١٦).

انعكس ذلك من خلال الرابط بين نشاط الحزب وسياسة إيران الخارجية في لبنان. [195]

على الرغم مما سبق ذكره، ليس الرهاب من الغرب أو كراهية الغرب متجذرة في إيديولوجيا حزب الله السياسية القائمة على معاداة الإمبريالية. بل إنه يمكن النظر إلى موقف حزب الله من الغرب من منظور التطهير من سموم الغرب؛ إذ إن معاداة الإمبريالية التي ينتهجها الحزب موجهة في الأساس ضد السيطرة السياسية والثقافية «للشيطان الأكبر» (الولايات المتحدة) «والشيطان الأصغر» (إسرائيل). بالتالي، تظهر إيديولوجيا حزب الله السياسية أن عداءه موجه للإدارة الأميركية وليس للشعب الأميركي، بينما الوضع في إسرائيل مغاير حيث إن عداء حزب الله موجه ضد الإدارة الإسرائيلية والمدنيين الإسرائيليين(١). باختصار، في المرحلة الأولى، مارس حزب الله الرهاب؛ وانتقل في المرحلة الثانية إلى ممارسة التطهّر من سموم الغرب؛ أما في المرحلة الثالثة، فنسبة أقل من التطهّر من سموم الغرب ضد الولايات المتحدة وإسرائيل على وجه التحديد وفي الوقت نفسه الانفتاح على الدول الأوروبية بما فيها فرنسا وبريطانيا والمنظمات غير الحكومية الدولية.

وهكذا في المرحلة الثالثة، لم يتغير لا تصور الحزب حول المستضعفين ولا إدراكه لهم، إذ إنه لا يزال يطبق التصنيف نفسه كما في المرحلتين الأولى والثانية. وعلى الرغم من بقاء تصور حزب الله للمستكبرين على حاله، إلا أن هذا التصور قد شهد بعض التغيير. فداخلياً، توقف الحزب عن النظر إلى الدولة اللبنانية والمارونية السياسية كأطراف مستكبرة؛ على العكس، التزم حزب الله وتعاون مع الدولة اللبنانية وشارك في الانتخابات النيابية والبلدية، وشارك حتى

---

(١) راجع جوزيف الآغا، «حزب الله والإرهاب و١١ أيلول/ سبتمبر» Hizbullah, Terrorism, and Sep. 11، الشرق: المجلة الألمانية للسياسة والاقتصاد في الشرق الأوسط ORIENT: German Journal for Politics and Economics of the Middle East، المجلد ٤٤ (أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٣)، العدد ٣، ص. ٣٩٦ - ٣٩٧؛ ٤٠٥ - ٤١٠.

في الحكومة مشرعاً ذلك من موقف مسؤوليته الشرعية تجاه الشعب المستضعف. إقليمياً ودولياً، أسقط الحزب بالكامل عداءه تجاه فرنسا ـ التي كان يساويها بالشيطان الأكبر والشيطان الأصغر ـ ويعود السبب الرئيسي إلى تحسن علاقات فرنسا مع إيران في التسعينيات. غير أن عداء حزب الله لإسرائيل والولايات المتحدة وموقفه الإيديولوجي منهما بقي على حاله.

ومع ذلك، لا بد من ملاحظة تغير مهم في السياسة. فبدل استخدام طراد حمادة كقناة اتصال، طمح حزب الله إلى إجراء اتصال مباشر وحوار مع الولايات المتحدة وسعى من أجله، نزولاً عند اقتراح حمادة خلال محادثاته مع الإدارة الأميركية في حزيران/يونيو ٢٠٠٥. يشكل اجتماع نواف الموسوي بغراهام فولر في آذار/مارس ٢٠٠٥ خطوة في هذا الاتجاه. يشكل موقف حزب الله تغيراً إيديولوجياً نحو الولايات المتحدة. في أيار/مايو ٢٠٠١، ادعى السيد نصرالله أن الإدارة الأميركية تسعى جاهدة للاتصال بحزب الله. غير أن الحزب، بحسب ما يقول، يرفض ذلك من منظور موقفه الإيديولوجي ـ السياسي وسياسات القوة ومصلحة الطرف الأقوى. أضاف أن سياسة العصا والجزرة والتبرير التي تستخدمها الإدارة الأميركية لاحتواء نشاطات الحزب والقضاء عليها لا تجدي نفعاً(١). [196]

في المرحلتين الأولى والثانية، وجه حزب الله ثورته ضد الظلم السياسي والاجتماعي والقمع، لكنه لم يقدم برنامجاً سياسياً يتعامل بشكل بناء مع المسائل الاجتماعية الاقتصادية الضاغطة. افتقدت دعوة الحزب للحاكمية الرؤيا الاجتماعية الاقتصادية التي لن تتجسد قبل المرحلة الثالثة. وفي المرحلة الثالثة، لم يأت عمل حزب الله النيابي والبلدي والحكومي على حساب البرامج الخيرية. بل على العكس، تلازم دفع العمل السياسي مع دفع العمل الاجتماعي. يشدد

---

(١) خطاب بدنايل، ٢٠ أيار/مايو ٢٠٠١؛ مقابلة مع محطة الجزيرة الإخبارية، ٢٥ أيار/مايو ٢٠٠١.

حزب الله في برنامجه السياسي على انصياعه للشرعة الدولية لحقوق الإنسان وميثاق الأمم المتحدة. يشكل تأكيد حزب الله على تعاونه مع المنظمات الخيرية التطوعية ومنظمات التنمية المحلية والدولية بما فيها اليونيسف وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية، فحصاً دقيقاً لسياسات الحزب السابقة ومواقفه التي تتعارض بشكل كبير مع رؤياه السابقة الواردة في الرسالة المفتوحة حول المنظمات الدولية حيث اتهمها بخدمة المصالح الغربية على حساب المستضعفين[١].

١ . ٣ الجهاد والاستشهاد

الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر

في المراحل الثلاث، انخرط حزب الله في الجهاد العسكري الأصغر عبر التضحية بالنفس والممتلكات كفعل جهادي دفاعي ضد القوات الإسرائيلية التي تحتل جنوب لبنان والبقاع. في المرحلتين الأولى والثانية، لم يحظ الحزب بالوقت الكافي للانخراط في الجهاد الأكبر القائم على إصلاح النظام السياسي أو المشاركة في الانتخابات البلدية والنيابية والعمل الحكومي والإداري، بهدف وقف الفساد؛ فهذه إحدى خصائص المرحلة الثالثة. في الواقع، انخرط حزب الله في المرحلتين الأولى والثانية في الجهاد الأكبر القائم على تهذيب النفس وإصلاحها عبر عملية روحية تصاعدية تهدف إلى بناء إنسان مندمج. عندئذ يستطيع أعضاء حزب الله الانخراط في الجهاد العسكري الأصغر. وفي هاتين المرحلتين أيضاً، استخدم حزب الله الجهاد الأكبر في سياسات التأطير والتوظيف وفي استراتيجيات التعبئة، من خلال الانتظام وطاعة الله والفقيه. يُمنع الانخراط في الجهاد العسكري الأصغر والاستشهاد قبل غرس أسلوب التعبئة الإسلامية هذا في نفوس كل فرد من حزب الله. في المرحلة الثانية، وسع حزب

---

(١) «نشير إلى أن هذه المنظمات ليست منبراً للأمم المستضعفة بشكل عام وتبقى عديمة الفاعلية بسبب هيمنة دول الاستكبار العالمي على قراراتها إجراء أو تعطيلاً». راجع القسم ٢٤: «كلمة أخيرة حول المنظمات الدولية».

الله الجهاد الأكبر ليشمل كافة مراحل العضوية في نشاط حزب الله. ومع أن الحزب أدان في هاتين المرحلتين الممارسات الفاسدة للدولة اللبنانية وطبيعتها الطائفية المذهبية، إلا أنه لم يبرر خطابه بلجوئه إلى الجهاد الأكبر. [197]

في المرحلة الثالثة، وللمرة الأولى منذ ولادته، انخرط حزب الله في الجهاد الأكبر، عبر الاندماج في الدائرة العامة اللبنانية من خلال سياسة الانفتاح. وهكذا، لم يبق جهاد حزب الله الأكبر محصوراً بالبعد النظري (الإيديولوجي ـ السياسي) للعضوية في الحزب، بل تخطاه إلى التضمين العملي السياسي لمحاربة الفساد في النظام السياسي والإداري اللبناني. وقد يكون السبب أنه بعد إنجازه التحرير، حوّل حزب الله شريحة كبرى من تعبئة موارده إلى الداخل من خلال سياسة انفتاح في الدائرة العامة اللبنانية الداخلية. وقد هدف من ذلك إلى إثبات أنه القوة السياسية الأكبر في لبنان. وهكذا تضاءلت هويته الإسلامية التي تتخطى الحدود الوطنية على حساب اندماجه في الشؤون الداخلية اللبنانية(١).

يبدو أن حزب الله قد تبنى سياسة انفتاحه أيضاً وطبقها على الجهاد. فقد أفاد الحزب على وجه التحديد أن الانخراط في الجهاد الأكبر أصعب مئة مرة من ممارسة الجهاد العسكري الأصغر. وفي تغيير إيديولوجي آخر، لم ينفذ حزب الله أي عملية استشهادية بعد الانسحاب الإسرائيلي شبه الكامل في أيار/مايو ٢٠٠٠. وبالتالي، تغير على الأرجح معنى الجهاد والاستشهاد وتطبيقهما من الجهاد العسكري الأصغر في أرض المعركة إلى الجهاد الأكبر في المشاركة في العمليات الديمقراطية الداخلية ـ المحلية.

شهد حزب الله تغيرات إيديولوجية استطرادية بعد التحرير. أفاد حزب الله أن جهاده الأكبر وتكريسه مواجهة الحالة الاجتماعية الاقتصادية للشعب اللبناني

(١) على المستوى النظري، هذا ما يسوّغه على الأرجح المنطق التالي: «الهويات الانتقالية، على الرغم من أهميتها، قد تكون محدودة جداً في تأثيرها الطويل الأمد لأن السياسيين (نصر الله) يستجيبون للجماهير المحلية أكثر مما يستجيبون للآراء التي يعبّر عنها مواطنو الدول الأخرى». سايدمان Saideman، التفكير نظرياً. . .، ص. ١٩٤.

المستضعف لا يتعارض أو يقوض أولوية الجهاد العسكري الأصغر لتحرير الأراضي المحتلة. في الواقع، تغيرت أولويات حزب الله وخطابه قبل التحرير من بروز المقاومة إلى سيطرة البرنامج الاجتماعي الاقتصادي بعد التحرير. وقد يعود السبب إلى أنه في إطار النضال الوطني للتحرر من النظام غير الإسلامي، تتحرك الحركات الإسلامية بشكل شبه كامل في إطار قومي. ولا تنقل الحركات الإسلامية اهتمامها إلى مسائل الإصلاح الداخلية المتعلقة بالخلقيات الفردية والاجتماعية وبالحكم الجيد إلا بعد إنجاز هدف التحرير الوطني. لقد تُرجم هذا الأمر بعد تركيز حزب الله المكثف على إعادة الإعمار الاجتماعية الاقتصادية للمناطق المحررة والمناطق المحرومة الأخرى، كما ورد في برنامجه الاجتماعي الاقتصادي الشامل. [198]

الانتحار والاستشهاد

في ما يتعلق بالإطار الزمني للعمليات الاستشهادية، يبدو وكأن حزب الله قد قسمها بالتساوي على النحو التالي: أربع عمليات في عصر سيطرة الإيديولوجيا الدينية؛ أربع في مرحلة الإيديولوجيا السياسية؛ وأربع في مرحلة البرنامج السياسي. في المرحلة الأولى، استناداً إلى تبريراته الدينية الإيديولوجية للاستشهاد، عرّف حزب الله صراحة الانتحاريين على أنهم يتلقون الوحي من استشهاد الإمام الحسين في كربلاء ويسعون إلى اتباع خطاه. غير أن الحزب لم يميز في المراحل الثلاث كلها بين الموت على أرض المعركة بالرصاص أو تفجير النفس بواسطة المتفجرات؛ بل يعتبر الفعلين عملاً استشهادياً طالما تجيزهما السلطات الدينية.

في المرحلة الثانية، اعتبر حزب الله الاستشهاد مفتاح الجنة أو الطريق لبلوغها، لكن شروحاته وتبريراته الإيديولوجية وتسويغاته برزت كلها بألفاظ سياسية مثل تماهي حزب الله مع العروبة والإسلام ومعاداة الصهيونية ومعاداة الإمبريالية، باختصار مع المستضعفين ضد المستكبرين والمستعمرين ومغتصبي

الأراضي. وهكذا، نقل حزب الله تبريره الديني ـ الإيديولوجي للجهاد والاستشهاد إلى تبرير سياسي إيديولوجي.

في المرحلتين الثانية والثالثة، تم التخلي عن التحريم الذي كان مفروضاً في المرحلة الأولى على العمليات الاستشهادية، إلا إذا أدت إلى مقتل ثلاثين جندياً إسرائيلياً على الأقل. غير أن الاستشهاد قد أجيز في المراحل الثلاثة في حال كان حزب الله يواجه جيشاً أكثر تفوقاً مثل الجيش الإسرائيلي، وقد أبرزت الأساليب التقليدية للجهاد العسكري الأصغر عدم جدواها بالكامل. وهكذا شدد حزب الله على أن الاستشهاد أكثر الوسائل المتوفرة للمقاومة الإسلامية فاعلية لمحاربة قوة احتلال كثيرة العدد والعتاد.

في المراحل الثلاث كلها لم ينفذ حزب الله أي عملية انتحارية ضد المدنيين الإسرائيليين على مدى ١٨ عاماً من النضال ضد القوات الإسرائيلية التي تحتل جنوب لبنان، إذ إن الانتحار أولاً محرم بشكل كامل في الإسلام وثانياً فإن إيديولوجيا حزب الله الدينية والسياسية وبرنامجه السياسي تحرم استهداف المدنيين الإسرائيليين في حرب الاستنزاف ضد القوات الإسرائيلية المحتلة. في المقابل، فقد استهدفت عملياته الميدانية والاستشهادية كلها الجيش الإسرائيلي وجنود المخابرات الذين يحتلون التراب اللبناني. في الواقع، «خلال ١٧ عاماً من نضال حزب الله ضد إسرائيل على طول الحدود اللبنانية/الإسرائيلية في جنوب لبنان، لم يثبت أي طرف معني بشكل مباشر (بما فيه قوات الأمم المتحدة العاملة على الأرض) أن حزب الله قد نفذ هجوماً إرهابياً واحداً ضد المدنيين الإسرائيليين. . . فقد اتخذ الحزب قراراً استراتيجياً في وقت سابق باستثناء التكتيكات الإرهابية من جهاده ضد الاحتلال الإسرائيلي والتزم بهذا القرار[١]. [199]

---

(١) جوديث بالمر حريق Judith Palmer Harik حزب الله: الوجه المتغيّر للإرهاب Hezbollah: The Changing Face of Terrorism. لندن: آي. بي. توريس I.B. Tauris، ٢٠٠٤، ص. ٢؛ ١٦٨.

في المرحلة الثالثة، ضمّن حزب الله تبريراً قومياً لعملياته الاستشهادية في برنامجه السياسي، إضافة إلى تبريره الديني والسياسي ـ الإيديولوجي الذي ورد مسبقاً في المرحلتين الأولى والثانية. يوحي التبدل الاستطرادي في تبرير حزب الله للاستشهاد أنه تطور من تبرير ديني إيديولوجي إلى تبرير سياسي إيديولوجي، وأخيراً إلى تبرير قومي علماني. يبدو أن الحافز الذي دفع بالحزب وبحركات المقاومة العلمانية إلى القيام بالعمليات الاستشهادية هو استعادة عزة الأمة وكرامتها. أما الأرضية المشتركة للحركات الإسلامية والقومية/العلمانية فهي الاتفاق على أن العيش في ظل الاحتلال مساو للعار والذل، وبالتالي فإن وضع حد للاحتلال يشكل واجباً دينياً وقومياً عبر شتى الوسائل بما فيها العمليات الاستشهادية. وهكذا، فإن العمليات الاستشهادية ـ التي نفذتها الحركات الإسلامية أو حركات المقاومة ـ هي عمليات غيرية مضحية بالنفس تحصل على شرعيتها من فكرة حماية عزة الأمة وكرامتها[١].

في المرحلة الثالثة بشكل عام، يبدو أن إعلانات حزب الله الرسمية حول الجهاد والاستشهاد تقترح أن الحزب قد كيّف أيضاً سياسة الانفتاح على الجهاد والاستشهاد وطبقها. وهكذا يبدو أن معنى الجهاد والاستشهاد وتطبيقهما قد تغير من أرض المعركة إلى الانتخابات والتعامل مع المسائل الداخلية ـ المحلية. فجهاد حزب الله الأكبر كان موجهاً نحو اندماج أكبر في النظام السياسي اللبناني ومؤسسات الدولة. يمكن مناقشة هذه الخطوة التي تتماشى مع هوية الحزب القائمة على المقاومة (الجهاد الأصغر) وتشكل تقنية أساسية لديمومة الحزب عبر محاولة دمج هويته مع سيادة الدولة اللبنانية مع السعي لعدم المساس بالتزاماته الإقليمية.

بكلمات أخرى، تأسس حزب الله بصفته حركة إسلامية جهادية. وكان

---

(١) هذا المنطق يستند أيضاً إلى تمييز حزب الله بين أربعة معانٍ للاستشهاد. للاطلاع بالتفصيل على هذه الحجة، راجع جوزيف الآغا، «حزب الله والاستشهاد» Hizbullah and Martyrdom الشرق ORIENT، المجلد ٤٥ (آذار/مارس ٢٠٠٤)، العدد ١، ص.٤٧ - ٧٤.

المعنى الأساسي للجهاد منذ تأسيسه هو الجهاد العسكري الأصغر. أما التبدل المهم الواجب ملاحظته بعد عقدين هو أن هذا الجهاد العسكري الأصغر تحول إلى جهاد أكبر: الجهاد في الانتخابات، ومحاربة الفساد، والاشتراك في الحكومة والاندماج في مؤسسات الدولة، فضلاً عن الدائرة العامة اللبنانية بشكل أوسع.

١ . ٤ الدولة الإسلامية

في المرحلتين الأولى والثانية، اعتبر تيار حزب الله الإسلامي أن القرآن يشكل دستور الأمة الإسلامية، فيما يعتبر الإسلام نظام الدين والدولة. لذا حث حزب الله المسلمين على الكفاح مستخدمين كافة الوسائل الشرعية لتطبيق النظام الإسلامي حيثما وجدوا. [200]

وقد استند الحزب في نقاشه في الحالة اللبنانية على وقائع ديموغرافية (واقع أن المسلمين يشكلون غالبية الشعب) واقترح أن يصبح لبنان جزءاً من الدولة الإسلامية الشاملة. وأكد كوادر الحزب على ضرورة إرساء نظام إسلامي، مشددين على ضرورة البدء بالتغيير الاجتماعي من الأعلى عبر تغيير النظام السياسي والقضاء على الطبقة الحاكمة بواسطة عملية ثورية تبدأ من أعلى الهرم إلى أسفله.

كما اعتبر حزب الله في المرحلتين الأولى والثانية أن النظام السياسي اللبناني الذي يسيطر عليه الموارنة السياسيون نظام جاهلي. وينطبق الاعتبار نفسه على أي نظام غير إسلامي أكان وطنياً أو ديمقراطياً أو قومياً حتى لو خضع لحكم مسلمين. بمعنى آخر، واصل حزب الله في المرحلتين الأولى والثانية فكرة إرساء دولة إسلامية من منظور الإيديولوجيا الدينية والسياسية على التوالي. فالإيديولوجيا الدينية، كما يؤكد قادة حزب الله، تهدف إلى تطبيق سيادة الله وحكمه الإلهي على الأرض عبر الحاكمية وتطبيق شريعة الله عبر إرساء نظام إسلامي كالتكليف الشرعي. أما على صعيد الإيديولوجيا السياسية، فلم يسعَ حزب الله إلى فرض النظام الإسلامي بالقوة إلا إذا ما صوتت الغالبية الساحقة من

اللبنانيين لصالح هذا النظام بواسطة استفتاء. ولا بد هنا من تناول الموضوع بقليل من الحذر إذ إن لغة حزب الله في المرحلتين الأولى والثانية مختلفة عما يقوم به في الواقع؛ بمعنى انخراطه بفاعلية للتحضير لإرساء نظام إسلامي، أقله في المناطق التي يسيطر عليها.

في المرحلة الأولى، أراد حزب الله أن يفرض النظام الإسلامي بالقوة. في المرحلة الثانية، أكد حزب الله أنه لن يطبق النظام الإسلامي ما لم يحظ بموافقة غالبية اللبنانيين، مدعياً أنهم يتوقون إليه. في المرحلة الثالثة، سادت مقاربة الحزب البراغماتية والواقعية حيث اعترف بأن غالبية اللبنانيين سيقولون لا للنظام الإسلامي. لذا فهو لم يتخلّ عن دعوته لإرساء النظام الإسلامي بل أسقطه بشكل كامل من برامجه الانتخابية كلها. في المرحلة الثالثة، لم ينسف حزب الله المارونية السياسية، بل ما يعادلها سياسياً أي «الطائفية السياسية»، التي يشارك فيها السنة والشيعة على حد سواء، داعياً إلى إصلاح النظام السياسي وفق خطوط إلغاء الطائفية السياسية كما ينص عليه دستور لبنان الجديد الصادر في العام ١٩٩٠. مستنداً إلى قوته الديموغرافية دعا حزب الله إلى تغيير النظام الانتخابي إلى التمثيل النسبي، الذي يؤمن الحزب أنه يمنح الطوائف الثماني عشرة تمثيلاً أكثر عدلاً. وهكذا، يمكن اعتبار الانتقال من نسف «المارونية السياسية» في المرحلتين الأولى والثانية، إلى نقد «الطائفية السياسية» نوعاً من التغيير في اللغة بدل كونه تغييراً حقيقياً في السياسية، إذ إن سياسة حزب الله الانفتاحية لا تسوغ بعد الآن انتقاده المسبق للمارونية السياسية ومعارضته لها. [201]

يؤكد حزب الله أنه يستفيد من الرؤيا الفقهية التي تؤمن بولاية الفقيه، التي بدورها تمنحه شرعية حصوله على برنامج سياسي في بلد متعدد الثقافات والأديان، يتميز بمجموعات وقوى تعددية من دون انتهاك قناعاته العقائدية الإيديولوجية والإسلامية الدينية(١). باستخدامه هذا المنطق، يعيد حزب الله

---

(١) كما جاء لدى حسن عز الدين، «كيف يُنظر إلى حزب الله وكيف يقدّم الحزب نفسه؟» =

صياغة ما عناه بالدولة الإسلامية عبر قيامه بتمييز قاطع بين الفكر السياسي الذي يحافظ عليه والبرنامج السياسي الذي يدعو إلى تطبيقه. من منظور إيديولوجي، يلتزم حزب الله ببناء دولة إسلامية، ولن يتخلى عنها كنظرية شرعية. غير أن برنامج حزب الله السياسي لا بد من أن يأخذ بعين الاعتبار الوضعية السياسية وعمل النظام السياسي اللبناني بشكل عام. يصف حزب الله الحالة السياسية اللبنانية بقالب معقد من الخصوصيات الطائفية ـ المذهبية التي تحول دون تأسيس دولة إسلامية ليس من منظور عملي وحسب إنما من منظور عقائدي أيضاً. فإيديولوجيا حزب الله السياسية تنص على ضرورة إرساء دولة إسلامية على أسس ثابتة حيث تحظى بالشرعية المطلقة والسيادة من الشعب. وبما أن إرادة الشعب اللبناني تعارض تأسيس دولة إسلامية، فليس مقبولاً تأسيس واحدة[1].

يؤكد كوادر آخرون في حزب الله أن تأسيس دولة إسلامية في لبنان كان مشروعاً إيديولوجياً (إيديولوجيا سياسية) بدل أن يكون مشروعاً سياسياً (برنامجاً سياسياً). وقد شكلت الدولة الإسلامية جزءاً من أدبيات حزب الله وخضعت للمناقشة من زاوية إيديولوجيته السياسية لكنها لم تشكل أبداً جزءاً من برنامجه السياسي[2]. يميز حزب الله بين «الرؤيا الإيديولوجية» (الإيديولوجيا السياسية)

= How is Hizbullah looked upon and how does it introduce itself?، دراسة تم تقديمها كمساهمة في مؤتمر الجامعة اللبنانية الأميركية حول «تحديد العرب في نمط واحد» Arab Stereotyping، ٦ ـ ٩ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠١، ص. ٦. نُشر المقال نفسه في جريدة السفير بتاريخ ١٢ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠١.

(١) راجع مقابلة نصر الله بتاريخ ٢٤ أيلول/سبتمبر ١٩٩٨ في برنامج «نقطة ساخنة» على محطة الجزيرة الإخبارية. يشدد نصر الله على أن الثورة الإسلامية في إيران لم تكن انقلاباً عسكرياً، بل ترافقت مع خيار الشعب. وقد أجرى آية الله الخميني نفسه استفتاءً عاماً حول هذه المسألة وجعل الشعب يشارك في إعداد مسوّدة الدستور. واستناداً إلى السلف الإيراني، صرح نصر الله أنه لا يمكن إقامة دولة إسلامية عبر لجوء حزب سياسي مسلّح إلى القوة أو عبر القيام بانقلاب.

(٢) مقابلة مع علي فياض أجراها أبو النصر بتاريخ ١٧ نيسان/أبريل ٢٠٠٢، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٢٧.

و«التطبيق العملي» (البرنامج السياسي). لا تدعو رؤيا حزب الله الإيديولوجية (الإيديولوجيا السياسية) لتأسيس دولة إسلامية وحسب بل تشجع الآخرين أيضاً على قبولها إذ تقود إلى «هناء الفرد». ومع ذلك، على المستوى العملي، يحتاج الأمر «للقاعدة الصحيحة» التي تقبل تأسيس مثل هذه الدولة (الإسلامية)؛ على أن تكون القاعدة الصحيحة الشعب الذي يحق له اختيار النظام الذي يود أن يحكمه[١].

باختصار، شدد حزب الله على أن إيديولوجيته الدينية والسياسية تدافع عن تأسيس دولة إسلامية لكن الأمر ليس عملياً على صعيد البرنامج السياسي، بسبب الطبيعة المذهبية والطائفية في لبنان من جهة، ومعارضة غالبية اللبنانيين، المسيحيين والمسلمين، من جهة أخرى. بمعنى آخر، وضع حزب الله إيديولوجيته السياسية جانباً ومارس برنامجاً براغماتياً سياسياً أكثر واقعية. [202]

وبالتالي فقد انتقل حزب الله من عملية «الأسلمة» في ما يتعلق بتأسيس دولة إسلامية إلى سياسة اللبننة والانفتاح. وعلى الرغم من أن الحزب تخلى في المرحلة الثالثة عن ذكر تطبيق دولة إسلامية في لبنان من كافة برامج حملاته الانتخابية وإعلاناته السياسية، إلا أنه لا بد من ملاحظة بعض التناقض بين برنامج حزب الله السياسي وخطاب قادته. فقد أعاد خطاب حزب الله العام تكرار موقفه السابق القاضي بعدم فرض دولة إسلامية وتطبيقها بالقوة إلا إذا وافقت غالبية المسيحيين والمسلمين اللبنانيين على ذلك. بدّل حزب الله موقفه بقبوله العملية الديمقراطية وانخراطه فيها في ظل نظام سياسي وإداري متعدد الطوائف والمذاهب. أكثر من ذلك، فإن برنامج حزب الله السياسي عدَّل طلبه بإلغاء الطائفية السياسية إلى اعتماد خطاب ماروني سياسي يشدد على إزالة الطائفية السياسية من النفوس قبل إزالتها من النصوص. يبدو أن حزب الله يقترب أكثر فأكثر من كونه مشاركاً كاملاً في السياسات اللبنانية «الطبيعية» ـ مع الحدود التي

---

(١) قاسم، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٣٨.

تعنيها ـ منخرطاً في النظام الطائفي المذهبي اللبناني الذي كان يمقته في المرحلتين الأولى والثانية متهماً إياه بالفساد.

١ . ٥ علاقات حزب الله بالمسيحيين اللبنانيين

في المرحلتين الأولى والثانية اعترض حزب الله بقوة على خضوعه لحكم المسيحيين «الصليبيين». وبالتالي اعتبر الحزب واجباً دينياً منع المسيحيين من المشاركة في النظام الإسلامي عبر الحؤول دون حصولهم على الحريات السياسية. بما أنهم أهل الذمة، فقد سعى إلى تشجيع الحريات الاجتماعية والدينية دون سواها. في المرحلة الثالثة، لم يعد ينظر إلى المسيحيين على أنهم أهل الذمة، بل شركاء في الحكومة، الأمر الذي يشكل نقضاً شاملاً لآراء حزب الله ورفضه الكامل للخضوع لحكم المسيحيين في المراحل السابقة.

في المرحلة الثالثة، أظهر خطاب حزب الله تغيراً من تحميل مسؤولية سوء حظه على نظرية المؤامرة إلى حواره مع المسيحيين وانفتاحه عليهم، تماشياً مع توجيهات الإرشاد البابوي، متخلياً عن مطالبته السابقة بهدايتهم لاعتناق الإسلام. بعكس سياسته السابقة التي كانت قائمة على استثناء المسيحيين الذين تربطهم علاقات مشينة بإسرائيل من الحوار (أي الموارنة السياسيين والكتائب)، أكد حزب الله أن لا مشكلة من حيث المبدأ مع المسيحيين؛ بل مشكلته كانت مع أولئك الذين عملوا على تشجيع سياسات إسرائيل في لبنان. غير أن الحزب قد انطلق في الحوار معهم على أساس الشفافية للوصول إلى أرضية مشتركة من دون المسّ بخصوصية كل طائفة أو مذهب. [203]

وسّع حزب الله من أفق الحوار مع المسيحيين ليشمل المجموعة كلها تقريباً التي تتضمن النسيج اللبناني. وشدد الحزب على أن الحوار السياسي يتضمن أيضاً المسائل الاجتماعية الاقتصادية ومسائل المجتمع المدني. لذا في المرحلة الثالثة، حاول حزب الله وصف نفسه كمشجع كبير للتعايش الإسلامي ـ المسيحي. وكما درجت العادة منذ العام ١٩٩٢، أدرج حزب الله مسيحيين بمن

فيهم موارنة في لوائحه الانتخابية النيابية. كما تقاسم الحزب مقاعد في المجالس البلدية مع المسيحيين.

٦.١ اللبننة أو الانفتاح

في المرحلتين الأولى والثانية، اعتبر حزب الله أنه يتعين عليه تحرير لبنان من قيود المارونية السياسية والنظام السياسي الطائفي والمذهبي الذي يستند إلى قوانين وتشريعات وضعية، مثل دساتير الدولة. كما يتوجب عليه إرساء الشريعة التي لا يمكن أن تفرض إلا بالحاكمية عبر نظام أو أسلوب حكم إسلامي صاف وصارم، أكان حكومة إسلامية أو دولة أو جمهورية. وأكد الحزب أن الانصياع إلى القوانين الوضعية بدل الشريعة الإسلامية أمر محرم كلياً من منظور إيديولوجي ديني وسياسي على حد سواء. وكان التبدل الأبرز في المرحلة الثالثة عندما أصبح حزب الله راضياً عن القوانين الوضعية وساهم حتى في تشريعها من خلال نوابه في البرلمان. وناقش حزب الله مؤكداً أن الشريعة كظاهرة مبنية اجتماعياً هي مرنة ويمكن أن تشكل حلاً لتعقيدات الحياة العصرية كلها.

يمكن ربط التغيير الذي حصل في المرحلة الثالثة بتحول السياسات الإيرانية بعد وفاة الإمام الخميني، فضلاً عن التغيير في ديناميكيات حزب الله الداخلية. على سبيل المثال، برز تبدل واضح في الموقف الإيراني من فتوى الإمام الخميني الصادرة في العام ١٩٨٦ ـ التي اعتبرت النظام اللبناني غير شرعي وإجرامي وحجة الإمام خامنئي بضرورة أن يحكم المسلمون لبنان لأنهم يشكلون غالبية شعبه[١] ـ إلى قرار الإمام خامنئي في العام ١٩٩٢ لمصلحة المشاركة في الانتخابات النيابية حيث فسرها حزب الله على أنها حقه البيّن للتوسع في النظام السياسي اللبناني بشكل عام بما فيه مؤسسات الدولة وإداراتها. وقد برز تبدل إيديولوجي آخر في المرحلة الثالثة وهو أن حزب الله قد وضع إيديولوجيته

---

(١) المديني، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ١٦٢ - ١٦٣؛ شرارة، في المرجع المذكور آنفاً، ص. ٣٤٢.

السياسية جانباً مقدماً تسويات على المسائل العقائدية عبر تحالفه في الانتخابات نفسها مع أعداء سابقين وخوضه مفاوضات ومساومات مع مجموعات مختلفة من النسيج اللبناني. [204]

في المرحلة الثالثة، واجه حزب الله إشكالية المصالحة بين إيديولوجيته السياسية والواقع. فقد انتقل الحزب من منظور جهادي إلى منظور شرعي أكثر مرونة. وبالتالي أظهر حزب الله مرونة مميزة في برنامجه السياسي في محاولة منه للمصالحة قدر الإمكان بين مبادئه وأهدافه وإيديولوجيته السياسية من جهة والظروف وقدراته الموضوعية من جهة أخرى عبر الاعتماد بشكل كبير على المفاهيم الفقهية التي تتناول الضرورة والمفاسد والمصالح كنوع من الواجب الإسلامي. وهكذا تمكنت براغماتية حزب الله من صياغة زواج مصلحة بين الإيديولوجيا السياسية والواقع، لدرجة أن حزب الله كان مستعداً لوضع إيديولوجيته السياسية جانباً ومواصلة سياسة انفتاح كما يجيزه برنامجه السياسي. وهكذا تفوق منطق العمل ضمن إطار الدولة اللبنانية على منطق الثورة. ويبرر حزب الله برنامجه السياسي وبراغماتيته ويشرعهما باللجوء إلى القواعد القرآنية والفقهية. في الواقع، منح الإرث الشيعي الديني السياسي حزب الله كامل الأصالة التي احتاجها ليستمد منه برنامجاً سياسياً يرتكز على المرونة والبراغماتية.

على الرغم من أن حزب الله لا يزال في الأصل حركة إسلامية، إلا أنه بدأ يُبرز أكثر فأكثر ميزات حزب سياسي قومي ـ وطني يمارس الواقعية السياسية عندما تستدعي الظروف ذلك. كأي حزب سياسي آخر، ويحكم حزب الله قبضته على النظام السياسي فيعمل نوعاً ما بواقعية ويزن منافع كل قرار يتخذه أو حركة يقوم بها ومساوئهما. للحفاظ على سلامة هويته الإسلامية، بينما يعمل في إطار سيادة الدولة اللبنانية، اعترف الحزب بحكم الواقع بالدولة اللبنانية وليس بحكم القانون (أي ليست دولة إسلامية). بمعنى آخر، لا يستند تقيد حزب الله بالمبادئ والسياسات الديمقراطية على أسس سياسية إيديولوجية إذ إن إيديولوجيته السياسية لعنت النظام السياسي اللبناني، بل يرتكز على تقديم

المصالح ودرء المفاسد. يشرّع حزب الله مشاركته في العملية الديمقراطية على أساس مرونة الشريعة وشروطها الفقهية، فضلاً عن المفاهيم القرآنية للشورى والاختلاف والحقوق الشرعية والاجتهاد.

مع أن معظم الحِكَم التي يذكرها حزب الله ترد في كتب الفقه التقليدية، وعلى الرغم من أن حجج حزب الله مألوفة وتشكل صدى لتبريرات الإسلاميين حول المشاركة في السياسات العلمانية بهدف إسلامي، إلا أنه يمكننا ملاحظة تغييرين. [205] الأول أن هذه المبادئ تنطبق الآن على السياسات التي أصبحت مركزة على الدولة التي تشكل صياغة القوانين نشاطها الخاص. تاريخياً، كان ينظر إلى الدولة أو الإمام كشخص أكثر منه كمؤسسة. وكان السنة والشيعة على حد سواء يرتابون من الأئمة الحكام. فقد تردد السنة قبل منح الأئمة الحق في التشريع. أما الشيعة فقد ميزوا بين الإمام الحقيقي والحاكم. حالياً، السنّة والشيعة، معنى وضرورة الدولة ودورها التشريعي. إن الطريقة التي حصل فيها التغيير تثير العجب بأسلوب مقنع بواسطة علم الألفاظ والتأويل بين المفاهيم التقليدية والألفاظ ذات المعاني الحديثة. ثانياً يبدو أن دور الولي الفقيه أو الخامنئي غائب في هذا السياق. اتخذ حزب الله قراره وشرّع مشاركته في العمليات الديمقراطية عبر اللجوء إلى الأحكام والمبادئ الفقهية التي أعدها المشرعون، مثل محمد رعد والمسلمون مثل بلال نعيم، وقادة الرأي المسلم مثل الشيخ عفيف النابلسي. على الرغم من أن مفهوم المصلحة يرتدي طابعاً سلبياً في المجتمعات الشرق أوسطية على المستوى الشعبي، إلا أن المفهوم نفسه قد اكتسب معنى إيجابياً بفعل الإيديولوجيات الدينية السياسية خاصة تلك التي ناصرها الإمام الخميني. وقد أعلن الخميني أن مصلحة الدولة الإسلامية أو وكالاتها تتفوق على أي مبدأ آخر في الشؤون الاجتماعية والسياسية. مع استخدام حزب الله العصري، لم ترتد المصلحة معنى إيجابياً وحسب بل بات ينظر إليها على أنها جوهر المفهوم السياسي الإسلامي. [207]

خـــاتمـة

الخلاصة والاستنتاجات

لم يبدأ حزب الله من الصفر، لكن تقدمه شكّل دائماً تسلسلاً لمراحل التطور التدريجية، المرتبطة بما سبقه مباشرة. في الواقع، فإن أسساً عدة في فكر حزب الله وعقائده وسياساته ـ ولا سيما سياسة الانفتاح ـ قد سبق وطرحها الإمام موسى الصدر ووردت في برنامج المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى للعام ١٩٦٩. وبالتالي لا عجب أن السيد موسى الصدر يعتبر أحد إيديولوجيي حزب الله.

عمل الإمام موسى الصدر، القائد المتمرس والمتميز بشخصيته المؤثرة، على تعبئة شيعة لبنان في الستينيات والسبعينيات وتمكن من حصر مظالمهم في اتجاه المشاركة السياسية[١]. وعلى الرغم من أن الإمام الصدر ارتكز على الإرث الشيعي الشعبي والتاريخ الديني، غير أنه نظر إلى مهمته في لبنان على أنها علمانية وشاملة، فأخذ يبحث في هوية الشيعة ويعبئهم من أجل بلوغ الرقي السياسي والاجتماعي والاقتصادي[٢]. وهكذا شكّل الإمام الصدر، بفضل معرفته الدينية والكاريزما التي يتمتع بها، وجهاً رائداً في التاريخ اللبناني المعاصر

(١) سعد-غريّب، «عوامل أدت. . .»، ص. ٢٩٥.

(٢) فولر Fuller وفرانك Francke، الشيعة العرب. . .، ص. ٢٣١.

حيث عمل على تشجيع الدين باعتباره لغة الاعتراض[1]. لم يدعُ الصدر يوماً إلى تأسيس دولة إسلامية بل طالب بالمساواة والعدالة الاجتماعية بين مختلف الأطياف المتواجدة في النظام اللبناني المتعدد الطوائف. في هذه الظروف نشأ حزب الله وصاغ إيديولوجيته الدينية.

في العام ١٩٧٨ شنت إسرائيل اجتياحها الأول للبنان؛ وفي العام نفسه، اختفى الإمام الصدر في ليبيا في ظروف غامضة. بعد سنة واحدة، أي في العام ١٩٧٩، أعلن الإمام الخميني انتصار الثورة الإسلامية وإنشاء الجمهورية الإسلامية في إيران. ازدادت هذه الحوافز بفعل الاجتياح الإسرائيلي الثاني في العام ١٩٨٢ الذي أدى إلى احتلال ثلث الأراضي اللبنانية، بما فيها بيروت. هذا الاحتلال الإسرائيلي في العام ١٩٨٢ بمفاعيله المروعة المتعددة الأوجه التي عانى منها الشعب اللبناني بمختلف تشعباته، شكل محفزاً مباشراً لبروز حزب الله، حركة المقاومة الجديدة ـ بما يتمتع به من خلفية دينية، بفضل الإسلام الذي يشكل عصب إيديولوجيته ومبادئه ـ ضد الاحتلال. التحق العديد من المجموعات الشيعية الإسلامية المتواجدة أصلاً، إلى عدد من الشخصيات ورجال الدين المسلمين الناشطين والمستقلين بصفوفه وأسسوا حزب الله بصفته حركة جهاد إسلامية. [208]

اتحدت هذه المجموعات في قتالها الاحتلال الإسرائيلي وشكلت عصب الحزب، ولا سيما «هوية المقاومة» التي ميزته.

بفضل الإنجازات غير المسبوقة في توجيه ضربات عدة للإسرائيليين، اكتسبت هذه المجموعات شهرة واسعة في دوائرها، وحازت مصداقية لا يمكن زعزعتها كحزب اشتهر بقتاله إسرائيل وما شكل اعتداء ضد لبنان. كما أن إنجازاته الأخيرة في مواجهة المظالم الاجتماعية ـ الاقتصادية الناجمة عن الاعتداءات الإسرائيلية مكّنت أكثر فأكثر أُسُس الحزب. وقد دفع هذا الأمر

---

(١) رايت Wright، «لبنان»، ص. ٦٢.

بقيادة حزب الله إلى تأسيس الدستور السياسي أو البيان الرسمي أو «الرسالة المفتوحة» في العام ١٩٨٥، حيث أعلن الحزب فيها إيديولوجيته السياسية فانخرط بشكل مباشر في الحياة السياسية اللبنانية بعد العمل سراً لبضع سنوات.

من العام ١٩٨٥ وحتى العام ١٩٩٠، برز حزب الله كمنظمة داخلية قوية ذات عدد محدود من الأتباع. وكان لخطاب صبحي الطفيلي السياسي الصارم وغير القابل للتسويات وذكره المستمر لإقامة دولة إسلامية في لبنان، في سابقة هي الأولى من نوعها في الخطاب السياسي اللبناني، ارتداده العكسي حيث أدى إلى ابتعاد الحزب عن أي حركات سياسية واجتماعية أخرى وعن الدائرة اللبنانية العامة إلى حد كبير. وبالتالي، جاءت سياسات حزب الله بغير ما كان مرجواً منها فأدت إلى فشل الاندماج في الحياة السياسية اللبنانية ولا سيما بعد الانتقاد الحاد الذي وجهه الحزب لاتفاق الطائف، دستور لبنان الجديد.

منذ انتهاء الحرب اللبنانية في العام ١٩٩٠، واجه حزب الله تطورات مهمة في لبنان: في الدرجة الأولى، بروز دائرة عامة تعددية وتزايد الانفتاح باتجاه الجماعات الأخرى، والأحزاب السياسية ومجموعات الاهتمام في الساحة اللبنانية. نتج من هذا الأمر تغير في خطاب حزب الله وأولوياته. إذ أدت المساحة الطائفية المختلطة في لبنان بحزب الله إلى الانتقال من التهميش إلى الانفتاح، حيث أصبح الحزب لاعباً أساسياً في الدائرة اللبنانية العامة، فبدّل موقفه وغيّر القواعد السياسية من الأسلمة إلى اللبننة، عبر نشر برنامج سياسي واقعي. وهكذا منذ بداية التسعينيات، اتبع حزب الله مقاربة قائده السيد حسن نصرالله البراغماتية وتطوَّر تدريجياً إلى حزب سياسي يتمتع بشبكة مكثفة من الخدمات الاجتماعية (الممنوحة للمسلمين والمسيحيين على حد سواء) وشارك في العمل البرلماني والبلدي والحكومي.

توثق بعض التغييرات التي حلّت بالنظام اللبناني الأهمية المتزايدة لحزب الله في الحلبة السياسية اللبنانية. فاندماج حزب الله في الدائرة اللبنانية من خلال السياسات الانتخابية قدم له المزيد من الشرعية السياسية إلى عدد أكبر من

الأتباع. يبدو أن حزب الله قد أدرك من التجربة الإيرانية ومن الديناميكيات الدولية للوسط اللبناني أن السياسات الانتخابية [209] (الانتخابات البرلمانية وبشكل خاص الانتخابات البلدية) تشكل حجر الأساس في الممارسة الديمقراطية. لذا يمكن اعتبار مشاركة حزب الله في الانتخابات حدثاً محورياً في رسم هويته الحالية.

باختصار، في برامجه السياسية المتتالية من العام ١٩٩٢ وحتى العام ٢٠٠٥، وبالإضافة إلى الدعوات المطالبة بدعم المقاومة والتحرير، فضلاً عن تعزيز سياسة الدولة اللبنانية الخارجية، شدد حزب الله على ما يلي: أولاً إرساء السلم الأهلي؛ ثانياً، تأسيس دولة القانون والمؤسسات؛ ثالثاً، تشجيع المشاركة السياسية؛ رابعاً، الإصلاحات السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية؛ خامساً، دعم «الحريات العامة»؛ سادساً، الانفتاح والحوار بين اللبنانيين كلهم؛ سابعاً، مواجهة المطالب المتعلقة بالمسائل الصحية والثقافية والبيئية والثقافية؛ ثامناً، إنجاز العدالة الاجتماعية من خلال الإجراءات التالية: أولاً، إيجاد حل للأزمة الاجتماعية الاقتصادية والمالية الخطيرة والضاغطة عبر إيجاد التوازن الصحيح بين الموارد المادية والموارد البشرية؛ وثانياً تحقيق النمو الاجتماعي الاقتصادي عبر المشاريع التنموية التي تستهدف المناطق المحرومة بهدف بلوغ النمو المتوازن، وأخيراً الدفاع عن الطبقات المذلولة والمستضعفة وحمايتها.

الهوية الإسلامية وسيادة الدولة

تؤدي المعادلة بين إيديولوجيا حزب الله السياسية وبرنامجه السياسي إلى مأزق في فهم دور حزب الله كحزب سياسي في المرحلة الثالثة. وما يزيد من الإرباك إفادة الحزب في رسالته المفتوحة، «نحن في لبنان لسنا حزباً تنظيمياً مغلقاً ولسنا إطاراً سياسياً ضيقاً. بل نحن أمة مرتبطة بالمسلمين في كل بقعة من بقاع العالم بفعل رابط إيديولوجي عقائدي وإسلامي قوي هو الإسلام». هذا يعني أن حزب الله يلتزم بنظرية الإمام الخميني التي تعتبر الأحزاب السياسية في

المضمون الإسلامي ظاهرة غربية[١]. وهكذا، يفيد حزب الله صراحة في إيديولوجيته السياسية أنه ليس حزباً سياسياً غير أنه أعد برنامجاً سياسياً وشارك في الانتخابات الوطنية. استناداً إلى ذلك، يحتاج المرء ليأخذ بعين الاعتبار التوقيت والأسباب التي أدت إلى هذا التغيير.

لا شك في أن الهالة أو المفهوم الممنهج لمناصرة حزب الله إرساء دولة إسلامية يعيق أو على الأقل يقلل من أهمية برنامج الحزب السياسي القائم على الانفتاح أو الاندماج في الدائرة السياسية العامة. بمعنى آخر، يبدو أن ادعاء إقامة دولة إسلامية يدفع بمواقف الحزب الدينية على حساب المواقف السياسية. وقد أُثبِت أنه في المرحلتين الأولى والثانية، واصل حزب الله [210] عملية إرساء الدولة الإسلامية من منظور إيديولوجي سياسي وبرنامج سياسي على حد سواء، عبر عملية تبدأ من الأعلى إلى الأسفل. غير أنه، وكما تم إيضاحه في المرحلة الثالثة، بقيت دولة حزب الله الإسلامية إيديولوجيا سياسية بدل أن تتحول إلى برنامج سياسي.

منذ بداية التسعينيات، بدأ الحزب يشجع هويته الإسلامية وجدول أعماله عبر اتباع برنامج سياسي براغماتي بهدف تهويد المسيحيين والمسلمين الذين يعارضون إقامة دولة إسلامية. في الوقت الراهن، يبقى حزب الله وفياً لدائرته الشيعية عبر توظيف عملية أسلمة من الأسفل إلى الأعلى من خلال العمل داخل

---

(١) راجع الحسيني، «حزب الله: حركة عسكرية...»، ص. ١٨ - ١٩. تبنّى الإمام الخميني «الفكرة القائلة إن الانقسام بين الأحزاب السياسية لا مكان له بين المسلمين الذين ينتمون جميعاً إلى حزب الله». مومن Momen، مقدّمة إلى الإسلام الشيعي...، ص. ٢٩٧. بمعنى آخر، هذا يتماشى مع مفهوم الخميني لجهة عدم وجود أحزاب سياسية في الإسلام، باعتبار أن هذا المفهوم هو ابتكار غربي. وحتى يومنا هذا، لا وجود لأحزاب سياسية كهذه في إيران يُسمح لها بالمشاركة في الحياة السياسية للجمهورية الإسلامية. رايموند هانبوش Raymond Hinnebusch وأنوشيرافان إحتشامي Anoushiraban Ehteshami (ناشرون)، السياسة الخارجية لدول الشرق الأوسط The Foreign Policy of Middle East States. بولدر - Boulder كولورادو: لين راينر ناشرون Lynn Riener Publishers، ٢٠٠٢، ص. ٢٩٥ - ٢٩٦ وما بعدها.

الهيكليات السياسية والإدارية للدولة اللبنانية وفي الوقت نفسه إعداد مؤسسات إسلامية داخل المجتمع المدني.

التبدل في العلاقات السورية اللبنانية:

منافع حزب الله بعد انسحاب القوات السورية

طرأ تبدل كبير في العلاقات بين لبنان وسوريا بعد اغتيال الحريري، بحيث ضعف التأثير السوري في لبنان تدريجياً. هذا الأمر يدعو إلى التساؤل حول درجة ممارسة الحكومة اللبنانية حقها في اتخاذ القرارات الداخلية والإقليمية والدولية خاصة في ضوء القرار الدولي رقم ١٥٥٩. كما يطرح تساؤلات حول الاستراتيجيا العامة في سياسة لبنان الخارجية. على الرغم من ذلك، لم يطرأ أي تغيير مهم على علاقة حزب الله السياسية مع سوريا قبل الانسحاب السوري في نيسان/أبريل ٢٠٠٥ وبعده. ومع ذلك، يعترف قادة الحزب وكوادره أن الانسحاب السوري سرّع في التحاق الحزب بالحكومة وتوسعه في الحياة اللبنانية العامة ومؤسسات الدولة.

عكست انتصارات حزب الله السياسية في العام ٢٠٠٥ ـ فوزه بـ١٤ مقعداً في البرلمان ومشاركته بوزيرين في الحكومة ـ أكثر فأكثر الطابع الوطني للحزب السياسي الرائد الذي لا يتلقى الدعم من دائرته الشيعية الكبرى وحسب بل من العديد من السنة والدروز والمسيحيين أيضاً[١]. استناداً إلى قوته الشعبية وتبعيته الضخمة، هدف الحزب إلى توصيف نفسه كأكبر قوة سياسية في لبنان.

على الرغم من أن وزيرين لا يستطيعان نقض قرارات الحكومة، إلا أنه يبدو أن حزب الله قد تنازل عن حجته السابقة القائمة على رفض المشاركة في الحكومة لأنها رفضت تحمل مسؤولية أي قرار سيّئ أو تحرك غير محبب اعتمدته غالبية الثلثين في الحكومة. في السابق، أكد حزب الله أن ممثليه المحتملين في الحكومة لا يستطيعون فعل أي شيء لتغيير هذه القرارات. غير أنه

---

(١) شملت اللوائح الانتخابية لحزب الله وكتلته البرلمانية مرشحين ونواباً من السنة والمسيحيين.

في المجلس النيابي وفي المجالس البلدية، يستطيع أعضاء حزب الله التعبير [211] عن رأيهم بحرية، والتصرف لمصلحة الشعب أو القاعدة الاجتماعية التي يمثلون. هذه المجالس البلدية التي يسطير عليها حزب الله تعمل كمجموعات مناصرة، مستخدمة نوعاً من آلية التمكين للتكتل والضغط على الحكومة من أجل مواصلة تنمية متوازنة وتلبية وعودها وتنفيذ مشاريعها التنموية. يطرح اشتراك الحزب في الحكومة التساؤل حول مدى استعداد الحزب للاندماج في النظام السياسي اللبناني ومؤسسات الدولة.

وحزب الله معروف بين الجماهير بوفائه بوعوده، الأمر الذي يفسّر سبب تصويت الناس له بشكل ساحق، بعد أن أثبت إصراره على مساعدتهم وليس على نشر الوعود الكلامية وحسب. أما ظروف بعض الأحزاب الأخرى فكانت العكس تماماً بسبب ضعف أدائها البلدي المرتكز على العمل الارتجالي. يمكن القول إن المجالس البلدية التي يسيطر عليها حزب الله تتصرف كمجموعات مناصرة، مستخدمة نوعاً من آلية التمكين بهدف الضغط على الحكومة لمواصلة نهج التنمية المتوازنة والوفاء لوعودها وتنفيذ المشاريع التنموية. بشكل عام، تؤشّر نتائج الانتخابات إلى أرجحية تعبئة موارد الحزب الناجحة التي أغدقت عليه بجماهير حاشدة لا سيما على مستوى الطبقات المحلية وجعلته لاعباً أساسياً على الساحة اللبنانية العامة، الأمر الذي ثبّت وعزز ادعاءاته القائمة على أنه حزب سياسي وطني لبناني. وهذا يعني أن حزب الله قد كيّف موقفه بما يخوله إثبات قبوله الكامل للنظام اللبناني السياسي وتقنياته، لكن مع بعض التحفظ عندما يعود الأمر إلى المبادئ العقائدية المتعلقة بالدين وهويته القائمة على مقاومة إسرائيل.

على الرغم من أن الانتخابات النيابية والبلدية لا تعتبر دائماً مقياساً حقيقياً للديمقراطية (إذ هي ضرورة أكثر منها شرطاً كافياً)، إلا أن الانتخابات البلدية يمكن أن تشكل إلى حد ما مؤشراً للديمقراطية لأنها تعكس صوت الطبقات المتجذرة. بعكس قانون الانتخابات النيابية، لا يرتكز قانون الانتخابات البلدية على قواعد طائفية تترك مجالاً كبيراً للطبقات المتجذرة لتُسمِع صوتها عبر

صناديق الاقتراع. وبالتالي فإن الانتخابات البلدية تعكس نوعاً ما قاعدة الدعم الحقيقية التي يتمتع بها حزب الله في المجتمع. ترتكز الانتخابات البلدية على المسائل التنموية بامتياز، سعياً لإحداث تنمية متوازنة بين مختلف الدوائر والمحافظات، مانحة الحزب الفرصة لحصد مزيد من الشرعية لعمله الاجتماعي الاقتصادي. وقد منحت انتخابات العام ٢٠٠٤ البلدية والعام ٢٠٠٥ النيابية حزب الله القدرة على توظيف تعبئة موارده من أجل تعزيز قاعدته الشعبية داخلياً وإقليمياً ودولياً. [212]

داخلياً، بلغت نسبة تصويت المقترعين رقماً عالياً في دوائر الحزب الأساسية ومعاقله، مقارنة مع الدوائر الأخرى(١). أما على الصعيد الإقليمي والدولي، فقد أعطى حزب الله رسالة قوية إلى أعدائه ـ ولا سيما إسرائيل والولايات المتحدة وفرنسا ـ عبر النتائج القوية التي حققها في الانتخابات ومن خلال الدعم الشعبي الكثيف الذي يحظى به.

الدور الجديد لتشريع حزب الله الديني

على الرغم من أن حزب الله يرفض بشكل قاطع العلمانية بحد ذاتها(٢)، إلا أنه أجبر بفعل الظروف المتغيرة على مقاربة بعض الأوجه العلمانية للمجتمع والسياسة، لكن من دون اعتماد العلمنة كهدف أو استراتيجيا. تجدر الملاحظة أنه على الرغم من مشاركة حزب الله في الانتخابات النيابية التي تتبع النماذج الغربية، إلا أنه لم يستطع النأي بالعنصر الديني عما كان يفترض أن يكون انتخابات حرة وديمقراطية. فاستخدام الحزب لمفهوم التكليف الشرعي في

---

(١) على سبيل المثال، في الانتخابات البلدية للعام ٢٠٠٤، كانت نسبة مشاركة الناخبين في بيروت وطرابلس ٢٠ في المائة و٣٠ في المائة على التوالي؛ في حين بلغت النسبة في البقاع ٧٠ في المائة. وفي الانتخابات النيابية للعام ٢٠٠٥، بلغت نسبة مشاركة الناخبين في بيروت نحو ٢٨ في المائة، في حين بلغت في الجنوب والبقاع ٤٥ في المائة و٥٢ في المائة على التوالي.

(٢) أشار حزب الله إلى نقاط التقاء مع الإرشاد البابوي حول مسألة العلمانية. وقد أكد رعد على أن التعايش الوطني تحت مظلة القيم الإنسانية التي أكد عليها كلٌّ من الإسلام والمسيحية، أفضل بكثير للمجتمع من اعتماد العلمانية. (راجع الوحدة الإعلامية المركزية في حزب الله، «قراءة بإرشاد بابوي»، ص. ٣٠ - ٣١.

توجيه تصويت الناخبين قد حرم مشاركة الحزب في النظام الانتخابي من الديمقراطية الحقيقية. بهذه الطريقة، أصبحت الانتخابات للمؤمنين المخلصين فعل طاعة للسلطات الدينية، بدل أن تكون تعبيراً عن الإرادة السياسية الحرة. لكن تجدر الإشارة إلى أن استخدام حزب الله تأثيره الديني على جمهوره ليس بالضرورة لتحقيق أهداف دينية في الحالات كلها. ففي الانتخابات البرلمانية الأخيرة، استخدم حزب الله وسيلة التكليف الشرعي(١) لدعم حلفائه السياسيين من الدروز والمسيحيين ضد الخصم السياسي في ذاك الوقت ميشال عون الذي صادق على قرار الأمم المتحدة رقم ١٥٥٩.

يشير حزب الله أكثر فأكثر إلى مشاكل المجتمع من منظور مدني، مشدداً على مسائل مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان وحكم القانون والمحاسبة والشفافية والأحقية واجتثاث الفساد وإلغاء المفاضلة والمحاباة، وإيجاد حل جدي للمشاكل الاقتصادية، إلخ. وهذه ليست مطالب الطبقات الفقيرة وحسب لكنها مطالب الليبراليين والطبقة الوسطى العلمانية والمهنيين المثقفين والتكنوقراط، إلخ. يستخدم حزب الله مقاربة براغماتية ليبرالية لأن إدارة دولة عصرية تشكل ببساطة عملية طبيعية للتنمية المدنية. يبدو أن حزب الله قد أجبر على التخلي عن الكثير من عقائده وخطاباته الإيديولوجية الدينية بهدف توسيع دائرته واعتماد خطاب أكثر تعددية وإشراكية، وبالتالي إدراج مسيحيين وسنّة في اللوائح الانتخابية. لقد أُجبر حزب الله على الأرجح بفعل التجربة السياسية على عدم تسليط الضوء على المسائل الأخلاقية والدينية والتركيز على الشؤون الكلامية التي تهم الرأي العام كنوع من النفعية السياسية. [213]

بواسطة عملية التحرر من الوهم هذه، استطاع حزب الله خلق توازن بين هويته الإسلامية وبعده الوطني القومي. لهذا السبب لم يتمكن حزب الله من الاحتفاظ بقاعدة التصويت التي يملكها وحسب، بل قام بتوسيعها إذ يعمد الناخبون إلى تقييم قدرة أدائه على الإقناع عبر تقييم ما إذا كان أداؤه قادراً على

(١) راجع الفصل الأول، القسم المعنون: «استخدام التكليف الشرعي في الانتخابات».

إيفائه بالوعود أو لا. في هذه الحالة، ليس الخطاب الأخلاقي الديني كافياً وحده لاجتذاب الناخبين إن لم يكن يحمل مضامين عملية. غير أن حزب الله حافظ على هذا الخطاب الأخلاقي الديني كمظلة وليس كوصفة عقائدية دينية تستثني المشاركة في نظام مفتوح. على الرغم مما سبق ذكره، يبدو أن التغييرات التي تحصل داخل الحزب قد حملت بعض رجال الدين على الذهاب بقولهم إن حزب الله «قد تحول إلى العلمانية بفعل عملية الدخول في السياسة»(١). هذا الأمر خاضع بالطبع للنقاش إذا ما تم أخذ كافة العناصر السابق ذكرها بعين الاعتبار.

يتلاقى هذا التحليل مع النقاش السابق الوارد في المقدمة والذي يقول بأنه يتعين على أي حركة اجتماعية اللجوء إلى دائرة أوسع بهدف حشد مواردها. بمعنى آخر، يتعين على حزب الله التركيز على أشياء تهمّ الكثير من الناس. قد يفسر هذا سبب إسقاط برنامج حزب الله السياسي مفهوم الدولة الإسلامية وتركيزه على مواجهة مشاكل أوسع يعاني منها المجتمع وتثير قلق غالبية الناخبين، بغضّ النظر عن انتمائهم أو توجههم السياسي. وأغلب الظن أن حزب الله قد تمكن بهذه الخطوة من حصد المزيد من الشرعية السياسية والاجتماعية والاقتصادية ليس من دوائره الكبرى وحسب بل من الدوائر الأخرى أيضاً. وهذا الأمر يثبت أن الحزب ليس ببعيد عن الاهتمامات التي تثير قلق العامة في لبنان.

لقد أحدث ما يسمى بتيار «العلمنة» بعض التغييرات في ثوابت حزب الله، من غير أن يقترب مما يلي: حزب الله كحركة جهاية إسلامية وحماية المقاومة. بعض الثوابت التي انتقلت من المرحلتين الأولى والثانية إلى المرحلة الثالثة هي التالية: أولاً: مِنْ لعن الدولة اللبنانية والنظر إلى النظام على أنه كافر إلى دعم سيادة لبنان ووحدة أراضيه، الأمر الذي يشبه إلى حد بعيد شعار القوات اللبنانية القائم على لبنان الـ١٠٤٥٢ كلم٢. ثانياً: من انتقاد اتفاق الطائف إلى حمايته.

---

(١) أوليفييه روي Olivier Roy، الإسلام المعولم: البحث عن أمة جديدة Globalised Islam: The Search for A New Umma.، نسخة مراجعة ومحدّثة. لندن: هورست وشركاه Hurst and Company، ٢٠٠٤، ص. ٦١.

ثالثاً: من الدعوة إلى إرساء دولة إسلامية إلى العمل ضمن الحدود الضيقة للنظام اللبناني الطائفي ـ المذهبي السياسي والإداري، إلخ. [214]

مستقبل حزب الله

كان حزب الله واضحاً منذ العام ٢٠٠٢ في تأكيده على أن هويته القائمة على المقاومة هي خيار استراتيجي بدل أن تكون وسيلة لتحرير بضعة أمتار من الأراضي(١). وقد أعلن الحزب أنه سيبقى على أهبة الاستعداد ولن يسمح لإسرائيل بفرض سيطرتها على الشرق الأوسط كما يحلو لها. ويشدد حزب الله على أنه لم يتكوّن لمجرد العمل لفترة قصيرة أو لتنفيذ مشروع محدد أو ليكون أداة سياسية بيد أطراف إقليمية أو دولية؛ بل تكوّن الحزب من إيمان راسخ بالله عز وجل ومن موقف التكليف الذي ألزمه مواصلة مهمته الجهادية المستمرة القائمة على إصلاح هذا العالم حتى الأبد. وبالتالي، فإن حزب الله باق «طالما الجنة والأرض موجودتان»(٢)، حسب ما قال قائد بارز في الحزب. غالباً ما تعتبر مثل هذه التصريحات تصريحات دعائية أو كلامية؛ غير أنها يمكن أن تعكس العقلية التي تدير القرارات التي يتخذها حزب الله والتي يمكن تصنيفها كمتطرفة تهدف إلى تحقيق غايات سياسية.

حاول كادر آخر في حزب الله تسليط الضوء على البعد الإنساني لمستقبل حزب الله. فهو يؤكد، استناداً إلى منظمات الحزب غير الحكومية ومؤسساته للرعاية الاجتماعية، أن الحزب يملك قاعدة اجتماعية قوية ويستثمر شرعيته في تأسيس العدالة الاجتماعية. ويرى أنه، على الرغم من أن حزب الله هو حزب منطقي ـ عقلاني، إلا أن هذا لا يعني أنه لا يملك مشروعاً يتوق إلى اجتياز قيود حدوده الطبيعية. ويدعي أن الحزب يحمل على عاتقه رسالة تنظيم المجتمع بطريقة تصون إنسانية الفرد. وأوضح أن إيديولوجيا حزب الله تتكون ضمن

---

(١) نعيم قاسم، جريدة السفير، ٢٠ أيار/ مايو ٢٠٠٢.

(٢) راجع إذاعة النور، أخبار الساعة السادسة بتوقيت غرينيتش، ٩ شباط/ فبراير ٢٠٠٤؛ جريدة السفير بتاريخ ٩ شباط/ فبراير ٢٠٠٤.

الثوابت وتلحظ في الوقت نفسه التقدم والتطور. ويضيف أن حزب الله لم يتأسس لمحاربة إسرائيل وحسب ولا هو حزبٌ منطوٍ على نفسه؛ فسياسة الانفتاح التي ينتهجها تشهد على عكس ذلك. ويبدو وكأنه يكمل التحليل السابق بتشديده على واقع أنه حتى لو توقف الصراع مع إسرائيل، فسيوجه حزب الله حشد موارده من بعد إقليمي إلى بعد داخلي(١).

على الرغم من أن انتفاضة الأقصى قد منحت الحزب الفرصة لتسويق نموذج المقاومة في الخارج، إلا أن السيد نصرالله استخدم مقاربته الحذرة: «لو سُمح لنا أن نتوجه إلى فلسطين [إسرائيل]، فسنقوم بذلك. لكن إذا كان ذهابنا [إلى إسرائيل] سيؤدي إلى مشاكل، فلن نقوم بذلك»(٢). وأوضح السيد نصرالله أن شعار حزب الله القائم على تحرير القدس وفلسطين لا يعني أن الحزب يريد إشعال حرب في الشرق الأوسط. بل يشدد على أن الشعب الفسلطيني قادر على تحرير أرضه بدعم من حزب الله وشعوب الشرق الأوسط والعالم الحر. [215]

ويضيف نصرالله «لا نحتاج إلى حرب إقليمية لنستعيد الأرض المحتلة؛ نحتاج فقط لتحرير الأرض اللبنانية المحتلة (مزارع شبعا) وتحرير من تبقى من أسرانا... إذا أمكن تحقيق ذلك عبر المجتمع الدولي والعلاقات الدولية، فأهلاً به»(٣).

نطق السيد نصرالله بوضوح للمرة الأولى أن حزب الله مستعد بعد الانسحاب الإسرائيلي من مزارع شبعا للتخلي عن سلاحه بعد تلقي ضمانات وتطمينات من المجتمع الدولي والقوى العظمى في العالم بأن إسرائيل لن «تعتدي» على لبنان مجدداً(٤). وعلى الرغم من أن هذا التطور حديث ولم يسمح الوقت

---

(١) هذا يتماشى مع دعوة نصر الله إلى الجهاد الأكبر ضد الذات والفساد في لبنان (راجع الفصل الرابع).

(٢) الحاج عماد فقيه، مقابلة شخصية، ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٤ (راجع الفصل الرابع).

(٣) راجع خطاب نصر الله أمام الهيئة النسائية في حزب الله بمناسبة حفل إفطار نظمته «جمعية دعم المقاومة الإسلامية»، ١٣ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٥.

(٤) جريدة السفير بتاريخ ٣ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥؛ جريدة السفير وجريدة دايلي ستار Daily Star بتاريخ ٦ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥. نُقل عن نصر الله قوله: «المقاومة رد فعل على الاعتداء؛ عندما ينتهي الاعتداء تنتهي المقاومة». راجع مقابلته مع قناة العربية بتاريخ ٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥.

بعد لتقديم تحليلات وتعليقات وافية على الموضوع، إلا أنه يبدو أنه تغير كلامي بدل أن يكون تغيراً سياسياً حقيقياً إذ لا يستطيع أحد في المجتمع الدولي تقديم مثل هذه الضمانات والتطمينات. يمكن ملاحظة أن تفكير نصرالله يعارض بالمطلق نظرية حزب الله القائمة على «الغموض المحسوب». يبدو أنه بعد الانسحاب الإسرائيلي، قوض نصرالله تحريم «نظرية إذا». وقد أدى هذا التغيير إلى البقاء بمنأى عن الاستباق لإبقاء خطط الحزب غامضة بالنسبة لإسرائيل[1]. وهكذا جمّد حزب الله إيديولوجيته السياسية القائمة على تحرير القدس وهو يتبع حالياً برنامجاً سياسياً واقعياً يعطي الأولوية للشؤون الداخلية اللبنانية.

لقد تم إثبات أن هوية حزب الله القائمة على المقاومة قد وجدت لتبقى. يمكن المناقشة في هذا الإطار أن هوية المقاومة تتلاءم و«نموذج المقاومة» الذي ينتهجه حزب الله. وهكذا، لا ينتهي دور حزب الله مع انتهاء الصراع العربي الإسرائيلي؛ سيبقى الحزب بعد ذلك حركة اجتماعية ناشطة وحزباً سياسياً أساسياً. وبالتالي يبدو أن سياسة حزب الله القائمة على الانفتاح تحوِّل الحزب تدريجياً إلى حزب سياسي أساسي ومستمر يتميز بالخطوط التالية:

١ ـ أدت آراء حزب الله التقدمية حول الدولة الإسلامية والحوار ليس مع المسيحيين وحسب بل مع مختلف الطوائف اللبنانية أيضاً، إلى تمثيل نيابي وبلدي متعدد الطوائف يهدف إلى تعزيز التعددية والوحدة الوطنية.

٢ ـ برنامجه السياسي البراغماتي: مرونة شروطه الفقهية والشريعة، الأمر الذي يبرر مشاركته في السياسات العلمانية مزوداً بهدف إسلامي يرتكز على المصلحة كجوهر المفهوم السياسي الإسلامي. تمكن حزب الله من خلال قوة هويته الدينية أن ينتقل من السياسات الحصرية التابعة لهوية حصرية ضيقة (ولاية الفقيه) إلى هوية أكثر شمولية تستند على حشد

---

(١) ذكرت مناسبتين بارزتين استخدم فيهما حزب الله «نظرية إذا». الأولى كانت في خلال غزو شارون للضفة الغربية في نيسان/أبريل ٢٠٠٢؛ الثانية في خلال مرحلة التفاوض مع إسرائيل على الأسرى، والتي أدت إلى عملية التبادل في كانون الثاني/يناير ٢٠٠٤ التي شكلت نقطة تحول.

الموارد الفكرية والثقافية. يقود هذا الفقه الجديد إلى تغيرات جذرية تترجم نفسها في هوية إسلامية تعمل في إطار سيادة الدولة اللبنانية. [216]

٣ ـ تجسدت رؤيا حزب الله الشمولية في موارد مالية جوهرية منحته القدرة على تأسيس برنامج اجتماعي اقتصادي شامل؛ مؤسسات مدنية ومنظمات غير حكومية واسعة الانتشار، تتضمن المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق وقناة المنار الفضائية الواسعة الانتشار(١) التي تشكل سابقة في الشرق الأوسط بين الحركات الإسلامية؛ وإذاعة النور(٢). في الواقع، منذ أن عيّن الإمام الخامنئي السيد نصرالله والشيخ يزبك كنائبيه الدينيين في العام ١٩٩٥، تدفقت الموارد المالية الضخمة من الخمس والزكاة والهبات الشرعية ـ من الشيعة اللبنانيين الذين يتبعون الخامنئي ـ مباشرة إلى حزب الله بدل أن تمرر بقنوات عبره كما كانت الحال قبل التعيين.

٤ ـ كانت هوية حزب الله خاضعة لمراحل البناء بشكل متواصل على مدار تاريخه، على الصعيدين المادي والرمزي(٣). والدليل على ذلك نسخ التوصيف الذاتي والبرامج السياسية التي يتم مراجعتها وتحديثها باستمرار منذ نشر رسالته المفتوحة(٤). تؤكد هذه النقطة الأخيرة استخدام الحزب حشد الموارد فوق مستوى استراتيجيا البقاء بهدف العمل على التطور والتقدم المتواصلين في عالم ديناميكي يشهد تغيرات مستمرة.

---

(١) نُقل عن الشيخ نعيم قاسم قوله إنه عندما يؤدي مناسك الحج كل عام، يتفاجأ بالعدد المتزايد من الأشخاص من سائر الأماكن والدول في العالم المسلم الذين يهنئونه على نموذج المقاومة لدى حزب الله. وهذا يجسد إلى حد ما الطبيعة البعيدة المدى لقناة تلفزيون المنار: «في العام ٢٠٠٤، أشارت التقديرات إلى أن نحو ١٠ ملايين شخص يشاهدون قناة المنار». راجع سامي مبيّض، «لبنان الذي يسيّره عامل نصر الله» Lebanon guided by the Nasrallah Factor مجلة آسيا تايمز The Asia Times، ٢٦ شباط/ فبراير ٢٠٠٥.

(٢) بدأت البث إلى القارات الخمس في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٤، فضلاً عن البث السابق عبر الأقمار الصناعية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وأوروبا.

(٣) راجع القسم ٢,٦ في الفصل ٤.

(٤) راجع الملاحق أ، ب، ج.

يبدو أن حزب الله يكيف هويته ضمن الثوابت لمواكبة التقدم والتطور وبالتالي العمل بشكل بنّاء ضمن جدول أعمال إنساني يخوله تشريع نفسه من خلال مراكمة وتحويل شرعيته الاجتماعية الاقتصادية إلى شرعية سياسية والعكس صحيح. وأغلب الظن أنه بعد كل انتخابات برلمانية أو بلدية يجني حزب الله المزيد من الشرعية السياسية وينفقها عبر استثمارها أكثر فأكثر في الشرعية الاجتماعية الاقتصادية، تماشياً مع «مهمته الحضارية» القائمة على إنجاز العدالة الاجتماعية. ومع ذلك، ليست سياسة الحزب القائمة على الانفتاح محصورة وحسب بالدائرة اللبنانية الداخلية والإقليمية بل هو يستخدم أيضاً حشد موارده للانفتاح ولإقامة حوار بناء مع الاتحاد الأوروبي بشكل خاص والغرب بشكل عام. وتسلك الاجتماعات التالية هذا المنحى: اجتماع بين كوادر حزب الله من جهة ومؤسسة فريدريك إيبريتش والمعهد الألماني للشرق وجامعة بيرمينغهام[١] ومجموعة الأزمات الدولية والحكومة البريطانية[٢] والعديد من

(١) بين السابع عشر والتاسع عشر من شباط/فبراير ٢٠٠٤، نظم المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، في الفندق الفخم كراون بلازا الواقع في الحمرا - رأس بيروت مؤتمراً تحت عنوان «العالم الإسلامي وأوروبا: من الحوار إلى الفهم». وقد شارك في تنظيم المؤتمر مركز دراسة الإسلام والعلاقات المسيحية المسلمة في جامعة بيرمينغهام، المعهد الألماني للدراسات الشرقية (بيروت)، ومؤسسة فريدريك إيبرت ستيفتانغ Friedrich Ebert Stiftung Foundation (بيروت)؛ بالتعاون مع: مجلة الملتقيات- الشرق الأوسط -Revue Confluences Méditerranée (باريس)، منشورات لارماتان Editions l'Harmattan (باريس)، السفارة النمساوية (بيروت)، وجريدة الانتقاد (بيروت). وجاء في منشور المؤتمر «يُعنى المؤتمر بتوضيح المصطلحات... ويناقش القضايا الدولية... ويحاول سد الفجوة بين الآراء المتباينة بغية الوصول إلى لغة مشتركة يتم الانطلاق منها. وبالتالي، فإن إيجاد لغة مشتركة للتعبير عن المخاوف المشتركة بالتساوي يحول دون بناء «محور شر» من أي نوع كان». ويهدف المؤتمر إلى «تحديد الشروط المسبقة لبناء «لجنة دائمة للحوار» مفتوحة للجميع، ما يسمح باستمرار التبادلات على المستوى نفسه في المستقبل... وإن الهدف الرئيس لمثل هذا الحوار هو تحديد القيم والمفاهيم الأساسية لملئها بمحتويات مشتركة بغية تطوير مقاربة للفهم المتبادل. ومن هذا المنطلق، ينبغي بالنقاش الإضافي حول المسائل التي تطرح إشكالية سياسية بالنسبة إلى العلاقة بين المجتمعات العربية الإسلامية والمجتمعات الأوروبية أن يكون مثمراً.

(٢) بشكل رئيس اجتماعات مغلقة وملطّفة.

المنظمات الغربية غير الحكومية من جهة أخرى، [217] فضلاً عن اجتماع عقد بين السيد نصرالله وسفير الاتحاد الأوروبي[١] باتريك رينو إلى اجتماعات مع أعضاء من الإدارة الأميركية مثل اجتماع ديبل الشهير مع طراد حمادة واجتماع غراهام فولر المثير مع نواف الموسوي. لذا ليست المؤشرات على انفتاح حزب الله بالمحلية والإقليمية وحسب بل هي دولية أيضاً بمعنى انفتاح الحزب التدريجي على الغرب.

كلمة أخيرة

لقد تم إثبات أن الاسباب الكامنة وراء التغيرات في إيديولوجيا حزب الله تعود إلى المتغيرات في البعد اللبناني الداخلي فضلاً عن البعدين الإقليمي والدولي. فقد تغيرت ديناميكية حزب الله الداخلية وتبدلت السياسات الإيرانية وتحول الوضع الدولي.

يستند حزب الله إلى التوازن بين الواقع والممكن، مبدلاً موقفه من الرفض والمعارضة (الاستراتيجيات الدينية والسياسية) إلى التكيف والانسجام. لقد عدّل حزب الله موقفه من توصيف الدولة اللبنانية على أنها غير عادلة وملحدة وبالتالي

---

(١) عُقد الاجتماع في المقر الرئيس للأمانة العامة لحزب الله واستمر ٧٥ دقيقة. حضر الاجتماع د.علي فياض، رئيس المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق. «ناقش المجتمعون قضايا الشراكة الأوروبية المتوسطية، وعلى وجه الخصوص العلاقات بين لبنان والاتحاد الأوروبي». أدى الاجتماع إلى توسيع نطاق التعاون بين لجنة الاتحاد الأوروبي وحزب الله، وبالتالي إنشاء لجان عمل مشتركة بغية دراسة الملفات ذات الأهمية المتبادلة. (راجع الصحف اللبنانية اليومية الصادرة بتاريخ ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٤). وفي سياق مماثل، عمد بيرنهارد بوت - Bernhard Bot وزير الخارجية الهولندي، الذي ترأست بلاده الاتحاد الأوروبي من تموز/ يوليو إلى كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٤، في اجتماع مع وزيرة الخارجية الإسرائيلية سيلفان شالوم Sylvan Shalom في خلال اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك - إلى وصف حزب الله بحركة المقاومة أو النضال، مشدداً على ضرورة التحاور معه. (راجع الصحف اللبنانية اليومية الصادرة بتاريخ ٢٤ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٤). جدير بالذكر أن حزب الله أثنى على دعوة رئيس الوزراء الإسباني إلى تحالف بين الحضارة الغربية والحضارة العربية الإسلامية. راجع محمود ريّا، «بلا مواربة»، جريدة الانتقاد، العدد ١٠٧٦ (٢٤ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٤).

الابتعاد عن الدائرة الشعبية، إلى اللبننة والاندماج في الدائرة العامة والمشاركة فعلياً في النظام السياسي من خلال النقاش والاندماج والتمكين. وهذا الأمر من شأنه عادة أن يحمله على تبديل استراتيجياته من استراتيجيات الصقور (خطاب الإيديولوجيا الدينية والسياسية) إلى سياسات الحمائم (خطاب البرنامج السياسي) وفق الظروف السياسية المتغيرة. وفيما يبقى مبادئه العقائدية ظاهرة، إلا إن حزب الله مصر على تكريم برنامجه السياسي بشكل عام. وهكذا من وقت إلى آخر وكلما سنحت له الفرصة، قد يضع الحزب جانباً ولفترة موقتة برنامجه الإيديولوجي عبر اتباع برنامج ديناميكي من دون تحديد برنامج سياسي صارم. يميل حزب الله إلى النموذج المزايد في اتخاذ القرارات ويستخدم هندسة اجتماعية تدريجية تتطلب نقاشاً مستفيضاً من جانب قيادة حزب الله لكل مسألة على حدة. ومع أنه يبدو أن حزب الله لا يملك صيغة جاهزة للتعامل مع كافة المشاكل والإمكانيات التي قد تطرأ، إلا أن مجلس شورى الحزب يقدم إجابات جاهزة على الأسئلة كافة. لكن بما أن أعداءه وبخاصة إسرائيل قد يستفيدون من هذه المعلومات، يحتفظ الحزب بحق عدم الكشف عن هذه الخيارات وإجراءات الطوارئ إلى الجمهور.

ومع أن حزب الله يرتكز على شرعيته الدينية، إلا أن برنامجه السياسي يتعامل بواقعية مع خصائص الدائرة اللبنانية. في الواقع، لا ينحصر تكليف حزب الله بشرعيته الدينية؛ بل يتخطاها ليعالج ليس المسائل اللبنانية المحلية الاجتماعية الاقتصادية والسياسية وحسب، بل المسائل الخارجية أيضاً مثل مواصلة المقاومة حتى خروج آخر جندي إسرائيلي من مزارع شبعا. [218]

لكن بعد الانسحاب الإسرائيلي في أيار/مايو ٢٠٠٠، كان حزب الله على علم بأن الشرعية التي يستقيها من مقاومته وعملياته العسكرية في شبعا هي هامشية وصغيرة. وقد أدرك أن شرعيته كلها ترتكز على الموازنة بين العمل الاجتماعي الاقتصادي والسياسي. على الرغم من أن منظمات حزب الله غير الحكومية في طور الازدهار، إلا أن الحزب لا يزال يضغط على الحكومة

لتواصل نهج التنمية المتوازنة بهدف التخفيف من «الحرمان النسبي» الذي تعاني منه دوائره الأساسية. ويبدو أن اندماج الحركات الإسلامية في العملية السياسية ليس مرضياً وحسب بل يشكل الخيار الأمثل الذي يخدم مصالحها العامة.

بالنظر إلى مستقبل حزب الله في لبنان كحزب سياسي وطني لبناني قابل للحياة، يجب التنبه إلى عدم التمعن في قراءة نتائج الانتخابات البلدية والنيابية فضلاً عن مشاركة الحزب في الحكومة. والجدير ذكره هنا أنه بما أن الحكومة تعكس موازين القوى في البرلمان، فمن الواضح أن أي ترهيب يمارس من قبل البرلمان سيصل إلى الحكومة والعكس صحيح. غير أن انخراط الحزب في الدائرة اللبنانية العامة يوحي بأن الحزب قد تمكن من الفوز «بقلوب وعقول» العديد من الناخبين اللبنانيين خاصة في دوائره الشيعية الكبرى وبالتالي تأكيد فاعلية سياسة الانفتاح في الدائرة اللبنانية العامة عبر الموافقة على المشاركة في العملية السياسية الطائفية المذهبية وكسب سمعة قائمة على الاستقامة والشفافية والمحاسبة والأمانة في عمله السياسي والاجتماعي الاقتصادي. لقد نجح حزب الله من خلال مؤسساته المدنية ومنظماته غير الحكومية في توصيف نفسه كحزب سياسي لبناني وطني يعمل لمصلحة «المعدمين على الأرض»، والمحرومين بغضّ النظر عن هويتهم المذهبية أو انتمائهم السياسي أو تبعيتهم الطائفية المذهبية.

شكل اغتيال رفيق الحريري وانسحاب القوات السورية وتداعياته دوراً أساسياً في تسريع التغيرات السياسية داخل حزب الله. وبالتالي، فإن تجريده من السلاح وتحويله إلى حزب سياسي «عادي» لن يؤدي إلى زواله؛ بل على العكس سيعزز دوره الداخلي متسبباً بمزيد من الديمقراطية والتحرر في صفوفه بهدف تعزيز موقفه كأحد الأطراف الأساسيين في الوسط اللبناني. ومع ذلك، لم يكن حزب الله ليبرز بهذا الشكل وليعدل في الشؤون الداخلية اللبنانية لولا الطرفان الإقليميان الداعمان له، سوريا وإيران.

لقد أجاز برنامج حزب الله السياسي انفتاحه فيما شدد في الوقت نفسه على

تعزيز روابطه الإقليمية وما بعد الحدود الوطنية مع سوريا وإيران. وعلى الرغم من انسحاب ما يفترض أنه عرابه السوري، يبقى الحزب لاعباً سياسياً قوياً لا يخفي نيّته في «حماية المقاومة». [219]

وعلى الرغم من أن حزب الله لم يحسم أمره خلال «ثورة الأرز»، إلا أنه استفاد من رحيل سوريا أكثر من أي معارضة لبنانية سابقة، من خلال انخراطه في الدائرة اللبنانية العامة وقبضته الحازمة على سياسة لبنان الخارجية في ما يتعلق بهوية المقاومة والاحتفاظ بالسلاح. يمكن مناقشة ما إذا كان التحالف الاستراتيجي والسياسي بين إيران وسوريا قد جاء لمصلحة حزب الله ليس لأن الأسلحة الإيرانية والمساعدات المادية لحزب الله تمر عبر دمشق وحسب بل لأن دمشق قد استفادت من قدرة حزب الله ومقاومته واستخدمتها كورقة تفاوض ضد إسرائيل. غير أنه لا يجب تفسير الرابط الإيديولوجي العابر للحدود بين حزب الله وإيران على أنه يقوض الرابط الاستراتيجي السياسي الإقليمي بين الحزب وسوريا، بل يجب النظر إليه على أنه ظاهرة مكملة له.

بالإضافة إلى الاستثمار في صورته الداخلية، بذل حزب الله جهوداً كبيرة في رسم صورته الدولية كحركة عربية إسلامية تربطها علاقات بسوريا وإيران. وفيما تتلاقى سوريا وبرنامج حزب الله السياسي، توافق إيران على إيديولوجيته السياسية. ويمكن مناقشة ما إذا كان حزب الله يمارس سياسات الأصالة بقالب ديني، الأمر الذي يشكل خصوصية للخطاب الإسلامي عندما يعمل في إطار السياسات العلمانية، رافعاً الأهداف الإسلامية. يترجم حزب الله ذلك عملياً عبر ارتكاز علاقاته مع إيران على ألفاظ سياسية إيديولوجية واستراتيجية (الوحدة الإسلامية) فيما تستند علاقاته مع سوريا على هوية إثنية وطنية مشتركة (الوحدة العربية).

لا شك في أن كل من يتابع خطاب حزب الله يعلم أن التصاريح التي يطلقها قادته تتعرض دائماً للتغيير بحسب تغير الظروف، وهو مبدأ تجيزه النظرية الفقهية

القائمة على المصلحة. هذه الذهنية السياسية تعكس، إلى حد بعيد، التفكير السياسي الإيراني حيث يقود التغيير إلى تحقيق المصلحة الحقيقية. ومع الأخذ بعين الاعتبار أن ما من سلفية تكفيرية في الإسلام الشيعي إذ إن تقليد مرجع ميت غير مقبول بالكامل، فقد استخدمت إيران منطق المصلحة لحماية مجتمعها من السلفية التي تغذي حالياً إيديولوجيا القاعدة. استناداً على النظرية الشرق أوسطية القائمة على أن «عدو عدوي هو صديقي»، يبدو أن إيران تخدم مصالح الولايات المتحدة عبر التصدي للإسلاميين السنّة وكبحهم، من خلال وضع حد لانتشار أصولية بن لادن والزرقاوي السلفية. وعلى الرغم من أن الإدارة الأميركية تبدو مصرة على تنفيذ سياسة نزع سلاح حزب الله اللبناني، إلا أنه يمكن النظر إلى الأمور بطريقة أخرى تقوم على التفكير بأن السياسة الأميركية قد تفضل إبقاء حزب الله على سلاحه لأدائه دوراً مشابهاً للدور الإيراني وتحديداً حماية المجتمع اللبناني والمصالح الأميركية هناك من بروز الأصولية السنية التكفيرية. [220]

وبالتالي، باتباعهم مصلحتهم الخاصة، يخدم كل من إيران(١) وحزب الله بطريقة غير مباشرة مصلحة الولايات المتحدة من دون درايتهم بذلك.

---

(١) يأتي تصديق خامنئي على الدستور الإيراني انطلاقاً من المصلحة. (وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية، إرنا IRNA، ٢١ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٥، خطبة صلاة الجمعة). وبالطريقة نفسها، فإن سماح إيران للولايات المتحدة باستخدام مجالها الجوي والمرور بدباباتها عبر منطقة خراسان في الحرب الأميركية على أفغانستنان، يقع ضمن مجال المصلحة.

تسلسل الأحــداث

١٩٧٥	شهد ١٣ نيسان/ أبريل بداية الحرب الأهلية التي امتدت ١٦ عاماً.
١٩٧٦	استجابة إلى طلب رسمي من الحكومة اللبنانية، دخل الجيش السوري في ٢٠ تموز/ يوليو لبنان كفيلق من قوات الردع العربية لمساعدة الحكومة اللبنانية على تطبيق القانون والنظام في البلاد التي تمزقها الحرب الأهلية.
١٩٧٨	برز حزب الله في العام ١٩٧٨ مع عودة السيد عباس الموسوى، أحد أول مؤسسيه وثاني أمين عام له من النجف إلى لبنان واستقراره في البقاع مع شيوخ وكوادر لبنانية وإيرانية أخرى لوضع الأسس الدينية والإيديولوجية للحزب. أسس السيد عباس الحوزات الدينية وبدأ نشر الدعوى الإسلامية في بعلبك في البقاع. وقد تزامن ذلك مع وصول المنشقين الإيرانيين من مشايخ وعسكريين (أبرزهم علي أكبر محتشمي ومصطفى شمران) الذين أعدوا مراكز تدريب دينية وعسكرية بدعم مادي وروحي من الخميني الذي بدوره منع من دخول النجف لفترة ١٣ عاماً.
	• في ١٤ آذار/ مارس، أطلقت إسرائيل «عملية الليطاني» حيث اجتاحت لبنان واحتلت ٥٠٠ كلم[٢] مربع عرف بالشريط الأمني وتضمن ٦١ بلدة ومدينة. في ١٩ آذار/ مارس، أصدر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة القرار رقم ٤٢٥ القاضي بالانسحاب غير المشروط للقوات الإسرائيلية من لبنان، من دون أن يلقى القرار أي آذان صاغية له. وللمساعدة على إعادة سيادة الدولة على الحدود، أرسلت الأمم المتحدة قوات اليونيفيل، وهي قوة حفظ سلام

مؤلفة من ٥٠٠٠ جندي إلى لبنان في ٢٣ آذار/مارس. غير أن إسرائيل لم تسمح للقوات الدولية بالانتشار على طول الحدود.

- في ٣١ آب/أغسطس، اختفى الإمام موسى الصدر، القائد الشيعي اللبناني ورئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في ليبيا في ظروف غامضة. وقد أدت هذه العوامل كلها إلى بروز أسس حزب الله التي تجسدت في ولادة إيديولوجيته الدينية.

١٩٧٩ في ١ شباط/فبراير، وصل الإمام الخميني إلى طهران، معلناً انتصار الثورة الإسلامية في إيران في ١١ شباط/فبراير. استوحى العديد من اللبنانيين الشيعة من إيديولوجيا الإمام الخميني الثورية التي قادتهم إلى التعبئة والنضال للحصول على دور أكثر فاعلية في النظام السياسي اللبناني. وهكذا، بعد انتصار الثورة الإسلامية، أسس السيد عباس الموسوي مع عدد من تلامذته وعلماء وقادة آخرين رسمياً حزب الله في لبنان.

١٩٨٢ فيما انشغل العرب والأسرة الدولية بالحرب الإيرانية ـ العراقية، اجتاحت إسرائيل لبنان في ٦ حزيران/يونيو للمرة الثانية من خلال عملية «سلام الجليل». من ٨ إلى ١٣ حزيران/يونيو، أطلقت معركة خلدة (التي قادها عدد من قادة حزب الله المؤسسين، ومعظمهم قد أصيب) الجناح العسكري لحزب الله وهو «المقاومة الإسلامية». وكانت منطقة خلدة الصغيرة القريبة من بيروت الموقع الوحيد الذي توقف فيه الاجتياح الإسرائيلي موقتاً بسبب المقاومة الضارية التي لقيها والتي أدت إلى تكبيد الإسرائيليين خسائر فادحة (١٦ قتيلاً و١٧٦ جريحاً) وأدت إلى تغيير الإسرائيليين استراتيجيتهم وتكتيكاتهم العسكرية.

- مع بداية شهر تموز/يوليو، انطلق إطار العمل السياسي لحزب الله وقد مر بمراحل عدة أبرزها في العامين ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥.
- في ٢٣ آب/أغسطس، انتخب رئيس ميليشيا الكتائب المسيحية بشير الجميل رئيساً للجمهورية.
- في ٢١ آب/أغسطس، حطت القوات المتعددة الجنسيات المؤلفة من قوات أميركية وفرنسية وبريطانية وإيطالية في بيروت للإشراف على تطبيق الاتفاق بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل. وقد نص الاتفاق على انسحاب مقاتلي المنظمة وكوادرها وقادتها من بيروت بمن فيهم ياسر عرفات الذي غادر بيروت في ٣٠ آب/أغسطس.

- في صور في جنوب لبنان، وخلال الذكرى الرابعة لاختفاء الإمام موسى الصدر، تجمع مئات الآلاف يهتفون باسم الصدر ومنددين بإسرائيل التي ستبقى العدو «إسرائيل شر مطلق، والتعامل مع إسرائيل حرام». وقد انتهى هذا الحفل بمواجهات عنيفة مع القوات الإسرائيلية في جبشيت في جنوب لبنان.
- في ٣ أيلول/سبتمبر، غادر مقاتلو منظمة التحرير بيروت واضعين حداً لوجود عسكري دام عقوداً.
- بعد ٨٣ يوماً من حصار بيروت، دخلت القوات الإسرائيلية العاصمة في ١٤ أيلول/سبتمبر غداة اغتيال الرئيس المنتخب بشير الجميل بتدمير مبنى اجتماعاته.
- ١٥ ـ ١٧ أيلول/سبتمبر جرت مجازر صبرا وشاتيلا التي حصدت أرواح الآلاف من المدنيين الفلسطينيين واللبنانيين.
- في ٢٣ أيلول/سبتمبر، تم انتخاب أمين الجميل شقيق بشير رئيساً للجمهورية اللبنانية.
- في ٢٨ أيلول/سبتمبر، انسحبت القوات الإسرائيلية من بيروت.
- في ١١ تشرين الثاني/نوفمبر، فجر أحمد قصير، أول استشهادي لدى حزب الله سيارته في المقر الإسرائيلي في صور فقتل حوالى ٧٦ جندياً وجرح ٢٠.
- وهكذا برزت الولادة العسكرية لحزب الله كحركة جهادية إسلامية كنتيجة مباشرة للاجتياح الإسرائيلي ـ الذي قتلت فيه إسرائيل حوالى ٢٠ ألف شخص (معظمهم من المدنيين اللبنانيين والفلسطينيين لكن أيضاً بعض المقاتلين اللبنانيين والفلسطينيين والسوريين) كما احتلت حوالى ثلث لبنان (٣٥٦٠ كلم مربع) بما فيه ٨٠١ بلدة ومدينة.

١٩٨٣ شهد كانون الثاني/يناير الإطلاق الأول المكثف لصواريخ الكاتيوشا على المستعمرات الشمالية في إسرائيل، فضلاً عن خطف أول جندي إسرائيلي من قبل المقاومة الإسلامية. توفي الجندي الإسرائيلي متأثراً بجراحه وتركت جثته.

- في آذار/مارس، اختطفت القوات الإسرائيلية الشيخ راغب حرب، قائد الثورة الشعبية في الجنوب.
- في ١٣ نيسان/أبريل، قاد حزب الله عمليته الاستشهادية الثانية عندما فجر علي صفي الدين سيارته في موكب إسرائيلي في دير قانون النهر فقتل ٦ جنود وجرح ٤ آخرين.

- في ١٨ نيسان/أبريل استُهدفت السفارة الأميركية غرب بيروت بهجوم انتحاري أسفر عن سقوط ٦٣ قتيلاً، ١٧ منهم من الأميركيين بمن فيهم فريق الاستخبارات الأميركية بأكمله في الشرق الأوسط.
- في ١٧ أيار/مايو، وقعت إسرائيل والحكومة اللبنانية اتفاق سلام.
- في تموز/يوليو، انسحبت إسرائيل من جبل لبنان إلى نهر الأولي بالقرب من صيدا في الجنوب. شهد شهر تشرين الأول/أكتوبر انتفاضة عاشوراء في النبطية في الجنوب، رداً على تدنيس إسرائيل لهذه الطقوس. في ١٤ تشرين الأول/أكتوبر، قاد حزب الله عمليته الاستشهادية الثالثة عندما فجر جعفر الطيار نفسه في مبنى في صور يؤوي جنوداً إسرائيليين فقتل ٢٩ باعتراف الإسرائيليين أنفسهم. في ٢٣ تشرين الأول/أكتوبر، قاد الجهاد الإسلامي عمليتين انتحاريتين ضد جنود المارينز والقوات الفرنسية بحيث قتل ٢٤١ أميركياً و٥٨ جندياً فرنسياً.
- تكتم حزب الله على العملية الانتحارية المزدوجة التي فشلت عندما انفجرت سيارة الانتحاريين قبل وصولهما إلى صور.
- في تشرين الثاني/نوفمبر، بدأت القوات الجوية الإسرائيلية باستهداف قواعد تدريب حزب الله في البقاع. في ٢٣ تشرين الثاني/نوفمبر، أطلق الإسرائيليون سراح ٤٥٠٠ محتجز لبناني وفلسطيني من معتقل الأنصار في الجنوب و٦٣ فلسطينياً مقابل إطلاق سراح طيار إسرائيلي وستة جنوده.

١٩٨٤ مر مجلس شورى حزب الله أو هيئة القرارات الأساسية في مراحل عدة مختلفة من ٩ أعضاء إلى خمسة لينتهي بسبعة في العام ١٩٨٤. نشر حزب الله العديد من الإعلانات السياسية التي تحمل اسمه وأسس مكتبه السياسي.

- في آذار/مارس، ألغى البرلمان اللبناني اتفاقية ١٧ أيار/مايو مع إسرائيل.
- في ١٨ حزيران/يونيو، أبصرت صحيفة حزب الله الأسبوعية العهد النور.
- في ١٦ شباط/فبراير اغتالت القوات الإسرائيلية الشيخ راغب حرب، أهم قائد للمقاومة في الجنوب.
- في ٢٠ أيلول/سبتمبر، استُهدفت السفارة الأميركية في شرق بيروت بعملية انتحارية.

١٩٨٥ في ١٦ شباط/فبراير، نشر حزب الله «رسالته المفتوحة» معلناً ولادة

إيديولوجيته السياسية. وقد أعلنت الرسالة المفتوحة رسمياً تأسيس حزب الله وجناحه العسكري، المقاومة الإسلامية. قرأ الناطق باسم الحزب في حينه السيد إبراهيم أمين السيد الرسالة المفتوحة. في شباط/فبراير انسحبت إسرائيل من صيدا.

- في آذار/مارس، فجرت إسرائيل حسينية معركة واغتالت قيادين بارزين من الحزب.
- في نيسان/أبريل انسحبت إسرائيل من النبطية وصور.
- نتج من عملية الجليل في ٢٠ أيار/مايو بين القيادة العامة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والحكومة الإسرائيلية إطلاق سراح ١١٥٠ معتقلاً لبنانياً وفلسطينياً من معتقل عتليت في إسرائيل مقابل إطلاق سراح ثلاثة جنود إسرائيليين.
- في حزيران/يونيو، أعلن الجيش الإسرائيلي إنهاء انسحابه وتأسيس الشريط الأمني الذي يمتد على ١١٠٠ كلم مربع ليشمل ١٦٨ مدينة وبلدة. تضمن الشريط الأمني ١٥٪ من مساحة لبنان على طول الحدود الجنوبية للبنان مع إسرائيل، مذكراً باجتياح العام ١٩٧٨ الذي ادعى وضع تدبير أمني مشابه بهدف حماية المستعمرات في الشمال الإسرائيلي من الهجمات الصاروخية عبر الحدود اللبنانية.

١٩٨٦ في ١٦ شباط/فبراير، اختطفت المقاومة الإسلامية جنديين إسرائيليين في عملية كونين بالقرب من بنت جبيل. أطلقت إسرائيل عملية غزو محدود لـ١٧ بلدة لستة أيام متتالية بحثاً عن الجنديين، من دون أي جدوى. أطلقت المقاومة الإسلامية حرباً عنيفة ضد أحد مواقع جيش لبنان الجنوبي بهدف احتلالها وتدميرها فقتلت واحتجزت كافة الأعضاء وفجرت الموقع بأكمله.

- في تشرين الأول/أكتوبر، تم إسقاط طائرة إسرائيلية واختُطف رون أراد مساعد الطيار.
- أرسى حزب الله ممارسة تسجيل العمليات العسكرية ضد القوات الإسرائيلية بهدف إيصال العدد الحقيقي للقتلى والجرحى الإسرائيليين إلى الجمهور الإسرائيلي، وتفنيد ادعاءات إسرائيل الكاذبة بسقوط عدد قليل من الضحايا.

١٩٨٧ في ١٥ حزيران/يونيو، أصدرت الحكومة اللبنانية الإبطال الرسمي المزدوج لاتفاقية ١٧ أيار/مايو ١٩٨٣ واتفاق القاهرة في ٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٩.

- تولى نصرالله منصب القائد التنفيذي الحديث التأسيس بالإضافة إلى كونه عضواً في مجلس الشورى. شهد هذا العام إعادة إطلاق حرب الاستنزاف ضد مواقع جيش لبنان الجنوبي بطريقة لا سابق لها. سجل شهر كانون الأول/ ديسمبر بداية الانتفاضة الفلسطينية الأولى.

١٩٨٨ أول اشتباك عسكري كبير ومواجهة مباشرة بين المقاومة الإسلامية والجيش الإسرائيلي في هجوم إسرائيلي في ميدون في البقاع الغربي. في ١١ آذار/ مارس، نفذ حزب الله خامس عملية استشهادية عندما فجر عامر كلاكش نفسه في موكب إسرائيلي بالقرب من مستعمرة المطلة على الحدود اللبنانية فقتل ١٢ جندياً إسرائيلياً وجرح ١٤ آخرين.

- انطلقت حرب أمل ـ حزب الله، العلمانيون الشيعة ضد الإسلاميين الشيعة، في ٥ نيسان/ أبريل في الجنوب وامتدت إلى الضاحية في ٦ أيار/ مايو، حيث انتهى الأمر بطرد مقاتلي أمل من الضاحية. انتهت حرب السيطرة هذه بعد أكثر من سنتين أواخر تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٠.
- تم إنشاء مركز الاستشارات للدراسات والتوثيق، وهو مركز فكر حزب الله. في أيار، بدأت إذاعة النور التابعة لحزب الله بثها. في ١٩ آب/ أغسطس نفذ حزب الله سادس عملياته الاستشهادية عندما فجر هيثم دبوق نفسه في موكب إسرائيلي على طريق مرجعيون فقتل جندياً إسرائيلياً وجرح ثلاثة آخرين بحسب مصادر عسكرية إسرائيلية. وقعت العملية السابعة في ١٩ تشرين الأول/ أكتوبر عندما فجر عبدالله عطوي نفسه بالقرب من بوابة فاطمة على الحدود بين لبنان وإسرائيل فقتل ثمانية جنود وجرح ثمانية آخرين باعتراف الإسرائيليين.
- انتهت ولاية رئيس الجمهورية اللبنانية أمين الجميل من دون انتخاب خلف له من البرلمان اللبناني. (تجدر الإشارة إلى أن الجميل قد طرد إلى فرنسا من العام ١٩٨٨ وحتى العام ٢٠٠٠). في ٢٣ أيلول/ سبتمبر ١٩٨٨، عين الجميل قائد الجيش اللبناني العماد ميشال عون على رأس حكومة عسكرية مؤلفة من ثلاثة مسيحيين ومسلمين اثنين. غير أن القادة الروحيين المسلمين اجتمعوا وأصدروا فتوى تحرم مشاركة أي مسلم في الحكومة العسكرية لاعتبارها تعييناً غير دستوري. إذاً حكم العماد عون نظرياً المناطق المسيحية في الشطر الشرقي من العاصمة بيروت وجبل لبنان فيما بقي سائر مناطق الوطن تحت ولاية رئيس الوزراء سليم الحص الذي شكل حكومة ثانية في

بيروت الغربية. وهكذا، كان للبنان في ذاك الوقت حكومتان، وقد ظل الوضع على حاله لسنتين تقريباً.

١٩٨٩ عقد حزب الله أول خلوة له وأظهر هويته أمام قادته وكوادره. نتج من الخلوة إنشاء منصب الأمين العام وانتخاب الشيخ صبحي الطفيلي أول أمين عام لحزب الله.

- في ٢٨ تموز/ يوليو خطف الجيش الإسرائيلي الشيخ عبد الكريم عبيد، وهو أحد كبار كوادر حزب الله من بلدته جبشيت.
- في محاولة منه لإخراج الجيش السوري من لبنان، أطلق الجنرال ميشال عون في ١٤ آذار/ مارس «حرب التحرير» ضد القوات الإسرائيلية الموجودة في لبنان منذ العام ١٩٧٦.
- في ٩ آب/ أغسطس، نفذ حزب الله ثامن عملياته الاستشهادية عندما فجر الشيخ أسعد برو نفسه في موكب إسرائيلي بالقرب من مرجعيون، فقتل خمسة جنود إسرائيليين وأصاب خمسة آخرين بحسب مصادر عسكرية إسرائيلية.
- تمت صياغة اتفاق الطائف الذي شكل اتفاق المصالحة والإصلاح نحو تأسيس نظام سياسي أكثر عدالة لكافة الطوائف المذهبية وتمت المصادقة عليه في ٢٢ تشرين الأول/ أكتوبر في مدينة الطائف في السعودية. تم إعلانه رسمياً يوم السبت في ٢٢ تشرين الأول/ أكتوبر عند الساعة الحادية عشرة إلا ربعاً من قصر المؤتمرات في الطائف، ليضع حداً للحرب الأهلية. أصدر عون مرسوماً قضى بموجبه بحل البرلمان لكنه لم يلق آذاناً صاغية.

١٩٩٠ تم إدراج التغييرات المقترحة في اتفاق الطائف رسمياً في الدستور في آب/ أغسطس وأيلول/ سبتمبر ١٩٩٠. تعرف الوثيقة النهائية بـ«دستور لبنان بعد تعديلات الحادي والعشرين من آب».

- شهد ١٣ تشرين الأول/ أكتوبر النهاية الفعلية لحرب الستة عشر عاماً بطرد العماد عون ونفيه إلى فرنسا.
- في ٩ تشرين الثاني/ نوفمبر انتهت حرب السنتين ونيف بين حركة أمل وحزب الله بموجب اتفاق أبرم بين الفصائل المتنازعة من خلال الضغوط الإيرانية والسورية المكثفة.

١٩٩١ تماشياً مع اتفاق الطائف، أعلنت الحكومة اللبنانية رسمياً في آذار/ مارس

حلّ الميليشيات. وحددت نهاية شهر نيسان/أبريل كآخر موعد لتسليم الميليشيات أسلحتها الثقيلة وإغلاق مراكز تدريبها العسكري. شكل حزب الله الاستثناء الأبرز وحركة أمل بالدرجة الثانية.

- بدءاً من ٢٢ أيار/مايو، عقد حزب الله خلوته الثانية وانتخب الشيخ عباس الموسوي ثاني أمين عام له. بعكس الخلوة الأولى حيث تم تعيين سبعة أعضاء في مجلس الشورى، تم انتخابهم في الخلوة الثانية. في ٣ حزيران/يونيو، تم إنشاء محطة المنار التابعة لحزب الله.
- حصلت العملية الأولى لتبادل الأسرى بين حزب الله وإسرائيل برعاية الأمم المتحدة على ثلاث دفعات بين ١١ أيلول/سبتمبر و ١ كانون الأول/ديسمبر. أطلقت إسرائيل سراح ٩١ معتقلاً لبنانياً (واحد من السجون الإسرائيلية و٩٠ من معتقل الخيام بمن فيهم عشر نساء) وتمت مبادلة بقايا تسعة مقاتلين مقابل معلومات عن جنديين إسرائيليين احتجزهما حزب الله في ١٦ شباط/فبراير ١٩٨٦.

١٩٩٢ شهد ١٦ شباط/فبراير اغتيال السيد عباس الموسوي وزوجته وابنه بواسطة طوافة إسرائيلية. بعد يومين، تم انتخاب السيد حسن نصرالله ثالث أمين عام لحزب الله والشيخ نعيم قاسم نائباً للأمين العام. يحافظ كل من نصرالله وقاسم على مواقعهما حتى اللحظة.

- هاجمت إسرائيل بلدتي كفرا وياطر ولقيت مقاومة شرسة من مقاتلي المقاومة.
- بدأ حزب الله استخدام سلاح الكاتيوشا كاستراتيجيا رادعة لحماية المدنيين اللبنانيين من الاعتداءات الإسرائيلية.
- أطلق حزب الله برنامجه السياسي كإعلان لإيديولوجيته السياسية. شارك الحزب في أول انتخابات نيابية بعد ٢٠ عاماً من الجمود بسبب الحرب اللبنانية وفاز بـ١٢ مقعداً.
- في ٢١ أيلول/سبتمبر، نفذ إبراهيم ضاهر تاسع عملية استشهادية مستهدفاً موكباً إسرائيلياً على طريق الجرمق فقتل وجرح ٢٥ بحسب حزب الله.

١٩٩٣ في خلوته الثالثة، أعاد حزب الله انتخاب السيد حسن نصرالله أميناً عاماً والشيخ نعيم قاسم نائباً له. تجدر الإشارة إلى أنه تمت مكافأة المقاومة

الإسلامية عبر انتخاب القائد العسكري للحزب الحاج محسن شكر أحد أعضاء مجلس الشورى السبعة.

- ٢٣ تموز/يوليو وحتى ٣١ منه: «حرب الأيام السبعة» أو عملية محاسبة إسرائيل كنتيجة مباشرة لقتل المقاومة الإسلامية سبعة جنود إسرائيليين. أدت حرب الأيام السبعة إلى مقتل ١٣٠ شخصاً معظمهم من المدنيين اللبنانيين وهجرت نحو ٣٠٠ ألف. نتج من «عملية المحاسبة» اتفاق غير مكتوب بين حزب الله وإسرائيل بتحييد المدنيين من الجانبين.
- في ١٣ أيلول/سبتمبر، وفيما كان حزب الله يتظاهر سلمياً ضد اتفاق أوسلو، قام الجيش اللبناني والقوى الأمنية بقتل ١٣ من أنصاره ـ بمن فيهم امرأتان ـ وجرح ٤٠ آخرين لأنهم خرجوا إلى الشارع بينما كانت حكومة الحريري قد منعت التظاهر.

١٩٩٤ ٢١ نيسان/أبريل: سجنت الدولة اللبنانية قائد القوات اللبنانية سمير جعجع وحلّت حزبه.

- في تشرين الأول/أكتوبر، هاجمت المقاومة اللبنانية موقع الدبشة الإسرائيلي. استخدم حزب الله الكاميرا كسلاح أساسي في حربه النفسية ضد إسرائيل عبر بثه من خلال قناة المنار تفاصيل العملية والضحايا الإسرائيليين.
- في ٣١ أيار/مايو، خطفت وحدة كومندوس إسرائيلية أحد أبرز كوادر حركة أمل الحاج مصطفى الديراني من بلدته قصربنا في البقاع.

١٩٩٥ في ١٧ أيار/مايو، عين الإمام خامنئي الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله وعضو مجلس شورى الحزب الشيخ محمد يزبك وكيليه الشرعيين في لبنان في مجال الحسبة والمسائل الشرعية، بحيث أخذا منه الواجبات الدينية ووضعها لمصلحة المسلمين؛ من وضع حد للقمع والظلم وإجراء المصالحات الشرعية للخمس وتعيين نوابهم.

- في ٢٥ نيسان/أبريل نفذ صلاح غندور تاسع عملية استشهادية عندما فجر نفسه في موقع لجيش لبنان الجنوبي في بنت جبيل فجرح أحد عشر بحسب مصادر إسرائيلية.
- عقدت خلوة حزب الله الرابعة في تموز/يوليو حيث أعيد انتخاب الأمين العام ونائبه. وجاءت بعض التغييرات الأساسية التنظيمية في الحزب كما

يلي: أولاً، أصبح المكتب السياسي «المجلس السياسي» وتم توسيع صلاحياته؛ ثانياً، أنشئ «المجلس الجهادي»، حيث ترأسه السيد هاشم صفي الدين، العضو الجديد في مجلس الشورى؛ ثالثاً، حل «المجلس التنفيذي» مكان «الشورى التنفيذية» بنفس الصلاحيات تقريباً؛ رابعاً، وبهدف تقييم تجربة حزب الله النيابية، شكل الحزب هيئة جديدة اسمها «مجلس الكتلة النيابية».

١٩٩٦ في ٢٠ آذار/مارس، نفذ علي أشمر العملية الاستشهادية الحادية عشرة في بلدة رب ثلاثين في العديسة فقتل اثنين بحسب مصادر عسكرية إسرائيلية. من ١١ إلى ١٨ نيسان/أبريل، شنت إسرائيل «عملية عناقيد الغضب» التي انتهت بمجزرة قانا حيث قتل أكثر من ١٠٠ مدني لبناني لجؤوا إلى مركز الأمم المتحدة. نتج عن الاعتداء الإسرائيلي ما عرف بـ«تفاهم نيسان ١٩٩٦» الذي حمى المدنيين الإسرائيليين واللبنانيين من العمليات العسكرية. رعت كل من الأمم المتحدة وفرنسا وسوريا والولايات المتحدة الاتفاق المكتوب بين إسرائيل وحزب الله الذي أسس «لمجموعة مراقبة تفاهم بعد عملية عناقيد الغضب». أدت هذه العملية إلى مقتل ١٥٠ مدنياً لبنانياً وهجرت حوالى نصف مليون آخرين.

- برعاية ألمانية، أجرى حزب الله في ٢١ تموز/يوليو عملية مبادلة رفات جنديين إسرائيليين (اختطفا في ١٦ شباط/فبراير ١٩٨٦) و١٧ متعاوناً لحدياً مقابل ٤٥ معتقلاً لبنانياً وبقايا ١٢٣.
- حافظ حزب الله في الانتخابات النيابية من هذا العام على مقاعده الأحد عشر.

١٩٩٧ في شباط/فبراير، وفي محاولة منهم لتفادي رؤيتهم من حزب الله قتل ٧٣ جندياً إسرائيلياً كانوا على متن طوافتين إسرائيليتين عندما اصطدمت الطوافتان بعضهما ببعض بعد أن كانتا متوجهتين إلى جنوب لبنان بهدف نشر قوات إضافية.

- في ٧ نيسان/أبريل، أدت عملية تبادل جديدة بين حزب الله وإسرائيل إلى تبادل ثلاثة محتجزين لبنانيين مقابل جثة مقاتل من جيش لبنان الجنوبي.
- النزاع بين هوية حزب الله وسيادة الدولة اللبنانية: في ٤ أيار/مايو، أسس

الشيخ صبحي الطفيلي «ثورة الجياع» وفي ٤ تموز/يوليو، دعا للعصيان المدني ضد الحكومة اللبنانية حيث تم قطع الطرقات في ٢٦ تشرين الأول/أكتوبر.

- في ٥ أيلول/سبتمبر، نتج من عملية الأنصارية الإسرائيلية مقتل ١٢ مسؤولاً رفيع المستوى من نخبة رجال الكومندوس الإسرائيليين، من دون أن يصاب أي مقاتل من حزب الله بأذى.
- في ١٢ أيلول/سبتمبر استشهد ابن السيد حسن نصرالله هادي في مواجهة مع الجنود الإسرائيليين في جنوب لبنان.
- في ٣ تشرين الثاني/نوفمبر شكل حزب الله السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي.

١٩٩٨ طُرد الشيخ صبحي الطفيلي رسمياً من حزب الله بموجب إعلان سياسي في ٢٤ كانون الثاني/يناير. في ٣٠ من الشهر نفسه، اندلعت مواجهة عسكرية عنيفة بين الجيش اللبناني وأنصار الطفيلي الذين احتلوا بالقوة العسكرية مقر حزب الله الديني في عين بورضاي بالقرب من بعلبك. انتهت المواجهات الدامية بتدمير مقر الطفيلي وبإصدار السلطات اللبنانية مذكرة بتوقيفه. غير أنه حتى اليوم لا يزال الطفيلي حراً. بعد حل المسألة الداخلية، عقد حزب الله خلوته الخامسة بين ٢٠ حزيران/يونيو ونهاية تموز/يوليو. انتخب نصرالله لولاية ثالثة. وقد اضطر الحزب لذلك تعديل قوانينه الداخلية عبر شطب البند الذي ينص على عدم تولي الأمين العام منصبه لأكثر من ولايتين متتاليتين.

- جرت انتخابات أيار/مايو ـ حزيران/يونيو البلدية ـ التي تعكس التمثيل الشعبي والتي لم تجري منذ العام ١٩٦٣ ـ بعد ضغط من حزب الله. استخدمت الحكومة اللبنانية حجة عدم وجود الموارد المالية والتقنية والموارد البشرية، لكن الحزب أصر على إعادة تنشيط الانتخابات. وبالطبع حقق الحزب انتصاراً كاسحاً في أبرز دوائره (باستثناء بعلبك) بما فيها الدوائر الانتخابية التي تدعمها الحكومة اللبنانية.
- في ٢٦ حزيران/يونيو، وبواسطة الحكومة اللبنانية، تمت مبادلة أشلاء جندي إسرائيلي قتل خلال معركة الأنصارية في أيلول/سبتمبر ١٩٩٧ مقابل ٦٠ معتقلاً لبنانياً (عشرة منهم في إسرائيل) وجثث ٤٠ مقاتلاً للمقاومة من بينهم هادي نصرالله.

- في ١٣ أيلول/سبتمبر أطلقت إسرائيل سراح سهى بشارة (التي حاولت قبل عشر سنوات قتل قائد جيش لبنان الجنوبي أنطوان لحد) بعد عشر سنوات من السجن والتعذيب في معتقل الخيام.

١٩٩٩ في ٢٨ شباط/فبراير، فجرت المقاومة الإسلامية موكب القائد الإسرائيلي في لبنان الجنرال إيريتز غيرنشتاين الذي توفي على الفور. وكان غيرنشتاين أعلى مسؤول إسرائيلي يقتل في ١٧ عاماً.

- في أوائل حزيران/يونيو، انسحبت القوات الإسرائيلية وجيش لبنان الجنوبي من جزين التي تشكل حوالى ٦٪ من الشريط المحتل بحيث انخفضت مساحة الشريط إلى ٩٪ من مساحة لبنان.
- من خلال وساطة ألمانية، أطلقت إسرائيل على دفعتين ١٣ «مقاتل حرية» لبنانياً، خمسة منهم في ٢٦ كانون الأول/ديسمبر من معتقل عتليت في إسرائيل مقابل وعد من حزب الله بالمساعدة على البحث عن الطيار الإسرائيلي رون أراد الذي أسقطت طائرته فوق جنوب لبنان في العام ١٩٨٦.
- في ٣٠ كانون الأول/ديسمبر، نفذ عمار حسين حمود العملية الاستشهادية الثانية عشرة لحزب الله على طريق القليعة فقتل ٧ جنود إسرائيليين وجرح سبعة آخرين وفق حزب الله، فيما ذكرت مصادر عسكرية إسرائيلية أن العملية لم تسفر عن أي ضحايا بسبب انفجار الاستشهادي قبل أوانه.

٢٠٠٠ في شباط/فبراير فجرت المقاومة الإسلامية عبوة ناسفة بالرجل الثاني في جيش لبنان الجنوبي عقل هاشم الذي توفي على الفور.

- في ١٩ نيسان/أبريل أطلقت إسرائيل سراح ١٣ معتقلاً لبنانياً من سجن عتليت.
- في ٢٤ أيار/مايو انسحبت إسرائيل من جنوب لبنان بعد ٢٢ عاماً من الاحتلال. (رفضت إسرائيل تسليم مزارع شبعا التي تشكل موضع نزاع بين إسرائيل ولبنان).
- في ٢٨ أيلول/سبتمبر اندلعت الانتفاضة الفلسطينية الثانية غداة زيارة شارون إلى المسجد الأقصى.
- فاز حزب الله باثني عشر مقعداً في الانتخابات النيابية التي جرت في الصيف.

- في ٧ تشرين الأول/ أكتوبر خطف حزب الله ثلاثة جنود إسرائيليين من مزارع شبعا اللبنانية. في ١٥ من الشهر نفسه تمكن الحزب من استدراج وخطف ضابط موساد إسرائيلي متقاعد.

٢٠٠١ في خلوة الحزب السادسة التي انتهت في ٣٠ تموز/ يوليو، أعيد انتخاب السيد نصرالله مدى الحياة وحل السيد إبراهيم أمين السيد والحاج جواد نور الدين مكان الحاج محمد رعد والحاج محسن شكر في مجلس الشورى. وضع الحزب مؤسساته الإعلامية تحت الإمرة المباشرة لنصرالله الذي يساعده رئيس المجلس السياسي والمجلس التنفيذي. وهذا من شأنه أن يرفع من دور وسائل إعلام الحزب ويواصل سيطرته الإيديولوجية. كما ألغى حزب الله مجلس التخطيط المركزي وعزز المحاسبة الداخلية وآلياتها. من هذا المنظور، توسعت أدوار ومهام المجالس البلدية (أفقياً) وارتفعت (عامودياً).

٢٠٠٢ في ٢٧ ـ ٢٨ آذار، عُقدت القمة العربية في بيروت وتم الإعلان عن المبادرة العربية لوضع حد للنزاع الإسرائيلي الفلسطيني.

- أواخر آذار/ مارس، بداية نيسان/ أبريل، نفذ الجيش الإسرائيلي عملية اجتياح قاتلة للضفة الغربية. رد حزب الله بعمليات مزارع شبعا التي امتدت على مدى اثني عشر يوماً بهدف دعم الانتفاضة.
- في ١٠ حزيران/ يونيو، وفي ضوء إعادة إحياء مفاوضات تبادل الأسرى وكبادرة حسن نية تجاه حزب الله، أطلقت إسرائيل سراح محمد البرجاوي، وهو مقاتل لدى الحزب محتجز منذ العام ١٩٨٧.

٢٠٠٣ في ٢١ آب/ أغسطس أعادت إسرائيل رفات مقاتلين لحزب الله مقابل اجتماع بين ضابط الموساد المحتجز ووسيط ألماني.

- رداً على عملية انتحارية في إسرائيل وقعت قبل يوم، وقتل فيها ١٩ مدنياً إسرائيلياً، خرقت المقاتلات الإسرائيلية الأجواء اللبنانية في ٥ كانون الأول/ ديسمبر وقصفت مخيماً فلسطينياً للتدريب بالقرب من دمشق. وكانت هذه الضربة الجوية الأولى لسوريا في ٣٠ عاماً، أي منذ انتهاء حرب تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٧٣.

٢٠٠٤ : في ١٩ كانون الثاني/ يناير، دمر حزب الله جرافة عسكرية إسرائيلية كانت اجتازت الخط الأزرق. وقد استهدفها الحزب عبر إطلاقه صاروخاً بينما

كانت قد اجتازت ٢٦ متراً داخل الأراضي اللبنانية باعتراف قوات الطوارئ الدولية. قتل جندي إسرائيلي وأصيب آخر بجروح خطيرة. وقد وقعت هذه المواجهة بينما كانت مفاوضات مبادلة الأسرى في أوجها بين إسرائيل وحزب الله، الأمر الذي يفسر سياسة الحزب المزدوجة: المواجهة العسكرية والمفاوضات.

- في ٢٩ ـ ٣٠ كانون الثاني/ يناير، أجرى حزب الله وإسرائيل المرحلة الأولى من أهم عملية تبادل للأسرى بعد مفاوضات دامت أربع سنوات بوساطة ألمانية. أطلق حزب الله سراح الضابط الإسرائيلي وأشلاء ثلاثة جنود إسرائيليين اختطفوا في تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٠ مقابل ٤٠٠ فلسطيني و٢٣ لبنانياً وعرب (بمن فيهم قياديون بارزون من الحزب: الشيخ عبد الكريم عبيد والحاج مصطفى الديراني) وبقايا ٥٩ مقاتلاً لبنانياً، ١١ منهم لحزب الله. وكانت هذه المرة الأولى التي ترضخ فيها إسرائيل لمطالب حزب الله، وتطلق سراح فلسطينيين مانحة الحزب دوراً غير مسبوق في الانتفاضة، حيث أصبح النزاع إقليمياً. بهذ الخطوة، منحت إسرائيل حزب الله اعترافاً بحكم الواقع كحركة مقاومة شرعية.
- في ٧ أيار/ مايو، وقعت عملية تسلل إسرائيلية جديدة تذكر بعملية الأنصارية بعد اجتياز وحدة الكومندوس الإسرائيلية إيغوس النخبوية الخط الأزرق. أعد لها مقاتلو حزب الله كميناً حيث قتل جندي وجرح خمسة آخرون باعتراف الإسرائيليين. بعكس عملية الأنصارية وعلى الرغم من النيران الكثيفة التي أطلقها مقاتلو الحزب، إلا أن الإسرائيليين تمكنوا من سحب قتلاهم وجرحاهم تاركين وراءهم كلباً ميتاً.
- بين ٢ و٣٠ أيار/ مايو، جرت الانتخابات البلدية الثانية بعد فترة ست سنوات. حقق حزب الله فوزاً ساحقاً في بيروت (١٠٠٪) والبقاع (حوالى ٩٥٪) وفي الجنوب (حوالى ٦١٪).
- ٢١ أيار/ مايو: نظم حزب الله تظاهرة ضخمة ضد تدنيس المقامات المقدسة في العراق. صرخ حوالى نصف مليون مناصر لحزب الله يرتدون الأكفان البيضاء «الموت لإسرائيل» و«الموت لأمريكا». وقد جرى استعراض القوة هذا بعد يومين من الانتخابات البلدية في الجنوب التي كانت تعتبر معقل حركة أمل وأهم دائرة لها.

- ٢٧ أيار/مايو: وقعت حوادث تذكر بأحداث ١٣ أيلول/سبتمبر ١٩٩٣: تظاهرات مرخصة في كافة أرجاء البلاد احتجاجاً على الوضع الاجتماعي الاقتصادي الضاغط بسبب ارتفاع أسعار النفط. في حي السلم في الضاحية، أطلق الجيش اللبناني النار على المتظاهرين الذين كانوا يرشقونه بالحجارة فقتل خمسة وجرح عدداً آخر. نتيجة لذلك، امتدت أحداث الشغب في الضاحية فأحرق المتظاهرون الطابق الأول من مبنى وزارة العمل.
- ٢٩ أيار/مايو: عقد السيد نصرالله مؤتمراً صحافياً اتهم فيه السفارة الأميركية في بيروت بالتسلل بين المتظاهرين وبارتكاب حوادث العنف، شارحاً وجود اليد الخفية في نظرية المؤامرة. ودعا الحكومة والبرلمان إلى عقد جلسات طارئة لمناقشة المسألة كما دعا الحكومة إلى المباشرة بالتحقيق في ما جرى.
- ٣٠ أيار/مايو: الحريري يزور نصرالله ويعقد معه اجتماعاً في منزل معاون الأخير السياسي.
- ٣١ أيار/مايو: نزولاً عند طلب نصرالله، عقدت الحكومة اللبنانية اجتماعاً طارئاً حيث دانت فيه بشدة أحداث ٢٧ أيار/مايو وعرضت فدية بلغت ٣٣ ألف دولار لكل من عائلات الضحايا. كما طلبت الحكومة من وزيري العدل والدفاع المباشرة بالتحقيقات وتقديم التقارير إليها.
- بين حزيران/يونيو و١٦ آب/أغسطس، عقد حزب الله خلوته السابعة. حافظ أعضاء مجلس الشورى على وظائفهم نفسها، أما الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله، فقد أصبح رئيس المجلس الجهادي. وكان أبرز تعديل إداري تقسيم الحزب الجنوب إلى منطقتين جغرافيتين: الجنوب الأول حتى نهر الليطاني والثاني حتى شماله. ويعمل القسمان تحت قيادة قائد تنظيمي مركزي واحد لضمان الهيكليات التنظيمية التي من شأنها أن تحسن الإدارة المحلية. فضلاً عن ذلك، عين الشيخ كريم عبيد رئيساً لمؤسسات حزب الله الاجتماعية. أما الناطق باسم الحزب الشيخ حسن عز الدين فقد عين الممثل السياسي للحزب في الجنوب وحل مكانه مساعد نصرالله للشؤون الإعلانية المهندس محمد عفيف.
- ٢ أيلول/سبتمبر: أصدر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة القرار ١٥٥٩ الذي يمنع التدخل السوري في الشؤون اللبنانية وينتقد سوريا ولبنان على النية بتعديل الدستور الذي من شأنه أن يمدد ولاية رئيس الجمهورية إميل

لحود لثلاث سنوات إضافية حتى تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٧. كما دعا القرار ١٥٥٩ الحكومة اللبنانية لنزع سلاح وتفكيك كافة الميليشيا اللبنانية في إشارة مباشرة إلى حزب الله إذ إنه الحزب السياسي الوحيد الذي لا يزال يملك السلاح.

- ٣ أيلول/سبتمبر: البرلمان اللبناني يعدل الدستور ويسمح بتمديد ولاية الرئيس لحود لنصف ولاية إضافية أو ثلاث سنوات.
- ١ تشرين الأول/أكتوبر: محاولة اغتيال فاشلة تستهدف الوزير مروان حمادة في غرب بيروت وتقتل حارسه وتجرح سائقه.
- ١١ تشرين الثاني/نوفمبر: في يوم الشهيد، أعد حزب الله سابقة في توازن الرعب مع إسرائيل. فللمرة الأولى منذ تأسيسه، أطلق الحزب طائرة تجسس من دون طيار مزودة بكاميرات وقادرة على حمل ٤٠ إلى ٥٠ كلغ من المتفجرات، ويمكن تجهيزها لضرب أي هدف. وقد حلّقت لـ١٤ دقيقة فوق إسرائيل. وأخذت الطائرة صوراً لمستعمرة كريات شمونة في شمال إسرائيل. أكدت إسرائيل الرحلة وادعت أن الطائرة حلقت فوق إسرائيل لخمس دقائق. أصدرت الحكومة الإسرائيلية بياناً أدانت فيه ذلك معتبرة ما حصل خرقاً فاضحاً للسيادة الإسرائيلية متناسية الخروقات الـ٩٤٠٠ التي تقوم بها إسرائيل للسيادة اللبنانية عبر الجو والبحر منذ انسحابها شبه الكامل في أيار/مايو الـ٢٠٠٠.
- ٣٠ تشرين الثاني/نوفمبر: حوالى ٢٥٠ ألف لبناني ثلثهم من حزب الله تظاهروا ضد القرار ١٥٥٩. حمل كافة المشاركين الأعلام اللبنانية بما فيها أعلام حزب الله. وكانت المرة الأولى التي يشارك فيها الحزب بمظاهرة من دون حمل الأعلام واليافطات والشعارات الخاصة. أما المزايا الوحيدة التي كانت تشير إلى الحزب فهي صراخ «الموت لإسرائيل والموت لأمركيا» ونساء حزب الله المحجبات اللاتي فاق عددهن عدد الرجال. بعض الشعارات التي رفعت حملت «الوحدة، الوحدة في لبنان حتى نستطيع الدفاع عن بلدنا»، «لا نريد الديموقراطية على النموذج الأميركي».
- في بداية كانون الأول/ديسمبر وفي ضوء القرارات التي اتخذت في خلوة حزب الله السابعة، وللمرة الأولى في تاريخه، عين الحزب رئيسة المنظمة النسائية في الحزب ريما فخري عضواً للمجلس السياسي. كما عين وفاء

حطيط المسؤولة عن البرامج السياسية في إذاعة النور نائباً لمركز الحزب الإعلامي.

- ١٣ كانون الأول/ديسمبر: حظرت فرنسا بث في أجوائها محطة المنار وفي بعض الدول الأوروبية. التزم الحزب بالقرار وأوقفت المنار بثها طوعاً. غير أن المنار واصلت بثها من ستة أقمار أخرى تغطي معظم الكرة الأرضية تقريباً بما فيها ثلاث دول في أوروبا لا تقع تحت النطاق الفرنسي.
- ١٧ كانون الأول/ديسمبر: اتبعت الولايات المتحدة القرار الفرنسي وحظرت المنار حيث صنفتها منظمة إرهابية.

٢٠٠٥

٢٩ كانون الثاني/يناير: الاحتفال السنوي الأول «ليوم الحرية» مستعيداً عملية تبادل الأسرى التاريخية التي وقعت قبل سنة.

- ١٤ شباط/فبراير: اغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري في عملية انتحارية بواسطة شاحنة مفخخة.
- ٨ آذار/مارس: نظم حزب الله مظاهرة دعم لسوريا. ملأ حوالى نصف مليون مناصر لحزب الله شوارع العاصمة رافعين الأعلام اللبنانية. ألقى نصرالله خطاباً دعا فيه إلى الوحدة الوطنية والحوار والتعايش.
- ١٤ آذار/مارس: «ثورة الأرز»: تظاهر أكثر من مليون شخص في شوارع وسط بيروت التجاري مطالبين القوات السورية بالانسحاب وبالكشف عن حقيقة اغتيال الحريري.
- ١٩ نيسان/أبريل: استقالت حكومة عمر كرامي وتولى نجيب ميقاتي رئاسة حكومة مؤلفة من ١٤ عضواً. تضمنت الحكومة وزيراً منتمياً لحزب الله، طراد حمادة (عضو غير رسمي) للمرة الأولى في تاريخه.
- ٢٦ نيسان/أبريل: أنهت سوريا وجودها في لبنان بعد خروج جنودها الـ١٤ ألفاً ومخابراتها من لبنان بعد وجود دام ٢٩ عاماً.
- ٢٣ أيار/مايو: تحققت الأمم المتحدة من الانسحاب العسكري السوري من لبنان.
- ٢٩ أيار/مايو ـ ١٩ حزيران/يونيو: الانتخابات البرلمانية الأولى بعد الانسحاب السوري. فازت كتلة سعد الحريري بـ٧٢ مقعداً من اصل ١٢٨. أما حزب الله فحصل على ١٤ مقعداً مضيفاً مقعدين إضافيين.

- ٢٧ حزيران/ يونيو: وقّع طراد حمادة مذكرة تشرع للفلسطينيين الذين ولدوا في لبنان حق العمل.
- بداية تموز/ يوليو: بداية الحظر التجاري السوري؛ حظر اقتصادي بحكم الواقع.
- ١٨ تموز/ يوليو: صوت مئة نائب للعفو عن قائد القوات اللبنانية المنحلة سمير جعجع الذي يقبع في السجن منذ ١١ عاماً ـ والإسلاميين السنة المسجونين منذ خمسة أعوام.
- ١٩ تموز/ يوليو: فؤاد السنيورة يشكل الحكومة الأولى بعد الانسحاب السوري وحزب الله يشارك بعضو رسمي، النائب محمد فنيش وحليف طراد حمادة.
- ٢٢ تموز/ يوليو: كوندوليزا رايس تزور لبنان وهي أول زيارة لوزير خارجية أميركي منذ زيارة باول في العام ٢٠٠٣.
- ٣٠ تموز/ يوليو: حكومة السنيورة تفوز بالثقة بـ٩٢ صوتاً.
- ٣١ تموز/ يوليو: السنيورة يزور سوريا في محاولة لوضع حد للحظر الاقتصادي السوري.
- ١ آب/ أغسطس: سوريا ترفع حصارها الاقتصادي جزئياً وتفتح حدودها أمام الشاحنات اللبنانية للعبور.
- ٣١ تموز/ يوليو ـ ٦ آب/ أغسطس: يزور نصرالله مع أعضاء من مجلس الشورى إيران لحضور تنصيب الرئيس المنتخب الجديد محمود أحمدي نجاد في ٣ آب/ أغسطس وإجراء محادثات معه ومع الإمام علي خامنئي ومسؤولين إيرانيين آخرين. تطمئن الإدارة الإيرانية حزب الله أن مسألة نزع السلاح هي حلم.
- ١٧ آب/ أغسطس: تتخلى إسرائيل عن قطاع غزة بعد ٣٨ عاماً من الاحتلال وتبدأ بإخلاء مستوطناتها. يعتبر نصرالله هذا الحدث انتصاراً لنموذج المقاومة على مر خمسة أعوام. «خيار المقاومة يحرر غزة». وأضاف أن ذلك يشكل دليلاً على الحاجة للإبقاء على سلاح المقاومة.
- ١٢ أيلول/ سبتمبر: إسرائيل تنهي رسمياً احتلالها لغزة بعد الانسحاب العسكري الكامل منها.

- ٢١ تشرين الأول/ أكتوبر: قدم رئيس لجنة التحقيق الدولية في جريمة اغتيال الحريري ديتليف ميليس تقريراً غير مقنع قانونياً لكنه سياسي بامتياز يشير إلى تورط مسؤولين سوريين ولبنانيين كبار في الاغتيال.
- ٢٤ تشرين الأول/ أكتوبر: أصدرت حركة أمل وحزب الله إعلاناً مشتركاً يدين تقرير ميليس ويتهمه بعدم الكشف عن الحقيقة وبانحيازه ضد النظام السوري في مواجهته المجتمع الدولي، لكنهما وافقا على قرار الحكومة اللبنانية بالتمديد لمهمة ميليس حتى ١٥ كانون الأول/ ديسمبر.
- ١٢ كانون الأول/ ديسمبر: في هذا اليوم، اغتيل رئيس تحرير صحيفة النهار النائب جبران التويني. اجتمعت الحكومة اللبنانية وأحالت هذه القضية، إضافة إلى اغتيالات أخرى جرت لدوافع سياسية، إلى اللجنة الدولية التابعة للأمم المتحدة للتحقيق في اغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري. كما طالبت الحكومة بتشكيل محكمة دولية لمحاكمة مرتكبي هذه الجرائم. لدى التصويت على القرار، انسحب الوزراء الخمسة الشيعة دليلاً على عدم موافقتهم، معلقين مشاركتهم في مجلس الوزراء لفترة امتدت إلى سبعة أسابيع.
- ٢٠ كانون الأول/ ديسمبر: أصدر الشيخ عفيف النابلسي فتوى تحرّم على أي شيعي آخر الالتحاق بالحكومة في غياب الوزراء الخمسة.

٢٠٠٦ : الأول من كانون الثاني/ يناير: حلّ القاضي البلجيكي سيرج برامرتز مكان ديتليف ميليس على رأس اللجنة الدولية التابعة للأمم المتحدة للتحقيق في اغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري.

- ٥ شباط/ فبراير: بعد مضي يوم واحد على مهاجمة بعض الرعاع السفارة الدانماركية في دمشق احتجاجاً على الرسوم المسيئة للنبي (ص)، عمد بعض الغوغائيين إلى حرق السفارة الدانماركية في المنطقة الشرقية من بيروت. عمت الفوضى وبرزت الأضرار، فيما تم تخريب عدد من المحلات والسيارات والكنائس، إضافة إلى شتم السكان. فشلت قوات الأمن اللبنانية في إعادة النظام. نتيجة لذلك، قدم وزير الداخلية استقالته وقدم لبنان للدانمارك اعتذاراً رسمياً.
- ٦ شباط/ فبراير: بهدف احتواء التداعيات السلبية لما حصل ولتفادي أي نزاع

مسيحي مسلم، التقى رئيس التيار الوطني الحر الجنرال ميشال عون والسيد حسن نصرالله في كنيسة رمزية على تقاطع ما كان يعرف بـ«الخط الأخضر» فوقعا تفاهماً تاريخياً من عشر نقاط يتناول مسائل سياسية واقتصادية وإدارية وأمنية، فضلاً عن العلاقات مع سوريا. كما تنال التفاهم شؤون / مخاوف داخلية مثل الإصلاح الإداري وقانون الانتخابات ومحاربة الفساد والتحقيق في اغتيال الحريري.

- ٢ آذار/ مارس: افتتاح «مؤتمر الحوار الوطني» في البرلمان اللبناني برعاية رئيس المجلس النيابي نبيه بري. شاركت أربع عشرة شخصية سياسية قيادية بمن فيهم السيد نصرالله في جلسات الحوار.
- ٤ أيار/ مايو: تبنى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة القرار رقم ١٦٨٠ الذي يطالب من ضمن قراراته بتطبيع العلاقات مع لبنان.
- ٣٠ أيار/ مايو: أصدر القضاء اللبناني عفواً عن الأمين العام لحركة فتح في لبنان سلطان أبو العينين.
- ١ حزيران/ يونيو: أدت السخرية من السيد حسن نصرالله في برنامج ساخر متلفز إلى تظاهر السكان في دوائر حزب الله مهددين بالتوجه إلى المناطق المسيحية وحرق قناة المؤسسة اللبنانية للإرسال. بعد فشل نواب حزب الله في احتواء الجموع المغتاظة والسيطرة عليها، توجه السيد نصرالله شخصياً في سابقة هي الأولى من نوعها عبر قنوات حزب الله، مطالباً الجموع بإخلاء الشوارع على الفور. فأطاعوا له.
- ٣٠ حزيران/ يونيو: إثر تشكيل اللجنة اللبنانية الفلسطينية لمناقشة مأساة اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، قام وفد مؤلف من وزراء لبنانيين بمن فيهم وزير حزب الله طراد حمادة بزيارة تفقدية إلى المخيمات الفلسطينية.
- ١٢ تموز/ يوليو: اختطف حزب الله جنديين إسرائيليين في غارة عبر الحدود. قتل ثمانية جنود إسرائيليين في المواجهات التي وقعت في ذاك اليوم.
- ١٢ تموز/ يوليو ـ ١٤ آب/ أغسطس: حرب إسرائيل العدوانية على لبنان التي دامت ٣٤ يوماً.
- ٢٦ تموز/ يوليو: مؤتمر روما يفشل في الاتفاق على وقف لإطلاق النار يضع حداً لخمسة عشر يوماً من النزاع. السنيورة يصدر نقاطه السبع.

- ١١ آب/أغسطس: مجلس الأمن في الأمم المتحدة يوافق بالإجماع على القرار ١٧٠١ الذي يدعو إلى وقف كامل للاعتداءات على لبنان.
- ١٩ آب/أغسطس: سجل وصول أولى فرق قوات الطوارئ الدولية إلى لبنان.
- ٢٠ آب/أغسطس: اعتصم النواب اللبنانيون داخل البرلمان اللبناني مطالبين برفع الحصار الجوي والبحري الذي تفرضه إسرائيل على لبنان.
- ٣١ آب/أغسطس: مؤتمر ستوكهولم يتعهد بدفع ٩٤٠ مليون دولار مساعدات إلى لبنان.
- ٧ أيلول/سبتمبر: إسرائيل ترفع حصارها الجوي عن لبنان في الساعة ٤ بتوقيت غرينيتش.
- ٨ أيلول/سبتمبر: إسرائيل تنهي حصارها البحري على لبنان.
- ١ تشرين الأول/أكتوبر: إسرائيل تنسحب من الجنوب بعد اجتزاء العديد من الأراضي على طول الخط الأزرق بما فيها الجانب اللبناني من بلدة الغجر.
- ١١ تشرين الثاني/نوفمبر: بعد فشل «جلسات الحوار الوطني» التي أطلقها نبيه بري، استقال الوزراء الخمسة الشيعة من الحكومة في هذا اليوم الرمزي الذي يحتفل فيه حزب الله بيوم الشهيد.
- ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر: اغتيال النائب ووزير الصناعة بيار الجميل، العضو في المكتب السياسي لحزب الكتائب.
- ١ كانون الأول/ديسمبر: تظاهر حزب الله والتيار الوطني الحر وأعضاء آخرون من المعارضة اللبنانية في وسط بيروت التجاري مالئين ساحة الشهداء وساحة رياض الصلح ومطالبين بتشكيل حكومة وحدة وطنية تحصل فيها المعارضة اللبنانية على الثلث المعطل.
- من ١ إلى ١٠كانون الأول/ديسمبر: أكثر من مليون متظاهر تجمهروا في وسط بيروت التجاري محاولين سلمياً قطع الطريق المؤدية إلى السراي الحكومي، مقر مجلس الوزراء.

٢٢ كانون الثاني/يناير: خطاب نصرالله التعبوي: أكد أن الإضراب في اليوم التالي سيحدد مصير لبنان بالنسبة للأجيال المستقبلية وحذر من الاقتتال الداخلي ومن انشقاق الجيش.

- ٢٣ كانون الثاني/يناير: بعد ٥٣ يوماً من الاعتصامات والتظاهرات في وسط بيروت التجاري، شلت المعارضة بقيادة حزب الله البلاد عبر إضراب عام ترافق مع قطع الطرق الرئيسة وحرق الإطارات إلخ. نتيجة لذلك، أقفل المطار[١] والمرفأ، ما ذكر بحرب الـ٣٤ يوماً. قتل ثلاثة وأصيب حوالى ١٥٠، غالبيتهم في مواجهات عنيفة اندلعت بين مناصرين مسيحيين للحكومة والمعارضة المسيحية في المناطق المسيحية في شرق بيروت والشمال (قتل عضو من القوات اللبنانية). كما اندلعت مواجهات عنيفة بين مناصرين سنة للحكومة وشيعة أدت إلى مقتل اثنين من السنة. تجدر الإشارة إلى أن إضراباً مشابهاً حصل في ٦ أيار/مايو ١٩٩٨ أدى إلى انهيار حكومة الرئيس كرامي.

- ٢٥ كانون الثاني/يناير: تصاعد «الدخان الأبيض» من باريس والدخان الأسود من بيروت. مواجهة مسلمة: السنة ضد الشيعة: ٤ قتلى (٣ من حزب الله وواحد من أمل) و٣٠٠ مصاب بمن فيهم ١٣ جندياً من الجيش اللبناني، ٤ منهم برتبة ملازم أول و٢١٦ موقوفاً. برزت بوادر خطيرة تذكر بالحرب الأهلية: قنص، أسلحة أوتوماتيكية، فوضى، حرق سيارات، تدمير ممتلكات إلخ. كانت منطقة معارك حقيقية. في خطوة هي الأولى من نوعها، أصدر نصرالله فتوى تدعو مناصريه وكافة اللبنانيين إلى إخلاء الشوارع على الفور. من جهتهما، أصدر كل من بري وسعد الحريري نداءات مماثلة. فرض الجيش اللبناني منع تجول من الساعة الثامنة والنصف وحتى السادسة صباحاً، في إجراء هو الأول من نوعه منذ أيار/مايو ١٩٧٣، قبل اندلاع الحرب الأهلية. عنونت السفير في صفحتها الأولى: «لعن الله من أذكاها»[٢].

- ٢٧ كانون الثاني/يناير: عقد الطفيلي مؤتمراً صحافياً في عين بورضاي[٣] أدان فيه بقوة قيادة حزب الله متهماً نصرالله بتنفيذ سياسات خامنئي في لبنان. (أعلن خامنئي مراراً أن لبنان سيكون أرض المعركة حيث ستهزم الولايات المتحدة).

---

(١) تم تعليق أو إلغاء أو تأجيل ٣٤ رحلة جوية من وإلى مطار بيروت.

(٢) راجع السفير عدد ١٠٦١١ (٢٦ كانون الثاني/يناير ٢٠٠٧).

(٣) للمكان معنى رمزي إذ إنه المكان نفسه التي اندلعت فيه مواجهات مميتة في العام ١٩٩٨ بين الجيش اللبناني وأنصار الطفيلي.

- ٧ ـ ٨ شباط/ فبراير: حوالى منتصف الليل، جرى حادثا تبادل إطلاق للنار على الأقل بين الجيش اللبناني والقوات الإسرائيلية بعد عبور آلية إسرائيلية الخط الأزرق في محاولة لنزع الألغام عبر الحدود. كان هذا الحادث الأول (المواجهة العسكرية) بين الطرفين منذ وقف الاعتداءات في ١٤ آب/ أغسطس ٢٠٠٦. (سأل السنيورة رايس أن تطلب من الآلية الإسرائيلية العبور حتى يطلق الجيش اللبناني النار عليها. اعتقد السنيورة أن هذا الحادث سيعطي الحكومة اللبنانية بعض المصداقية ويضر بحزب الله).
- ٨ شباط/ فبراير: صادر الجيش اللبناني شاحنة أسلحة لحزب الله. طالب الحزب باستعادتها؛ رفض الجيش مؤكداً أن الأسلحة ستستخدم لمواجهة القوات الإسرائيلية في الجنوب.
- ١٣ شباط/ فبراير: انفجرت عبوات في باصي نقل في عين علق بالقرب من بكفيا المسيحية فقتلت ٣ وجرحت ٢٠ مدنياً بريئاً. لربما هدفت الهجمات إلى إخافة المسيحيين وردعهم عن المشاركة الكثيفة في الذكرى الثانية لاغتيال الحريري المقررة في اليوم التالي. فشلت هذه الاستراتيجيا واحتفل كثيرون في المناسبة.
- ١٤ شباط/ فبراير: بدا الانقسام بين المعسكرين والمخيمين واضحاً ومخيفاً حيث انفصل الطرفان بجدار حديد صغير شبيه «بجدار برلين».
- ٣ آذار/ مارس: مشهد داخلي: الجيش اللبناني يصادر سيارة تحمل أسلحة للحزب السوري القومي الاجتماعي.
- ٣ آذار/ مارس: مشهد إقليمي: اجتماع تاريخي دام لثلاث ساعات بين الرئيس الإيراني أحمدي نجاد والملك السعودي عبد الله في الرياض في السعودية. توصلا خلاله إلى اتفاق يقضي بحلحلة الأزمة السياسية في لبنان كجزء من مجموعة شاملة تهدف إلى حلحلة الأزمات في النقاط الساخنة في العالم الإسلامي.
- ١٣ آذار/ مارس: اعترف أربعة سوريين محتجزين لقوى الأمن اللبنانية بمسؤوليتهم عن اعتداءات ١٣ شباط/ فبراير. إنهم أعضاء في مجموعة إسلامية فلسطينية تدعى فتح الإسلام[١] متمركزة في مخيم نهر البارد للاجئين

---

(١) اسم جديد للفصيل الفلسطيني السوري المسمى فتح الانتفاضة. أنكر ناطق باسم فتح الإسلام أبو سليم طه من مخيم نهر البارد هذه التهم/ الادعاءات.

الفلسطينيين في شمال لبنان. قالت القوى الأمنية إن المجموعة حاولت تفجير مقر الكتائب في بكفيا، معقل آل الجميل.

- ٢٠ آذار/ مارس: أول اعتصام في البرلمان ينفذه نواب قوى الرابع عشر من آذار/ مارس دعماً لحكومة السنيورة، محاولين ممارسة الضغط على رئيس المجلس لدعوة البرلمان. اتفقوا على معاودة الاعتصام كل يوم ثلاثاء حتى نهاية شهر آذار/ مارس، تاريخ انتهاء الدورة العادية لمجلس النواب.

- ٢١ آذار/ مارس: سلم سيرج برامرتس تقريره السابع إلى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة الذي أصدر في ٢٧ آذار/ مارس بالإجماع القرار رقم ١٧٤٨ الذي مدد رسمياً مهمة اللجنة سنة إضافية بدءاً من حزيران/ يونيو ٢٠٠٧ وحتى حزيران/ يونيو ٢٠٠٨. (أكد قرار مجلس الأمن رقم ١٧٤٧ على القرار رقم ١٧٠١ القاضي بمنع تهريب الأسلحة).

- ٢٨ ـ ٢٩ آذار/ مارس: القمة العربية في الرياض. كما كانت الحالة مع القمة السابقة، توجه لبنان إلى القمة بوفدين: الأول برئاسة رئيس الجمهورية والثاني برئاسة رئيس الحكومة. لكن بعكس القمة السابقة في السودان، قدم الوفدان ورقة مشتركة.

- ٢ نيسان/ أبريل: اجتمع سبعون نائباً لبنانياً من قوى الرابع عشر من آذار/ مارس لدعم حكومة السنيورة في البرلمان بحيث أعدوا رسالة إلى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة يطالبون فيها تأسيس المحكمة الدولية بأسرع وقت ممكن. في ١٠ نيسان/ أبريل، أرسل رئيس الوزراء السنيورة رسالة إلى الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون مؤكداً فيها أن العوائق التي تحول دون المصادقة على المحكمة تعود إلى الشلل الحاصل في السلطة التشريعية.

- ٨ نيسان/ أبريل: خطاب نصرالله لـ«عيد الفصح»: في محاولة منه لوضع حد لأزمة الحكومة اللبنانية، خفض نصرالله مطالبه من حق النقض إلى استفتاء وطني أو انتخابات تشريعية باكرة.

- ١٧ ـ ٢١ نيسان/ أبريل: أرسل بان كي مون نيكولا ميشال، نائب الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون القانونية إلى لبنان لمناقشة مسألة تشكيل المحكمة مع المسؤولين اللبنانيين وقادة المعارضة. شدد ميشال الذي لعب دوراً أساسياً في

صياغة نص المحكمة بين الأمم المتحدة وحكومة السنيورة على أن الأمم المتحدة لا تنوي التدخل في الشؤون الداخلية السياسية اللبنانية ولا سيما النقاش الذي يدور حول المحكمة. بعد اجتماع بين وزير حزب الله المستقيل محمد فنيش والموفد الدولي، رفض فنيش تسليم ميشال تحفظات الحزب حول المحكمة مؤكداً أن الحزب لن يقوم بذلك إلا لحكومة الوحدة الوطنية.

- ٢٣ نيسان/ أبريل: لبنان على حافة النزاع السني ـ الشيعي: اختطاف عضوين سنيين من الحزب التقدمي الاشتراكي ـ زياد غندور (١٢ عاماً) وزياد قبلان (٢٢ عاماً) ـ في الشياح في الضاحية الجنوبية التي تشكل معقل حزب الله. في ٢٦ نيسان/أبريل، وجدت قوى الأمن اللبناني جثتي الضحيتين اللتين أطلقت النار عليها عن قرب في جدرا، في قرية مسيحية في إقليم الخروب. إشارة إلى أن الإقليم منطقة ذات غالبية سنية يقع في الجبل الدرزي ويصوت انتخابياً للحزب الاشتراكي وجنبلاط. يبدو واضحاً أن الجريمة النكراء هدفت إلى نشر بذور الفتنة بين الدروز والسنة والشيعة إذ إن مرتكبي الجريمة هم أشقاء يحيى شمص، أحد الضحايا الشيعة التابعين لحركة أمل الذين سقطوا يوم الخميس في ٢٥ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٧ في طريق الجديدة. بهدف وقف شرارة الفتنة، أخذ جنبلاط المبادرة لتهدئة الوضع مؤكداً أن الجريمة ثأرية من دون أي دوافع سياسية. تلقت قوى الثامن من آذار/مارس دعوة جنبلاط إلى الوحدة الوطنية بإيجابية بمن فيهم حزب الله الذي التقى في ٢ أيار/مايو قوى الرابع عشر من آذار لدى تقديم واجب العزاء إلى أهالي الفقيدين في وطى المصيطبة وهي منطقة ذات غالبية سنية وفي دار الفتوى، مقر إقامة مفتي الجمهورية السني. حتى خلال حفل التشييع في ٢٧ نيسان/ أبريل، حضر أعضاء من ٨ آذار بمن فيهم كتلة الرئيس بري النيابية. ساهمت هذه المبادرة في كسر الجليد بين الطرفين ممهدة لمبادرة نصرالله الجديدة.

- ٥ أيار/مايو: حاول نصرالله تهدئة الوضع في مقابلة تلفزيونية مع قناة العالم الإيرانية سجلت قبل يوم.

- ١١ أيار/مايو: بعد علاقات باردة لأكثر من سنة وبهدف حلحلة الأزمة حول الرئاسة، زار البطريرك الماروني نصرالله صفير الرئيس لحود لمناقشة الانتخابات الرئاسية المقبلة.

- ١٩ أيار/مايو: سرق مسؤولون قياديون في فتح الإسلام مبلغ ١٠٠٠٠٠ دولار من مصرف بنك ميد الذي يملكه آل الحريري في أميون في الكورة، وتوجّهوا إلى طرابلس.
- ٢٠ أيار/مايو: اندلعت مواجهات عنيفة حول مخيم نهر البارد للاجئين الفلسطينيين في شمال لبنان بين فتح الإسلام والجيش اللبناني بعد أن هاجم عناصر من فتح الإسلام قواعد للجيش فذبحوا ١٧ جندياً لبنانياً بدم بارد. في اليوم نفسه، تمكنت الشرطة اللبنانية (قوى الأمن الداخلي) من قتل ١٧ قيادياً من فتح الإسلام كانوا مختبئين في شقق فخمة في طرابلس. قتلت فتح الإسلام بدماء باردة ٧ جنود لبنانيين غير مسلحين في منطقة الكورة وأطلقت النيران على الصليب الأحمر. في المجمل، خسر الجيش اللبناني ٢٧ جندياً في ذاك اليوم فيما فقدت فتح الإسلام ٢٠[١]. هددت فتح الإسلام بجر المعركة إلى خارج نهر البارد إذا لم يوقف الجيش اللبناني هجوماته هناك.
- في الساعة ٢٣:٤٠ ليلاً وقع انفجار عنيف شرق بيروت المسيحية إذ انفجرت عبوة زنتها ١٥ كلغ من مادة تي أن تي في مرآب قريب من مجمع أ ب ث في الأشرفية، فقُتل مدني وجُرح ٢٠ آخرون.
- بعد مواجهات نهر البارد، أضيفت أزمة عسكرية ستدوم لأشهر عدة إلى الأزمة السياسية القائمة.
- ٢١ أيار/مايو: في الساعة ٢٢.٥٠، نفذ عناصر فتح الإسلام تهديدهم الثاني حيث استهدفوا منطقة مسلمة في غرب بيروت بعبوة زنتها ١٠ كلغ من مادة التي أن تي في منطقة فردان السنية الراقية. أصيب مدني بجروح بالغة فيما أصيب خمسة آخرون بجراح طفيفة.
- ٢٣ أيار/مايو: حوالى الساعة التاسعة مساء، نفّذت فتح الإسلام للمرة الثالثة عملية استهدفت منطقة عاليه ذات الغالبية الدرزية ـ المركز التجاري الأبرز في منطقة الشوف ومعقل النائب وليد جنبلاط ـ بانفجار أدى إلى إصابة ستة مدنيين.
- ٢٥ أيار/مايو: خطاب نصرالله في الذكرى السابعة للتحرير. لم يدن فتح الإسلام ولا أشار إليهم باسمهم. يبدو أنه اعتمد سياسة تهدئة بدل مصادقتهم أو استعدائهم.

---

(١) السفير ١٠٧٠٣ (٢١ أيار/مايو ٢٠٠٧) ١؛ ١٦.

- ٣٠ أيار/مايو: أعد قرار مجلس الأمن رقم ١٧٥٧ تحت البند السابع المحكمة الدولية للنظر بجريمة الحريري بحيث تصبح سارية المفعول في ١٠ حزيران/يونيو. صوتت عشر دول مع وخمسة امتنعت وهي: روسيا، الصين، جنوب أفريقيا، أندونيسيا وقطر. لاحظ بري أن قوى الرابع عشر من آذار/مارس تسعى إلى دولنة النزاع اللبناني بدل تبني حل داخلي لبناني عبر مؤسسات الدولة. ردت قوى الرابع عشر من آذار/مارس بالقول إن بري هو من صادر البرلمان ولم يدعُ إلى أي جلسة وبالتالي شل المؤسسة التشريعية.
- ٣١ أيار/مايو: الساعة ١٠:٣٠ شهدت الافتتاح الرسمي لشارع فندق السان جورج حيث اغتيل رئيس الوزراء رفيق الحريري و٢٢ آخرون في انفجار انتحاري في ١٤ شباط/فبراير ٢٠٠٥.
- ١٣ حزيران/يونيو: اغتيل نائب ١٤ آذار/مارس وليد عيدو بانفجار سيارة مفخخة في الروشة في رأس بيروت. قتل في الانفجار أيضاً ابنه خالد وثمانية مدنيين آخرين. أدان حزب الله في إعلان سياسي بقوة الاغتيال معتبراً أنه يشكل جزءاً من «الإرهاب المتنقل» الذي يستهدف استقرار لبنان. قال حزب الله إن أفضل وسيلة لمواجهة الإرهاب هي عبر رص الصفوف والعمل بجهد للقبض على الفاعلين وسوقهم أمام المحكمة. كانت الجريمة، مثل سابقاتها ذات دوافع سياسية. حملت قوى ١٤ آذار/مارس النظام السوري المسؤولية بشكل مباشر. (كان الاغتيال الثاني الذي يستهدف مسلماً سنياً بعد رفيق الحريري). مع اغتيال عيدو وبيار الجميل، أصبح مقعدان برلمانيان شاغرين. خشية على حياتهم بعد اغتيال عيدو، غادر ٤٠ نائباً من ١٤ آذار/مارس البلاد.
- ١٧ حزيران/يونيو: في اختراق أمني خطير منذ انتهاء حرب لبنان الثانية في صيف العام ٢٠٠٦، أطلق مسلحون صواريخ من جنوب لبنان على كريات شمونة في شمال إسرائيل. في اليوم التالي، ادعت مجموعة مجهولة حتى اليوم تدعى «جهاديو بدر ـ فرع لبنان» المسؤولية. ربطت قوى الأمن اللبنانية الهجوم بالحرب المتواصلة بين فتح الإسلام والجيش اللبناني.
- ٢٠ حزيران/يونيو: أعلن وزير الدفاع اللبناني انتهاء عمليات قتال واسعة بعد أن سيطر الجيش اللبناني على ٨٠٪ من المخيم بحيث حصر المسلحين في المخيم القديم الذي يشكل ٢٠٪ من مساحة المخيم الحالي.

- ٢٣ ـ ٢٤ حزيران/ يونيو: شنت وحدات الجيش اللبناني عملية جراحية في طرابلس [١] على خلية ثالثة مؤلفة من سبعة مقاتلين سنة كانوا يستخدمون عضواً من قوى الأمن الداخلي مع ابنتيه وعمه كدروع بشرية. قتل الجيش اللبناني المسلحين السبعة الذين بدورهم قضوا على رهائنهم ما إن هاجمهم الجيش. كانت تلك هي الخلية الثالثة التي تقضي عليها قوى الأمن اللبنانية منذ بدء الاعتداءات، بين فتح الإسلام والجيش في ٢٠ أيار/مايو، عندما قتل المسلحون ذبحاً ١٧ جندياً لبنانياً كانوا ينامون في مواقعهم حول المخيم.

- ٢٤ حزيران/ يونيو: يحقق تنظيم فتح الإسلام فأل أيمن الظواهري (الرجل الثاني في القاعدة) باستهداف قوات اليونيفل عندما اعتبرهم «أعداء الإسلام» مهدداً بشن عمليات انتحارية. في الساعة ١٧:٥٥ بتوقيت بيروت، قتل ٦ جنود إسبان وأصيب اثنان آخران بجراح خطيرة عندما استهدفت عملية انتحارية موكبهما في جنوب لبنان. تقول تقارير أخرى إنها كانت عبوة موضوعة بجانب الطريق تم تفجيرها عن بعد. (مع أن سيارة الرينو رابيد التي استهدفت الموكب احتوت بقايا بشرية، الأمر الذي يوحي بإمكان تواجد انتحاري، غير أن السلطات الإسبانية واللبنانية أكدت أن السيارة فجرت عن بعد مستبعداً وقوع هجوم انتحاري). يتناقض هذا السيناريو مع تقارير عسكرية أكدت أن اليونيفل أخذت تهديدات الظواهري على محمل الجد وجهزت آلياتها بمعدات عالية التقنية تمنع التفجير عن بعد[٢].

- ٢٩ حزيران/ يونيو: في الذكرى الأربعين لبدء الحرب، نظم النازحون من مخيم نهر البارد[٣] الذين لجأوا إلى مخيم البداوي المجاور مسيرة نحو نهر البارد مطالبين بعودتهم الفورية إلى منازلهم ووقف الاقتتال. عندما لم يذعنوا لتحذيرات الجيش المتكررة بعدم اجتياز الخط الأحمر أو المسافة القاتلة، مشكلين تهديداً أمنياً على جنود الجيش، أطلق الأخير الذخيرة الحية في الهواء لتفريق الجموع. تزامناً، قام طرف ثالث/ طابور خامس بإطلاق النار

---

(١) في مجمع الشهال في أبي سمرا.
(٢) راجع الأفكار ١٢٨٣ (١٩ آذار/ مارس ٢٠٠٧): ٢٤-٢٧.
(٣) كانوا متسلحين بالسكاكين والعصي والقضبان والأدوات الحادة.

بشكل مباشر على المتظاهرين فقتل اثنين وجرح أربعين (ذكرت تقارير أن فلسطينيين مسلحين هم من فتحوا النار).

- ٢٩ حزيران/ يونيو: تم استرداد سيارة الهوندا المستخدمة في اغتيال الجميل من سوريا[١].
- ٣٠ حزيران/ يونيو: مخافة من مصير مشابه لفتح الإسلام، حل تنظيم جند الشام رسمياً نفسه ووضع أعضاءه تحت إمرة وجهاء المخيم وقادته في عين الحلوة في صيدا.
- ٦ تموز/ يوليو: اعترف أعضاء فتح الإسلام المحتجزون أن كبار قادتهم (أبو يزن) قتل بيار الجميل في ٢١ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٦. أعلن المدعي العام أن التحقيق في جريمة اغتيال بيار الجميل قد انتهى وأن المجرمين هم أعضاء في خلية فتح الإسلام التي تم القضاء عليها في طرابلس في ٢٠ ـ ٢١ أيار/ مايو في أول أيام المواجهات مع القوى الأمنية في طرابلس. أضاف أن المجرمين قد تركوا بعض البصمات والذخائر في مسرح الجريمة.
- ١٢ تموز/ يوليو: بدأ الجيش اللبناني هجومه الأخير ضد فتح الإسلام في نهر البارد.
- ١٣ تموز/ يوليو: أعلنت منظمة الأونروا أن نهر البارد لا يزال يؤي حوالى ٣٥٠ فلسطينياً بعد الإجلاء النهائي. أشارت تقارير غير مؤكدة إلى أن ٤٠ طفلاً و٢٥ امرأة من فتح الإسلام رفضوا مغادرة المخيم، فيما أشارت تقارير أخرى إلى أن حوالى الألف فلسطيني لا يزالون في المخيم. سلم براميرتس تقريره الثامن.
- ١٤ ـ ١٥ تموز/ يوليو: كسر الجليد في جلسات الحوار في سان كلو في فرنسا بين قادة الصف الثاني من قوى ٨ و١٤ آذار/ مارس عبر دعوة رسمية من وزير الخارجية الفرنسية برنار كوشنير بواسطة موفده الخاص كوسران. ٣١ ممثلاً عن أحزاب لبنان الأربعة عشر شاركوا في المحادثات المغلقة. تقررت زيارة كوشنير إلى بيروت في ٢٩ تموز/ يوليو لمتابعة المبادرة الفرنسية الهادفة إلى تحريك الأزمة السياسية التي تشل البلاد منذ أكثر من ثمانية أشهر. لم تبرز أي مؤشرات إيجابية لا من الجلسات الحوارية ولا من

---

(١) صدى البلد، ١٢٢٩ (٣٠ حزيران/ يونيو ٢٠٠٧).

زيارة كوشنير. إضافة إلى ممثلي القادة السياسيين الأبرز في البلاد، أشرك الفرنسيون ممثلين عن منظمات المجتمع المدني مع أنهم لا يتمتعون بسلطة كبيرة على الأرض.

- ١٦ تموز/ يوليو: وقع خامس هجوم لفتح الإسلام بواسطة عبوة زنتها ٥.٢ كلغ أصابت كتيبة تنزانية ضمن قوات الطوارئ الدولية كانت تمر على جسر القاسمية بالقرب من صور. لم يقع أي ضحايا وأصيبت الآلية بأضرار طفيفة.
- ١٩ تموز/ يوليو: التقى نصرالله الرئيس الإيراني أحمدي نجاد الذي كان يزور دمشق والرئيس السوري بشار الأسد الأمر الذي فاجأ المخابرات الإسرائيلية.
- ٢١ تموز/ يوليو: في مقابلة مع قناة الجزيرة القطرية، أكد نصرالله «نستطيع أن نضرب أي مدينة في إسرائيل... لا يوجد أي مكان في إسرائيل لا يقع ضمن نطاق صواريخنا»[١].
- ٢٣ تموز/ يوليو: أبلغ بان كي مون السنيورة أنه تم اختيار لاهاي في هولندا كمكان للمحكمة الدولية.
- ٢٤ تموز/ يوليو: هدد قائد الجيش بالاستقالة في حال تشكيل حكومة ثانية والعودة إلى تجربة العام ١٩٨٨ السيئة عندما انقسمت البلاد بين حكومتين تحكم كل واحدة منهما منطقة جغرافية[٢]. إذا حصل هذا السيناريو، قد يؤدي إلى حل المؤسسة العسكرية وتفكك لبنان.
- ٢٤ تموز/ يوليو: صنفت الإدارة الأميركية منظمتين غير حكومتين تابعتين لحزب الله «القرض الحسن» و«مؤسسة الشهيد» كمنظمات إرهابية فجمدت أصولها بما فيها أصول مديريها قاسم عليق وحسن شامي.
- ٢٥ تموز/ يوليو: حوالى الساعة ١١ ليلاً، فر قائد عسكري كبير والرجل الثاني في قيادة فتح الإسلام اللبناني شهاب القدور المعروف باسم أبو هريرة مع شخص آخر من نهر البارد عبر البحر بحيث سبحوا لحوالى أربع أو خمس ساعات.
- ٢٨ تموز/ يوليو: ألقى نصرالله «خطاب النصر» الأول في بنت جبيل حيث

---

(١) السفير، ١٠٧٥٦ (٢٣ تموز/يوليو ٢٠٠٧) ١؛ ١٤، الحياة (٢٣ تموز/يوليو ٢٠٠٧)، ٧.

(٢) في ذاك الوقت، مول مصرف لبنان الحكومتين. يبدو هذا التوجه بعيداً جداً هذه الأيام بسبب الدين العام الكبير الذي يثقل كاهل لبنان.

نقل مباشرة عبر قناة المنار عبر شاشة عملاقة إلى جماهير حزب الله التي ملأت الساحة.

- ٣١ تموز/ يوليو: قتلت قوى الأمن الداخلي في أبي سمرا في طرابلس أبو هريرة بعد فراره عبر البحر من نهر البارد. ثبتت فحوص الحمض النووي على أهله فضلاً عن تعرف شقيقته عليه هويته.
- ١ آب/ أغسطس: يوم عيد الجيش، قتل ثلاثة جنود بحيث أصبحت الحصيلة ١٢٧ جندياً.
- ٣ آب/ أغسطس: ألقى نصرالله «خطاب النصر» الثاني في مرج رأس العين في بعلبك في البقاع في الساعة الثامنة والنصف مساء مباشرة عبر قناة المنار عبر شاشة كبرى.
- ٣ آب/ أغسطس: قتلت وحدة جوية تابعة للجيش اللبناني ٩ مقاتلين من فتح الإسلام[١] وأوقفت شاهين شاهين[٢] القائد العسكري لفتح الإسلام الذي وجد مصاباً بإصابات بالغة في ملجأ داهمه الجيش اللبناني.
- ٥ آب/ أغسطس: انتخابات فرعية في المتن وبيروت لملء المقعدين الشاغرين بمقتل نائبي ١٤ آذار/ مارس بيار الجميل ووليد عيدو. خسر أمين الجميل والد بيار بفارق ٤١٨ صوتاً عن مرشح التيار الوطني الحر كميل خوري. في المقابل، فاز محمد عيتاني من تيار المستقبل بـ٢٢٩٨٨ صوتاً فيما حصل أقرب منافسيه على ٣٥٥٦. كانت نسبة المشاركة ٤٨٪ في المتن و١٨.٩٪ في بيروت. يملك حزب الله وحركة أمل في بيروت حوالى ٧٠٠٠ صوت لكنهما لم يشاركا في الانتخابات الفرعية إذ يعتبران الحكومة غير دستورية.
- ١٢ آب/ أغسطس: تعمير حارة صيدا: داهمت قوى الأمن اللبناني ملجأ

---

(١) صدى البلد ١٢٦٤ (٤ آب/ أغسطس ٢٠٠٧).

(٢) ليس سعودياً كما ذكر العديد من التقارير بل لبناني اسمه مصطفى هزيم (لديه سجل جرمي وقد سرق ١٢٠ مليون ليرة لبنانية)

.www.tayyar.org/tayyar/articles.php?article_id + 31659&type = news; Lebanese National News Agency

.http://www.nna-leb.gov.lb/; www.14march.org/printer.php?newsid = 21696; http://www.okaz.com.sa

لخمسة أعضاء من خلية نائمة تابعة لفتح الإسلام تحت قيادة أبو هريرة مباشرة فأوقفت أعضاءها (٣ لبنانيين وفلسطينيين)[١].

- ١٤ آب/أغسطس: ألقى نصرالله خطابه الثالث «خطاب النصر» في ملعب الراية في الصفير في الضاحية الجنوبية لبيروت حيث نقل مباشرة عبر قناة المنار ببثه عبر شاشة كبرى.

- ١٩ آب/أغسطس: قتل جنديان من الجيش اللبناني. بعد أربعة أشهر من بدء الحرب، ألقت طوافات الجيش من طراز Agusta Bell 512 LB ست قنابل ثقيلة زنة كل واحدة منها ٤٠٠ كلغ على ملجأ «أبو عمار» ومحيطه حيث يعتقد أن كوادر فتح الإسلام ومقاتليه متحصنون.

- ٢٠ آب/أغسطس: تم نشر ٦٠ عضواً من الكفاح المسلح في مخيم عين الحلوة. ادعى النائب العام التمييزي سعيد ميرزا على ٢٢٧ من فتح الإسلام بعضهم غيابياً[٢]. بعضهم من نفذ عقوبة سابقة لاستهدافه في العام ٢٠٠٣ سلسلة مطاعم غربية مثل KFC، بيتزا هات، ماك دونالد، سبينيس، إلخ، الأمر الذي يؤكد فرضية أن العديد من أفراد فتح الإسلام يتبعون لمجموعة الضنية في كانون الثاني/يناير من العام ٢٠٠٠ التي تورطت في مثل هذه الأفعال. إضافة إلى الاعتراف بالانتماء إلى فتح الإسلام ومجموعة الضنية، اعترف بعض الـ٢٢٧ بانتمائهم إلى الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة والقاعدة.

- ٢١ آب/أغسطس: اتصل الناطق باسم فتح الإسلام أبو سليم طه بالشيخ محمد الحاج عضو رابطة علماء فلسطين طالباً منه التوسط مع الجيش اللبناني بهدف إجلاء عائلات المقاتلين. إلا أن الجيش اللبناني خشي من أن يكون ذلك إحدى الألاعيب لشراء الوقت أو إعادة تجميع الأفراد بعد زيادة الجيش اللبناني الضغط على معاقلهم. دعم ممثل السلطة الفلسطينية في لبنان عباس زكي تحليل الجيش اللبناني محذراً من خداع فتح الإسلام المتواصل.

---

(١) اللواء، ١٢٠٦٢ (١٣ آب/أغسطس ٢٠٠٧)١؛ ٩، الحياة ١٦٢٠٢ (١٤ آب/أغسطس ٢٠٠٧)، ٦.

(٢) تجدر الإشارة إلى أن عدداً منهم بدت عليه عوارض المرض مثل التيفوئيد إضافة إلى التهابات جلدية.

تسببت الروائح الكريهة المنبعثة حول المخيم والناجمة على الأرجح من الجثث المتحللة بتسمم أكثر من ١٠٠ جندي لبناني ودخولهم المستشفى[١].

- ٢٢ آب/ أغسطس: قبض الجيش اللبناني على أحد كوادر فتح الإسلام أبو عماد العطار فيما كان يحاول الهرب عبر البحر. كان يحمل معه ٢٧ ألف دولار نقداً إضافة إلى مجوهرات ووثائق مهمة. اعترف أن شاكر العبسي لا يزال في المخيم وبصحة جيدة. كما أكد أن نفسية مقاتلي فتح الإسلام متدنية وقدرتهم على القتال منخفضة[٢].
- ٢٢ آب/ أغسطس: أكدت قوى الأمن الداخلي تحليل صحيفة El Pais عندما اعتقلت فسلطينيين من جند الشام (اعترفا لاحقاً أنهما يعملان لصالح فتح الإسلام) مسؤولين عن تفجير ١٦ تموز/ يوليو بعد أن وجدت آلة التحكم عن بعد المستخدمة لتفجير القنبلة. لا يزال مكان فلسطيني ثالث من فتح الإسلام مجهولاً[٣].
- ٢٤ آب/ أغسطس: بعد قبول الجيش اللبناني هدنة موقتة، بدأت عملية إجلاء عائلات مقاتلي فتح الإسلام، حيث غادرت ٢٢ امرأة و٤١ طفلاً المخيم. بين النساء زوجات شاكر العسبي، وأبو مدين، وأبو الليث. يحمل هؤلاء جنسيات فلسطينية ولبنانية وسورية. قدر قائد الجيش اللبناني أن تنتهي المواجهات بعد حوالى عشرة أيام. ارتفعت حصيلة القتلى في صفوف الجيش اللبناني في ذاك اليوم إلى ١٤٢.
- ٢٤ آب/ أغسطس: مجلس الأمن في الأمم المتحدة يتبنى بالإجماع القرار رقم ١٧٧٣ الذي يمدد لقوات اليونيفل سنة إضافية حتى ٣١ آب/ أغسطس ٢٠٠٨، مبقياً بالتالي على الوضع الراهن وممدّداً لقرار «وقف الاعتداءات» لسنة إضافية. وهكذا، حتى بعد مضي عام على وقف الاعتداءات، ما من وقف لإطلاق النار.
- ٢٥ آب/ أغسطس: عقد مصطفى داود، رئيس رابطة علماء فلسطين مؤتمراً

---

(١) السفير عدد ١٠٧٨٠، (٢٢ آب/ أغسطس ٢٠٠٧) ص ٦.
(٢) صوت لبنان. راجع أيضاً النهار عدد ٢٣١٠١ (٢٣ آب/ أغسطس ٢٠٠٧) الصفحة الأولى.
(٣) راجع النهار عدد ٢٣١٠٣ (٢٣ آب/ أغسطس ٢٠٠٧)، الصفحة الأولى، أو عبر الانترنت.
http://www.annahar.com

صحافياً حيا فيه عملية الإخلاء مؤكداً على ضرورتها قبل بدء شهر رمضان والعام الدراسي الجديد.

- ٢٥ آب/ أغسطس: نجا أحد كوادر جند الشام صلاح أبو سعيد من محاولة اغتيال في مخيم عين الحلوة.
- ٢٩ آب/ أغسطس: قام الأميرال ويليام فالون، قائد القوات الأميركية في الشرق الأوسط بزيارة لبنان والتقى السنيورة واعداً بتسليم الجيش اللبناني بأسرع وقت ممكن الأسلحة العالية التقنية والقنابل الذكية التي من شأنها أن تدمر المباني وتخترق الملاجئ المحصنة التي يختبئ فيها المقاتلون.
- ٣١ آب/ أغسطس: في الذكرى التاسعة والعشرين لتغييب الإمام موسى الصدر، أطلق نبيه بري مبادرته التي ألغت عملياً مطالبة المعارضة بقيادة حزب الله بتشكيل حكومة وحدة وطنية حتى «نصف ساعة قبل الانتخابات الرئاسية»، مؤجلاً هذا المطلب حتى انتخاب رئيس جديد للجمهورية كما كانت قوى الرابع عشر من آذار/ مارس تطالب مراراً.
- ١ أيلول/ سبتمبر: في نهر البارد، سيطر الجيش اللبناني على منازل العبسي وأبو هريرة بالقرب من الشاطئ. تم دفن أبو هريرة في مقبرة الأجانب في طرابلس بعد أن رفض أهل قريته مشمش في عكار دفنه هناك إذ إن عدداً من جنود الجيش اللبناني من مشمش قد استشهدوا في المعارك ضد فتح الإسلام.
- ٢ أيلول/ سبتمبر: بعد أكثر من ١٥ أسبوعاً، (١٠٦ أيام من الاقتتال)، سيطر الجيش اللبناني بالكامل مع مخيم نهر البارد بعد أن قتل ٤٦ مقاتلاً وأوقف ٢٥ آخرين.
- ٤ أيلول/ سبتمبر: وزير الدفاع يعقد مؤتمراً صحافياً يعلن فيه أن الجيش اللبناني خسر ١٦٣ جندياً فيما قتل ٢٢٢، ما عدا أولئك الذين قام الجيش بدفنهم في مقابر جماعية، وأوقف ٢٠٢ من مقاتلي فتح الإسلام. قتل في ذاك اليوم جندي آخر للجيش اللبناني.
- ٥ أيلول/ سبتمبر: تسليم ٥٤ جثة لمقاتلين إلى المستشفى الحكومي في طرابلس.
- ٦ أيلول/ سبتمبر: إسرائيل تنتهك المجال الجوي السوري قاصدة على ما يبدو مفاعلاً نووياً مفترضاً.
- ١٠ أيلول/ سبتمبر: أطلقت الحكومة اللبنانية والسلطة الفلسطينية في لبنان والأونروا حملة تطالب فيها المجتمع الدولي بالمساعدة على إعادة إعمار

مخيم نهر البارد وتلبية احتياجات النازحين. يقدر المبلغ المطلوب لإعادة بناء المخيم وتلبية حاجات سكانه بـ٣٨٢ مليون دولار.

- ١٥ أيلول/ سبتمبر: أوقف الجيش اللبناني أبو سليم طه مع ثلاثة فارين آخرين، اثنان منهم أعضاء في الهيئة الشرعية: السوري عمر محمد عثمان المعروف باسم أبو بكر والسعودي عامر سليم سلمان الملقب بأبي الحارث والتونسي فتحي ابن نصر العصبي، فيما كانوا يحاولون الهروب من مخيم البداوي عبر جبل تربل.

- ١٩ أيلول/ سبتمبر: حوالى الساعة الخامسة والنصف عصراً: انفجار قوي في القطاع الشرقي من بيروت يقتل النائب عن حزب الكتائب أنطوان غانم وثمانية آخرين (بما فيهم اثنان من حراسه) ويصيب ٥٦ آخرين. ألقت الحكومة اللبنانية بالمسؤولية على فتح الإسلام، حيث إن الاغتيال وقع بعد يومين من عودة غانم إلى لبنان حيث كان غائباً لشهرين. كان هذا الاغتيال الثامن لسياسي معارض لسوريا ـ النائب الرابع من الغالبية الحاكمة المعارضة لسوريا ـ منذ اغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري في العام ٢٠٠٥.

- ٢٥ أيلول/ سبتمبر: لم يحصل إجماع الثلثين المطلوب لانتخاب رئيس جديد للجمهورية. حدد رئيس المجلس النيابي موعداً جديداً لجلسة نيابية في ٢٣ تشرين الأول/ أكتوبر.

- ٤ تشرين الأول/ أكتوبر: تم دفن ٩٨ مقاتلاً من فتح الإسلام في «مقبرة الأجانب» في طرابلس.

- ٥ تشرين الأول/ أكتوبر: ألقى السيد نصرالله خطاب يوم القدس عبر شاشة عملاقة وضعت في مجمع الشهداء. قسم الخطاب إلى ثلاثة أجزاء أعطته نكهة إقليمية: فلسطين والعراق وأخيراً لبنان.

- ١٠ تشرين الأول/ أكتوبر: بدأت عودة العائلات إلى مخيم نهر البارد. في مقابلة مع قناة العربية، أعلن رئيس لجنة الحوار الفلسطيني اللبناني السفير خليل مكاوي الحاجة إلى ٣٨٢ مليون دولار لإعادة بناء المخيم بأكمله وعودة كافة اللاجئين إليه. غير أن المخيم القديم الذي كان يؤوي ٣٠٠٠ عائلة يحتاج وحده إلى ٢٨٢ مليون دولار وسنوات عدة لإعادة إعماره. حالياً، يجري بناء بيوت جاهزة لتلك العائلات في أرض تم استئجارها قرب

المخيم وسيتم التعويض على أولئك الذين استأجروا منازل في أماكن أخرى. لكن بما أن ٦٥٪ من المخيم الجديد لا يزال بحالة جيدة، أو من السهل إعادة ترميمه بعد إصلاح الأضرار البسيطة نتيجة للاقتتال، وبما أن الأونروا قد قدمت ٥٥ مليون دولار من أصل ١٠٠ للعودة إلى هذا الجزء من المخيم، فإن معدل العودة إلى المخيم الجديد هو ١٠٠ عائلة في اليوم الواحد. أضاف أن المرحلة الثانية من العودة تبدأ بعد العيد.

- ١٥ تشرين الأول/أكتوبر: تبادلت إسرائيل وحزب الله الأسرى. مستوطن إسرائيلي من أصل إثيوبي غرق في حيفا قبل سنتين ووصلت جثته إلى المياه الإقليمية اللبنانية مقابل جثماني مقاتلين من حزب الله (قتلا في حرب تموز/يوليو ٢٠٠٦) وسجين (يعاني مشاكل صحية). كانت المفاوضات حول عملية التبادل تجري منذ وقت طويل بعيداً عن الأضواء.
- المدعي العام اللبناني أصدر حكماً وجاهياً على أبو سليم طه.
- كشفت مخابرات الجيش اللبناني شبكة لفتح الإسلام (تتألف من ٦ فلسطينيين من جند الشام و٤ أجانب) خططوا لشن هجوم ضد اليونيفل لكن القنبلة لم تنفجر. كانت زنة العبوة الأولى ١٠ كلغ من المواد الشديدة الانفجار لتتبعها بعد ثوان عبرة أخرى من ٥ كلغ وذلك لزيادة عدد الضحايا. غير أن عطلاً في آلة التشغيل عن بعد أدى إلى فشل العملية.
- ٢٢ تشرين الأول/أكتوبر: أجل رئيس المجلس النيابي الجولة الثانية من الجلسة الانتخابية إلى ١٢ تشرين الثاني/نوفمبر آملاً حصول إجماع على مرشح تقبله الأطراف كلها (قوى ١٤ آذار و٨ آذار).
- ٢٩ تشرين الأول/أكتوبر: الدفاع المدني اللبناني يكتشف جثتين لمقاتلين من فتح الإسلام في نهر البارد.
- ١٠ تشرين الثاني/نوفمبر: رئيس المجلس النيابي يؤجل للمرة الثالثة الجلسة البرلمانية لانتخاب رئيسي إلى ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر.
- ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر: قوات الأمن اللبنانية توقف ٢١ عضواً من فتح الإسلام في الشمال كانوا يحاولون الهرب بواسطة جوازات سفر مزورة [1].

---

(١) نشرة أخبار المؤسسة اللبنانية للإرسال.

- ٢٠ تشرين الثاني/ نوفمبر: التأجيل الرابع لجلسة الانتخاب البرلمانية إلى ٢٣ منه، تاريخ انتهاء المهلة الدستورية لنتخاب رئيس جديد للجمهورية.
- ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر: لم يتحقق حضور ثلثي المجلس النيابي لانتخاب رئيس جديد للجمهورية. حدد رئيس المجلس النيابي جلسة جديدة في ٣٠ تشرين الثاني/ نوفمبر.
- ٢٧ تشرين الثاني/ نوفمبر: ٤٥ دولة، بما فيها ١٥ دولة عربية حضرت مؤتمر سلام ليوم واحد في أنابوليس في ماريلاند.
- ٢٩ تشرين الثاني/ نوفمبر: أجّل رئيس المجلس النيابي للمرة الخامسة الجلسة النيابية لانتخاب الرئيس إلى ٧ كانون الأول/ ديسمبر.
- ١ كانون الأول/ ديسمبر: احتفلت المعارضة بقيادة حزب الله بالذكرى الأولى للاعتصام في وسط بيروت عبر تظاهرة رمزية.

٢٠٠٨

١٢ شباط/ فبراير: تم اغتيال عماد مغنية، رئيس المجلس الجهادي في حزب الله وأهم قيادي عسكري مخضرم لدى الحزب في دمشق بواسطة عبوة زرعت في سيارته.

- أيار/ مايو «اتفاق الدوحة»: حصل حزب الله على الثلث المعطل في مجلس الوزراء، ففرض بالتالي سيطرته على السلطة التنفيذية للحكومة وعلى السلطة السياسية بشكل أوسع.
- ١١ تموز/ يوليو: بعد ٥٣ يوماً على اتفاق الدوحة و٤٨ يوماً على انتخاب العماد ميشال سليمان رئيساً للجمهورية و٤٥ يوماً على تكليف الرئيس فؤاد السنيورة تشكيل الحكومة، وبعد ثلاث سنوات إلا ثمانية أيام من عمر الحكومة السابقة (١٣٧٨ يوماً)، ولدت الحكومة الأولى في العهد الجديد وضمت تسعة وزراء من الحكومة السابقة وستة وزراء سبق لهم أن شغلوا مناصب وزارية في حكومات سابقة و١٤ وزيراً جديداً وثمانية وزراء هم نواب.
- ١٦ تموز/ يوليو: تمت المرحلة الأولى من عملية تبادل الأسرى وجثامين الشهداء بين حزب الله وإسرائيل، حيث سلم الحزب رفات الجنديين إلى إسرائيل عبر الوسيط الدولي والصليب الأحمر الدولي.

وقد تسلم حزب الله ١٢ جثة، ثماني منها تعود إلى شهداء الوعد الصادق وأربعة من مجموعة الشهيدة دلال المغربي.

وصلت إلى نقطة الناقورة، شاحنات للصليب الأحمر الدولي، تقل رفات

أكثر من ١٨٧ شهيداً لبنانياً وفلسطينياً ومن جنسيات عربية عدة. وهي المرحلة الأخيرة من عملية التبادل.

اتفاق الدوحة

٢١ أيار/ مايو اتفاق الدوحة: انتخاب الرئيس فوراً وحكومة ١٦ ـ ١١ ـ ٣ وتقسيم بيروت ١٠ ـ ٥ ـ ٤.

بعد خمسة أيام من المشاورات في الدوحة توصل الفرقاء اللبنانيون إلى اتفاق فجر اليوم بعدما تدخل أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة مرة ثالثة واجرى لقاءات مع الأطراف.

ويقوم الحلّ على النقاط التالية:

- انتخاب رئيس الجمهورية التوافقي فوراً.
- تأليف حكومة وحدة وطنية على أساس ستة عشر وزيراً للأكثرية، أحد عشر وزيراً للمعارضة، وثلاثة وزراء لرئيس الجمهورية.
- اعتماد قانون انتخاب العام ١٩٦٠ على أن يتم توزيع مقاعد دوائر بيروت الثلاث على أساس عشرة مقاعد في المزرعة، خمسة في الأشرفية وأربعة للباشورة.

كما يتضمن البيان المبادىء المتعلقة بالبنود ٤ و٥ و٦ من إعلان بيروت والتي تثير مسائل سلطة الدولة واستعمال العنف في الصراعات والتخوين والتحريض.

١٦ أيار/ مايو «إعلان بيروت»

إعلان اتفاق برعاية جامعة الدول العربية لمعالجة الأزمة اللبنانية:

نص الوثيقة التي أعلنها رئيس الوزراء القطري الشيخ حمد بن جاسم آل ثاني.

النص الحرفي لوثيقة الوفد العربي:

تنفيذاً لقرار مجلس وزراء الخارجية في جامعة الدول العربية في ١١/٥/ ٢٠٠٨ في شأن احتواء الأزمة اللبنانية، قامت اللجنة الوزارية بالتوجه الى بيروت من ١٤ إلى ١٦/ ٥/ ٢٠٠٨ ولقاء القيادات اللبنانية لمناقشة الوضع في لبنان والاتفاق على التنفيذ العاجل للمبادرة العربية والإحاطة بالوضع الخطير الذي يهدد البلاد. وفي ضوء المشاورات التي أجرتها اللجنة، وانطلاقاً من مبادىء الدستور اللبناني واتفاق الطائف، تم الاتفاق على ما يلي:

١ ـ عودة الأمور إلى ما كانت عليه قبل الأحداث الأخيرة في ٥/ ٥/ ٢٠٠٨.

أ ـ الترحيب في هذا الإطار بقرار الحكومة الاستجابة لاقتراح قيادة الجيش في شأن القرارين المتعلقين بجهاز أمن المطار وشبكة الاتصالات التابعة لـ«حزب الله».

ب ـ الإنهاء الفوري للمظاهر المسلحة بكافة صورها، والسحب الكامل للمسلحين من الشوارع وفتح الطرقات والمنافذ البرية ومطار رفيق الحريري الدولي ومرفأ بيروت.

ج ـ عودة الحياة الطبيعية وتولي الجيش مسؤولية الحفاظ على الأمن والسلم الأهلي وتأمين عمل المؤسسات العامة والخاصة.

٢ ـ الموافقة على استئناف الحوار الوطني على مستوى القيادات والعمل على بناء الثقة بين الفرقاء، وفق جدول الأعمال التالي:

ـ حكومة الوحدة الوطنية.

ـ قانون الانتخابات الجديد.

على أن يتوج الاتفاق بإنهاء الاعتصام في وسط بيروت عشية انتخاب المرشح التوافقي العماد ميشال سليمان رئيساً للجمهورية.

٣ ـ يبدأ الحوار فور صدور هذا الإعلان وتنفيذ البند الأول في الدوحة يوم الجمعة ١٦/ ٥/ ٢٠٠٨ برعاية الجامعة العربية على أن يستمر في شكل متواصل ومكثف حتى التوصل إلى الاتفاق.

٤ ـ تتعهد الأطراف بالامتناع عن أو العودة إلى استخدام السلاح والعنف بهدف تحقيق مكاسب سياسية.

٥ ـ إطلاق الحوار حول تعزيز سلطة الدولة اللبنانية على كافة أراضيها وعلاقتها مع مختلف التنظيمات على الساحة اللبنانية بما يضمن أمن الدولة والمواطنين. ويطلق هذا الحوار، ويستكمل برئاسة رئيس الجمهورية فور انتخابه وتشكيل حكومة الوحدة الوطنية وبمشاركة الجامعة العربية.

٦ ـ تلتزم القيادات السياسية وقف استخدام لغة التخوين أو التحريض السياسي والمذهبي على الفور.

٧ ـ يكون لكل بند من بنود هذا الاتفاق ووفقاً لنصوصه نفس القوة والمفعول ويلتزم الفرقاء التزاماً كاملاً تطبيقها جميعاً».

آب «حزب الله» و«التيار السلفي» وقعا وثيقة تفاهم لتنظيم العلاقة بينهما

- وقع رئيس المجلس السياسي لحزب الله السيد إبراهيم أمين السيد، والداعية حسن الشهال عن «التيارات السلفية» في لبنان، وثيقة تفاهم لتنظيم العلاقة بين الطرفين وتنفيس الاحتقان في الساحة الإسلامية. شددت على تحريم دم المسلم على المسلم والعمل على منع الفتنة والتحريض، ومواجهة المشروع الأميركي ـ الصهيوني والقضاء على الفكر التكفيري بين السنة والشيعة وتشكيل لجان مشتركة لضبط النقاش وإدارة الخلاف.

آب «حزب الله» و«التيار السلفي» وقعا وثيقة تفاهم لتنظيم العلاقة بينهما.

نص وثيقة التفاهم

تلا المستشار السياسي في وقف التراث الإسلامي الشيخ عبد الغفار الزعبي، نص وثيقة التفاهم وجاء فيها: «في ظل التحديات الجسام التي تتعرض لها أمتنا العربية والإسلامية وأخطرها إثارة النعرات الطائفية والمذهبية من أجل الانقضاض على المنطقة لنهب ثرواتها ومقدراتها خدمة لمصالح «إسرائيل» وأميركا، وما يجري على الساحة اللبنانية من تداعيات سلبية تصب في مصلحة العدو الإسرائيلي لأن إسرائيل تريد أن تاخذ من اللبنانيين ما لم تستطع أن تاخذه بقوة السلاح وبخاصة بعد حرب تموز/يوليو، والتزاماً بالواجب الإسلامي، سعينا جاهدين لوأد الفتنة وحصر الخلاف بين السنة والشيعة ضمن الإطار العلمي الفكري الذي يتولاه العلماء من الطائفتين، ويحظر على العامة الخوض فيه أو العزف على أوتاره. ومن أهم عناصر إدارة هذا الخلاف الحفاظ على خصوصية كل طائفة واحترام مبادئها ورموزها والالتزام التام بأصول النقاش العلمي الهادىء. وإن التعبير الحاد عن الخلافات السياسية بين جميع الأطراف له تأثيراته وانعكاساته السلبية على عامة الناس وسائر الساحة اللبنانية عموماً والساحة الإسلامية خصوصاً».

على ما تقدم تم اللقاء بين قوى سلفية وقياديين من حزب الله وتم التوافق على البنود الآتية:

١ ـ انطلاقاً من حرمة دم المسلم فإننا نحرم وندين أي اعتداء من أي مجموعة مسلمة على أي مجموعة مسلمة أخرى.

وفي حال تعرض أي مجموعة إلى اعتداء فمن حقها اللجوء إلى الوسائل المشروعة للدفاع عن نفسها.

٢ ـ الامتناع عن التحريض وتهييج العوام لأن ذلك يساهم في إذكاء نار الفتنة ويخرج القرار من أيدي العقلاء فيتحكم بالساحة السفهاء وأعداء الأمة الإسلامية.

٣ ـ الوقوف في وجه المشروع الأميركي ـ الصهيوني الذي من أبرز أدواته إثارة الفتنة وتجزئة المجزأ وتقسيم المقسم.

٤ ـ السعي بجد وجهد للقضاء على الفكر التكفيري الموجود عند السنة والشيعة لأن تكفير عموم الشيعة مرفوض عند السلفيين وتكفير عموم السنة مرفوض عند حزب الله.

٥ ـ في حال تعرض حزب الله أو السلفيون لاي ظلم ظاهر وجلي من أطراف داخلية أو خارجية على الطرف الآخر الوقوف معه بقوة وحزم ضمن المستطاع.

٦ ـ تشكيل لجنة من كبار المشايخ في الدعوة السلفية وكبار المشايخ عند حزب الله للبحث في النقاط الخلافية عند الشيعة والسنة، ما يساهم في حصر الخلافات ضمن هذه اللجنة ويمنع انتقالها إلى الشارع.

٧ ـ كل جهة هي حرة فيما تعتقد ولا يحق لأي جهة أن تفرض أفكارها واجتهاداتها على الجهة الأخرى.

٨ ـ يرى الطرفان أن من شأن التفاهم منع الفتنة بين المسلمين وتعزيز السلم الأهلي والعيش المشترك بين اللبنانيين جميعاً.

بيانات سياسية

حزب الله هو حركة جهادية إسلامية، تعود نشأته لسيرورة مركبة إيديولوجية واجتماعية وسياسية واقتصادية لها سياقها الخاص لبنانياً وعربياً وإسلامياً.

وبحكم هذه السيرورة مر حزب الله بجملة من المحطات الرئيسية المفصلية، يمكن تحديد خط بياني فاصل لها، أو منعطف حاسم لها هو عام 1982، أي العام الذي تم فيه الاجتياح الصهيوني للبنان وصولاً إلى مدينة بيروت التي كانت ثاني عاصمة عربية تُحتل في تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي بعد القدس، وهذا المنعطف هو الذي سرّع في بلورة وحضور حزب الله كحركة جهادية منخرطة تماماً في عملية صراع معقدة وطويلة ومتشابكة مع العدو الصهيوني، فالاحتلال الصهيوني لفلسطين المحتلة ابتداء، ثم للكثير من الأراضي العربية في مصر وسوريا والأردن، ومن ثم الاحتلال الصهيوني للبنان، شكل الإطار الموضوعي لبلورة الهوية الجهادية المسلحة لـ«حزب الله» ضد الكيان الصهيوني، بالقدر الذي شكلت العوامل العقائدية للإسلام تحديداً، والظروف الاجتماعية الاقتصادية والسياسية والثقافية للشيعة في لبنان عموماً، الإطار المحلي لبلورة الهوية الإيديولوجية والسياسية، وبالتالي العمق السياسي والإيديولوجي لحزب الله كحركة سياسية ـ اجتماعية ـ إيديولوجية داخلية، وإذا كان للعوامل الداخلية إرهاصاتها الأساسية في نشأة حزب الله بالمعنى السابق، إلا أن هناك عامل لا يقل جذرية وحسماً في بلورة هذه الهوية وتأكيد سماتها النوعية الفاعلة حتى الآن، وهذا العامل يتمثل بالثورة الإسلامية في إيران التي قادها بنجاح آية الله العظمى الإمام السيد روح الله الموسوي الخميني (قده) هذه الثورة التي أرست مفاهيم جديدة على صعيد الفكر السياسي المتداول إسلامياً أبرزها مفهوم ولاية الفقيه، كما عممت الكثير من المصطلحات السياسية في الخطاب السياسي الإسلامي في مواجهة الغرب عموماً من قبيل مصطلح الاستكبار والشيطان الأكبر، والمنافقون، والمستضعفون... إلخ.

وبهذا المنعطف وبالنظر إلى العلاقات الوثيقة تاريخياً بين الشيعة في لبنان والشيعة في إيران، وهي علاقات تتركز على نوع من الارتباط الفقهي ـ الديني والاجتماعي المتبادل، حيث وكما هو معروف فإن إيران تحتضن ثاني أهم حوزة دينية للشيعة في العالم في مدينة قم بعد حوزة النجف الأشرف، والتي باتت اليوم، ولأسباب متعددة تشكل الجامعة الدينية الأولى للشيعة في العالم.

من هنا كان طبيعياً أن يترسخ الارتباط الإيديولوجي والفقهي بإيران بعد قيام الثورة وتشييد

الدولة الإسلامية، هذا الارتباط الذي سرعان ما وجد ترجمته المباشرة بالدعم السريع والمباشر الذي قدمته الجمهورية الإسلامية، وعبر حرسها الثوري، إلى حزب الله الناشئ على صعيد مقاومة الاحتلال الاسرائيلي.

فقد كان الارتباط الإيديولوجي والديني بين حزب الله وإيران بعد الثورة، ولموقف إيران المبدئي من الكيان الصهيوني، أثره الكبير في رفد حزب الله بكل أوجه الدعم الضروري المادي والمعنوي والقانوني الذي عجل لاحقاً من تحوله إلى أبرز حركات المقاومة للعدو الصهيوني، بل بات في مرحلة من المراحل لا سيما بعد العام 1985 الحركة الوحيدة على هذا الصعيد.

إن تحول حزب الله إلى حركة مقاومة للاحتلال الاسرائيلي لم يكن أمراً عارضاً بالنسبة إليه، فطبيعة الحزب الإيديولوجية التي لا ترى في الكيان الصهيوني أي وجه شرعي ترفع طبيعة التناقض معه إلى درجة التناقض الوجودي، كما تجعل طبيعة الصراع معه صراعاً شرعياً له بعده الديني المقدس، فبذور المقاومة الجوهرية تكمن في طبيعة الحزب الإيديولوجية والعقيدية، وفي طبيعة مبادئه السياسية ولذا فهو في جوهره، حركة جهادية، وإن وجدت فرصتها الكبرى للتعبير عن نفسها بالاحتلال الصهيوني للأراضي اللبنانية لا سيما في الجنوب والبقاع الغربي، ومن هنا نستطيع أن نفهم طبيعة الشعارات المركزية (حزب الله)، والمتمثلة على نحو مركزي بشعار تحرير القدس الشريف، واتخاذ خطابه السياسي البعد الأممي (نسبة إلى الأمة الإسلامية)، وحمله أيضاً كهدف استراتيجي راية إقامة جمهورية إسلامية.

هذا وقد تمكنت المقاومة الإسلامية من توجيه ضربات قاصمة للعدو الصهيوني فرضت عليه الانسحاب تلو الانسحاب، كان أبرزها الانسحاب الأول الكبير عام 1985، والانسحابات اللاحقة التي فرضت عليه الخروج من منطقة جزين المسيحية المحتلة، وصولاً إلى فرض خيار الانسحاب الكامل عليه كخيار نهائي، تاركاً هذا العدو يتخبط في سبيل تأمين سبل إخراجه إلى حيز الوجود.

ودشن حزب الله عبر مقاومته أسلوباً نوعياً في جهاده ضد العدو الصهيوني تمثل بالعمليات الاستشهادية التي ألحقت خسائر نوعية في العدو على كافة المستويات، العسكرية والأمنية والنفسية، كما شكلت رافعة معنوية هائلة على صعيد الأمة.

ومن الضروري الإشارة، هنا إلى أن المقاومة استطاعت أن تحظى بمصداقية كبيرة على الصعيدين الشعبي والرسمي، المحلي والإقليمي والدولي، حتى الولايات المتحدة نفسها، أعلنت في أحد مواقفها الرسمية أنها ترى في المقاومة حركة مبررة على صعيد مجابهة الاحتلال الإسرائيلي.

كما شكلت المقاومة محور إجماع وطني داخلي رسمي وشعبي قلما حظي به محور من المحاور اللبنانية الداخلية، وهذه النقطة جديرة بالوقوف عندها وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار طبيعة المجتمع اللبناني المنقسم على نفسه دينياً وطوائفياً ومذهبياً وإيديولوجياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً. . . إلخ.

واليوم حزب الله هو أحد أبرز الأحزاب السياسية اللبنانية حيث له حضوره في المجلس النيابي (8 نواب)، ويشكل، بالتالي، أحد أهم نقاط التوازن في الحياة السياسية والاجتماعية الداخلية، فضلاً عن أحد أبرز أوجه حضور وفاعلية هذه الحياة.

وحزب الله يحظى اليوم باحترام كبير على الصعيد السياسي حيث برهن عن قوة حضور وفاعلية ذات مستوى عالٍ من العقلانية والمناقبية والمبدئية الاحترام للآخرين، ممّا جعله يدشن نهجاً سياسياً مميزاً عما كان سائداً ومألوفاً.

هذا في جانب، وفي جانب آخر، فإن حزب الله يرى نفسه معني أيضاً بتقديم الإسلام الذي يخاطب العقل والمنطق، معني بتقديم الإسلام الواثق بأسسه ومبادئه، وفهمه الحضاري المتقدم للإنسان والحياة والكون.

كما أنه يرى نفسه معني بتقديم الإسلام الواثق بقدرته على تحقيق أسس الحق والعدل، كما أنه مهتم بالتعريف بالإسلام القادر على الدخول إلى قلوب كل الأمم على تعدد مشاربهم وانتماءاتهم السياسية والثقافية، وخبراتهم الضخمة بعيداً عن الذاتية والعجب، كما أنه متلهف لتقديم الإسلام كصائن لحقوق الإنسان في خياراته، وتلقى قناعاته واعتناق اعتقاداته ومبادئه والتعبير عنها على المستوى الاجتماعي، كما أنه ميال لتشكيل قوة ضغط سياسية، وإلى تأسيس نهج خاص في التعليم والتربية، وإلى تقديم مختلف الخدمات لا سيما في المجالين الطبي والتربوي والإنساني، كما لحزب الله مشروعه الثقافي الخاص الذي يعتمد الإقناع والاستقطاب من خلال الوسائل الإنسانية الحضارية كما هو منصوص عليها في شرعة حقوق الإنسان، بعيداً عن استعمال القوة والعنف والإكراه.

كما ويجب أن يكون واضحاً أن نوع الإسلام الذي يريده حزب الله هو مشروع حضاري يرفض الظلم والإذلال والاستعباد والإخضاع والاستعمار والابتزاز، كما أنه يمد يده للتواصل بين الأمم على قاعدة الاحترام المتبادل، الإسلام الذي يعني به هو الإسلام الذي لا يقبل السيطرة أو تقويض الآخرين للتلاعب بالحقوق ومصالح الأمة، الإسلام الذي يعني به هو الإسلام الذي يعتمد التواصل بين الحضارات ويرفض مقولة الصدام الحتمي بينها، لأن الإسلام يؤمن بالتواصل الثقافي بين الأمم ويرفض الحواجز الموضوعة والحظر، ويرى أن من حقه إزالة هذه الحواجز من خلال الوسائل الدبلوماسية، ولكن عندما ينوي الآخرون شن الحروب ضده فإن حزب الله يرى أن من حقه الطبيعي الدفاع عن نفسه.

الإسلام الذي ينهجه حزب الله هو رسالة تهدف لتأسيس الأمن والعدل والسلام والحق لكل الناس لأي دين أو عرق انتموا، حزب الله ليس لديه أية عقدة تجاه الآخرين، ولكنه يشعر بالمسؤولية تجاههم لجعلهم يفهمون جوهر الإسلام بعيداً عن التعصب والقهر.

كما أن حزب الله لا يبغي تطبيق الإسلام بالقوة أو العنف ولكن من خلال أداء سياسي

سلمي، الذي يعطي الفرصة للأغلبية في أي مجتمع أن تقبل ذلك أو ترفضه، فإذا أصبح الإسلام خيار الأكثرية فإنه يطبقه، وأما إذا كان العكس فإنه يستمر بالتعايش مع الآخرين وبناء سبيل الحوار والتعارف معهم في سبيل الوصول إلى الاعتقادات السليمة، فهو يؤكد أن الإسلام الذي يتبناه ينبذ العنف كوسيلة للوصول إلى السلطة، وهذا ما يجب أن تكون عليه المعادلة بالنسبة لغير الإسلاميين أيضاً.

www.hizbollah.org/arabic/info.htm. August 2004.

القدس أقدس القضايا

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

صدق الله العظيم

أيها المسلمون

مما جاء في نداء الإمام الخميني العظيم، بمناسبة يوم القدس العالمي:

إن يوم القدس يوم عالمي لا يختص بالقدس، بل هو يوم مواجهة المستضعفين للمستكبرين، إنه يوم مواجهة الشعوب التي رزحت طويلاً، تحت نير الظلم الأميركي وغير الأميركي، للقوى العظمى.

يوم يجب أن يستعد فيه المستضعفون، لمواجهة المستكبرين، ولتمريغ أنوفهم في الوحل.

إن هذا النداء المبارك يجعل قضية القدس إحدى أقدس قضايا الثورة الإسلامية في العالم، ويعطيها بعدها الإسلامي الشامل، ويحررها من اعتبارها قضية فلسطينية تهم الفلسطينيين وحدهم.

وإن اختيار إمام الأمة ليوم الجمعة الأخير، من شهر رمضان المبارك، يوضح ويؤكد أن القدس لن تتحرر، إلا على أيدي المؤمنين المصلين الصائمين، أولي البأس الشديد.

لقد وعى حزب الله في كل مكان، بقيادة الإمام الرشيدة، إن القدس هي مركز صراعنا مع المستعمرين والصهاينة، وأحس أعداء الله بهذه الحقيقة، فاستنفروا كل إمكاناتهم الشيطانية، من أجل نيل الاعتراف الدولي بالقدس عاصمة للصهيونية، ومن أجل وضع جميع العراقيل والأدوات، من تكريتية وغيرها، في وجه الزحف الإسلامي المقدس إلى القدس.

من هنا، نفهم جيداً التطورات الأخيرة للوضع في الخليج، والمحاولات المستميتة التي تبذلها أميركا وإسرائيل، لتجييش كل الإمكانات ضد الثورة الإسلامية المظفرة.

وهكذا، نرى الغالبية الساحقة من الأنظمة العربية وقد تخلت عن حالة العداء، مع إسرائيل، لتصبح راية حزب الله ضد الصهيونية، من أجل تحرير القدس وكل المقدسات، بيد أبناء الثورة الإسلامية المجاهدين البررة.

أيها المسلمون

ويأتي «يوم القدس العالمي» هذا العام في لبنان، وإسرائيل الغاصبة لا تزال تدنس أرض جنوبنا الطاهرة، وفي الوقت الذي ينزل فيه إخوتنا المجاهدون الكربلائيون يومياً كل أصناف البلاء والموت على رؤوس الصهاينة الأنجاس، نسمع نغمة الترتيبات الأمنية، مع إسرائيل، التي هي إحدى بنود اتفاق 17 أيار المشؤوم.

إن إسرائيل لن تخرج من أرض الجنوب الطاهرة، ولن تتخلى عن مياه الجنوب بالمفاوضات، مباشرة أو غير مباشرة، لذلك يجب اعتبار الحديث عن المفاوضات دخولاً في الخطة والمؤامرة التي انهزمت أميركا، قبل التمكن من تنفيذها على أرض لبنان.

وعلي أيّ حال، إن قضية الجنوب هي قضية إسلامية، وإنّ قتال المؤمنين، في الجنوب والبقاع الغربي، ليس من أجل استرداد أرض لبنان فحسب، وإنما من أجل القدس، وباتجاه، وعلى هذا، فإن قتالنا لإسرائيل لن ينتهي إطلاقاً بخروج إسرائيل من الجنوب والبقاع الغربي.

يجب أن نعي تماماً أننا لن نستطيع تحقيق أية نتيجة، لصالح مبادئنا وكرامتنا ومقدساتنا، قبل أن ننطلق في قتالنا لإسرائيل، على أساس أمر إمام الأمة وفتواه الملزمة لكل مسلم ومسلمة: «يجب إزالة إسرائيل من الوجود»، وعلى أساس قول السيد الصدر: «إسرائيل شر مطلق، قاتلوهم بأسنانكم وأظافركم».

أيها المسلمون:

في يوم القدس لهذا العام، نسأله تعالى أن يرحم شهداءنا، شهداء الإسلام على طريق القدس، وأن يبارك المجاهدين المقاتلين في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص، وندعو المسلمين في العالم أجمع، لتجديد البيعة، وممارسة الإلتزام بالولاية، لقائد الأمة الإسلامية الإمام الخميني العظيم، على خط الثورة الإسلامية الزاحفة المظفرة، ولنتذكر دائماً قول الإمام المؤيد في يوم القدس: «إنه يوم الفصل بين المنافقين والمتلزمين. . الملتزمون يتخذون هذا اليوم يوماً للقدس، ويحرصون على تكريمه.

أما المنافقون الذين يرتبطون بالقوى العظمى، من وراء الستار، ويعقدون أواصر الصداقة مع إسرائيل، فسيتجاهلون هذا اليوم، بل وسيصدون الشعوب عن الاحتفاء به.

إن على إسرائيل أن تعلم أن أسيادها فقدوا مواقع أقدامهم في العالم، وعليها أن تنتظر الزوال.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يق إخواننا، في فلسطين وجنوب لبنان وفي شتى بقاع العالم، من ظلم المستكبرين والقراصنة الدوليين».

بيان بمناسبة يوم القدس العالمي
٢٩ حزيران ١٩٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المستضعفون . .

يا أبناء أمتنا الإسلامية :

ضمن إطار المشروع اليهودي التوسعي، أقدم الكيان الصهيوني على اتخاذ جديدة، من شأنها عزل الجنوب اللبناني المحتل عن المناطق الأخرى، وكان قد قضم قبل ذلك عشرة آلاف دونم، من الأراضي المحيطة بنبع الوزاني، وأقام شبكة حفريات، لقنوات تلتقي عند بحيرة القرعون، بهدف جر مياه الليطاني إلى داخل المستوطنات اليهودية، في فلسطين المحتلة.

ومما لا شك فيه أن إقدام الاحتلال على خطوة عزل الجنوب، تأتي إثر تصاعد عمليات المقاومة الإسلامية البطلة والتي أوقعت الصهاينة في مأزق كبير، لعل من أبرز مظاهر حالة الانقسام الحاد التي تسود بين اليهود في الداخل، والتي انعكست على الوضع الحكومي الذي يما يزال يراوح مكانه، دون أن يتمكن العدو من تشكيل الحكومة التي تواجه هذا المأزق.

إن إسرائيل أرادت من خطوتها هذه، أن توجّه العالم، وخصوصاً اللبنانيين، لكي ينشغلوا بردّ الفعل إزاء مسألة ـ على أهميتها وخطورتها ـ تعتبر من نتائج الوجود الصهيوني غير الشرعي في فلسطين المحتلة.

ولذا، فإن شعبنا المسلم عليه أن يدرك أن مسألة الصراع ضد إسرائيل ليست بسبب إجراءاتها التعسفية التي تمارسها ضد أهلنا وشعبنا فحسب، بل إنها مسألة صراع عقائدي يستهدف اقتلاع الكيان الصهيوني الغاصب من جذوره، والقضاء على الجرثومة السرطانية التي تحمل بذور التوسع والتمدد.

إن الاحتلال اليهودي، بعد أن عجز عن تلافي ضربات المقاومة الشجاعة، التي أرهقته واضطرته إلى ممارسة ردود فعل عشوائية مستمرة، يحاول أن يستنقذ نفسه ويلجأ إلى إجراء جديد، يتوهم أنه سيشغل المقاومة بردود فعل مرتجلة إزاءه.

لكن المقاومة الإسلامية، التي تنطلق من مفهوم الإسلام لحقيقة اليهود، تدرك تماماً أهدافها، وتعلم أن فك عزل الجنوب لا يكون إلا بمزيد من التصعيد للعمليات، كماً ونوعاً، بحيث يضطر الصهاينة للخروج من المناطق المحتلة نهائياً . .

إلا أن ذلك لا يمنع أن ننبه إلى بعض المخاطر، من جرّاء هذه الخطوة العداونية :

أولاً: إن إسرائيل تريد أن تخفي ردود فعلها الإجرامية، التي تمارسها بحق الجنوبيين، إثر كل عملية يقوم بها مجاهدو المقاومة الإسلامية.

ثانياً: إن إسرائيل تريد أن تطوّق الناس في جبل عامل، بمزيد من الضغوط وتحاصر المقاومة، من أجل أن تسهّل للدولة اللبنانية المتواطئة عملية الدخول في مفاوضات، حول الترتيبات الأمنية، دون ردود فعل تذكر.

ثالثاً: إن إسرائيل تريد أن تخفي ممارساتها التحريضية للطوائف المسيحية والإسلامية، بحيث تهيئ الأجواء المناسبة للتقاتل الطائفي، أثر أي انسحاب تجد نفسها مضطرة للجوء إليه، في وقت ما، ولعله بات قريباً.

رابعاً: إن إسرائيل تهدف، من خلال هذه الخطوات إلى إحداث تغييرات ديموغرافية (في التوزيع السكاني) داخل الجنوب، من شأنها أن تربك المقاومة كما تتوهم.. وأن تفتّت وحدة الجماهير المقاومة.. وفي هذا الإطار، تتصوّر خطر إقدام الاحتلال على تجربة جديدة، قد تستهدف إفراغ بلدة «معركة» من أهلها.. لكن هذه التجربة ستلاقي بعون الله فشلاً ذريعاً، بفضل صمود أبناء الإسلام في تلك البلدة ووحدة موقفهم.

إننا في حالة صراع مع العدو، وعلينا أن نصبر في المواجهة، ونتذكر دائماً قول الله تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾.. وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾.

ومن هنا فإن المطلوب هو الثبات والتصعيد في المواجهة، وليكن رائدنا في هذه المرحلة قول الله سبحانه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

بيان حول الاعتداءات الإسرائيلية
على جنوب لبنان ـ تموز ١٩٨٤

أخذت وسائل الإعلام المحلية والعالمية تركز على الحالة التي تعيشها الإدارة الأميركية الكافرة، بعد تفجير السفارة الأميركية في القسم الشرقي من بيروت، حيث راحت أميركا تلملم ما تبقى من ماء وجهها الذي أريق في ضربتي السفارة الأولى والمارينز، واللتين نتج عنهما الهزيمة العسكرية لأميركا، في بيروت وانسحاب الأميركيين الغزاة يجرون وراءهم الخزي والعار.

بعد انسحابها، فتحت أميركا صفحة جديدة من خطتها ومؤامرتها، فعملت على أن تطلق يد إسرائيل في لبنان، فتفسد في الأرض، وتقتل خيرة العلماء، كما عملت على أن تكون الزمرة الكتائبية المفروضة على الحكم في لبنان أداة بيد إسرائيل، تفرض على المسلمين ما تريده، وتؤمن لإسرائيل حماية حدودها الشمالية المزورة، لتبقى الشرطي الأمين على المصالح الأميركية في المنطقة.

ولكن سرعان ما تبدد هذا الوهم الأميركي، على أيدي المؤمنين المجاهدين الذين ضربوا وكسروا الذراع الأميركية الصهيونية، المسماة إسرائيل، في الجنوب العزيز، وذلك في منطلق الاعتقاد بوجوب إزالة إسرائيل من الوجود، ومن منطلق الاعتقاد بأن القدس تشكل، بالنسبة للمسلمين، مركزية الصراع مع أميركا وإسرائيل، ذلك بالإضافة إلى أن أميركا تأكدت أن خططها التآمرية لا يمكن أن تمر بسهوله، وأن المظلومين وأبناءهم، في صبرا وشاتيلا والضاحية والجنوب وسحمر، قرروا مواجهتها.

وأمام هذا الواقع المرير الذي بدأت تعيه الإدارة الأميركية، لجأ ريغان من جديد إلى التهديد، بالأساطيل وعرض العضلات في البحر، إيهاماً للرأي العام الأميركي، وتضليلاً له في موسم الانتخابات التي أصبحت على الأبواب، كما لجأ إلى تحريك أذنابه، أمثال ملك الأردن وعرفات، باتجاه إسطبل داود أو كامب ديفيد، في محاولة لإحياء هذه المعاهدة الصيهونية التي أسقطتها دماء إسلامبولي الشهيد، مع سقوط السادات المقبور.

إننا، كمسلمين أبناء أمة حزب الله في لبنان، نؤكد على ما يلي:

أولاً: إننا لا نستهجن حماقات أميركا، في اتهام من اتهمتهم بتفجير سفارتها في عوكر، من غير استناد إلى أي دليل أو برهان، لأن الدولة التي ترتكب الحماقات والمذابح، بحق المستضعفين في الجنوب وبيروت والجبل والبقاع والشمال، بواسطة مدمراتها، أو بيد إسرائيل، يصبح طبيعياً جداً أن تفقد صوابها وتدوس مصداقيتها، كدولة تملك الأجهزة المتطورة والأقمار الصناعية، وتخبط خبط عشواء، متجالة كل الأصول والأعراف.

ثانياً: إننا، وبكل لهفة، نرحب بالبوارج الأمريكية، لأن أمريكا، بمثل هذه التصرفات الحمقاء، تعطي أبناء الإمام الحسين (ع) أعظم الفرص من أجل أداء واجب الجهاد في سبيل الله تعالى، وتمكنهم من المواجهة المباشرة مع الشيطان الأكبر، وهذا قمة طموحهم.

ثالثاً: إننا نذكر المسلمين بقول قائد الأمة الإسلامية الإمام الخميني العظيم: لو قالت أميركا وإسرائيل لا إله إلا الله، فلن نقبل منهما ذلك نذكرهم وندعوهم لمواجهة عملاء إسرائيل، في الجنوب وكل مكان، بأي زي تزيوا، لأنهم أعداء الله المتآمريون على دينه وعباده، ونحرضهم على قتالهم وتطهير الأرض من فسادهم.

رابعاً: وأخيراً إنّ التأخير عن نصرة الجمهورية الإسلامية، في حملتها لطرد إسرائيل من الأمم المتحدة، يعتبر تخاذلاً عن حقوق المسلمين ومقدساتهم، وقبولاً ببقاء هذه الغدة السرطانية مزروعة في جسد الأمة والإنسانية، لذلك، نهيب بكل الشرفاء والمخلصين، وبالشعوب المستضعفة في كل مكان، أن يتكاتفوا لتحقيق هذا الهدف الإنساني الكبير، قبل أن يفتك السرطان بكل الجسد.

بيان تعقيباً على تفجير السفارة الأميركية
في عوكر ــ ٢٨ تشرين أول ١٩٨٤

التفاوض مع إسرائيل حرام شراعاً

مرة أخرى، يسفر النظام الكتائبي عن وجهه الخياني، ويعلن بكل صلافة قرار المصادرة لدماء الشهداء الأبطال، ويكشف عن موافقته الوقحة على التفاوض مع العدو الإسرائيلي، دون أن يتعلم من المفاوضات السابقة التي انتهت إلى اتفاق 17 أيار المشؤوم، إلا درساً وحيداً يحاول الآن تطبيقه وهو ضرورة إعطاء التفاوض طابعاً تقنياً بحتاً، في ظل شعارات التحرير والمزايدة بالمقاومة ضد الاحتلال، ليغطي خيانته الكبرى ويسهم في تضليل الناس. وفات الحكم أن المستضعفين قد بلغوأ مرحلة جيدة من النضج السياسي والجهادي، تؤهلهم لاكتشاف المؤامرات واحباطها.

إن النظام الكتائبي يحاول اليوم إيهامنا بأن المفاوضات مع إسرائيل هذه المرة، بواسطة الأمم المتحدة، إلا أن مقتضى الضرورة أن يلتقي المتفاوضون على طاولة واحدة، ويتمادى في محاولاته لتضليلنا، حين يعلن أن المفاوضات ليست سياسية، وأن طابعها سيكون عسكرياً بحتاً يبحث مسألة الانسحاب الإسرائيلي بالتفاهم.

إننا نريد أن نبين بوضوح بعض النقاط التي تكشف عن حقيقة الصفقة التي يجريها النظام الكتائبي اليوم مع إسرائيل، لسحقنا وإذلالنا وإعطاء العدوان الصهيوني شرعية ذبح أبنائنا وتهديم أملاكنا والقضاء على إسلامنا.

1 ـ لقد رفضنا المفاوضات التي أدت إلى اتفاق 17 أيار، لأنها كانت مفاوضات سياسية فحسب، بل لأن مبدأ التفاوض مع إسرائيل حرام شرعاً ومرفوض، لأنه يمثل اعترافاً بالعدوان الإسرائيلي الغاصب لأرض المسلمين، والقائم على أنقاض شعب مسلم مشرّد من دياره بغير الحق، ويتعرض للتمزيق يومياً حتى لا تقوم له قائمة بعد اليوم...

والمفاوضات العسكرية تعني اعترافاً مباشراً بالعدو اليهودي، وإقراراً واضحاً بشرعية كيانه العدواني، وهذا هو عين ما رفضناه في 17 أيار.

والمواقف الإسلامي يقضي، ليس بحرمة الاعتراف بإسرائيل فحسب، بل بوجوب الجهاد والمقاومة ضدها، حتى تزول نهائياً من الوجود، وبهذا الموقف الشرعي عبّر الإمام الخميني القائد حين قال: «يجب أن ننهض جميعاً لنقتلع إسرائيل من الجذور». وأعلن عنه الإمام موسى الصدر بقوله: «التعامل مع إسرائيل حرام».

2 ـ لم نفاجأ أبداً بهذا القرار لأننا كنا نرى مؤشراته، منذ بداية التراجع القسري للنظم الكتائبي، واضطراره إلى المصالحة المناورة، على أساس التنازل عن اتفاق 17 أيار، مقابل السعي

لإقرار الترتيبات الأمنية لإسرائيل، وتكريس مواقع المارونية السياسية وامتيازاتها في السلطة، وكان آخر تلك المؤشرات هو اتخاذ القرارات الآيلة إلى رفع الدعم عن البنزين، وإرهاق المستضعفين بالعمل، لرفع وطأة الغلاء الفاحش الذي طال حتى المواد الغذائية الضرورية، من أجل أن ينشغلوا ـ حسب التصور الكتائبي ـ عن التحرك لمواجهة المفاوضات مع العدو، مما يسمح بتمرير التفاوض بسلام.

والغريب أن يجري كل هذا الأمر وسط صمت ملحوظ من القوى الحزبية والسياسية، يشبه إلى حد كبير الصمت الذي مارسته خلال فترة المفاوضات السابقة.. ولذا فإننا ندعو جميع هذه القوى، وخصوصاً تلك التي غنّت طوال الفترة الأخيرة للمقاومة ضد الاحتلال.. أن تعلن موقفاً واضحاً وصريحاً من المفاوضات العسكرية مع العدو الإسرائيلي، وتخرج عن صمتها المستهجن في أوساط «الكادحين والفقراء».

3 ـ إن ما يشيعه البعض من أن هذه المفاوضات العسكرية هي مسألة عادية، لأنها لا تتعارض مع اتفاقية الهدنة عام 1949، هو جهل أو تضليل... لأن الأمر إذا كان كذلك، فالمفترض أن تعلن إسرائيل من جانبها التزام اتفاقية الهدنة المذكورة، والانسحاب من لبنان دون قيد أو شرط ودون أي حاجة للتفاوض من أجل ذلك.

4 ـ إن المقاومة الإسلامية ضد الاحتلال الصهيوني هي وحدها التي تقرر مصير الجنوب والمناطق المحتلة، عبر تصعيد جهادها المسلح، واستمرارها في التعبئة العامة ضد العدو، بقيادة وتوجيه العلماء المجاهدين، مع إخوة الشهيد راغب حرب والشيخ محرم العارفي وغيرهم.

وعلى الجميع أن يثبتوا مصداقية حقيقية في التزامهم خيار المقاومة، كطريق وحيد للتحرير أولاً، ويرفضوا بشكل قاطع ـ قولاً وعملاً ـ كل محاولات التفاوض واللقاء مع اليهود الصهاينة.

5 ـ إن عودة الأساطيل الأميريكية، لن ترهب شعبنا الذي اعتاد أن يتصدى، بقوة إيمانه وعزيمته، لكل جبروت الطواغيت، يتقرب بذلك إلى الله من أجل الفوز بإحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة. ولا يظنن أحد أن المسلمين يمكن أن يركعوا أمام الإرهاب الدولي الذي تمارسه الولايات المتحدة، وعلى رأسها المهرج ريغان.

6 ـ إن دماء الشهداء الزكية التي سفكت، على مذبح الحرية والدين والكرامة في أشرف المعارك البطولية ضد قوات الاحتلال الصهيوني، في الجنوب والبقاع الغربي.. لن يسمح سيلها الجارف بالمتاجرة بها والخيانة، ودماء الشهيد محمد نجدي تستصرخ كل المجاهدين، من أجل الوقوف وقفة شجاعة ومشرفة اليوم، لرفض المناورة الجديدة المتمثلة بالمفاوضات العسكرية، كما وقفوا سابقاً لرفض مفاوضات اتفاق 17 أيار المشؤوم.

وأخيراً، نؤكد الموقف الإسلامي الشرعي، في هذه المرحلة التاريخية من حياتنا:

* لا للتفاوض مع العدو اليهودي، بأي شكل من الأشكال سراً أو علناً، مباشرةً أو غير مباشرة، مدنياً أو عسكرياً، ضمن اتفاق الهدنة أو خارج إطارها.
* لا للنفوذ الاستعماري في بلادنا، بأي وجه كان، وتحت أي شعار.
* لا للنظام الكتائبي المفروض على شعبنا.
* نعم للجهاد والمقاومة الإسلامية، حتى إزالة إسرائيل من الوجود.
* نعم لقيادة العلماء المجاهدين السائرين على نهج ولاية الفقيه

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

بيان حول مفاوضات الناقورة بين
الحكومة اللبنانية وإسرائيل

أيها المسلمون المجاهدون. . .

يا أبناء أمة حزب الله. . .

نقف اليوم على أعتاب مرحلة جديدة من المواجهة، مع قوى الكفر العالمي ورأس حربته في المنطقة، الجرثومة السرطانية إسرائيل. . وكلنا عزم وإيمان بأن الله منجز وعده وناصر عباده الصادقين.

وفي هذه المرحلة، لا يسعنا إلا أن نسجّل، باعتزاز كبير، ما يحققه أهلنا وإخواننا المجاهدون الصابرون في جبل عامل، من انتصارات ومواقف شريفة يسطّرونها، خلال أصدق مواجهة ضد العدّو الصهيوني اللئيم. . مسلّحين بالإيمان، ومصرّين على الجهاد حتى النصر أو الشهادة.

ويكفي العالم دروساً ما سمعه عن بطولات أهلنا المؤمنين، في معركة وطورا وطير دبا ويانوح وبدياس وبرج رحّال والعباسية، والهزيمة النكراء التي مني بها العدّو المدجج بالسلاح والآليات، حيث دخلنَ نساؤنا وأطفالنا المعركة، إلى جانب شبابنا ورجالنا، في أروع وقفة حسينية قلّ نظيرها في التاريخ. .

وها هم أهلنا ينتقلون من الدفاع إلى الهجوم، حيث يخاطبون جنود العدّو، ليكشفوا لهم واقعهم المهزوم، ناصحين لهم بالهروب من وجه المقاومة الإسلامية.

ومع اعتزازنا هذا، فإن العالم بأسره يسجّل، لكم أنتم يا أبناء أمة حزب الله، وقفتكم المشهودة، في رفض مفاوضات الخيانة، وكشفكم عن نتائجها المخيّبة للآمال سلفاً، حين أعلنتم أن إسرائيل لا تريد المفاوضات، إلا للتغطية والتبرير لإنسحابها الذليل، المضطرة إليه تحت وطأة ضربات المجاهدين، وحين أكدتم أن مجرّد تفاوض النظام الكتائبي مع العدو، هو أكبر هدمة يؤديّها هذا النظام للصهاينه المجرمين. . .

وها نحن قد وصلنا إلى ما كنا قد حذّرنا منه، ووجد النظام الخائن نفسه أمام طريق مسدود، فلا هو حرّر الأرض، ولا حظي بشرف دعم المقاومة ضد الاحتلال، بينما العدو يهدّد بوقف التفاوض، ويلوّح بالانسحاب الجزئي، بحجة عدم التجاوب من الوفد اللبناني.

ويصرّ أخيراً على تواجد القوات الدولية ما بين الأولي والزهراني، في إشارة منه إلى أن انسحابه سيكون للزهراني، وأملاً منه أيضاً أن تشكل قوات الطوارئ الدولية حاجزاً أمنياً، لحماية جنود الاحتلال. .

وهنا، نود أن نعلن بصراحة رفضنا لأي دور لقوات الطوارئ، في أية بقعة داخل أرضنا، وقد نجد أنفسنا مضطرين لمقاومتها، على أنها قوات معادية ومتحالفة مع العدو الصهيوني، خصوصاً بعدما ثبت للعالم أجمع تواطؤ هذه القوات، أثناء عملية العدوان الإسرائيلي على القرى السبع في منطة صور البطلة، وما كشفت عنه هذه العملية، من الدور المشبوه والخبيث الذي تلعبه بالذات القوات الفرنسية الغازية . . .

أيها المسلمون الأبطال . .

يا أبناء رجال بدر وخيبر . .

إعلموا أن قوى الكفر العالمي، متحالفة مع الصهيونية والزمر الكتائبية، قد عقدوا العزم على إذلالكم وتركيعكم، وهم يحاولون ذلك، تارة بالسيارات المفخخة، يزرعون فيها الموت لأطفالكم وشيوخكم، وطوراً بالقصف العشوائي اللئيم، وأخرى بالاغتيالات الغادرة.

وأخيراً كثرت التهديدات بإبادتكم، من قبل الشيطان الأكبر أمريكا، وكثرت التصريحات الوقحة التي تكشف عن استهتارها، حتى بأرواح الأبرياء . . . كل ذلك لأنكم أفقدتم قوى الكفر القدرة على الإتزان في تصرفاتها، حين وجدت منكم مواجهة بطولية وإصراراً أكيداً على الدفاع عن الإسلام وكرامة المسلمين وعزّتهم.

وإننا نؤكد لكم وللعالم، أن أي اعتداء يتعرض له طفل مسلم، سنواجهه بضربة تجعل الحليم حيراناً، ولن يزيدنا العدوان إلا إصراراً على ملاحقة المعتدي ومعاقبته، بالمستوى المناسب.

ولن يعرقل سعينا تحرك الأدوات المحلية المرتزقة، والخطط الكتائبية التي يراد منها محاصرة مناطق المسلمين سواء في بيروت أو في طرابلس أو في إقليم الخروب، وإنما سيدفعنا ذلك لنكون دائماً على أهبة الاستعداد، للدفاع عن أهلنا المسلمين، بكل ما أوتينا من قوة، وسيجدنا هؤلاء رهن الإشارة، وفي الوقت المناسب.

وختاماً، ندعوكم جميعاً لمزيد من التيقظ والحذر، لنفوّت على الأعداء فرصة العدوان على الآمنين، ولنكن عيوناً مفتوحة، لنمنع الفتنة ونحبط كيد الكافرين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ . . . .

الإهداء

* إلى المشعل الذي ازداد تألقاً وضياء، فأنار للمستضعفين في لبنان، درب الحياة الحرّة الكريمة.. وأحرق بوهج دمائه الطاهرة جبروت الكيان الصهيوني وأسطورته.
* إلى الرائد الذي صدق أهله، فكان قدوة لهم في الجهاد، ولم يبخل عليهم بروحه، حتى قضى شهيداً في سبيل نصرتهم، وشاهداً على ظلم الاستكبار العالمي وغطرسته.
* إلى رمز المقاومة الإسلامية الظافرة، والانتفاضة الرائعة التي لا يزال أهلنا يسطّرون بها أروع ملاحمها الحسينية في الجنوب والبقاع الغربي.
* إلى الذي بدد أحلام أمريكا في لبنان، وقاوم الاحتلال الإسرائيلي، رافعاً لواء العمل بولاية الفقيه القائد، الذي كان يحلو له دائماً أن يصفه بأمير المسلمين عبد الله الخميني...
* إلى شيخ الشهداء راغب حرب (رضوان الله عليه) نهدي في ذكراه السنوية، هذه الرسالة المفتوحة إلى المستضعفين في العالم، مثبتين بين ثنايا سطورها الخط السياسي الإسلامي الثوري الذي جسّده الشهيد السعيد، مع إخوانه الشهداء، ليكون نهجاً بيّناً ودليلاً واضحاً لكل المجاهدين في لبنان... سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يفرغ علينا صبراً ويثّبت أقدامنا وينصرنا على القوم الظالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
حزب الله

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾.

صدق الله العظيم

من نحن وما هي هويتنا؟

أيها المستضعفون الأحرار:

إننا أبناء أمة حزب الله في لبنان، نحييكم ونخاطب من خلالكم العالم بأسره: شخصيات ومؤسسات: أحزاباً ومنظمات وهيئات سياسية وإنسانية وإعلامية.. ولا نستثني أحداً، لأننا حريصون على أن يسمع صوتنا الجميع، فيفهموا مقالتنا ويستوعبوا طروحاتنا ويتدارسوا مشروعنا.

إننا أبناء أمة حزب الله، نعتبر أنفسنا جزءاً من أمة الإسلام في العالم، التي تواجه أعتى هجمة استكبارية، من الغرب والشرق على السواء، بهدف تفريغها من مضمونها الرسالي الذي أنعم الله به عليها، لتكون خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، وبهدف استلاب خيراتها وثرواتها، واستثمار طاقاتها وكفاءات أبنائها، والسيطرة على شؤونها كافة.

إننا أبناء أمة حزب الله التي نصر الله طليعتها في إيران، وأسست من جديد نواة دولة الإسلام المركزية في العالم. نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة وعادلة، تتمثل بالولي الفقيه الجامع للشرائط، وتتجسد حاضراً بالإمام المسدّد، أية الله العظمى روح الله الموسوي الخميني دام ظله.. مفجّر ثورة المسلمين، وباعث نهضتهم المجيدة.

وعلى هذا الأساس، فنحن في لبنان حزباً تنظيمياً مغلقاً، ولسنا إطاراً سياسياً ضيقاً.. بل نحن أمة ترتبط مع المسلمين، في أنحاء العالم كافة، برباط عقائدي وسياسي متين هو الإسلام، الذي أكمل الله رسالته على يد خاتم أنبيائه، محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وارتضاه للعالمين ديناً يتعبدون به، إذ قال في القرآن الكريم: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

ومن هنا، فإن ما يصيب المسلمين، في أفغانستان أو العراق أو الفليبين أو غيرها، إنما يصيب جسم أمتنا الإسلامية التي نحن جزء لا يتجزأ منها، ونتحرك لمواجهته انطلاقاً من واجب شرعي أساساً، وفي ضوء تصور سياسي عام تقرره ولاية الفقيه القائد.

أما ثقافتنا، فمنابعها الأساسية، القرآن الكريم، والسنة المعصومة، والأحكام والفتاوى الصادرة عن الفقيه مرجع التقليد عندنا.. وهي واضحة غير معقدة، وميسّرة للجميع دون استثناء،

ولا تحتاج إلى تنظير أو فلسفة، بل جلّ ما تحتاجه هو الالتزام والتطبيق. .

وأما قدرتنا العسكرية، فلا يتخيلن أحد حجمها، إذ ليس لدينا جهاز عسكري منفصل عن بقية أطراف جسمنا، بل إن كل واحد منا هو جندي مقاتل، حين يدعو داعي الجهاد، وكل واحد منا يتولى مهمته في المعركة، وفقاً لتكليفه الشرعي، في إطار العمل بولاية الفقيه القائد. . والله هو من ورائنا، يؤيدنا برعايته، ويلقي الرعب في قلوب أعدائنا، وينصرنا عليهم بنصره العزيز المؤزر».

العالم المستكبر متفق على حربنا

أيها المستضعفون الأحرار:

إن دول العالم المستكبر الظالم، في الغرب والشرق، قد اجتمعت على محاربتنا، وراح حكامها يحرضون عملاءهم ضدنا، يحاولون تشويه سمعتنا وافتراء الأكاذيب علينا. . . في محاولة خبيثة للفصل بيننا وبين المستضعفين الطيبين، وفي سعي حثيث لتقزيم ومسخ الإنجازات المهمة والكبرى، على مستوى مواجهتنا لأمريكا وحلفائها. .

لقد حاولت أمريكا، عبر عملائها المحليين، أن توحي للناس بأن من قضى على غطرستها في لبنان، وأخرجها ذليلة خائبة، وسحق مؤامرتها على المستضعفين في هذه البلاد، هم ليسوا إلا حفنة من المستعصبين الإرهابيين، الذين لا شأن لهم إلاّ تفجير محلات الخمور والقمار وآلات اللهو وغير ذلك.

ولكن كنا على يقين بأن مثل هذه الإيحاءات لن تخدع أمتنا، لأن العالم بأسره يعلم أن من يفكر بمواجهة أمريكا والاستكبار العالمي، لا يلجأ إلى مثل هذه الأعمال الهامشية، التي تشغله بالذيل عن الرأس». . .

أمريكا وراء كل مصائبنا

إننا متوجهون لمحاربة المنكر من جذوره. . وأول جذور المنكر أمريكا. . ولن تنفع كل المحاولات لجرّنا إلى ممارسات هامشية، إذا ما قيست بالمواجهة مع أمريكا. .

فالإمام الخميني القائد أكّد، ولمرّات عديدة، أن أمريكا هي سبب كل مصائبنا، وهي أم الخبائث. . . ونحن إذ نحاربها، فلا نمارس إلا حقنا المشروع في الدفاع عن إسلامنا وعزة أمتنا.

إننا نعلن، بصراحة ووضوح، أننا أمة لا تخاف إلا الله، ولا ترتضي الظلم والعدوان والمهانة. . وإن أمريكا وحلفاءها، من دول حلف شمال الأطلسي، والكيان الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين الإسلامية المقدسة، كل هؤلاء، قد مارسوا ويمارسون العدوان علينا ويعملون على إذلالنا باستمرار. . ولذا فإننا في حالة تأهب مستمر ومتصاعد، من أجل رد العدوان والدفاع عن الدين والوجود والكرامة.

لقد هاجموا بلادنا، ودمّروا قرانا، وذبحوا أطفالنا، وهتكوا حرماتنا وسلّطوا على رقابنا جلادين، مجرمين ارتكبوا مجازر رهيبة بحق أمتنا، ولا يزالون يدعمون هؤلاء الجزارين حلفاء إسرائيل، ويمنعوننا من تقرير مصيرنا بمحض اختيارنا.

إن قنابلهم كانت تتساقط على أهلنا كالمطر، أثناء الاجتياح الصهيوني لبلادنا ومحاصرة بيروت.. وطائراتهم كانت تغير، بشكل متواصل، في الليل والنهار، على المدنيين من أهلنا وعلى أطفالنا ونسائنا وجرحانا.. فيما كانت مناطق الكتائبيين العملاء آمنة، من قصف العدو، ومركزاً لتوجيه وإرشاد قواته.

وكنا نستصرخ ضمير العالم آنذاك، فلم نسمع له حساً ولم نجد له أثراً..

هذا الضمير الذي افتقدناه أيام المحنة، هو نفسه كان مستنفراً ويقظاً، يوم حوصر الكتائبيون المجرمون، في مدينة زحلة البقاعية، ويوم حوصر المتحالفون مع إسرائيل، في دير القمر الشوفية.. فهالنا الأمر، وأيقنا أن هذا الضمير العالمي، لا يهتز إلا بناء لطلب الأقوياء، واستجابة لمصالح الاستكبار..

لقد ذبح الإسرائيليون والكتائبيون عدة آلاف، من آبائنا وأطفالنا ونسائنا وإخواننا، في صبرا وشاتيلا خلال ليلة واحدة، فلم يصدر، عن أية منظمة أو هيئة دولية، أي استنكار أو شجب عملي لهذه المجزرة البشعة، التي ارتكبت بتنسيق مع القوات الأطلسية التي غادرت قبل أيام بل ساعات، المخيمات التي قبل المنهزمون أن يضعوها تحت حماية الذئب، استجابة لمناورة الثعلب الأمريكي فيليب حبيب.

وجاءت هذه الاعتداءات المجرمة، لتؤكد ما ورد في معتقداتنا الثابتة من أنه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾.

لا خيار لنا إلا المواجهة

وعلى هذا الأساس، رأينا أن العدوان لا يُرد إلا بالتضحيات.. والكرامة لا تكون إلا ببذل الدماء، والحرية لا تُعطى، وإنما تسترد ببذل المهج والأرواح..

فآثرنا الدين والحرية والكرامة على العيش الذليل والخضوع المستمر، لأمريكا وحلفائها وللصهاينة وحلفائهم الكتائبيين.. وانتفضنا لتحرير بلادنا، وطرد المستعمرين والغزاة منها، وتقرير مصيرنا بأيدينا.

ولم يكن بوسعنا أن نصبر أكثر، فمحنتنا تجاوزت من السنين عشراً ولم تر إلا كل طامع أو متملق أو عاجز».

تنسيق صهيوني كتائبي

ـ مئة ألف ضحية، هو العدد التقريبي لجرائم أمريكا وإسرائيل والكتائب فينا. . .

ـ تهجير لنصف مليون مسلم تقريباً، وتدمير شبه كامل لأحيائهم، في النبعة وبرج حمود والدكوانة وتل الزعتر وسبنيه وحي الغوارنة، وبلاد جبيل التي لا يزال من تبقى من أهلنا فيها يتعرضون للمحنة، دون أن تتحرك هيئة عالمية واحدة لإنقاذهم. . .

ـ واحتلال صهيوني استمر في اغتصابه لأراضي المسلمين، حتى وصل إلى احتلال لأكثر من ثلث مساحة لبنان، بتنسيق مسبق واتفاق كامل مع الكتائبيين، الذين استنكروا محاولات التصدي للقوات الغازية. . . وشاركوا في تنفيذ بعض خطط إسرائيل، ليكملوا ويعطوها ما تريد ثمناً لإيصالهم إلى رئاسة الحكم. . .

وهكذا كان، فلقد وصل الجزار بشير الجميل إلى سدة الرئاسة، مستعيناً بإسرائيل، وبالنفطيين العرب، وبالزعماء المستلزمين للكتائب من نواب المسلمين. . وإثر محاولة متقنة، لتجميل صورته البشعة، في إطار غرفة عمليات سميت «بلجنة الإنقاذ» لم تكن إلا جسراً أمريكياً ـ إسرائيلياً عبر عليه الكتائبيون، باتجاه التسلط على رقاب المستضعفين.

لكن شعبنا لم يستطع الصبر على هذه المهانة، فبدد أحلام الصهاينة وحلفائهم. . إلا أن أمريكا أصرت على حماقتها، فأوصلت أمين الجميل لخلافة أخيه المقبور، وكان أول إنجاز له: تدمير منازل المهجرين، والاعتداء على مساجد المسلمين، وإعطاء الأوامر للجيش بقصف أحياء الضاحية المستضعفة على أهلها، واستدعاء قوات حلف الأطلسي، للاستعانة بهم علينا، وتوقيع اتفاقية 17 أيار المشؤوم، الذي يجعل من لبنان محمية إسرائيلية ومستعمرة أمريكية.

أعداؤنا الأساسيّون

ولم يستطع شعبنا أن يتحمل كل هذه الخيانة، فقرر مواجهة أئمة الكفر: أمريكا وفرنسا وإسرائيل. ونفّذ بحقهم أول عقوبة لهم: في 18 نيسان، ثم في 29 تشرين أول 1983، وكان قد بدأ حرباً حقيقية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي، ارتقى خلالها إلى مستوى تدمير مركزين أساسيين لحكامه العسكريين، وصعّد من مقاومته الإسلامية، شعبياً وعسكرياً، حتى أرغم العدو على اتخاذ قرار بالفرار المرحلي، وهو قرار تضطر إليه إسرائيل لأول مرة، في تاريخ ما سمي بالصراع العربي ـ الإسرائيلي.

وللحقيقة نعلن، أن أبناء أمة حزب الله باتوا الآن يعرفون أعداءهم الأساسيين جيداً، في هذه المنطقة: إسرائيل، أمريكا، فرنسا والكتائب.

أهدافنا في لبنان

إننا الآن في حالة مواجهة متصاعدة ضدهم، حتى تتحقق الأهداف التالية:

- تخرج إسرائيل نهائياً من لبنان، كمقدمة لإزالتها نهائياً من الوجود، وتحرير القدس الشريف من براثن الاحتلال.
- تخرج أمريكا وفرنسا وحلفاؤهما نهائياً من لبنان، وينتهي أي نفوذ لأية دولة استعمارية في البلاد.
- يرضخ الكتائبيون للحكم العادل، ويحاكمون جميعاً على الجرائم التي ارتكبوها، بحق المسلمين والمسيحيين، بتشجيع من أمريكا وإسرائيل.
- يتاح لجميع أبناء شعبنا أن يقرروا مصيرهم، ويختاروا بكامل حريتهم، شكل نظام الحكم الذي يريدونه، علماً باننا لا نخفي التزامنا بحكم الإسلام وندعو الجميع إلى اختيار النظام الإسلامي الذي يكفل وحده العدل والكرامة للجميع، ويمنع وحده أية محاولة للتسلل الاستعماري إلى بلادنا من جديد.

أيها الأصدقاء

إذاً.. هذه هي أهدافنا في لبنان، وهؤلاء هم أعداؤنا، أما أصدقاؤنا فهم كل الشعوب المستضعفة في العالم، وهم كل من يحارب أعداءنا، ويحرص على عدم الإساءة إلينا.. أفراداً كانوا أو أحزاباً أو منظمات.. وإننا نتوجه إليهم ونخصّم بهذا الخطاب فنقول:

أيها المحازبون والمنظمّون، أينما كنتم في لبنان، وأياً كانت أفكاركم... إننا متفقون وإيّاكم على أهداف كبيرة ومهمة.. تتمثل في ضرورة إسقاط الهيمنة الأمريكية على البلاد... وطرد الاحتلال الصهيوني الجاثم على رقاب العباد... وضرب كل محاولات التسلط الكتائبي على شؤون الحكم والإدارة.. وإن كنا نختلف في أساليب المواجهة ومستوى المواجهة.

فتعالوا نترفع عن التخاصم فيما بيننا على الأمور الصغيرة، ونفتح أبواب التنافس واسعة أمام تحقيق الأهداف الكبيرة..

فليس مهماً أن يسيطر حزب على شارع، وإنما المهم أن تتفاعل الجماهير مع هذا الحزب...

وليس المهم أن تكثر الاستعراضات العسكرية على المواطنين.. بل المهم أن تكثر العمليات ضد إسرائيل...

وليس المهم أن نصوغ البيانات وندعو إلى مؤتمرات، بل المهم أن نجعل من لبنان مقبرة للمشاريع الأمريكية.

إنكم تحملون أفكاراً ليست من الإسلام.. وليس في هذا ما يحول بيننا وبين التعاون معكم،

من أجل هذه الأهداف. . خصوصاً أننا نشعر بأن الدوافع، التي تحرضكم من أجل النضال، هي دوافع إسلامية في الأصل، منشؤها الظلم اللاحق بكم من الطاغوت، والاستضعاف الذي يمارس عليكم من قبله. . وهذه الدوافع وإن تشكلت بأفكار غير إسلامية، فلا بد أن تعود إلى جوهرها، حين ترون أن الإسلام الثوري هو الذي يتصدى لقيادة الصراع، ولمقاومة الظلم والاستكبار. . .

على أننا لا نرتضي منكم تحرشاً ولا استفزازاً ولا اعتداءات، على أمننا وكراماتنا، ونلتزم معكم بمعالجة أي التباس، بالتي هي أحسن أولاً، ونحرص على أن لا تشغلونا بما يعيق تحركنا لأهدافنا.

وستجدوننا حريصين على الانفتاح عليكم، وستزداد العلاقة معكم، كلما ازداد التقارب الفكري فيما بيننا وبينكم، وكلما شعرنا باستقالية قراركم، وكلما اقتضت مصلحة الإسلام والمسلمين تعزيز هذه العلاقة وتطويرها.

أيها المحازبون المستضعفون.

أنتم ممن قصدتم الحق فأخطأتموه. . وليس من قصد الحق فأخطأه، كمن قصد الباطل فأصابه. .

ولذا فإننا نمد أيدينا إليكم، ونقول لكم مخلصين: «يا قومنا أجيبوا داعي الله» و«استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم».

نلتزم بالإسلام ولا نفرضه بالقوة

أيها المستضعفون الأحرار:

إننا أمة التزمت برسالة الإسلام، وأحبّت للمستضعفين وللناس كافة أن يتدارسوا هذه الرسالة السماوية، لأنها تصلح لتحقيق العدل والسلام والطمأنينة في العالم. .

والله تعالى ربنا يقول: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

ولذا فإننا لا نريد أن نفرض الإسلام على أحد، ونكره أن يفرض الآخرون قناعاتهم وأنظمتهم علينا، ولا نريد أن يحكم الإسلام في لبنان بالقوة. كما تحكم المارونية السياسية الآن.

لكننا نؤكد أننا مقتنعون بالإسلام، عقيدة ونظاماً، فكراً وحكماً، وندعو الجميع إلى التعرف عليه، والاحتكام إلى شريعته، كما ندعوهم إلى تبنيه والالتزام بتعاليمه، على المستوى الفردي والسياسي والاجتماعي.

وإذا ما أتيح لشعبنا أن يختار، بحريته، شكل نظام الحكم في لبنان، فإنه لن يرجّح على الإسلام بديلاً.

ومن هنا فإننا ندعو إلى اعتماد النظام الإسلامي، على قاعدة الاختيار الحر والمباشر من قبل الناس، لا على قاعدة الفرض بالقوة، كما يخيّل للبعض..

ونعلن أننا نطمح أن يكون لبنان جزءاً لا يتجزأ من الخارطة السياسية المعادية لأمريكا والاستكبار العالمي وللصهيونية العالمية، والتي يحكمها الإسلام وقيادته العادلة..

وهذا الطموح هو طموح أمة، وليس طموح حزب، واختيار شعب لا اختيار عصابة.

الحد الأدنى لطموحنا في لبنان

وعلى هذا الأساس، فإن الحدّ الأدنى الذي يمكن أن نقبل به، على طريق تحقيق هذا الطموح المكلفين بالسعي لتحقيقه شرعاً، هو:

إنقاذ لبنان من التبعية، للغرب أو للشرق، وطرد الاحتلال الصهيوني من أراضيه نهائياً، واعتماد نظام يقرره الشعب، بمحض اختياره وحريته.

لماذا نواجه النظام القائم؟

هذه هي رؤيتنا وتصوراتنا عما نريده في لبنان، وعلى ضوء هذه الرؤية والتصورات نواجه النظام القائم، لاعتبارين أساسيين:

١ ـ لكونه صنيعة الاستكبار العالمي، وجزءاً من الخارطة السياسية المعادية للإسلام.

٢ ـ لكونه تركيبة ظالمة في أساسها، لا ينفع معها أي إصلاح أو ترقيع، بل لا بد من تغييرها من جذورها ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾

موقفنا من المعارضة

وفي ضوء الاعتبارين الآنفين، نحدد موقفنا من أية معارضة للنظام اللبناني..

فنعتبر أن كل معارضة تتحرك ضمن خطوط حمر فرضتها القوى المستكبرة، هي معارضة شكلية لا بد وأن تلتقي، في نهاية المطاف، مع النظام القائم.

وكل معارضة تتحرك ضمن دائرة الحفاظ والحرص على الدستور المعمول به حالياً، وتلتزم عدم إجراء أي تغيير أساسي في جذور النظام، هي معارضة شكلية أيضاً، لا تحقق مصلحة الجماهير المستضعفة.

وكذلك فإن كل معارضة تتحرك في المواقع التي يريدها النظام أن تتحرك من خلالها، هي معارضة وهمية، ليست إلا لخدمة النظام.

ومن ناحية أخرى، فإن كل طرح للإصلاح السياسي، على ضوء النظام الطائفي العفن، لا يعنينا منه شيء، تماماً كما لا يعنينا تشكيل أية حكومة أو اشتراك أية شخصية في أية وزارة تمثل جزءاً من النظام الظالم.

كلمات برسم المسيحيين في لبنان

أيها المستضعفون الشرفاء

إننا نتوجه من خلالكم، بكلمات قليلة نضعها برسم المسيحيين في لبنان، وبرسم الموارنة على وجه الخصوص:

إن السياسة التي ينتهجها زعماء المارونية السياسية، من خلال «الجبهة اللبنانية» و«القوات اللبنانية» لا يمكن أن تحقق السلام والاستقرار للمسيحيين في لبنان، لأنها سياسة قائمة على العصبية والامتيازات الطائفية والتحالف مع الاستعمار وإسرائيل...

ولقد أثبتت المحنة اللبنانية، أن الامتيازات الطائفية كانت سبباً رئيسياً من أسباب الانفجار الكبير الذي قوّض البلاد، وأن التحالف مع أمريكا وفرنسا وإسرائيل لم يُجْدِ نفعاً للمسيحيين، يوم احتاجوا لدعم هؤلاء..

ثم إن الأوان قد آن، ليخرج المسيحيون المتعصبون من نفق الولاء الطائفي، ومن أوهام الاستئثار بالامتيازات، على حساب الآخرين، وأن يستجيبوا لدعوة السماء، فيحتكموا إلى العقل بدل السلاح، وإلى القناعة بدل الطائفة.

إننا على يقين بأن رسول الله المسيح (ع) براء من المجازر التي ارتكبها الكتائبيون، باسمه وباسمكم.. وبراء من السياسة الحمقاء التي يعتمدها زعماؤكم، للتحكم بنا وبكم..

كما وأن رسول الله محمد (ص) هو براء أيضاً ممن يحسب على المسلمين، ممن لا يتلزمون بشرع الله، ولا يسعون إلى تطبيق أحكامه، علينا وعليكم.

فإذا ما راجعتم حساباتكم، وعرفتم أن مصلحتكم هي ما تقررونه أنتم، بمحض اختياركم، لا يفرض عليكم بالحديد والنار، حينئذٍ نجدد دعوتنا لكن، استجابة لقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

يا مسيحيي لبنان...

إن كان كبر عليكم أن يشارككم المسلمون في بعض شؤون الحكم... فإنه والله كبر علينا ذلك أيضاً، لأنهم يشاركون في حكم ظالم لنا ولكم.. وغير قائم على أحكام الدين، ولا على أسس الشريعة التي اكتملت بخاتم النبيين...

وإن كنتم تريدون عدلاً، فمن أولى من الله بالعدل؟ وهو الذي أنزل من السماء رسالة الإسلام، على امتداد بعثات الأنبياء، من أجل أن يحكموا بين الناس بالقسط، ويأخذوا لكل ذي حق حقه. .

وإن كان أحد قد ضلّلكم، وعظّم لكم الأمور، وخوفكم أن تنالكم منا ردود فعل، على ما ارتكبه الكتائبيون من جرائم بحقنا، فذا ما لا مبرر لكم فيه أبداً، إذ إن المسالمين منكم لا زالو يعيشون بيننا، دون أن يعكّر صفوهم أحد. .

وإن كنا نقاتل الكتائبيين، فلأنهم يشكلون حاجزاً أمام رؤيتكم للحقيقة، ويصدونكم عن سبيل الله، ويبغونها في الأرض عوجاً بغير حق، وقد استكبروا وعتوا عتواً كبيراً. .

وإننا نريد لكم الخير، وندعوكم إلى الإسلام، لتسعدوا في الدنيا والآخرة، فإن أبيتم، فما لنا عليكم من سبيل، إلا أن تحفظوا عهودكم مع المسلمين، ولا تشاركوا في العدوان عليهم.

أيها المسيحيون. .

حرروا أفكاركم من رواسب الطائفية البغيضة، وجردوا عقولكم من أسر التعصب والانغلاق، افتحوا بصائركم على ما ندعوكم إليه من الإسلام، ففيه نجاتكم وسعادتكم، وخير الدنيا والآخرة. .

ودعوتنا هذه نضعها برسم كل المستضعفين، من غير المسلمين، أما المتنسبون للإسلام طائفياً، فندعوهم للالتزام بالإسلام عملياً، والترفع عن العصبيات التي يمقتها الدين. .

ونؤكد للجميع ، بأن هذا العصر هو عصر انتصار الإسلام والحق، وهزيمة الكفر والباطل. . فالتحقوا بركب الحق قبل أن يأتي يوم يعضّ الظالم على يديه، يقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا. . .﴾.

قصتنا مع الاستكبار العالمي

أيها المستضعفون الشرفاء. .

وأما قصتنا مع الاستكبار العالمي، فنوجزها لكم بهذه الكمات: إننا نعتقد أن صراع المبادئ، بين أمريكا والاتحاد السوفياتي، قد ولى، منذ زمن بعيد، وإلى غير رجعة. . فلقد أخفق الطرفان، في تحقيق السعادة للبشرية، لأن الفكرة التي قدّماها للناس، وإن اختلفت من حيث الشكل إلى رأسمالية وشيوعية. . إلاّ إنها التقت في المضمون المادي، وقصرت في علاج مشاكل الإنسانية.

فلا الرأسمالية الغربية، ولا الاشتراكية الشرقية، نجحتا في إرساء قواعد المجتمع العادل

والمطمئن، ولا استطاعتا أن تحققا التوازن بين الفرد والمجتمع، ولا بين الفطرة البشرية والمصلحة العامة...

وتوصل الطرفان إلى إقرار واعتراف متبادل بهذه الحقيقة، وأدركا أنه لم يعد من مجال للصراع الفكري، فيما بين المعسكرين.. وانعطفا سوياً إلى الصراع حول النفوذ والمصالح، مستترين أمام الرأي العام وراء الاختلاف في المبادئ...

وفي ضوء هذا الفهم، فإننا نرى أن الصراع الفكري بين المعسكرين قد طوي نهائياً، وحل محله صراع المصالح والنفوذ، بين دول العالم المستكبر التي يتزعمها اليوم أمريكا والاتحاد السوفياتي...

ونحن إذ نعتبر الصراع بين الجبارين ناتجاً طبيعياً للمضمون المادي الذي يدفع كلاً منهما.. إلا أننا لا نستطيع أن نقبل بهذا الصراع، على حساب مصالح المستضعفين وثرواتهم وحقوقهم.

ومن هنا، فإننا نقف ضد أي تدخل استعماري، غربي أو شرقي، في شؤون المستضعفين وبلادهم، ونواجه كل أطماع وتدخل في شؤوننا.

وفي الوقت الذي ندين فيه جرائم أمريكا، في فيتنام وإيران ونيكاراغوا وغرينادا وفلسطين ولبنان وغيرها... ندين أيضاً الغزو السوفياتي لأفغانستان، والتدخل في شؤون إيران، ودعم العدوان العراقي وغير ذلك...

أما في لبنان ومنطقة فلسطين: فإننا معنيون بمواجهة أمريكا، بشكل رئيسي، لأنها صاحبة النفوذ الأقوى بين دول الاستكبار العالمي، وكذلك إسرائيل ربيبة الصهيونية العالمية.. ومن ثم، فإننا معنيون بمواجهة حلفاء أمريكا، من دول حلف شمال الأطلسي، التي تورطت في مساعدة أمريكا ضد شعوب المنطقة... ونحذر الدول لتي لم تتورط بعد، من الإنجرار إلى خدمة المصالح الأمريكية، على حساب حرية أمتنا ومصالحها..

إسرائيل يجب أن تزول من الوجود

أما إسرائيل فنعتبرها رأس الحربة الأمريكية في عالمنا الإسلامي... وهي عدو غاصب تجب محاربته، حتى يعود الحق المغصوب إلى أهله...

وهذا العدو يشكل خطراً كبيراً، على مستقبل أجيالنا ومصير أمتنا، خصوصاً أنه يحمل فكرة استيطانية توسيعية، بدأ تطبيقها في فلسطين المحتلة، ويحاول التمدد والتوسع، ليبني دولة إسرائيل الكبرى، من الفرات إلى النيل...

وصراعنا مع إسرائيل الغاصبة ينطلق من فهم عقائدي وتاريخي، مؤداه أن هذا الكيان الصهيوني عدواني، في نشأته وتكوينه، وقائم على أرض مغصوبة، وعلى حساب حقوق مسلم...

ولذا فإن مواجهتنا لهذا الكيان يجب أن تنتهي بإزالته من الوجود، ومن هنا، فإننا لا نعترف بأي اتفاق لوقف إطلاق النار ضده، أو أية اتفاقية هدنة معه، أو أية معاهدة سلام منفردة أو غير منفردة.

وندين بشدة كل مشاريع الوساطة بيننا وبين إسرائيل، ونعتبر الوسطاء طرفاً معادياً، لأن وساطتهم لن تخدم إلا الإقرار بشرعية الاحتلال الصهيوني لفلسطين. . .

وعلى هذا الأساس، نرفض معاهدة كامب ديفيد، ونرفض مشروع فهد، ومشروع فاس، ومشروع ريغان، ومشروع بريجنيف، والمشروع الفرنسي ـ المصري، وكل مشروع يتضمن اعترافاً، ولو ضمنياً، بالكيان الصهيوني.

ونسجل، في هذا السياق، إدانتنا لكل الدول والمنظمات المنحرفة التي تلهث وراء الحلول الاستسلامية مع العدو، وتقبل «بمقايضة الأرض بالسلام» ونعتبر ذلك خيانة لدماء الشعب الفلسطيني المسلم، ولقضية فلسطين المقدسة. . .

ومن جهة أخرى فإن الدعوة اليهودية التي أطلقت اخيراً، للاستطيان في جنوب لبنان، وكذلك هجرة اليهود الأثيوبيين وغيرهم، إلى داخل فلسطين المحتلة، ننظر إليها على أنها جزء من المشروع الإسرائيلي التوسعي في العالم الإسلامي. . ومؤشر فعلي على الخطر الناجم من الاعتراف بهذا الكيان، أو التعايش معه. . .

المقاومة الإسلامية المتصاعدة

وحين نتحدث عن إسرائيل الغاصبة، لا بد أن نتوقف عند ظاهرة المقاومة الإسلامية، التي انطلقت من المناطق اللبنانية المحتلة، لتفرض تحولاً تاريخياً وحضارياً جديداً، على مجرى الصراع ضد العدو الصهيوني. . .

فالمقاومة الإسلامية المشرفة، التي سطرت ولا تزال أروع الملاحم والبطولات ضد قوات الغزو الصهيوني، وحطمت بإيمان مجاهديها أسطورة إسرائيل التي لا تقهر، واستطاعت أن توقع الكيان الغاصب في مأزق حقيقي، من جراء الاستزاف اليومي له، عسكرياً وبشرياً واقتصادياً، مما اضطر قادته أن يعترفوا بقساوة المواجهة التي يلقونها، على أيدي المسلمين. . .

هذه المقاومة الإسلامية، لا بد أن تتواصل وتنمو وتتصاعد، بعون الله تعالى، وأن تلقى من المسلمين جميعاً، في أقطار العالم كافة، كل الدعم والتأييد والمساندة والمشاركة، حتى تستطيع أن تجتث الجرثومة السرطانية وتقتلعها من الوجود.

وإذ نصر على تأكيد إسلاميتها، فإنما يكون ذلك انسجاماً منا مع واقعها، الذي يبدو واضحاً أنه إسلامي، في الدافع والهدف والمسلك وعمق المواجهة. . وهذا لا يلغي وطنيتها أبداً، بل

يؤكدها . . . على العكس مما لو طمست إسلاميتها، فإن وطنيتها تصبح هشة إلى حد كبير.

نداء من أجل مشاركة إسلامية واسعة

إننا ننتهز الفرصة لنوجه نداء حاراً، إلى جميع أبناء المسلمين في العالم، ندعوهم من خلاله إلى مشاركة إخوانهم في لبنان، بشرف القتال ضد الصهاينة المحتلين، إما مباشرة، أو من خلال دعم المجاهدين ومساعدتهم. . ذلك أن مقاتلة إسرائيل هي مسؤولية كل المسلمين، في الأقطار والمناطق كافة، وليست مسؤولية أبناء جبل عامل والبقاع الغربي وحدهم. . .

لقد استطاعت المقاومة الإسلامية، بدماء شهدائها وجهاد أبطالها، أن ترغم العدو، ولأول مرة في تاريخ الصراع ضده، على اتخاذ قرار بالتراجع والانسحاب من لبنان. . . دون أي تأثير أمريكي أو غيره، بل على العكس تماماً. . فإن قرار الانسحاب الإسرائيلي أظهر قلقاً أمريكياً حقيقياً، وشكل نقطة انعطاف تاريخية في مجرى الصراع ضد الصهاينة الغاصبين.

وأثبت المجاهدون. . . من خلال مقاومتهم الإسلامية التي شاركت فيها النساء، حيث سلاحهن الحجارة والزيت المغلي، والأطفال، حيث سلاحهم الصراخ والقبضات العارية. . . والشيوخ، حيث سلاحهم الجسد الضعيف والعصا الغليظة. . . والشباب حيث سلاحهم البندقية والإرادة الصلبة المؤمنة. . هؤلاء جميعاً أثبتوا أن الأمة، إذا ما تركت تدبر أمرها بحريتها، قادرة على أن تصنع المعجزات، وتغيّر المتوهّم من الأقدار.

سياسة الارتزاق الحكومي والتفاوض الخياني

ونتوقف قليلاً عند الاستعراضات الحكومية التي تبرز في المواسم، محاولة أن توهم الناس بمشاركة الحكم في دعم المقاومة ضد الاحتلال لنعلن بوضوح.

إن الدعم الإعلامي والكلامي، بات شعبنا يمجّه ويحتقر أصحابه. . وإن صدرت بعض التصريحات، عن بعض أركان الحكم القائم، فلا يتوهمن أحد أن الجماهير في غفلة، عن أن هذه التصريحات لا تمثل موقف الحكم برمّته، خصوصاً وأن الحكم ليس في وارد أن يزج جيشه، لينال شرف المشاركة في التحرير. .

أما في الدعم المالي للمقاومة، فليس ذا قيمة إذا لم يصل إلى أيدي المجاهدين، سلاحاً وذخيرة ونفقات قتال، وما شابه. .

وإن شعبنا يرفض سياسة الارتزاق، على حساب المقاومة، وسيأتي يوم يحاكم فيه كل الذين تاجروا بدماء الشهداء الأبطال، وبنوا لأنفسهم أمجاداً على حساب جروح المجاهدين. .

ولا يمكننا إلا أن نؤكد أن سياسة التفاوض مع العدو ، هي خيانة كبرى، للمقاومة التي

يدعي النظام دعمها وتأييدها. . وإن إصرار الحكم على دخول المفاوضات، مع العدو لم يكن إلا مؤامرة تستهدف الاعتراف بشرعية الاحتلال الصهيوني، ومنحه امتيازاً على ما ارتكبه من جرائم بحق المستضعفين، في لبنان. .

ونقول استطراداً. . . إن المقاومة الإسلامية التي أعلنت رفضها الالتزام بأية نتيجة تصدر عن المفاوضات، تؤكد على استمرار الجهاد حتى جلاء الصهاينة عن المناطق المحتلة، كمقدمة لإزالتهم من الوجود. .

القوات الدولية. . والدور المشبوه

وإن القوات الدولية التي يسعى الاستكبار العالمي لإحلالها على أراضي المسلمين في المناطق التي سينسحب منها العدو، بحيث تشكل حاجزاً أمنياً يعرقل تحرك المقاومة، ويحفظ أمن إسرائيل وقواتها الغازية. . . هي قوات متواطئة ومرفوضة. . . وقد نضطر إلى معاملتها كما نعامل قوات الغزو الصهيوني، على حدّ سواء. .

وليعلم الجميع أن التزامات النظام الكتائبي المفروض، لا تلزم، بأي شكل من الأشكال، مجاهدي المقاومة الإسلامية، وعلى الدول أن تفكر ملياً قبل أن تتورط في المستنقع الذي غرقت فيه إسرائيل. . .

أنظمة الانهزام العربي

وأما الأنظمة المتهافتة على الصلح مع العدو الصهيوني، فهي أنظمة عاجزة وقاصرة عن مواكبة طموح الأمة وتطلعاتها. . ولا تستطيع أن تفكر بمواجهة الكيان الصهيوني الغاصب لفلسطين، لأنها نشأت في ظل وصاية استعمارية، كان لها الدور الأكبر في تكوين هذه الأنظمة المهترئة. .

إن بعض الحكام الرجعيين، خصوصاً في الدول النفطية، لا يتورعون عن أن يجعلوا من بلدانهم قواعد عسكرية لأمريكا وبريطانيا، ولا يخجلون من الاعتماد على خبراء أجانب، يعيّنونهم في مناصب رسمية عليا، وينفذون ما تقرره لهم دوائر «البيت الأبيض» من سياسة تهريب الثروات وتوزيعها على المستعمرين، بأساليب شتى.

ويدّعي بعضهم أنه حامي الشريعة الإسلامية، ليغطي خيانته، وليبرّر استسلامه لإرادة أمريكا، وفي الوقت نفسه، يعتبر عبور كتاب إسلامي ثوري واحد إلى بلاده أمراً محرماً وممنوعاً.

ونتيجة لسياسة الانهزام التي تتبعها هذه الأنظمة الرجعية تجاه إسرائيل، فقد استطاعت هذه الاخيرة أن تقنع الكثيرين منها، بأنها أصبحت أمراً واقعاً، لا مجال لعدم الاعتراف بها، فضلاً عن الإقرار بضرورة الالتزام بتوفير أمنها. .

وسياسة الانهزام هذه هي التي شجعت السادات المقبور أن يرتكب خيانته الكبرى، فيبادر إلى مصلحة إسرائيل، وتوقيع معاهدة الذل معها. . .

وسياسية الانهزام هذه هي التي تحكم الآن تحرك مجلس التعاون الخليجي، ومحور الأردن ـ مصر والعراق والمنظمة العرفاتية. .

وسياسة الانهزام أمام أمريكا، هي التي توجه موقف الحكام الرجعيين، من الحرب العدوانية المفروضة على جمهورية الإسلام في إيران. . وتقف وراء الدعم غير المحدود لصدام العملي، على مستوى التمويل والتموين الاقتصادي والعسكري، ظناً منهم أن النظام التكريتي المتصهين يمكنه أن يقضي على الثورة الإسلامية، ويمنع من انتشار وهجها الثوري ومفاهيمها.

وسياسة الانهزام هذه، هي التي تدفع الأنظمة الرجعية إلى تجهيل الناس، وتمييعهم وتذويب شخصيتهم الإسلامية، وقمع أي تحرك إسلامي مناهض لأمريكا وحلفائها في بلادهم، كما أنها هي التي تدفعها إلى الخوف من يقظة المستضعفين، ومنعهم من التدخل في شؤون السياسة، لما في ذلك من خطر كبير على بقاء تلك الأنظمة ناتج عن وعي الشعوب على فساد حكوماتها وارتباطاتها المشبوهة، وعن تعاطف هذه الشعوب مع حركات التحرر، في كل أنحاء العالم الإسلامي والعالم. . .

إننا نجد في الأنظمة العربية الرجعية ما يشكل حاجزاً، أمام تنامي وعي الشعوب الإسلامية ووحدتها، ونعتبرها مسؤولة عن عرقلة المحاولات التي تستهدف إبقاء الجرح مفتوحاً، والصراع مستمراً مع العدو الصهيوني. .

وأملنا كبير بالشعوب المسلمة التي بدأت تبدي تذمرها بوضوح، في معظم البلاد الإسلامية، واستطاعت أن تتسلل إلى عالم الثورات، لتستفيد من تجاربها، وخصوصاً من الثورة الإسلامية الظافرة. . . وسيأتي اليوم الذي تتساقط فيه هذه الأنظمة الهشة، أمام قبضات المستضعفين، كما تساقط عرش الطاغوت في إيران.

ولا بد ونحن نخوض معركة شرسة، ضد أمريكا وإسرائيل ومخططاتهما في المنطقة، إلا أن نحذّر هذه الأنظمة الرجعية من العلم، بالشكل المعاكس لتيار الأمة الناهض والمقاوم للاستعمار والصهيونية، وعليها أن تتعلم، من المقاومة الإسلامية في لبنان، دروساً كبيرة في الإصرار على مقاتلة العدو، حتى إلحاق الهزيمة به.

كما أننا نحذر هذه الأنظمة من التورط بمشاريع استسلام جديدة، وبمشاريع عدوانية تستهدف الثورة الإسلامية الفتية. . لأن ذلك سيؤول بأقطاب هذه الأنظمة إلى المصير نفسه الذي لاقاه أنور السادات، ومن قبله نوري السعيد وغيرهما.

جبهة عالمية للمستضعفين

ونتوجه إلى جميع الشعوب العربية والإسلامية، لنعلن لها أن تجربة المسلمين، في إيران الإسلام، لم تبق عذراً لأحد، حين أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك، أن الصدور العارية المدفوعة بإرادة الإيمان قادرة، بعون الله الكبير، أن تحطم كل حديد الأنظمة الطاغوتية وجبروتها. . .

لذا فإننا ندعو هذه الشعوب، لتوحد صفوفها وترسم أهدافها وتنهض، لكسر القيد الذي يطوّق إرادتها، وتسقط الحكومات العملية التي تتسلط عليها. . .

ونلح على جميع المستضعفين في العالم، بضرورة تشكيل جبهة عالمية لهم تضم جميع حركاتهم التحررية، بهدف التنسيق فيما بينها تنسيقاً كاملاً شاملاً، من أجل تأمين الفعالية لتحركها، والتركيز على نقاط ضعف أعدائها. .

فإذا كان العالم المستعمر، بدولة وأنظمته كافة، يجتمع اليوم على حرب المستضعفين. . . فإن على المستضعفين أن يجتمعوا، لمواجهة مؤامرات قوى الاستكبار في العالم.

وعلى كل الشعوب المستضعفة، وخصوصاً الشعوب العربية والإسلامية أن تدرك بأن الإسلام وحده هو المؤهل ليكون الفكر المقاوم للعدوان، بعدما أثبتت التجارب أن كل الأفكار الوضيعة قد طويت إلى الأبد، لمصلحة التوافق الأمريكي مع السوفيات وغيرهم.

وقد آن الأوان لندرك أن كل الأفكار الغربية، عن أصلة الإنسان وفطرته، لا يمكن أن تستجيب لطموحاته، أو تنقذه من ظلمات الضلال والجاهلية. . .

ووحده الإسلام يحقق نهوض الإنسان وتقدمه وإبداعه لأنه ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ﴾.

الله الله في وحدة المسلمين

يا أيتها الشعوب المسلمة

حاذري من الفتنة الاستعمارية الخبيثة التي تستهدف تمزيق وحدتك، لتزرع الشقاق فيما بينك، وتثير العصبيات المذهبية، السنية والشيعية.

واعلمي، أن الاستعمار ما استطاع أن يسيطر على ثروات المسلمين، إلا بعد أن سعى في صفوفهم تمزيقاً وتفريقاً. . ويثير السنة على الشيعة، ويحرّض الشيعة على السنّة، وأوكل هذه المهمة، فيما بعد، إلى عملائه من حكم البلاد حيناً، ومن علماء السوء أحياناً، ومن الزعامات التي سلطها على رقاب العباد.

فالله الله في وحدة المسلمين. . . فإنها الصخرة التي تتحطم عليها خطط المستكبرين، والمطرقة التي تسحق مؤامرات الظالمين. .

فلا تدعوا لسياسة «فرق تسد» أن تمارس في بلادكم، وقاوموها بالالتفاف حول القرآن الكريم:

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ﴾.

﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾.

يا علماء الإسلام

وأنتم يا علماء الإسلام

فإن مسؤوليتكم كبيرة جداً، بحجم المصائب التي تحلّ بالمسلمين. . . وأنتم خير من يقوم بواجبه، في قيادة الأمة نحو الإسلام. . . وفي توعيتها على ما يخطط الأعداء للسيطرة عليها ونهب ثرواتها واستعبادها.

ولا شك أنكم تدركون، أن المسلمين ينظرون إليكم، بصفتكم حملة الأمانة من رسول الله (ص) وبصفتكم ورثة الأنبياء والمرسلين. . فكونوا الأمل والقدوة الحسنة، في المجاهرة بالحق والوقوف بوجه الطغاة والمتجبرين، وكونوا القدوة في الترفع عن بهارج الحياة الدنيا وزخرفها، والتوق إلى الجنة والشهادة في سبيل الله. . .

ولكم في رسول الله أسوة حسنة، حيث كان يجوع مع الناس، ويشبع مع الناس، وكان يؤم المصلين في المسجد، ويتقدم صفوفهم في ساحات الجهاد. . .

وكان ملجأ في المهمات، يستدفئون بتوجيهاته وحلوله، وينقادون له واثقين مطمئنين. . .

يا علماء الإسلام. .

إن الإمام الخميني القائد أكد مراراً على ضرورة صلاح العالم، واهتمامه بتزكية نفسه قبل الآخرين، وقال في أكثر من مقام: «إن الناس إذا عرفوا أن صاحب حانوت غير صالح، فيقولون: إن فلاناً غير صالح، وإذا عرفوا أن تاجراً يغش الناس، فيقولون: إن فلاناً غشاش، أما إذا عرفوا أن عالم الدين ـ لا سمح الله ـ غير صالح، فإنهم سيقولن: إن الدين غير صالح».

فيا علماء الإسلام. . .

لهذا الأمر وغيره. . . فإن مسؤوليتكم كبيرة جداً، فاستعينوا بالله على القيام بها، وادعوا الله

عزّ وجلّ بدعاء الإمام علي (ع): «اللهم إنا لا نسألك حملاً خفيفاً، بل نسألك ظهراً قوياً» وستجدون الأمة خير مستجيب لنداءتكم وتوجيهاتكم وقيادتكم. . .

وأعلموا أن موقعيتكم في الأمة، قد عرف المستعمر أهميتها، ولذا فإنه وجه أقوى طعناته إلى صدور العلماء المجاهدين. . فدبّر مؤامرة شيطانية لإخفاء الإمام السيد موسى الصدر، بعدما أحسّ أنه عقبة كأداء، في وجه مخططاته العدوانية. . وقتل الفليسوف الإسلامي الشيخ مرتضى مطهري. . وأعدم المرجع الإسلامي الكبير آية الله السيد محمد باقر الصدر، حيث أحس منه بخطورة موقفه الذي جسده بهذه الكلمات: «ذوبوا في الإمام الخميني كما ذاب في الإسلام» وها هو يتربص الدوائر بكل عالم ديني يقوم بواجبه الإسلامي خير قيام. .

ومن ناحية أخرى، راح الاستعمار يخترق المسلمين، بوعّاظ للسلاطين لا يخافون الله، ويفتون بما لا مجال فيه للفتوى، فيجيزون الصلح مع إسرائيل، ويحرّمون قتالها، ويبررون خيانة الحكام الظالمين. .

وما كان المستعمر ليفعل ذلك لولا أهمية تأثير العالم الديني على الناس. . .

ومن هنا، فإن من أهم مسؤولياتكم يا علماء الإسلام، أن تربوا المسلمين على الالتزام بأحكام الدين، وتوضحوا لهم الخط السياسي الذي يسيرون على هديه، ويقودهم نحو العزة والرفعة. . . وتهتموا بالحوازت العلمية، حيث تستطيع أن تخرّج قادة مخلصين لله، وحريصين على نصرة الدين والأمة.

كلمة أخيرة حول المنظمات الدوليّة

واخيراً، لا بدّ من كلمة حول المنظمات والهيئات الدولية، كمنظمة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن الدولي وغيرهما. . .

فإننا نسجّل إن هذه المنظمات ليست منبراً للأمم المستضعفة، بشكل عام، وتبقى عديمة الفاعلية، بسبب هيمنة دول الاستكبار العالمي على قراراتها، إجراء أو تعطيلاً. . .

وما حق النقض ـ الفيتو ـ الذي تحظى به بعض الدول إلا دليل على صحة ما نقول. . .

ومن هنا، فإننا لا نتوقع أن يصدر عن هذه المنظمات ما يخدم مصلحة المستضعفين، وندعو كل الدول التي تحترم نفسها إلى تبني مشروع إلغاء حق النقض ـ الفيتو لدول الاستكبار. . .

كما ندعوها إلى تبني مشروع طرد إسرائيل من الأمم المتحدة، باعتبارها كياناً غاصباً وغير مشروع، فضلاً عن كونه معادياً للنزعة الإنسانية.

أيها المستضعفون الأحرار . . .

هذه هي تصوراتنا وأهدافنا، وهذه هي القواعد التي تحكم مسيرتنا . . .

فمن قبلنا بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن ردّ علينا، نصبر حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الظالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حزب الله

١٦ شباط ١٩٨٥

من موقع الإحساس بالمسؤولية الشرعية، إزاء شعبنا المستضعف في لبنان، وإزاء قضاياه المصيرية الكبرى، ومطالبه الحياتية المهملة، وفي ضوء قراءة واعية وعميقة لطبيعة الواقع المتردي في البلاد، وحجم التحولات الدولية وأثرها المحلي، وضرورة التصدي المباشر لما يحاك ضد أهلنا من مؤامرات تستهدف أرضهم وحقوقهم وكراماتهم، واستناداً إلى تشخيص واقعي لحجم المخاطر المحتملة، والفرص المتاحة أمام الإسلاميين، للقيام بدور أساسي في تجاوز المنزلقات، وتعزيز مسيرة المشروع الإسلامي، وتحصين خطواته وتثميرها، وانسجاماً مع المعطيات الفقهية التي تمثل لنا هادياً ومرجعاً ودليلاً.

وتقديراً منا لضرورة التعبير الصادق عن تطلعات شعبنا وآلامه وآماله وطموحاته، ونزولاً عن ثقة هذا الشعب بمصداقية حزب الله، وعظيم تضحياته وحرصه على المصلحة العامة، والتزامه المبدئي الحازم.

عقدنا العزم متوكلين على الله، وقررنا المشاركة في العملية الانتخابية، على أساس برنامج سياسي شامل، سيكون مرشحونا ملزمين بالسعي الدؤوب من أجل تحقيق بنوده... طالبين من شعبنا الالتفاف حوله ومتابعته..

أيها اللبنانيون الشرفاء..

أيها المستضعفون الأعزاء..

متغيرات دولية كبرى عصفت بكيانات، وأسقطت أنظمة، وغيرت معالم سياسات وتحالفات، وفي الوقت الذي لا يزال العدو الصهيوني جاثماً فوق جزء عزيز من أرضنا، في الجنوب والبقاع الغربي، في أبشع صور الغزو والابتزاز، فيما المشروع الاستكباري، بزعامة أمريكا، يواصل رهانه على إخضاع لبنان والمنطقة، وتمرير صفقة الاعتراف بشرعية الكيان الصهيوني، وتطبيع العلاقات معه، وتذويب الهوية الحضارية لشعوب المنطقة، وربط مصيرها بعجلة الاقتصاد وآلة التصنيع الغربي، وما تستلزمه من نهب ثروات، وفرض أنظمة، وتنفيذ برامج.

في مثل هذه الظروف، يجري الاستعداد في لبنان، لإجراء أول انتخابات نيابية من عشرين عاماً، ويواجه اللبنانيون استحقاقاً تاريخياً كبيراً يتصل بمحاولات رسم الصورة المستقبلية، للوضع السياسي العام في البلاد، سواء على مستوى بنية النظام الجديد، أو على مستوى دوره وأدائه وعلاقاته.

وإذا كان من المفترض أن يسهم إجراء الانتخابات النيابية، في إيجاد صيغة جديدة للنظام تنبذ الطائفية السياسية، وتؤسس للدولة التي تجسد إرادة الشعب اللبناني، فإن قرار حزب الله، بالمشاركة مع إخوانه وأصدقائه، في خوض هذه الانتخابات، يبقى مستنداً إلى ثوابته المبدئية والسياسية، التي أكدها على الدوام، بدماء شهدائه وتضحيات مجاهديه، وعذابات أسراه ومعتقليه وجرحاه، وآهات عوائل الشهداء والمستضعفين وضحّى من أجلها خيرة قادته ومجاهديه، وعلى رأسهم سيد شهداء المقاومة الإسلامية السيد عباس الموسوي وزوجته وطفله وشيخ الشهداء الشيخ راغب حرب، والسيد الشهيد عبد اللطيف الأمين، وشيخ الأسرى والمعتقلين الشيخ عبد الكريم عبيد، وغيرهم من أبطال قافلة الشهادة والمقاومة التي طردت الاحتلال الصهيوني، وفرضت عليه الهزيمة والانسحاب، دون قيد أو شرط، لأول مرة في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي ضده، وأعادت للأمة الأمل بالنصر والثقة بنفسها، ومنحت لبنان فرصة التقاط أنفاسه، وحلحلة أزمته بعيداً عن أصابع التدخل الصهيوني المباشر.

ولقد ترسخت هذه الثوابت في نفوس شعبنا، حتى صارت مسلكاً جهادياً وسياسياً يومياً يتمحور حول هدفين أساسيين هما:

١ ـ تحرير لبنان من الاحتلال الصهيوني، ومن التبعية للنفوذ الاستكباري.

٢ ـ إلغاء الطائفية السياسية.

ولقد كان لحزب الله الدور الأساس، في إنجاز خطوات مهمة على هذين الصعيدين، وبات عليه أن يستكمل، بالتعاون مع الآخرين المخلصين، الخطوات اللازمة لإنجاز التحرير الكامل، وتعزيز مسيرة السلم الداخلي، على قاعدة من الوفاق السياسي، بعيداً عن النزعات الطائفية البغيضة والعصبيات الفئوية الضيقة، وإزالة آثار الحرب المدمرة ومعالجة أسبابها ونتائجها، بموضوعية ومسؤولية لا يشعر معهما أحد بغبن، ولا تتكرس لأحد امتيازات.

واليوم، إذ ينطلق حزب الله بالمشاركة في الانتخابات النيابية في لبنان، فإنه يحاول، من جهة، رفع مستوى العمل السياسي، سواء لجهة اعتماد الترشيح، على أساس البرنامج الملتزم قضايا الناس بصدق وجدّية، أو لجهة اختيار مرشحيه، بعيداً عن مقاييس الاستنساب الفئوي الضيّق الذي طالما كان يعمّق روح الانقسام في صفوف شعبنا، أو لجهة الأداء المسؤول الذي يتجسد اهتماماً دائماً وسهراً متواصلاً، على مصالح الشعب وقضاياه، ومصداقيةً في القول والعمل، وإخلاصاً في التحرك والمتابعة، وحرصاً أكيداً على حقوق المواطنين، والانتصار لهم، والدفاع عن أرضهم، وصون عزتهم وكرامتهم.

وليس لمرشحي حزب الله رغبة منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، وإنما التزام بتكليف شرعي أمام الله عز وجل، من أجل حفظ البلادُ وتأمين مصالح العباد، وتحقيق

الأهداف التي قضى في سبيلها الشهداء المجاهدون. . .

ومن هنا، فإنهم سيلتزمون العمل الجاد والدؤوب، سواء داخل المجلس النيابي أو خارجه، لتحقيق الأهداف التالية في المجالات المختلفة:

على الصعيد السياسي العام:

أولاً ـ المقاومة:

إن الحفاظ على لبنان الواحد، وانتمائه الحضاري، إلى محيطه الإسلامي والعربي، يستوجب منا التزام خيار المقاومة ضد الاحتلال الصهيوني، حتى تحرير كامل التراب المحتل، التزاماً جدّياً، خصوصاً بعدما ثبت عملياً أن المقاومة قادرة على تفويت الفرص أمام الغزاة، لفرض أمر واقع سياسي ضد مصلحة لبنان واللبنانيين، وبعدما بات واضحاً أن المقاومة هي الخيار الوحيد الذي يقطع الطريق أمام العدو، لابتزاز التنازلات تلو التنازلات، فضلاً عما تمثله المقاومة من مدخل طبيعي لتحرير البلاد، وصون وحدتها ووحدة أبنائها.

وهذا الخيار يتطلب السعي لما يلي:

أ ـ التزام خيار المقاومة، وتكفّل المقاومين، وتيسير سبل جهادهم، وتوفير الاحتضان السياسي الرسمي والشعبي لهم.

ب ـ وضع البرامج التي توجّه القدرات والإمكانات، من أجل الدفاع عن أهلنا وشعبنا، وبناء مجتمع الصمود والمقاومة، خصوصاً في مناطق الجنوب والبقاع الغربي، على كل الصعد والمستويات.

ج ـ مساهمة الدولة، بجميع مؤسساتها، خصوصاً مؤسسة الجيش، في عملية التحرير والدفاع عن الأرض والشعب والكرامة.

د ـ الاهتمام الجدي والعملي بمنطقة الشريط المحتل، واتخاذ الإجراءات اللازمة والمناسبة لإحباط مخطط التطبيع الصهيوني القائم.

هـ ـ حض السلطة على ضمان حياة الأسر والعوائل التي فقدت معيلها، سواء في المعتقلات، أو نتيجة الاعتداءات الصهيونية، أو تلك التي أصيب معيلها بعاهة دائمة.

و ـ تبني قضية الرهائن والمعتقلين اللبنانيين في سجون العدو الصهيوني وعملائه، والتحرك الجاد من أجل تأمين إطلاق سراحهم.

ز ـ رفض وإدانة كل محاولة للصلح مع الكيان الصهيوني القائم أصلاً على العدوان، والغاصب لأراضي الغير، والسعي الدائم لإحباط كل محاولة للتطبيع معه.

ثانياً ـ إلغاء الطائفية السياسية:

إن الطائفية السياسية هي إحدى أكبر العلل الأساسية، لفساد النظام القائم في لبنان، ولكل المآسي والكوارث، الثقافية والسياسية والأمنية والاجتماعية والإنمائية، التي لحقت بالشعب اللبناني، وهي المدخل الخبيث لقوى الاستكبار الطامعة، من أجل التدخل في شؤون لبنان والعبث بمصيره ومستقبل أبنائه، ومن أولى مهام مرشحي حزب الله متابعة الجهود الحثيثة، بالتعاون مع جميع الأصدقاء والمخلصين، من أجل إلغائها، خلال الدولة الدستورية الواحدة للمجلس النيابي المزمع انتخابه.

ثالثاً ـ قانون الانتخاب:

تعديل قانون الانتخاب، بما يتيح للشعب اللبناني اختيار ممثليه من خلال أوسع قاعدة ممكنة، وذلك عبر اعتماد:

- لبنان دائرة انتخابية واحدة.
- اعتماد سن الـ١٨ للناخب.

رابعاً ـ الحريات السياسية والإعلامية:

- ضمان حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية، واحترام وحرمة الأديان السماوية.
- تشريع القوانين التي تكفل حرية العمل السياسي.
- تنظيم الإعلام في إطار ما يلي:

أ ـ انسجام أداء الوسائل الإعلامية مع هوية لبنان وانتمائه الحضاري.

ب ـ التزام حرمة الآداب العامة والأخلاق.

ج ـ حفظ حق الإعلام الخاص، بالعمل وفق المشار إليه أعلاه، دون وصاية من السلطة.

خامساً ـ الجنسية:

- وضع قانون عصري للجنسية، يتجاوز الاعتبارات الطائفية والمحسوبيات السياسية، ويتيح لجميع المستحقين لها حكماً للحصول عليها، دون تمييز أو ابتزاز فئوي أو عرقي أو مذهبي.
- منح الجنسية لأبناء القرى السبع ولعرب وادي خالد.

سادساً ـ المهجرون:

- تأمين العودة الشاملة لجميع المهجرين.

- إيجاد الحلول لمهجري الشريط المحتل.
- وضع خطة إنمائية شاملة لجميع مناطق المهجرين.

على الصعيد الإداري والاجتماعي والتربوي:

ضرورة إصلاح البنى التحتية في المجال الإداري والتربوي والاجتماعي والإنمائي في البلاد، إضافة إلى العديد من القضايا الملحة على هذه الصعد، والتي تطلب تضافر جهود الجميع، من أجل تلبيتها وتحقيقها.

أولاً ـ على المستوى الإداري:

أ ـ إلغاء طائفية الوظيفة.

ب ـ اعتماد الكفاءة والمباراة، كأساس لاختيار الموظفين، بدل المحسوبيات.

ج ـ تأهيل دوري للموظفين، بحسب مقتضيات التطور التقني.

د ـ تعزيز وضع التفتيش الإداري.

ثانياً ـ على المستوى الإنمائي:

أ ـ حماية المنتجات المحلية، وتنمية الموارد الذاتية، عبر دعم القطاعين الزراعي والصناعي، وتأمين أسواق خارجية لها.

ب ـ تنمية البنى التحتية للمناطق المستضعفة، وتحسين خطوط المواصلات والاتصالات والمياه والكهرباء.

ج ـ تأمين فرص العمل لكل اللبنانيين، وحماية اليد العاملة.

د ـ دعم الإنتاج الحيواني، ومساعدة صيادي الأسماك، وتشجيع الحرف اليدوية.

هـ ـ ترشيد الزراعة، واستحداث المراكز والتعاونيات والمختبرات الزراعية اللازمة.

و ـ تطوير المناطق المحرومة، لتصل إلى مستوى المناطق المزدهرة من لبنان، على أن يعتمد بعد ذلك مبدأ التوازن في الإنماء.

ثالثاً ـ على المستوى التربوي والثقافي:

أ ـ تعزيز التعليم الرسمي، بمراحله وقطاعاته كافة، لا سيما القطاع المهني.

ب ـ تحقيق إلزامية التعليم، حتى المرحلة المتوسطة على الأقل.

ج ـ تدعيم الجامعة اللبنانية، وخصوصاً الكليات التطبيقية.

د ـ رعاية المتفوقين، وتعزيز البحوث داخل الجامعة.

هـ ـ إعادة كتابة مادة التاريخ، وفق منهج موضوعي والتزام معايير الانتماء الحضاري للبنان إلى محيطه العربي والإسلامي.

و ـ تعزيز وحماية التعليم الديني.

ز ـ إعادة تنشيط دور المعلمين في المراحل كافة.

ح ـ تعزيز أوضاع المعلمين المادية والتربوية والعلمية.

ط ـ اعتماد التعريب للمناهج التعليمية.

رابعاً ـ على المستوى الاجتماعي:

ـ تشريع قانون يلحظ شمول الضمان والتعويضات الاجتماعية والصحية لجميع اللبنانيين، بمن فيهم أصحاب المهن الحرة والعمال المياومين وضمان الشيخوخة.

ـ إصلاح المؤسسات المعنية بالتقديمات الاجتماعية والصحية والضمان.

ـ بناء المستشفيات والمراكز الطبية الحكومية، في كل المناطق اللبنانية.

على أساس هذا البرنامج... يتقدم حزب الله، عبر مرشحيه، إلى المجلس النيابي، وهو عاقد العزم على السهر لرعاية مصالح المستضعفين في لبنان، راجياً من الله جل وعلا شأنه القبول والتوفيق، لما فيه رضاه. وأملاً أن يتحقق، على أيدي أبنائه المجاهدين والأوفياء، النصر والعز والتقدم نحو الأفضل، إنه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

حزب الله

تموز ١٩٩٢

باسمه تعالى
البرنامج الانتخابي لحزب الله

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

صدق الله العظيم

أيها اللبنانيون الأوفياء:

استمراراً في نهجنا السياسي الذي يرتكز إلى القيم الإلهية، والتزاماً بانتمائنا الحضاري الرحب بكل ما فيه من تنوع وغنى وإعلاء لقيمة الإنسان وفي إطار من التكامل والتوحد، وانطلاقاً من تعهدنا الأكيد بمصالح الشعب اللبناني في تحرير أرضه في الجنوب والبقاع الغربي، وفي صون أمنه وحقه في حياة كريمة وعيش لائق كما في تطلعه إلى مجتمع سياسي أكثر توازناً وعدالة وأقدر على استيعاب مكامن الخلل الداخلية ومواجهة التحديات الخارجية، وإلى مجتمع أكثر استقراراً.

نستكمل مسيرة العطاء التي لا تعرف حدوداً عطاء الدم وصدق الموقف والكلمة الجريئة والسلوك السياسي النزيه الذي يلتمس التغير بدل الرضوخ للأمر الواقع، ويتجاوز التوازنات بدل السقوط تحت وطأتها، وينشد وطناً فوق الطائفيات، ودولة بلا استئثار واختزال، وإنماء بلا تمييز، ومشاركة بلا إقصاء وتغييب.

وعلى ضوء قراءة واعية لحجم المخاطر والتحديات التي يحفل بها الواقع الإقليمي نتيجة سياسات التسلط الأمريكي والإرهاب الصهيوني.

ومن موقع الإدراك العميق للمرحلة التاريخية التي يمر بها وطننا، في ظل تعثر إنتاج حياة سياسية سليمة، وفي ظل النتائج المخيبة، لأداء مؤسسات الدولة ومحاولات تطويرها المزعومة. وأمام تراجع حالة البلاد الناتجة عن تضافر عوامل عدة تنبع من الطبيعة المختلفة للنظام السياسي اللبناني ومن ممارسات خاطئة لأهل السلطة أدت إلى تعميق واقع الفساد والمحسوبيات وهجرة الكفاءات وتثبيت الانقسامات الطائفية والمذهبية والمناطقية.

على ضوء ذلك كله، وبعد سنوات أربع، كان لنا فيها شرف الإسهام في خدمة اللبنانيين من الموقع النيابي، نخوض اليوم الانتخابات النيابية المقررة بمسؤولية ثابتة وإصرار أكبر على حمل الأمانة التي حملنا إياها شعبنا اللبناني العزيز لنستكمل مسيرة كل الشهداء الأبرار الذين قضوا دفاعاً عن ترابنا

المقدس وعن كرامة شعبنا وحريته ومستقبله ورفاهته. . . وفي طليعتهم سيد شهداء المقاومة الإسلامية السيد عباس الموسوي وشيخ شهدائها الشيخ راغب حرب (رضوان الله عليهم).

وكما كان سيبقى حزب الله باندفاع أكبر ومسؤولية متزايدة حزب المقاومة والتحرير، حزب الصمود والبناء، وحزب التغيير نحو واقع أفضل، وفقاً للبرنامج التالي:

أولاً ـ مقاومة الاحتلال:

لقد أكدت المقاومة الإسلامية عبر مسارها الجهادي التحريري ومنجزاتها الميدانية والسياسية والتي كان من أبرزها الثبات والانتصار في حربين كبيرتين، تموز 1993، ونيسان 1996، إن المقاومة هي الخيار الأوحد لتحرير عزيز بلا شروط وأثمان تنال من السيادة والمقدرات والحقوق، وأنها عنصر توحيد وعزة للبنانيين وضامن رئيسي لأمنهم وحضورهم الإقليمي والدولي، وعليه فإننا نؤكد التالي:

- إننا سنعمل على استمرار المقاومة بقوة وفاعلية حتى تحرير أرضنا المحتلة كاملة وإعادته إلى السيادة الوطنية، وفك أسر أهلنا في الشريط المحتل وتأمين الحياة الحرة والعيش الكريم واللائق لهم بعيداً عن أي حضور مباشر أو غير مباشر للصهاينة الغاصبين. كما سنعمل على مواجهة منطق المفاوضات المسرحية التي تبتغي تثبيت موقعية إسرائيل على حساب أهل الأرض.
- ستبقى حماية المدنيين اللبنانيين في صلب أداء المقاومة، باعتبارها هدفاً جوهرياً ودوراً رئيسياً تؤديه المقاومة بحكمة ووعي ومسؤولية.
- سنسعى بكل حرص على أن يبقى الشعب اللبناني بكل طوائفه وفئاته وبنيه، حاضنة المقاومة وقاعدتها التي تستمد منها قوة وحضوراً، ولن يكون التحرير المنشود بإذنه تعالى إلا هدية للبنانيين جميعاً، وإسهاماً رئيسياً في بناء وطن ذي سيادة كاملة ودولة ذات اعتبار وتقدير في ساحة الصراع الاقليمي والدولي.
- سنواصل السعي لتحقيق المزيد من انخراط الدولة الفعال في عملية التحرير واحتضان المقاومين والأسرى والمعتقلين وعوائل الشهداء وتأمين مقومات الصمود عبر إنشاء وتطوير مؤسسات تعنى بذلك، ودعم كل عمل يصب في خانة محاربة التطبيع والغزو الثقافي، فضلاً عن رفض أي شكل من أشكال الصلح مع العدو.

ثانياً ـ تحقيق المساواة وبناء الدولة العادلة:

إن تحقيق العدالة والمساواة بين اللبنانيين يعتبر من الركائز الأساسية لبناء وطن مستقر، عزيز ومزدهر ينخرط اللبنانيون جميعاً في بنائه باندفاع وتضامن في ظل تكافؤ الفرص وتساوي الجميع أفراداً وفئات ومناطق بالحقوق والواجبات، سياسية كانت أم اقتصادية أم اجتماعية، لذلك سنسعى لمواصلة العمل حتى تحقيق:

- إلغاء الطائفية السياسية التي تشكل مكمن الخلل الجوهري في صيغة النظام السياسي اللبنانية وبنيته المجتمعية، والتي تفرز أغلب مظاهر عدم الاستقرار الداخلي ويشكل على أرضيتها الاضطراب الذي يطبع مؤسسات السلطة وعلاقات الطوائف فيما بينها.
- نظام انتخابي عادل ومتوازن، يساوي بين اللبنانيين جميعاً ويسمح بتمثيل حقيقي ويدفع باتجاه تطوير الواقع السياسي اللبناني، وذلك عبر اعتماد لبنان دائرة انتخابية واحدة مع نظام تمثيل نسبي.
- بناء مؤسسات سياسية حقيقية لا تختزل بأشخاص ولا تجوف بهيمنة جهات أو فئات، ولا توظف لخدمة المحاسيب والأزلام. إن أخطر ما يواجه الدولة ويطيح بمنطقة هو تسييس الإدارة وربطها بالولاءات السياسية بعيداً عن معايير الكفاءة والمساواة.
- تطبيق مبدأ اللامركزية الإدارية عبر قانون متجانس متكافئ يضمن إنجاز تقسيمات إدارية قادرة على تحقيق تنمية فاعلة في المناطق المختلفة وإحياء المجالس البلدية والاختيارية بما يوفر إشراكاً حقيقياً للمجتمع الأهلي في تيسير شؤونه الانمائية والاجتماعية.

ثالثاً ـ على المستوى الاقتصادي:

سنعمل على أن تتبنى الدولة سياسات اقتصادية تعطي الأولوية لتحقيق التنمية البشرية المتكاملة بدل الاقتصار على سياسات اقتصادية مستوردة لا تلحظ في أولوياتها الخصوصيات الاقتصادية والاجتماعية التي أفرزتها الحرب وأدت إلى ازدياد معدلات الفقر والبطالة وتلاشي الطبقة الوسطى التي تعتبر ميزان العدالة الاقتصادية. كما سنعمل لتأمين عدالة في توزيع الضرائب والرسوم والأعباء بين المواطنين بحسب إمكاناتهم المتاحة.

إن المطلوب هو إعادة ترتيب الأولويات الإنمائية ودعم قطاعات الصناعة والزراعة والإنتاج الحيواني وتربيته وصيد الأسماك وتأمين القروض ومستلزمات الإنتاج وحمايته وضمان تصريفه ودعم كل أشكال الإنتاج الحرفي.

إن دور الدولة في العملية الاقتصادية يجب أن يقوم على توفيق دقيق بين ضرورة تفعيل القطاع الخاص وازدهار حركته واستثماراته وبين ضرورة عدم التخلي عن مسؤوليات الدولة اتجاه المواطنين والمرافق العامة، وخصوصاً لجهة دعم الصمود في مناطق المواجهة للاحتلال الصهيوني.

رابعاً ـ على المستوى التربوي والنقابي:

إن المطلب المزمن المتمثل بتعزيز التعليم الرسمي وإصلاحه لم يأخذ مجراه التطبيقي بجدية وفاعلية لغاية اليوم. لذا من الضروري بمكان السعي لتعزيز وتطوير التعليم الرسمي مدرسة ومعلماً وإدارة. كما أن تطوير هيكلية التعليم يجب أن يتبع بسياسة تجديد المناهج التعليمية وتحديثها بما

يتلاءم مع ضرورات العصر، وإنجاز صياغة كتاب التاريخ على أسس موضوعية والعمل على دفع الاهتمام بالتعليم المهني إلى الأمام مع ضرورة ربطه بحاجات السوق اللبنانية.

وإن النهوض بالجامعة اللبنانية مطلب حيوي سنعمل لتحقيقه عبر تحديث برامجها وتوحيد فروع العاصمة والمناطق المحيطة بها وتعزيز فروع الأطراف وإحياء منح التخصص ورعاية الطلاب المبدعين. وتعزيز العمل البحثي بما يخرج عن الإطار التلقيني المعتمد ويسمح بتنمية الطاقات والكفاءات.

إن تعزيز الحركة العمالية والأطر النقابية ضرورة أهلية وسياسية ويجب أن يتم ذلك بعيداً عن سياسات الضغط والتضييق والترهيب التي تمارسها السلطة في الأزمات والمحطات المفصلية. كما أن أنصاف المعلمين والأساتذة الجامعيين في تنفيذ مطالبهم المختلفة وبعيداً عن سياسة التسويف والتأجيل خطوة ملحة لاستقرار هذين القطاعين. لذا يؤكد حزب الله حرصه على البقاء في الموقع الداعم للحركة النقابية ومدها بأسباب الدعم والقوة الشعبية والسياسية.

خامساً ــ على المستوى الاجتماعي والصحي:

- نؤكد على أهمية دور الشباب في بناء وطنه، وضرورة توفير مقومات تعزيز شخصيته وملء أوقاته بأنشطة هادفة.
- كما أن دور المرأة قائم على أساس أنها النصف الآخر المربي والفاعل والمؤثر في كل الحياة السياسية والتربوية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وعدم التعاطي معها كملحق أو سلعة في دائرة الدعاية والإعلان.
- تعزيز وصيانة وحدة العائلة التي تشكل المدماك الرئيسي في بناء المجتمع الصالح، وتوفير كل الظروف التربوية والاجتماعية لتثبيت هذا الاتجاه.
- استكمال معالجة قضيتي التجنيس والمهجرين بحيث ينال كل ذي حق حقه في الجنسية، ويعود كل مهجر إلى بيته أو قريته عودة عزيزة. مع إيلاء الرعاية والاهتمام بمهجري الشريط المحتل أولوية خاصة.
- إكمال العمل في تعزيز المستشفيات الحكومية والمراكز الصحية وتعميمها وتجهيزها لا سيما في الأطراف والمناطق النائية ومناطق الصمود والمقاومة في الجنوب والبقاع الغربي. وتعميم الاستفادة من الضمان الصحي لتشمل كل قطاعات المجتمع اللبناني.
- تطوير مؤسسات التقديمات الاجتماعية ودعم مؤسسات الرعاية الاجتماعية واعتماد مبدأ ضمان الشيخوخة. وإنشاء المعاهد المتخصصة في معالجة المشاكل والانحرافات الاجتماعية المختلفة.

- ضرورة الاهتمام بإصلاح السجون وتطويرها وإنشاء الاصلاحيات الخاصة بالأحداث والقاصرين وذلك في كل المحافظات اللبنانية.

- تفعيل التشريعات والمؤسسات التي تعنى بحماية الثروات العامة وحماية البيئة واعتماد سياسة تحريج تعيد التوازن للبيئة اللبنانية وتحميها من خطر التصحر، وصيانة الثروات المائية ووضع المشاريع لاستثمارها في المناطق اللبنانية كافة وإنشاء السدود واستصلاح الأراضي لزيادة المساحات الزراعية.

- وضع الخطط الجدية التي تكفل حلاً تدريجياً لأزمة السكن في لبنان واعتبار هذا الموضوع أحد التحديات الكبيرة التي تواجه المجتمع اللبناني وتترك تداعياتها السلبية على مستويات اجتماعية عديدة.

سادساً ـ حماية الحريات العامة:

- العمل بحرص وإصرار على صون الحريات العامة، أي حرية الاعتقاد وحرية العمل النقابي والسياسي، وحرية ممارسة الشعائر الدينية والتعليم الديني، واستكمال عملية تنظيم الإعلام بما لا يمس بالحرية الإعلامية من ناحية ويضمن الحفاظ على الهوية والأخلاق والآداب العامة من ناحية أخرى.

سابعاً ـ على مستوى سياسة لبنان الخارجية:

- الحرص على صيانة العلاقات اللبنانية ـ السورية بصفتها التطبيق العملي لانتماء لبنان العربي، ولأن هذه العلاقات هي عنصر منعة وتحصين رئيسي للبنان إزاء محاولات استفراده في ظل التحديات الإقليمية، كما أن السنوات الماضية أكدت أن هذه العلاقات هي عامل استقرار للصيغة اللبنانية القلقة.

- العمل على تصليب الموقف اللبناني إزاء سياسات الضغط الأمريكي التي تمارس بحقه سياسياً واقتصادياً. ورفض التدخل الأمريكي المستمر في شؤونه الداخلية. والتعاطي مع السياسة الأمريكية على أساس أنها مطابقة وداعمة لمواقف العدو الإسرائيلي الذي يحتل أرضنا ويقتل أطفالنا ويستهدف قرانا باعتداءاته اليومية المستمرة.

- ضرورة اعتماد سياسات جدية وخطط فاعلة للتواصل مع الجاليات اللبنانية في بلاد الاغتراب ورعاية الأطر المنظمة لوجودها. وحمايتها من محاولات استهدافها وإضعافها وضرب حضورها الاقتصادي كما حصل في أكثر من بلد أفريقي. والعمل بفاعلية ودأب لرد الاعتبار للوجود الاغترابي اللبناني والحؤول دون جعله مكشوفاً بلا حماية سياسية أمام التحديات والمؤامرات التي تواجهه.

- التأكيد على بناء علاقات طبيعية ومتكافئة مع الدول العربية والإسلامية وسائر دول العالم على قاعدة الاستقلال وتمتين الأواصر التي تساعد على مواجهة مخططات الاستكبار الأمريكي وتؤمن التعاون الكريم والبناء.

أيها الشعب اللبناني العزيز:

من موقع التمثيل الشعبي مما يعنيه من أبعاد ومسؤوليات شرعية ووطنية وأخلاقية، ومع إدراكنا التام لحجم التعقيدات والعقبات التي يعيشها مجتمعنا اللبناني، ومقدار الحاجة لمدى زمني بعيد لإنجاز كل ما يتطلع إليه شعبنا، يؤكد حزب الله التزام مرشحيه وبذلهم الجهد لتنفيذ هذا البرنامج الانتخابي الذي سيشكل إطاراً للدور السياسي ـ التشريعي لكتلته النيابية.

والله ولي التوفيق

حزب الله ـ صيف ١٩٩٦

الانتخابات فرصة للمشاركة في الحياة البرلمانية ولمواصلة الدفاع عن حقوق شعبنا وبلدنا وقضاياه.

نعمل لمواصلة توفير جهوزية المقاومة والجهوزية الشعبية والموقف الرسمي للدفاع عن الوطن.

العلاقات المميزة مع سوريا عامل قوة للبنان وسوريا في مواجهة التحديات معالجة الأزمة الاقتصادية تحتاج إلى جهود استثنائية عبر خطة إصلاح اقتصادي شاملة.

الاهتمام بالمناطق المحرومة وخاصة في البقاع وعكار، وإيلاؤها الاهتمام اللازم لتنميتها.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾. صدق الله العلي العظيم

يا شعبنا اللبناني الوفي:

استناداً إلى التجربة التي قدمناها في الحياة السياسية اللبنانية، وانطلاقاً من نهجنا الفكري ـ السياسي الواضح والثابت، الذي يرتكز على التزامنا بانتمائنا الحضاري، ويجعل من القيم الدينية الإلهية محور الحياة الإنسانية، ويستهدف توفير السعادة للإنسان بالتلازم مع صيانة كرامته وإعلاء مكانته. . نواصل مسيرة البذل والعطاء والتضحية والإيثار في كل المواقع والميادين، عاقدين العزم على أن نبقى المدافعين عن حقوق شعبنا وبلدنا وقضاياه، وأن نواجه المخاطر والتحديات التي تستهدف أمتنا، وفي طليعتها الغزو الصهيوني ومشاريع الهيمنة الأميركية، حريصين على وحدتنا الوطنية، ومتمسكين بالعيش الوطني الواحد بين كل أبناء العائلات الروحية في لبنان.

من هنا، فإن خوضنا الانتخابات يشكل فرصة بالنسبة إلينا للمشاركة في الحياة البرلمانية اللبنانية ولمواصلة مسيرة الدفاع عن حقوق شعبنا وبلدنا وقضاياه:

أولاً ـ المقاومة والتحرير:

لقد أثبتت المقاومة عبر ثمانية عشر عاماً من العطاء المتواصل والجهاد الدؤوب، وبدماء شهدائها الأبرار، أنها الخيار الوحيد لردع العدوان ومواجهة الأطماع الصهيونية، وصيانة أمن وكرامة شعبنا، وتحرير أرضنا وتحقيق وحدة وطنية حقيقية، ترتكز على إجماع وطني شامل في رفض الاحتلال وعملائه، وفي تأييد المقاومة والالتفاف حولها.

وها هي المقاومة تستعيد أرض الوطن وتفرض موقعه المؤثر في المعادلة الاقليمية والدولية، وتفرض على العدو الصهيوني هزيمة نكراء واندحاراً بائساً لقواته لم تشهد المنطقة مثيلاً له في تاريخ الصراع ضد الكيان الصهيوني. وأثبتت المقاومة من خلال سلوكها الحضاري المتميز أثناء التحرير، إنها على قدر المسؤولية الوطنية الكبرى، وأنها الحريصة على أمن الوطن والمواطنين جميعاً من دون تمييز بين فئاتهم وطوائفهم. وقد حصل هذا الإنجاز العظيم في ظل تعاون رسمي وشعبي ومع الجيش البناني، ما هيّأ مناخاً إيجابياً شاملاً شكل حصانة للانتصار.

ـ فرضت المقاومة نفسها خياراً جدياً يراهن عليه لاستعادة الحقوق وتحرير الأرض المحتلة من دون شروط ومعاهدات سلم مفروضة، وأصبحت نموذجاً تتوق إلى تبنيه والتمثل به كل شعوب المنطقة، وخصوصاً الشعب الفلسطيني المظلوم في داخل فلسطين.

لذا، فمن الواجب العمل على تعميم وتعزيز تجربة المقاومة الإسلامية في لبنان، بهدف استنهاض الأمة وتصليب مواقف حكامها وأنظمتها، ووقف عمليات التطبيع مع العدو الصهيوني، مما يؤدي إلى فرض التراجع على المشروع الأميركي ـ الاسرائيلي الهادف إلى الهيمنة على المنطقة وفرض الشروط والتنازلات على أهلها.

ـ إننا نعمل لمواصلة توفير جهوزية المقاومة والجهوزية الشعبية التامة، ومعهما الموقف الرسمي للدفاع عن الوطن إزاء أي عدوان أو تهديد صهيوني، ولمواصلة قناعتنا وإيماننا في مواجهة العدو الاسرائيلي لإسقاط مخططاته ومشاريعه الخطيرة في منطقتنا.

واستكمالاً لمسيرة المقاومة وأهدافها نؤكد ما يلي:

- دفع الحكومة لإقرار وتنفيذ برنامج إنمائي خدماتي للمنطقة المحررة، والمناطق المحاذية لها، والعمل على إعادة بناء وتنمية البشرية والدورة الاقتصادية وإعادة المهجرين دون تمييز بينهم، وإيلاء قضيتهم العناية الكاملة بعيداً عن الاستعطاف وهدر الكرامات.
- متابعة الجهود الحثيثة والمختلفة لتحرير الأسرى والمعتقلين وأجساد الشهداء الطاهرة، وتفعيل وتطوير الرعاية اللازمة لأسر الشهداء والمحررين من المعتقلات ولجرحى ومعوقي المقاومة.
- الحرص على صيانة حقوقنا ومصالحنا الوطنية كاملة من أجل إنجاز تحرير كامل ترابنا اللبناني، وانتزاع كامل سيادتنا على أرضنا وحقوقنا المائية والأمنية، وعدم التفريط بأي جزء منها وخصوصاً النقاط المختلف عليها ومزارع شبعا.
- مقاومة التطبيع ومناهضة الغزو الثقافي ورفض التعايش مع الغزاة الصهاينة، وعدم إعطاء الشرعية لكيانهم الغاصب، ورفض التوطين تأكيداً لحق الشعب الفلسطيني في العودة إلى كامل أرضه في فلسطين.

ثانياً ــ سياسة لبنان الخارجية:

- العمل على تحصين الموقف اللبناني تجاه السياسة العدوانية للولايات المتحدة الأميركية المنحازة والداعمة دوماً للكيان الصهيوني، التي تغطي كل جرائمه واعتداءاته وإرهابه بحق شعبنا. ورفض التدخل الأميركي المتواصل والمخالف لكل الأعراف واللياقات الدبلوماسية في الشؤون الداخلية اللبنانية.
- اعتبار العلاقات المميزة والمصيرية مع سوريا عامل قوة للبنان ولسوريا معاً في مواجهة التحديات التي تستهدفهما، لا سيما لجهة المخاطر التي يشكلها الكيان الصهيوني.
- اعتماد سياسة حكومية للجاليات اللبنانية في بلاد الاغتراب من أجل رعاية شؤونها وقضاياها، بما يجعل منها عامل قوة للبنان في الخارج، وعامل دعم اقتصادي للبنانيين في الداخل.
- الحرص على تعزيز علاقات لبنان مع الدول العربية والإسلامية والصديقة ودول العالم.
- تأكيد المصالح والتكامل مع الدول العربية اقتصادياً.
- تطوير العلاقة مع الجمهورية الإسلامية في إيران، التي كانت سنداً ودعماً للبنان.

ثالثاً ــ الأزمة الاقتصادية المعيشية:

- إن تفاقم الأزمة الاقتصادية وصل إلى الحد الذي جعل معظم اللبنانيين يواجهون ضائقة معيشية حاد، مما يجعلها تحتاج إلى جهود استثنائية لحلها عبر خطة إصلاح اقتصادي شامل تعتمد تحقيق ما يلي:
- معالجة عجز الموازنة عبر خطة اقتصادية إنمائية شاملة ومتوازنة بين مختلف القطاعات لزيادة الإيرادات وتخفيض النفقات ورفع معدلات النمو.
- ترشيد الإنفاق ومعالجة الدين العام وتخفيض أعبائه.
- السعي لتأمين موارد إضافية للخزينة، وتوفير فرص عمل إضافية.
- اعتماد سياسات مالية ونقدية واقتصادية متجانسة، بهدف تحريك عجلة النمو الاقتصادي وتوفير فرص العمل وتشجيع الاستثمار.
- تنشيط القطاعات الإنتاجية الصناعية والزراعية الوطنية عبر زيادة حصتها من الإنفاق الحكومي، واعتماد سياسات وإجراءات محفزة.
- حماية الإنتاج المحلي والتزام مبدأ التنافس وتعزيز قدرة الدخول إلى الأسواق الخارجية وحماية مصالح المستهلك.
- تنمية الطاقات والكفاءات البشرية عبر خطط وبرامج عصرية للتأهيل والتنظيم والتوجيه.

- الاهتمام بالمناطق المحرومة وخاصة في البقاع وعكار، وإيلاؤها الاهتمام اللازم لتنميتها، لا سيما في الموضوع الزراعي والعمل على:

١ ـ إيجاد خطة لدعم الإنتاج الزراعي.

٢ ـ تأمين التسليف الزراعي وضمان القروض.

٣ ـ إطلاق العمل الفعلي بالمؤسسة العامة للزراعات البديلة في منطقة البقاع، ووضع جدول زمني يتناسب مع حجم الكارثة التي حلت بهذه المنطقة المجاهدة المعطاء.

٤ ـ السعي ومواصلة الجهود لتأمين التمويل اللازم للزراعات البديلة.

٥ ـ تقليص دور الوسيط بين المزارع والمستهلك عبر تفعيل دول التعاونيات الزراعية.

٦ ـ تعزيز مصلحة الإنتاج المحلي وحمايته في الاتفاقات والمعاهدات.

٧ ـ تخفيض كلفة الأدوية والأسمدة والكهرباء والماء.

٨ ـ إيلاء الاهتمام للثروات الطبيعية، وتهيئة الظروف لاستثمارها والبحث عنها لا سيما المياه والبترول.

رابعاً ـ بناء دولة القانون والمؤسسات وتطوير المشاركة السياسية:

من موقع حرصنا على تطوير الحياة السياسية وتحقيق العدالة الاجتماعية بين جميع اللبنانيين دون تمييز، ومن أجل بناء وطن مستقر، ومستقبل واعد تتكافأ فيه الفرص ويتساوى فيه الجميع، أفراداً وفئات ومناطق، بالحقوق والواجبات، سنواصل العمل لتحقيق ما يلي:

- تشكيل الهيئة الوطنية لإلغاء الطائفية السياسية.
- إيلاء الشباب عناية خاصة لتفعيل دورهم في الحياة السياسية والعامة، وإيجاد مراكز متخصصة لتأهيلهم على مختلف الصعد.
- تعزيز دور المرأة وإفساح المجال لها للمشاركة في بناء وتفعيل الحياة العامة.
- اعتماد قانون انتخابات يسهم في تطوير الحياة السياسية، واتساع دائرة التمثيل المرتكزة على البرامج السياسية على قاعدة النظام النسبي، وتخفيض سن الاقتراع إلى الثامنة عشرة لإتاحة الفرصة للشباب للتعبير عن خياراتهم الوطنية الصادقة.
- تعزيز دور الأحزاب ومؤسسات المجتمع المدني والجمعيات والنقابات في الحياة العامة.
- تطوير أجهزة الرقابة والمحاسبة، وتفعيل دورها بعيداً عن سياسات الاستنساب ومواقع النفوذ.
- إنجاز الإصلاح الإداري والسياسي، ومكافحة الفساد والهدر ومنعهما.

- إنجاز قانون اللامركزية الإدارية.
- إقرار قانون جديد وعصري للجنسية.

خامساً ـ في الشأن التربوي والثقافي:

- تعزيز التعليم الرسمي وزيادة فاعلية دور المعلمين وتجهيز مدارسه بالتجهيزات الضرورية لمواكبة تطبيق المناهج التربوية الجديدة وتوفير فرص التحصيل العلمي للطبقات والشرائح كافة، لا سيما الفقيرة منها، وإيلاء المناطق المحرومة العناية اللازمة في هذا المجال.
- إيلاء الاهتمام الجدي للتعليم المهني والتقني وفق متطلبات السوق.
- النهوض بالجامعة اللبنانية وتفعيل دورها وتشجيع الدراسات والبحوث العلمية المتخصصة.
- تشريع إلزامية التعليم الديني كمادة أساسية في المدارس الرسمية والخاصة.
- إحياء الاتحاد الوطني لطلاب الجامعة اللبنانية.

سادساً ـ في الشأن الاجتماعي والصحي:

- إنهاء ملف المهجرين بطريقة عادلة، مع مراعاة الظروف الاستثنائية للمهجرين بفعل الاحتلال والاعتداءات الصهيونية.
- تطوير وتفعيل مؤسسات الرعاية الاجتماعية التي تحتاجها شرائح المجتمع، لا سيما الضمان الاجتماعي، وإعادة النظر بتشريعاته لجهة زيادة حجم التقديمات وتوسيع دائرة الخدمات لتطال مختلف شرائح المجتمع اللبناني، والإسهام من خلال ما لديه من أموال في التنمية الاقتصادية ومعالجة الأزمة الاسكانية.
- زيادة وتوسيع التقديمات الاجتماعية والخدماتية العامة وفق خطة مدروسة لمساعدة الأسر المقيمة في لبنان، لأن ٤٠٪ من هذه الأسر فقيرة أو محرومة وتعيش تحت خط الفقر، فلا بد من توفير فرص العيش الكريم لها.
- معالجة الأزمة الاجتماعية جذرياً وفق رؤية إنمائية واقتصادية شاملة.
- وضع قانون ضمان الشيخوخة موضع التنفيذ، والمساهمة في تطويره لمصلحة المواطن.
- تطوير المستشفيات الحكومية، وجعل الضمان الصحي يشمل كل حالات الاستشفاء للفئات الفقيرة.
- استكمال معالجة الثغرات التي نشأت عن تطبيق مرسوم التجنيس.
- إصلاح السجون وتطويرها وإنشاء الاصلاحيات وتعميمها. وضع ضوابط ملزمة للمحافظة على

القيم والأخلاق والآداب العامة في مختلف المجالات، لا سيما الإعلامية منها، وإطلاق حملات التوعية الوطنية بما يساهم في تخفيض نسبة الجريمة.

- العمل على وضع الخطط العملية الكفيلة بحل المشكلة الاسكانية المستعصية والمتفاقمة.
- وضع الخطط والبرامج اللازمة لتأمين الرعاية الكاملة والحقيقية والآمنة للأطفال.
- تشجيع روح المبادلة والعمل، وحماية فرص العمل أمام اليد العاملة اللبنانية، والسعي لإنهاء أزمة البطالة المتفاقمة.

سابعاً ـ في الشأن البيئي:

- تطوير وتنظيم محطات تكرير المياه المبتذلة واستكمال شبكات الصرف الصحي.
- وضع الخطط العلمية الصحيحة لمعالجة موضوع النفايات الصلبة.
- العمل على المحافظة على الثروات الحرجية، وإطلاق حماية التشجير في مختلف المناطق لمواجهة مشكلة التصحر، وسن القوانين اللازمة لحماية هذه الثروة وإنشاء المحميات الطبيعية.
- تفعيل دور البلديات في الأنشطة البيئية.
- إنشاء الحدائق العامة في مختلف المناطق.
- تعميم المخطط التوجيهي العام للكسارات.
- تفعيل المؤسسات التي تعنى بحماية المستهلك لناحية تشديد الرقابة على المنتجات المحلية والمستوردة، والتأكد من سلامتها وجودتها.
- تشديد الرقابة على كيفية تخلص المصانع من النفايات الصناعية، وسن القوانين التي تحمي البيئة، لا سيما الأنهار والبحر والمياه الجوفية من خطر التلوث.

أيها اللبنانيون الأعزاء:

بالاتكال على الله، وبثقتنا بوفاء وإخلاص ووعي شعبنا المضحي والمعطاء، نخوض هذه الانتخابات مجددين العهد على أن نبذل في المجلس النيابي وخارجه وفي كل موقع من مواقعنا، كل الجهود والامكانيات «لنخدمكم بأشفار عيوننا»، كما قال سيد شهداء المقاومة الإسلامية السيد عباس الموسوي رحمه الله، ولنواصل مسيرتنا معكم لتحقيق كل الأهداف التي نتطلع إليها جميعاً، وفي طليعتها برنامجنا الانتخابي هذا.

والله من وراء القصد.

حزب الله ـ آب ٢٠٠٠

توصيات المؤتمر البلدي لحزب الله

١٦/ ٧/ ٢٠٠٢ بيروت

تنص مبادئ حزب الله على أنّ الناس أساس في حركته ومسؤوليته دفع كل ظلم وحيف عنهم، وخدمتهم وحفظ كرامتهم

ومن أهداف حزب الله تبنّي الفئات المستضعفة والمحرومة وحمايتها والدفاع عنها والعمل على إنهاء الحرمان والتمييز بحق المناطق المحرومة ورفع مستواها على جميع الصعد

الإدارة والتنظيم

١ ـ تحديد النطاق البلدي جغرافياً ـ استناداً للمادة ٤١ من قانون ٦٦٥/ ٩٧ (ملحق رقم ١)، بما يساهم بتنظيم الواقع الإداري.

٢ ـ إيجاد نظام داخلي موحّد للموظفين يلحظ تطور حاجات العمل البلدي.

٣ ـ إعادة النظر بملاك موظّفي البلدية، والهيكلية الإدارية بما يتناسب مع الواقع الديموغرافي الموجود حالياً ومستقبلاً مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار تطوّر علم الإدارة والمكننة.

٤ ـ التشدّد في تطبيق مبدأ الثواب والعقاب واعتماد التقييم الدوري لأداء الموظفين، من خلال بطاقة «تقييم الموظف» واعتبار خدمة المواطنين عمل قانوني من الناحية الوظيفية ورسالة يجب تأديتها من الناحية الأخلاقية.

٥ ـ تأهيل وتدريب وتطوير الكادر الإداري بما يتلاءم مع روح العصر من اتصالات ومكننة وتجهيزات وتسهيل الدور المستندية لمعاملات المواطنين.

٦ ـ اعتماد الكتيب الصادر عن وزارة الداخلية والبلديات، الذي يتضمن متطلبات كافة المعاملات.

٧ ـ اعتماد الشفافية والموضوعية في التعامل مع المواطنين في القرارات والإجراءات.

٨ ـ ضرورة الأرشفة لنشاط الدوائر والأقسام.

٩ ـ المطالبة بتطبيق قانون الضمان الاجتماعي لجهة شموله عمال وموظفي البلديات.

١٠ ـ إصدار نشرة دورية تتضمن إنجازات البلدية ونشاطاتها وأداء الموظفين تجاه عمل المجلس البلدي والتواصل مع المواطنين بكافة الوسائل الإعلامية المتاحة من النشرات الدورية والصحف والإنترنت و . . .

فاعلية المجلس البلدي وتعزيز ثقة الأهالي به

١ ـ الحرص على إلمام أعضاء المجلس البلدي بالقوانين الإدارية والبلدية العامة ومنها: قانون البلديات مرسوم رقم ١١٨ ـ النظام الداخلي للبلدية ـ قانون رقم ٨٨/٦٠ المتعلق برسوم البلدية ـ مرسوم رقم ٥٥٩٥ المتعلق بتحديد أصول المحاسبة في البلديات. .

٢ ـ إن رئيس البلدية هو محور العمل البلدي ويحصر على:

أ ـ عقد جلسات دورية للمجلس البلدي «المادة ٣٢ من قانون البلديات» (ملحق قم ٢).

ب ـ مراعاة أصول الدعوة «المادة ٣٣ من قانون البلديات» (ملحق رقم ٢).

ج ـ أصول التصويت على المقررات «المواد ٤٠ ـ ٤١ ـ ٤٢ ـ ٤٣ ـ ٤٤» (ملحق رقم ٣).

٣ ـ معرفة اختصاص وصلاحيات كل من رئيس المجلس «المادة ٧٤ من قانون البلديات» (ملحق رقم ٤)، وأعضاء المجلس البلدي (ملحق رقم ٥)، واحترام كل منهما لحدود وصلاحيات الآخر.

٤ ـ تشكيل لجان بلدية «المادة ٥٣ من قانون البلديات» (ملحق رقم ٦) فاعلة، يلحظ قدرة الفرد على العطاء مع مشاركة أعضاء ذوي اختصاص أو خبرة من خارج المجلس على أن يوضع نظام داخلي لعملها وتحديد دورها وصلاحياتها مع الحرص على عدم مشارك الشخص في أكثر من لجنتين.

٥ ـ وضع خطة سنوية تعتمد من قبل المجلس البلدي، مع متابعتها من خلال جلسات تقييم دورية.

٦ ـ الحرص على إقامة علاقات طيبة مع سلطة الرقابة الإدارية والمؤسسات العامة.

٧ ـ بناء علاقات طبيعية مع نواب المنطقة والتعاون معهم في متابعة بعض المعاملات والمشاريع.

٨ ـ إقامة لقاءات حوارية بين المجلس البلدي والأخالي، تتضمن مناقشات لمشاريع البلدية المستقبلية، وتقديم ملخّص لإنجازات البلدية والمعوقات التي واجهتها، والاستماع إلى مشاكل وشكاوى الأهالي.

٩ ـ إطلاق الحملات التي تشجّع المهتمين على تقديم تصوّراتهم الإبداعية حول مشاريع معينة ووضع جوائز تقديرية قيّمة على المشاريع الإبداعية.

١٠ ـ رعاية المصالحات وإنهاء النزاعات بين العوائل.

١١ ـ وضع صندوق خاص بشكاوى الناس (معاملات مع البلدية ـ قضايا فيما بينهم) والرد عليها بما يناسب.

١٢ ـ تحديد دوام عمل للرئيس في البلدية واعتماد سياسة «الباب المفتوح» وفق ظروف كل بلدية.

١٣ ـ اعتماد الشفافية والمصداقية في تنفيذ الوعود التي تطلق أو شرح الأسباب الحائلة دون تنفيذها.

١٤ ـ تشكيل لجان من الأهالي في الأحياء وإشراكها بالتفاعل والتكافل مع العمل البلدي.

١٥ ـ وضع لوحات إعلانية في البلدة (الساحات) تعلّق عليها قرارات المجلس البلدي والتعاميم والدعوات.

توسيع الموارد البلدية المالية (قانون رقم ٦٠/ ٨٨)

قسم المصارفات: يتضمن مصاريف البلدية خلال عامٍ كامل وفي هذا الإطار ينبغي اعتماد خطة لترشيد الانفاق وليس التقشف أي صرف المبالغ المالية على المشاريع الضرورية والحيوية إضافة إلى تأمين مستلزمات العمل البلدي وتوفير الخدمات للمواطنين بأقل كلفة ممكنة من خلال تقدير موضوعي لحجم الانفاق السنوي متوافقاً مع تقدير موضوعي للإيرادات السنوية والابتعاد عن سياسة الاستدانة.

قسم الواردات: يتضمن الرسوم والعائدات التي تحصلها البلدية بشكل مباشر أو عبر مؤسسات الدولة أو الهبات المقدمة من قبل المؤسسات الخاصة، وهنا يفترض العمل على تفعيل هذا القسم لكونه الرافد للمشاريع البلدية ويتضمن:

أ ـ الرسوم التي تستوفيها البلدية مباشرة من المكلفين وهي مفصلة بالملحق رقم (٧) وهي تحتاج إلى:

١ ـ تعزيز ملاك الجباة وموظفي القسم المالي واعتماد نظام حوافز الجباة والتحقق لحثهم على زيادة واردات المالية للبلدية وإجراء عملية توزيع دقيقة لمناطق البلدية وفق عدد الجباة.

٢ ـ تأهيل الجباة وتجريبهم على تطبيق القوانين وإعداد دليل الجابي الذي يتضمن جميع القوانين المالية والإدارية المتعلقة بهذا الشأن.

٣ ـ مكننة بطاقات وجداول التكاليف واعتماد آلية للتبليغ عبر البريد أو المصارف على سبيل المثال... لتسريع عملية الجباية وتسهيلاً لأمور المواطنين.

٤ ـ تطبيق المادة١٦٩ من القانون ٦٠/ ٨٨ (ملحق رقم ١٠) وخاصة مع المكلفين في المناطق الميسورة وأصحاب الفنادق والمسابح والمؤسسات التجارية الكبرى، التشدد بتطبيق المادة ١١٣ من القانون المذكور (ملحق رقم ١١) على هذه الفئة من المكلفين.

٥ ـ إطلاق حملة إعلامية شعبية لإرشاد المواطنين لدفع الرسوم المتوجبة عليهم باعتبارها المورد الرئيسي لتنشيط وتنمية بلدتهم وتطوير مصالحهم وتحسين ظروفهم الحياتية ولفت نظرهم إلى

الأعباء الناتجة عن التأخر بالدفع بسبب الغرامات التي تفرض في هذه الحالة.

٦ ـ وضع تبويب للقوانين المالية تبين قيمة الرسوم المتعلقة بمعاملات المواطنين، وتعميمها في البلدية وعلى الموظفين والإداريين بحيث تصبح معلنة وضمن جداول يسهل تحديد قيمة رسم كل معاملة.

٧ ـ وضع آلية إدارية للواريدات تسهّل على المواطن إنجاز معاملته من خلال مكننة العملية الإدارية والمالية.

ب ـ الرسوم التي تستوفيها الدولة أو المصالح المستقلة أو المؤسسات العامة لحساب البلديات ويتم توزيعها مباشرة لكل بلدية.

١ ـ تشكيل لجنة مختصة بمتابعة تحصيل أموال البلدية من مؤسسة كهرباء لبنان وشركة المياه ووزارة الهاتف والرسوم على الأبنية المبنية، إضافة إلى الصندوق المستقل للإسكان بمعاونة النواب وبعض النافذين.

٢ ـ العمل على تحديد أو تقدير المبالغ العائدة إلى البلدية من المؤسسات المذكورة في البند السابق، وعلى أقل التقدير، ووضع آلية مناسبة لتحصيلها وخاصة قبل تطبيق الـ T.V.A.

٣ ـ تشكيل لجنة فاعلة لمعرفة حقوق البلدية من جراء تطبيق قانون القيمة المضافة T.V.A وملاحقة المؤسسات العامة ووزارة المالية ومطالبتها بالأموال العائدة إلى البلديات.

٤ ـ العمل مع مؤسسات الدولة وخاصة شركة كهرباء لبنان لحل مشاكل التعدي على الشبكة العامة ودعوة أصحاب الأبنية إلى تسوية أوضاعهم مع الشركة لجهة تأمين التيار الكهربائي لكل شقة وذلك لتحسين عائدات البلدية وحل المشاكل الفنية المتكررة.

٥ ـ إجراء مسح خاص لعلب توزيع أرقام المشتركين بالهاتف لمعرفة العدد المتواجد ضمن النطاق البلدي وكذلك الأمر بالنسبة إلى الهاتف الخلوي.

ج ـ الرسوم التي تستوفيها الدول لحساب جميع البلديات.

١ ـ تحديد الآلية الإدارية والمالية التي تنظم العلاقة مع الصندوق البلدي المستقل بالنسبة لتوزيع عائداته على البلديات.

٢ ـ إيجاد قوانين أو مراسيم تضبط عملية تصرف الحكومة بأموال الصندوق البلدي المستقل دون الرجوع إلى البلديات والمطالبة بدفع الفوائد على أموال البلديات في البنوك والصندوق البلدي المستقل.

٣ ـ التواصل مع المؤسسات الخاصة لحثها على المساهمة في المشاريع البلدية من خلال تقديم الهبات.

٤ ـ إنشاء منشآت حيوية إنتاجية تساهم بدعم مالية البلدية من خلال مشاركة القطاع الخاص في هذه المشاريع التي تنعش المنطقة وتخفف من نسبة العاطلين عن العمل.

٥ ـ إقامة مشاريع اجتماعية وإنمائية.. مشتركة بين عدة بلديات مجاورة توفيراً للجهد والوقت والمال مما يساعد على توزيع المشاريع بين البلديات والتنمية المتكاملة المشتركة بينهم.

المشاريع الإنمائية

أ ـ المخططات التوجيهية:

١ ـ دراسة إمكانية إعادة تحديد النطاقات البلدية بما يتلاءم مع المشاريع والدراسات لكل بلدة.

٢ ـ تشكيل لجان فنية من قبل اللجان المركزية في المناطق.

٣ ـ العمل على وضع ودراسة المخططات التوجيهية بما يتلاءم مع الوضع السكاني والاقتصادي والسياحي في البلدات بما يتوافق مع الواقع الحالي ومصلحة البلدة مع وجوب تفعيل دور البلدية بإبداء الرأي اثناء وضع دراسة التخطيطات والمخططات التوجيهية من قبل المؤسسات الرسمية المختصة، للوصول إلى إلغاء إشارات عن العقارات التي لم تعد مصابة بالتخطيطات.

٤ ـ مراقبة الأشغال التي تنفّذ ضمن النطاق البلدي.

٥ ـ العمل على تفصيل المخطط التوجيهي في كل بلدية إلى عدة مشاريع مع وضع الحاجات الفنية والمالية بكل مشروع والمدة الزمنية لتنفيذها.

٦ ـ تقسيم البلدة وفقاً لعامل الحرمان والاستضعاف والشرائح الاجتماعية والاقتصادية والسياحية ووضع الأولويات للاهتمام بالمناطق على ضوء الدراسة المقترحة.

٧ ـ العمل على تحضير صور جوية وخرائط ممكنة تبين جميع العقارات والطرق والتخطيطات وذلك للاستفادة منها في جميع الدراسات الهندسة والإنمائية والمالية للبلدة.

ب ـ المشاريع:

١ ـ دراسة وتنفيذ شبكات لتصريف المياه المبتذلة ومياه الأمطار لكل الشوارع الموجودة داخل النطاق البلدي والتفكير جدياً بإنشاء محطة لمعالجتها بالاشتراك مع البلديات المجاورة.

٢ ـ العمل على تنفيذ خزانات مياه مركزية في البلدات والقرى وذلك للاستفادة من المياه السطحية (الأمطار أو المياه الجوفية) وتنفيذ السدود ضمن الإمكان، ومطالبة وزارة الطاقة والمياه بإيجاد مصادر للمياه وتنفيذ الشبكات في البلدات غير المتوفر فيها ذلك.

٣ ـ تنظيم جمع النفايات للوصول إلى إلغاء المستوعبات من على الطرق والسعي لإقامة معامل فرز لها.

٤ ـ تأمين الإنارة للشوارع والأحياء الداخلية.

٥ ـ إنشاء جسور للمشاة فوق الطرقات الرئيسية وخاصة على مداخل القرى والبلدات.

٦ ـ تشجيع العمل الزراعي وتعميم مجانية استصلاح الأراضي الزراعية (مشروع الأخضر) وتأهيل وتأمين شبكات الري والبرك والسدود وشق الطرقات الزراعية وتشجيع إنشاء التعاونيات وإقامة الندوات والحلقات الإرشادية.

٧ ـ إنشاء الأسواق: الخضار ـ اللحوم ـ الأسماك ـ أو تنظيم ما هو قائم وفق المواصفات المقررة.

٨ ـ بناء وتأهيل الملاجئ بشكل جيد ولا سيما بالمناطق الجنوبية المحاذية للأراضي المحتلة من قبل الكيان الصهيوني.

٩ ـ الحد من مخالفات البناء والتشدّد لجهة التعدّيات على الأملاك العامة والخاصة.

١٠ ـ إنشاء المواقف بالاستفادة من العقارات الخالية والعمل على حل أزمة السير.

١١ ـ إنشاء مراكز رعاية وترفيه مفتوحة لذوي الأعمال ٥٦ ـ ٧٥سنة من أجل إيجاد بدائل جيدة عوضاً عمّا هو قائم الآن.

١٢ ـ العمل على تنفيذ الشارع النموذجي (تزيين ـ دهان ـ . . .).

١٣ ـ الاهتمام بالمعالم الأثرية.

١٤ ـ المساهمة مع الشركات الخاصة في إقامة المجمعات السكنية لذوي الدخل المحدود في محاولة لمساعدة الشباب على الزواج وحل لمشكلة السكن المتفاقمة.

الاهتمام بالبيئة العامة في النطاق البلدي

١ ـ الكشف البلدي الدائم الدوري على متسببات التلوث من صرف صحي ومياه شرب وهواء ونفايات طبية ومقالع وكسارات وحرائق وتمدد عمراني والمولدات الكهربائية ومحلات صناعية على حساب المساحات الخضراء وغيرها بالإضافة إلى ضرورة التواصل مع الشركات ذات الصلة والجمعيات الأجنبية الممولة والوزارات المحلية المختصة في سبيل تنفيذ مشاريع مكافحة هذه الملوثات مع التشديد على المتابعة والرقابة الدورية.

٢ ـ التشديد على التوعية البيئية من خلال المحاضرات والمنشورات والمعارض والمسابقات البيئية وإطلاق توعية انطلاقاً من المدارس والجمعيات الأهلية وإنشاء النوادي البيئية في المدارس.

٣ ـ إطلاق حملات تشجير وتخضير في المشاعات والأملاك العامة وإنشاء الجزر الخضراء وزراعة

الأشجار عل الأرصفة والطرقات وإنشاء حدائق عامة ومشاتل خاصة بالبلدية والمحافظة على الثروة الحرجية.

٤ ـ وضع حلول آلية واستراتيجية مستقبلية للتخلص من كافة النفايات الملوثة للبيئة وذلك بالعمل على تحقيق مشاريع خاصة بمعالجة وتسوية هذه النفايات وبمساعدة الوزارات المختصة والجمعيات الدولية المخوّلة.

- إنشاء موقع معالجة للنفايات الطبية.
- إنشاء موقع للفرز وتخمير وتصريف الناتج للنفايات المنزلية.
- إنشاء محطة لمعالجة وتكرير مياه الصرف الصحي.
- تأمين مياه صالحة للشرب وغير ملوثة من خلال مراقبة الشبكة الموجودة وتطويرها والكشف المتواصل مخبرياً على عيّنات المياه في محلات بيعها.

٥ ـ المحافظة على التراث البيئي الريفي اللبناني من خلال المحافظة على البناء التراثي القديم.

٦ ـ تشجيع المبادرات الأهلية ومساعدتها نحو تحقيق الحي النموذجي وتقديم التسهيلات المغرية على هذا الصعيد.

٧ ـ التشدد في مراقبة التراخيص ذات العلاقة بالموضوع البيئي.

٨ ـ تفعيل المراقبة الصحية على المعامل الغذائية والمطاعم والملاحم.

٩ ـ الكشف الصحي الدوري على المدارس.

١٠ ـ الاهتمام بنظافة وترتيب الشواطئ البحرية وضفاف الأنهر.

الرعاية الاجتماعية

أ ـ تعزيز المجتمع المقاوم:

١ ـ تسمية الشوارع في النطاق البلدي (المادة ٤٩ من قانون البلديات) بما يعبّر عن هوية البلدة.

٢ ـ إقامة النصب التذكارية (المادة ٦٢).

٣ ـ تحصين المجتمع من أسباب الفساد (المادة ٧٤) عبر مختلف الوسائل: نادي رياضي ـ حديقة عامة ـ ملاعب للأطفال والشباب ومساعدة النشاطات التي تعنى بمواجهة الآفات الاجتماعية.

٤ ـ رعاية العوائل المستضعفة (المادة ٤٩).

٥ ـ دعم النوادي والجمعيات في نطاق العمل البلدي وتشجيعها (المادة ٤٩).

٦ ـ المساعدة في بناء المساجد والحسينيات وتأهيلها.

٧ ـ الاعتناء بالمناسبات الدينية والأعياد العامة من خلال المعايدة والزينة.

٨ ـ ترسيخ الأمور المتعلقة بالتقاليد والعادات.

٩ ـ إيجاد مصلى في البلدية إفساحاً لإقامة الصلاة في وقتها.

١٠ ـ حث المواطنين على تشكيل لجان خاصة بالأبنية التي يقطنونها ودعمها بقوة القانون.

١١ ـ ضبط الحركة الإعلانية والإعلامية في مختلف وسائلها الواقعة ضمن النطاق البلدي والاستفادة مما يمنحه القانون للبلديات من صلاحيات على هذا الصعيد.

ب ـ رعاية الشباب:

١ ـ تعيين لجنة يرأسها أحد أعضاء المجلس البلدي لمتابعة شؤون الجمعيات على اختلافها وتنويع الأنشطة الشبابية من كشفية ورياضية وثقافية كإنشاء نوادي هادفة لاستقطاب أكبر عدد ممكن من الشباب.

٢ ـ إقامة دورات حرفية ومهنية وثقافية... للشباب والشابات بالتعاون مع الوزارة المختصة وبرامج الأمم المتحدة والجمعيات الأهلية تساهم في تطويرهم ورعايتهم.

٣ ـ إقامة دورات ومسابقات ثقافية وعلمية ورياضية تساهم في تطوير الشباب ورعايتهم.

٤ ـ تشجيع الشباب على التحصيل العلمي والثقافي والأكاديمي من خلال مساعدتهم في متابعة دراستهم التخصصية.

٥ ـ تشجيع الشباب المنتج والمبدع والناجح من خلال حفل سنوي تكريمي لهم في البلدة.

٦ ـ السعي بكل جهد لإيجاد فرص عمل للشباب في القرية.

٧ ـ إنشاء الملاعب الرياضية والقاعات المجهزة.

٨ ـ تشجيع الشباب على زيارة الأماكن المقدسة من خلال الجوائز والمسابقات.

٩ ـ إنشاء مجلة أو نشرة شهرية أو فصلية متنوعة الجوانب خاصة بالشباب.

ج ـ الطفولة والأمومة والكهولة والإعاقة (المرأة والطفل والمعاق):

١ ـ جمع المعلومات والبيانات والاحصاءات عن الأيتام والمسنين والأطفال العاملين والمعاقين ليصار إلى دراستها وتحليلها من أجل التوصّل إلى الأساليب الملائمة.

٢ ـ مكافحة الأمّية في المجتمع وإقامة الدورات التربوية التثقيفية.

٣ ـ الحد من عمالة الأطفال ومعالجة الحالات المستعصية من خلال التوجيه والتأهيل والسعي لتأمين مقاعد دراسية لهم.

٤ ـ إقامة دورات توجيهية ومهنية للمرأة «الأم» تساعدها في القيام بدورها على أكمل وجه للمساهمة في الدورة الاقتصادية للعائلة (تطريز ـ خياطة ـ سيراميك ـ كمبيوتر...).

٥ ـ التواصل مع مؤسسات الدولة المختصة والجمعيات الأهلية لترشيد الأم المرضعة وتأمين ما يلزم لها.

٦ ـ إنشاء حدائق للأطفال والمسنين.

٧ ـ مساعدة الفقراء خاصة المسنين في تسهيل عملية دفع الضرائب والرسوم البلدية قدر الإمكان.

٨ ـ توفير الرعاية الصحية والاجتماعية للمسنين والأيتام والمحتاجين والمعوقين من خلال مؤسسات البلدية وغيرها من الجمعيات والمؤسسات الحكومية والأهلية وتأمين فرص عمل للمعوقين بما يناسب وضعهم.

٩ ـ إحياء أعياد الجد والجدة والأم والطفل وتكريم أكبر معمّر ومعمرة في البلدة من خلال احتفالات أو لقاءات أو وسائل الإعلام غير ذلك.

١٠ ـ إيجاد دور حضانة لمساعدة النساء العاملات.

د ـ الرعاية التربوية:

١ ـ تكريم المديرين والهيئة التعليمية.

٢ ـ إقامة دورات علمية وتقوية للشهادة الرسمية.

٣ ـ إحياء مناسبة عيد الانتصار والمقاومة (٢٥ أيار) ضمن مدارس البلدة.

٤ ـ إحياء عيد المعلم في المدارس الواقعة ضمن نطاق البلدة.

٥ ـ العمل على مساعدة تأهيل المدارس الرسمية ضمن نطاق البلدية.

٦ ـ تبني البلدية أو تشجيعها على إقامة المعارض الثقافية والفنية.

٧ ـ العمل على إنشاء مركز ثقافي ومكتبة عامة.

موارد استفادة البلدية من الوزارات والمؤسسات العامة والدولية

١ ـ وزارة الشؤون الاجتماعية: إحصاءات ـ مساعدات للشيخوخة والطفولة والإعاقات ـ دعم مراكز التنمية.

٢ ـ وزارة الصحة: مساعدات ـ تأهيل مستوصفات ـ مراكز تأهيل صحي ـ أدوية.

٣ ـ وزارة البيئة: حملات توعية ـ معارض ـ تشجير...

٤ ـ وزارة الشؤون الإدارية: برامج كمبيوتر ـ دراسات ـ استشارات...

٥ ـ وزارة الأشغال: زفت ـ جدران دعم...

٦ ـ وزارة المياه والطاقة: شبكات مياه ـ شبكات كهرباء.

٧ ـ التنظيم المدني: خرائط ممكننة ـ مساحات ـ تخطيط طرقات.

٨ ـ الجيش/ مديرية التوجيه: خرائط وصور جوية.

٩ ـ مؤسسات: يونيسف ـ u.n.d.p. جهاد البناء...

توصيات إلى
المؤتمر العام الأول للبلديات التي يشرف عليها حزب الله ـ ٢٠٠٢ ـ

الاهتمام بالمغتربين وتشجيع رؤوس الأموال على الاستثمار داخل النطاق البلدي

التواصل مع المغتربين من أبناء البلدة ودعوتهم لتوظيف أموالهم واستثمارها في النطاق البلدي بتكاليف مدروسة من قبل البلدية لضمانة إقامة المشاريع المختلفة في النطاق البلدي وتقديم تسهيلات مشروعة وممكنة.

علاقة البلدية بحزب الله والأجهزة والوحدات والمؤسسات التابعة له

يجب أن تكون علاقة المجالس البلدية بحزب الله علاقة تكاملية بحيث تكون جميع المشاريع على اختلاف أنواعها تصب في مصلحة تحقيق أهداف حزب الله التي لا تختلف مع مصلحة العمل البلدي بتبني الفئات المستضعفة وإنهاء الحرمان ورفع مستوى البلدات وإيجاد مجتمع سياسي بنّاء.

دراسات

١ ـ تشكيل الاتحادات البلدية، ومشاركة البلديات في التجمعات البلدية المختلفة، الإنجازات والمعوقات.

٢ ـ مشاريع التوأمة، الإنجازات والمعوقات.

٣ ـ قانون البلديات الجديد.

٤ ـ فقه العمل البلدي (الضوابط الشرعية للعمل البلدي والقرارات البلدية).

٥ ـ تقييم شامل في كل بلدية مع ذكر نقاط الضعف لمعالجتها.

اقتلاع جذور الفساد وحفظ مقدرات الوطن وتفعيل الدور الرعائي للدولة

شددت وحدة النقابات والعمال المركزية في حزب الله على «وجوب القضاء على الفساد المالي والإداري واستعادة هيبة الدولة» واعتماد سياسات تشريعية عادلة آمنة ومستقرة، وحفظ مقدرات الوطن وعدم بيعها عبر الخصخصة المفرطة أو التسنيد، وتوفير «حد أدنى للأجور يتناسب مع كلفة المعيشة الواقعية في لبنان»، وإعادة دور الدولة «في الرعاية الاجتماعية وتكفل حقوق المواطن»، و«حماية الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي ودفع كامل حقوقه»، وإعاة النظر بـ«السلة الضريبية»، إضافة إلى خفض «فاتورة الخدمات العامة للمواطن من ماء وكهرباء وهاتف»، ودعم «القطاعات الإنتاجية الزراعية والصناعية».

وإذ اعتبرت الوحدة أن الاتحاد العمالي العام «موقع رئيسي معني وقيادي للحركة النقابية العمالية يجب أن يكون اتحاداً وطنياً ملتزماً الموقف الوطني العام، ويكون متماسكاً بلحمة النقابيين واتحادهم حول رؤية نقابية مطلبية، رأت أنه يجب «إعادة نظر شاملة بالهيكلية الحالية للعمل النقابي» وإيجاد «آلية واحدة لإنقاذ العمل النقابي الجماعي الاتحادي من ورطته وتشوهاته». وأكدت في الوقت نفسه أنه بات مطلوباً بإلحاح من قبل السلطة الإنصات إلى الحركة المطلبية والاستجابة لها، وأن سياسة إدارة الظهر لها لا تؤدي إلا إلى مواجهة مطالب الناس بالحديد والنار.

هذه المطالب توصلت إليها نقاشات المؤتمر النقابي العام الذي عقدته وحدة النقابات والعمال المركزية في حزب الله على مدى ثلاثة أيام من الفترة الممتدة من 27 آب/أغسطس حتى 29 منه، وشاركت فيه تشكيلاتها النقابية ولجانها العمالية ومندوبوها وروابطها في القطاعات المهنية والزراعية، وجرت خلاله مناقشة بعض القضايا والشؤون المرتبطة بالوضع الاقتصادي والاجتماعي، والحركة العمالية النقابية والمطلبية. وخلصت النقاشات إلى إصدار وثيقة عمل هنا نصها:

أولاً ـ في الوضع الاقتصادي والاجتماعي:

منذ التسعينيات ولبنان يتخبط في أزمة اقتصادية واجتماعية لم تستطع الحكومات المتعاقبة إنقاذه منها، بل زادتها إجراءاتها وسياساتها تدهوراً وتعقيداً. فهي لم تترك التزاماً بالصفات الدولية ولا سياسة ضريبية على الفقراء وذوي الدخل المحدود، ولا ادعاءً تقشفياً في سبيل معالجة الوضع المالي إلا واعتمدته، حتى أدى بها المطاف إلى التخلي عن واجباتها في الخدمات الأساسية لمواطنيها ومسؤولياتها الاجتماعية تجاههم. وبما أنه لا مبرر على المستوى العلمي لهذا التدهور المستمر في

أوضاع اقتصاديات وطنهم، فإن الضبابية والرهانات الخاطئة التي أحاطت بأغلب السياسات الاقتصادية التي اعتمدت، والفساد الإداري والمالي الذي تُرجم تعدياً منظماً على المال العام وطبع أداء المسؤولين في أغلب مواقع السلطة والمتحكمين بوظائفها وإدراتها، وغياب المحاسبة والرقابة وتعطيل المحاصصة لمبدأ المساءلة والتطبيق الاستنسابي للقوانين، إن كل ذلك يشكل الإجابة الحقيقية عن الأسباب التي أدت وتؤدي إلى هذا التدهور، وتؤكد استمرار معاناة الوطن والمواطن ردحاً آخر من الزمن يهدد بالسقوط الكلي ما لم يُعمل على قراءة أسباب الأزمة قراءة عملية ومعالجتها معالجة وطنية شفافة تهدف لإعادة بناء وطن وقلع جذور الفساد منه. ومن هنا يؤكد مؤتمرنا ما يلي:

١ ـ وجوب القضاء على أنواع الفساد المالي والإداري واستعادة هيبة الدولة وسيادتها على أموالها وحقوقها في الممتلكات العامة، ونزع المحاصصة من قاموس تعييناتها الوظيفية والإدارية وإدراج الكفاءة والجدارة والأمانة ونظافة الكف مكانها.

٢ ـ اعتماد سياسات تشريعية عادلة آمنة مستقرة مراعية لمصالح الناس والمصلحة العامة، لا تقاس على قياس المصالح والمنافع الخاصة، وخصوصاً في ما يتعلق بحياة الناس وأعمالهم وأرزاقهم.

٣ ـ حفظ مقدرات الوطن وعدم بيعها عبر الخصخصة المفرطة بمؤسسات الوطن المنتجة أو التسنيد الذي يرهن القطاعات المربحة، بل تأمين إدارة وطنية كفوءة وطموحة ومخلصة لها.

٤ ـ تأمين مستلزمات عيش المواطن اللبناني من خلال حد أدنى للأجور يتناسب مع كلفة المعيشة الواقعية في لبنان، بل مع هامش معتبر لرفاهيته، إضافة لحماية القدرة الشرائية لكامل مدخوله عبر الضمانات والتقديمات الاجتماعية الكاملة.

٥ ـ عودة الدولة إلى دورها في الرعاية الاجتماعية وتكفل حقوق المواطن في لبنان صحياً وتربوياً وفي القطاعات الحياتية كافة.

٦ ـ التزام الدولة التزاماً مطلقاً معلناً بحماية الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي ودفع كامل حقوقه، وتطبيق القوانين على من يتهرب من هذه الحقوق، والتعهد بتطويره إدارة وأنظمة وخدمات وتأمين مستلزمات ذلك كحق ثابت للمواطن اللبناني في ضمان أمنه الاجتماعي والصحي الذي يجب أن لا يكون بأي حال عرضة للتقلبات في سياسات الحكومات المتعاقبة، أو لطوارئ اقتصادها وماليتها.

٧ ـ إعادة النظر بالسلة الضرائبية التي تطال الفقراء وذوي الدخل المحدود، وإعفاء الحاجات الاستهلاكية الأساسية للمواطن.

٨ ـ المبادرة إلى خفض فاتورة الخدمات العامة على المواطن من ماء وكهرباء وهاتف، فإنها حقوق أساسية من حقوق المواطن المعيشية والحياتية لا يجوز استغلال حاجته إليها وقهره فيها.

٩ ـ الخروج من سياسة الاقتصاد الريعي باتجاه دعم القطاعات الإنتاجية الزراعية والصناعية، وإيلائها الاهتمام الفاعل وتخفيض كلفة الإنتاج فيها، وحمايتها من المنافسة الأجنبية بما يكفل تحقيق نقلة نوعية في نهضة هذه القطاعات، ويعيد الازدهار للقطاع التجاري ويؤمن فرص عمل وافية وكافية لجميع اللبنانيين في مستويات كفاءاتهم المختلفة، ويحمي ويطور فرص العمل القائمة ويقضي على البطالة المتنامية. . وإن مسؤولية وطنية كبرى تقع في هذا المجال على عاتق أصحاب العمل من خلال نوعية وكمية استثماراتهم الداخلية والخارجية ومساهمتهم في إحياء الدورة الاقتصادية المنتجة على جميع المناطق اللبنانية، والاعتماد الميثاقي في ما بينهم على اليد العاملة اللبنانية ما دامت متوافرة، والتوقف عن خيار صرف العمال كإجراء مستسهل لديهم، وتحمل مسؤولياتهم في تنمية الكفاءات اللبنانية وتطويرها.

١٠ ـ اعتماد سياسات تنموية متوازنة تنهض بالمناطق اللبنانية وتلحق بعضها ببعض نمواً وازدهاراً، وتؤمن الحاجات لكل منطقة وقطاع، وليس لكل نافذ ومتسلّط.

ثانياً ـ في الشأن النقابي والمطلبي:

١ ـ إننا نرى أن الاتحاد العمالي العام كموقع رئيسي معني وقيادي للحركة النقابية العمالية، يجب أن يكون اتحاداً وطنياً ملتزماً الموقف الوطني العام، قوياً متماسكاً بلحمة النقابيين واتحادهم حول رؤية نقابية مطلبية واحدة موحدة للوضع الاجتماعي والاقتصادي وسبل وأدوات التحرك لمواجهته بحركة مطلبية تخدم جميع العمال وذوي الدخل المحدود، من دون أي التزامات وارتهانات وتمحورات سياسية. ونرى أن هذا كله غير متوافر للاتحاد العمالي العام حالياً، فقد أضعفته التدخلات المفصلية للسياسيين وأصحاب السلطة في تركيبته وفي قراراته وتحركاته المطلبية.

٢ ـ إننا ندعو إلى إعادة نظر شاملة بالهيكلية الحالية للعمل النقابي في لبنان، ونرى أن الوضع القائم لا يمكن معه الحلول الترقيعية، فكل المتحركين في ساحة العمل النقابي العمال يعرفون من المسؤول عمّا وصلت إليه الحركة النقابية والعمالية من جراء المصادرة السياسية لقرار الحركة النقابية، وأغلب التحركات التي شهدتها الساحة اللبنانية قبل وبعد أحداث ٢٧ أيار دليل ساطع على ذلك.

٣ ـ إننا ندعو إلى آلية واحدة لإنقاذ العمل النقابي الجماعي الاتحادي من ورطته وتشوّهاته، باعتماد هيكلية نقابية جديدة قائمة على النقابات المرخصة في القطاع الواحد أو المتشابه، ووحدة نقابية تختار ممثليها لهيئة تنفيذية عامة تكون حقاً ممثلة لنقابات القطاعات العمالية والحرفية المهنية والزراعية.

٤ ـ إننا حتى انعقاد مؤتمر الهيكلية النقابية الجديدة، يؤكد مؤتمرنا النقابي أن من يتحرك في الساحة النقابية العمالية إنما يتحرك باسمه، وعلى هذا فالقراءات الاقتصادية والاجتماعية بمجملها وخيارات التحرك التي تطرح لمواجهتها من قبله ليست بالشمولية المعبرة عن رأي نقابيّي لبنان وعماله، وإنما تعبر عن رأي من يلتزمها فقط.

٥ ـ إن مؤتمرنا يناشد ممثلي العمل الحاليين في الهيئات الثلاثية الأطراف، وإلى أن يوجد حل جديد لآليات التمثيل النقابي ومواقع صنع القرار النقابي المستقل، أن يكونوا على مستوى المسؤولية النقابية في حفظ حقوق العمال والحركة النقابية في مواقعهم الحالية.

٦ ـ يؤكد المؤتمر أن نهجاً آخر من قبل السلطة السياسية في لبنان بات مطلوباً بإلحاح، وهو الإنصات للحركة المطلبية والاستجابة لها. وأن سياسة إدارة الظهر لها لا تؤدي إلا لمواجهة مطالب الناس بالحديد والنار عندما يخرجون للمطالبة بحقوقهم.

٧ ـ يؤكد المؤتمر أن الحركة المطلبية هي مسؤولية جميع النقابات والاتحادات النقابية المخلصة، التي ندعوها إلى تحديد مواقفها ووضع برامجها المطلبية وأسقف قبولها ورضاها والتحرك من أجلها والاعتماد على نفسها.

٨ ـ ندعو جميع العمال للوقوف إلى جانب نقاباتهم، لأن في اجتماعهم وتوحدهم حولها السبيل الأوحد لإنقاذ الحركة النقابية وتفعيل الحركة المطلبية وتحصيل الحقوق وصيانتها.

٩ ـ يوصي المؤتمر بإقامة مهرجانات لنصرة المزارع اللبناني في كل مناطق لبنان، احتجاجاً، على إهمال القطاع الزراعي من قبل الدولة، وإمعانها في تجاهل مصالحهم في الاتفاقيات التي تعقدها مع الدول الأخرى.

١٠ ـ لقد كلف المؤتمر رؤساء الاتحاد والنقابات القطاعات العمالية والزراعية المشاركة في المؤتمر بوضع برامج تحرك تفصيلية لمتابعة المطالب الواردة في هذه الوثيقة، وفوّضهم مجتمعين بتعيين الأنشطة المطلبية وتحديد أزمة وأماكن التحركات المطلبية والاحتجاجية الميدانية بالتنسيق مع النقابات والقطاعات الزميلة لها على جميع الأراضي اللبنانية.

ختاماً:

إن المؤتمر النقابي لوحدة النقابات والعمال المركزية في حزب الله يوجه التحية إلى جميع نقابيي لبنان المخلصين، ويجدد ثقته بهم وبقدرتهم وبإخلاصهم، ويضع وثيقته النقابية والمطلبية هذه بين أيديهم لأوسع تفاعل وتعاون معهم في إطار وحدة نقابية مطلبية تضع كامل جهودها وإمكاناتها في خدمة الوطن وعمّاله وشعبه.

إن المؤتمر النقابي لوحدة النقابات والعمال المركزية في حزب الله يوجه التحية إلى عمال الوطن

العربي والإسلامي، سيما في فلسطين والعراق، ويؤكد وقوفه إلى جانبهم في معاناتهم الاقتصادية والاجتماعية بسبب الاحتلال البغيض وممارساته العدوانية، ويدعم مقاومتهم وصمودهم، ويدعو نقابيّي العالم العربي والإسلامي والعالم الدولي الحرّ إلى الوقوف إلى جانبهم والتعبير عن الدعم لهم بكل السبل والأنشطة.

الإنتقاد ـ ١٠ أيلول ٢٠٠٤

لمحة عن برنامج حزب الله الانتخابي
حفظ المقاومة

جدد حزب الله تأكيده على سلاح المقاومة ورفض أي وصاية أجنبية العمل على حل الأزمة الاقتصادية والاجتماعية وأكد على لسان نائب الأمين العام سماعة الشيخ نعيم قاسم، للحفاظ على سلاح المقاومة ورفض حزب الله أي تدخلات أجنبية أياً كانت مصادرها موضحاً خلال حفلٍ أقامته الهيئات النسائية في حزب الله لمناسبة ولادة الرسول الأكرم، في قاعة الجنان أن أسس مخالفته السياسية تقوم على المحافظة على استقلال لبنان وحمايته من الاحتلال والخطر الاسرائيلي ودفع الأخطار الاسرائيلية ـ إضافة إلى تسهيل مهمة التحقيق الدولية والمحافظة على الثوابت الوطنية وتطغى المواقف المتمترسة طائفياً والعمل على برنامج اجتماعي ـ اقتصادي يُعالج الأزمة القائمة.

حزب الله يرى أن التحالف السياسي، فقط في علاقته مع الآخرين. وهذا التحالف هو محور حركة حزب الله في هذه المرحلة التي تؤسس من وجهة نظرنا لما بعد الانتخابات النيابية. ولن تكون تحالفاتنا الانتخابية على حساب تحالفاتنا السياسية. هذا التحالف يجب أن يكون على الأسس التالية.

أولاً: المحافظة على استقلال لبنان وحمايته من الاحتلال والخطر الاسرائيلي بالمحافظة على المقاوم وسلاحها من أجل التحرير، ودفع الأخطار الاسرائيلية.

ثانياً: تسهيل مهمة لجنة للتحقيق الدولية.

ثالثاً: وضع الأسس العملية لتنظيم العلاقة المميزة بين لبنان وسوريا.

رابعاً: رفض أي وصاية أجنبية مهما كان شكلها وعنوانها، ورفض أي تدخل أجنبي في الشؤون الداخلية اللبنانية. وعلى السفارات الأجنبية التي تتحرك كثيراً في الداخل أن تلتفت بأن اللبنانيين لا يقبلون وصاية أجنبية عليهم.

خامساً: خوض الانتخابات النيابية بذهنية تحقيق أوسع تمثيل وطني وشعبي يأتي بمجلس نيابي يحافظ على الثوابت الوطنية.

سادساً: التأكيد على الاحتكام للمؤسسات الدستورية لمصالح ضيّقة، لمصلحة تلك المواقف المنفتحة على الحوار في إطار لقاءٍ وعمل وطني شامل لا يحاصر العاملين من دائرة طوائفهم أو معالمهم الضيقة.

سابعاً: التأكيد على أهمية إنشاء نظام وبرنامج اجتماعي ـ اقتصادي متكامل، لرفع الظلم

والحرمان عن المواطن اللبناني وإنعاش الزراعة والصناعة والتجارة والقيام بكل الخدمات التي تعطي المواطن حقه.

نحن نؤكد إذاً على أننا أمام مرحلة جديدة وفي هذه المرحلة الجديدة سنكون حاضرين في الميدان لن نقبل أن يتعامل معنا أحد في الخارج أو الداخل بإعطاء صورة مسبقة أو رسم سيناريوهات يريد أن يوصلنا إليها.

نحن مواطنون لبنانيون لنا ما لكل لبناني ونريد أن يكون لكل لبناني ما للآخرين وبالتالي سنبني وطننا معاً. لن نفرّط فيه لحسابات طائفية ولن نتنازل عن قوتنا ومنعتنا لمصلحة إسرائيل. ولن نكون جزءاً من مزار سياسي في إطار بعض الحسابات الضيقة لبعض السياسيّين، إذا أراد البعض أن يقبت نفسه بأنه يمثل حقيقة من لبنان فليحتكم إلى الانتخابات النيابية ونحن نرحب بكل نتيجة تفرزها الانتخابات النيابية فهذا بدل أن نتمترس في دوائر أخرى. وراء طوائفنا ومعالمنا الضيّقة.

إدمون نعيم:

أكد النائب الدكتور إدمون نعيم أن على حزب الله أن لا يرمي سلاحه قبل انسحاب إسرائيل من الأراضي الاسرائيلية التي احتلتها، أنا مع حزب الله طالما أن إسرائيل تحتل الدولة الفلسطينية، وأنا مع الفلسطينيين المغتصبة أرضهم ويقتضي القانون الدولي العام فكل دولة ضعيفة مغتصبة من دولة كبيرة يحق لأي مجموعة بشرية أو دولة للدفاع عن الدولة المغتصبة، فحزب الله وإن كان مجموعة صغيرة فهو يُدافع عن دول مغتصبة. وأوضح نعيم أن يريد أن يُبرز قضية سلاح حزب الله في وجه VSA التي تسمح لإسرائيل باحتلال الأراضي الفلسطينية ولا تسمح لهذا الحزب بالدفاع عن هذه الأراضي.

ورقة التفاهم المشترك بين حزب الله والتيار الوطني الحر (٦ شباط ٢٠٠٦)

١ ـ الحوار:

إن الحوار الوطني هو السبيل الوحيد لإيجاد الحلول للأزمات التي يتخبط فيها لبنان، وذلك على قواعد ثابتة وراسخة، هي انعكاس لإرادة توافقية جامعة، ما يقتضي توفر الشروط الضرورية التالية لنجاحه:

أ ـ مشاركة الأطراف ذات الحيثية السياسية والشعبية والوطنية، وذلك من خلال طاولة مستديرة.

ب ـ الشفافية والصراحة، وتغليب المصلحة الوطنية على أيّ مصلحة أخرى، وذلك بالاستناد إلى إرادة ذاتية، وقرار لبناني حر وملتزم.

ج ـ شمول كل القضايا ذات الطابع الوطني، والتي تقتضي التوافق العام.

٢ ـ الديمقراطية التوافقية:

إن الديمقراطية التوافقية تبقى القاعدة الأساس للحكم في لبنان، لأنها التجسيد الفعلي لروح الدستور، ولجوهر ميثاق العيش المشترك. من هنا فإنّ أيّ مقاربة للمسائل الوطنية وفق معادلة الأكثرية والأقلية تبقى رهن تحقّق الشروط التاريخية والاجتماعية لممارسة الديمقراطية الفعلية التي يصبح فيها المواطن قيمة بحد ذاته.

٣ ـ قانون الانتخاب:

إن إصلاح وانتظام الحياة السياسية في لبنان تستوجبان الاعتماد على قانون انتخاب عصري (قد تكون النسبية أحد أشكاله الفعالة) بما يضمن صحة وعدالة التمثيل الشعبي ويسهم في تحقيق الأمور التالية:

١ ـ تفعيل عمل الأحزاب وتطويرها وصولاً إلى تحقيق المجتمع المدني.

٢ ـ الحد من تأثير المال السياسي والعصبيات الطائفية.

٣ ـ توفر فرص متكافئة لاستخدام وسائل الإعلام المختلفة.

٤ ـ تأمين الوسائل اللازمة لتمكين اللبنانيين المقيمين في الخارج من ممارسة حقهم الانتخابي.

إن الحكومة والمجلس النيابي مطالبان بالتزام أقصر المهل الزمنية الممكنة لإقرار القانون الانتخابي المطلوب.

٤ ـ بناء الدولة:

إن بناء دولة عصرية تحظى بثقة مواطنيها وقادرة على مواكبة احتياجاتهم وتطلعاتهم وعلى توفير الشعور بالأمن والأمان على حاضرهم ومستقبلهم، يتلطب النهوض بها على مداميك راسخة وقوية لا تجعلها عرضة للاهتزاز وللأزمات الدورية كلما أحاطت بها ظروف صعبة، أو متغيرات مفصلية، الأمر الذي يفرض مراعاة التالي:

أ ـ اعتماد معايير العدالة والمساواة والتكافؤ والجدارة والنزاهة.

ب ـ إن القضاء العادل والنزيه هو الشرط الضروري لإقامة دولة الحق والقانون والمؤسسات، وهذا يستند إلى:

١ ـ الاستقلالية التامة لمؤسسة القضاء واختيار القضاة والمشهود لهم بالكفاءة بما يفعّل عمل المحاكم على اختلافها.

٢ ـ احترام عمل المؤسسات الدستورية وإبعادها عن التجاذبات الساسية وتأمين استمرارية عملها وعدم تعطيلها (المجلس العدلي والمجلس الدستوري) ويشكل ما جرى في المجلس الدستوري نموذجاً لعملية التعطيل خاصة في مسألة الطعون النيابية المقدمة أمامه والتي لم يجرب البت بها إلى الآن.

ج ـ معالجة الفساد من جذوره، حيث أن المعالجات الظرفية والتسكينية لم تعد كافية وإنما باتت مجرد عملية تحايل تقوم بها القوى المستفيدة من الفساد بكل مستوياته لإدامة عملية وهبها لمقدرات الدولة والمواطن معاً. وهذا ما يتطلب:

١ ـ تفعيل مؤسسات ومجالس الرقابة والتفتيش المالي والإداري، مع التأكيد على فصلها عن السلطة التنفيذية لضمان عدم تسييس أعمالها.

٢ ـ إجراء مسح شامل لمكامن الفساد، تمهيداً لفتح تحقيقات قضائية تكفل ملاحقة المسؤولين عن الفساد، واسترجاع المال العام المنهوب.

٣ ـ تشريع ما يلزم من قوانين تسهم في محاربة الفساد بكل أوجهه والطلب إلى الحكومة توقيع لبنان على معاهدة الأمم المتحدة لمكافحة الفساد.

٤ ـ العمل على إصلاح إداري شامل يكفل وضع الشخص المناسب في المكان المناسب، لا سيما أولئك المشهود لهم بالجدارة والكفاءة ونظافة الكف، وذلك عبر تفعيل دور مجلس الخدمة المدنية وقيامه بصلاحياته الكاملة.

٥ ـ وضع مهل زمنية لمعالجة هذه القضاي لأن عامل الوقت بات مميتاً، والأمر يتطلب معالجات حكيمة وسريعة في آن، تستخدم الوقت لمصلحتها بدل أن يستخدمه الفاسدون لمصلحتهم.

٥ ـ المفقودون خلال الحرب:

إن طي صفحة الماضي وإجراء المصالحة الوطنية الشاملة يتطلّب إنهاء كافة ملفات الحرب العالقة. وإن ملف المفقودين في الحرب يحتاج إلى وقفة مسؤولية تنهي هذا الوضع الشاذ وتريح الأهالي الذين لا يمكن مطالبتهم المسامحة من دون احترام حقهم بمعرفة مصير أبنائهم، لذلك نطلب من كافة القوى والأحزاب التي شاركت في الحرب التعاون الكامل لكشف مصير المفقودين وأماكن المقابر الجماعية.

٦ ـ اللبنانيون في إسرائيل:

انطلاقاً من قناعتنا أنّ وجود أي لبناني على أرضه هو أفضل من رؤيته على أرض العدو فإن حل مشكلة اللبنانيين الموجودين لدى إسرائيل تطلب عملاً حثيثاً من أجل عودتهم إلى وطنهم آخذين بعين الاعتبار كل الظروف السياسية والأمنية والمعيشية المحيطة بالموضوع. لذلك نوجه نداءً لهم بالعودة السريعة إلى وطنهم استرشاداً بنداء سماحة السيد حسن نصر الله بعد الانسحاب الإسرائيلي من جنوب لبنان واستلهاماً بكلمة العماد ميشال عون في أول جلسة لمجلس النواب.

٧ ـ المسألة الأمنية:

أولاً، في الاغتيال السياسي: إن كل شكل من أشكال الاغتيال السياسي هو أمر مدان ومرفوض لتناقضه مع الحقوق الأساسية للإنسان، ومع أهمّ ركائز وجود لبنان المتمثّلة بالاختلاف والتنوع، ومع جوهر الديمقراطية وممارستها.

من هنا، فإننا بقدر ما ندين عملية اغتيال دولة الرئيس الشهيد رفيق الحريري وما سبقها وما تلاها من عمليات اغتيال ومحاولات اغتيال وصولاً إلى اغتيال النائب جبران التويني، نشدّد على أهمّية استمرار التحقيق وفق الآليات المقررة رسمياً وصولاً إلى معرفة الحقيقة فيها، التي هي أمر لا يمكن إخضاعه لأي مساومة، باعتباره الشرط الضروري لإحقاق العدالة وإنزالها بحق المجرمين، ولوقف مسلسل القتل والتفجير، لذا، من الواجب إبعاد هذه القضايا عن محاولات التوظيف السياسي التي تسيء لجوهرها، ولجوهر العدالة التي يجب أن تبقى فوق أي نزاعات أو خلافات سياسية.

ثانياً، في الإصلاح الأمني: إن إصلاح الأجهزة الأمنية جزء لا يتجزأ من عملية الإصلاح الشامل لمؤسسات الدولة الأساسية ولإعادة بنائها على قواعد صحيحة وثابتة.

ونظراً للموقع الحسّاس الذي تحتلّه الأجهزة الأمنية في حفظ وحماية الاستقرار الأمني في البلاد إزاء أي خروقات أو تهديدات تمسّه، يجب إيلاء عملية بنائها عناية مركّزة. من هنا فإن الحكومة مدعوة لتحمّل مسؤولياتها كاملة وفق التالي:

أ ـ وضع خطة أمنية متكاملة تقوم على مركزية القرار الأمني وتنهض على تحديد واضح للعدو من الصديق، ولمكامن التهديد الأمني ومنها مسألة الإرهاب والثغر الأمنية الواجب معالجتها.

ب ـ تحييد الأجهزة الأمنية عن الاعتبارات والمحسوبيات السياسية وأن يكون ولاؤها وطنياً بالكامل.

ج ـ إيلاء مسؤولياتها لشخصيات مشهود لها بالكفاءة ونظافة الكف.

د ـ إن الإجراءات الأمنية تواكب عمليّة الإصلاح والبناء الأمنيّين وتراقبهما.

٨ ـ العلاقات اللبنانية ـ السورية:

إنّ إقامة علاقات لبنانية ـ سورية سويّة وصحيحة تقتضي مراجعة التجربة السابقة واستخلاص ما يلزم من العبر والدروس ولتلافي ما علق بها من أخطاء وشوائب وثغرات، وبما يمهّد الطريق للنهوض بهذه العلاقات على أسس واضحة من التكافؤ والاحترام الكامل والمتبادل لسيادة الدولتين واستقلالهما على قاعدة رفض العودة إلى أي شكل من أشكال الوصاية الخارجية. لذا يجب:

أ ـ اتخاذ الحكومة اللبنانية كافة الخطوات والاجراءات القانونية المتعلقة بتثبيت لبنانية مزارع شبعا وتقديمها إلى الأمم المتحدة وذلك بعدما أعلنت الدولة السورية لبنانيتها الكاملة.

ب ـ ترسيم الحدود بين لبنان وسوريا بعيداً عن التشنجات التي تؤدي إلى تعطيل العملية التي طالما احتاج لبنان وسوريا إلى إنهائها ضمن اتفاق البلدين.

ج ـ مطالبة الدولة السورية بالتعاون الكامل مع الدولة اللبنانية من أجل كشف مصير المعتقلين اللبنانيين في السجون السورية في أجواء بعيدة عن الاستفزاز والتوتر والسلبية التي من شأنها إعاقة البتّ في هذا الملف على نحو إيجابي.

د ـ إقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين وتوفير الظروف الملائمة لها بما ينقل العلاقة من الأفراد والمجموعات إلى علاقة بين المؤسسات بحيث تؤمن استمررها وثباتها.

٩ ـ العلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية:

إن معالجة الملف الفلسطيني يتطلّب مقاربة شاملة تؤكّد من جهة على احترام الفلسطينيين لسلطة الدولة اللبنانية والتزامهم بقوانينها، وتجدّد من جهة أخرى التضامن مع قضيتهم واستعادتهم لحقوقهم وذلك حسب القواعد التالية:

أ ـ إن الوضع الاجتماعي للفلسطينيين يستدعي الاهتمام الشديد لناحية تحسين الظروف المعيشية وتأمين المستوى اللائق لأسس الحياة الإنسانية الكريمة وفق ما يقتضيه التعاون الثنائي وشرعة

حقوق الإنسان، إضافة إلى إعطاءهم التسهيلات اللازمة للانتقال داخل وخارج الأراضي اللبنانية.

ب ـ إن حق العودة للفلسطينيين هو أمر أساسي ثابت، ورفض التوطين هو أمر يجمع عليه اللبنانيون ولا يمكن التراجع عنه بأيّ شكل من الأشكال.

ج ـ تحديد العلاقة بين الدولة اللبنانية والفلسطينيين في إطار مؤسساتي فلسطيني واحد يكون ممثّلاً شرعيّاً للشعب الفلسطيني في لبنان بما يؤمّن حسن التنسيق والتعاون.

د ـ معالجة ملف إنهاء السلاح خارج المخيمات وترتيب الوضع الأمني داخلها يجب أن يتمّ في إطار الحوار الجاد والمسؤول والحثيث بين الحكومة اللبنانية والفلسطينيين بما يؤدي إلى بسط سلطة الدولة وقوانينها على كافة الأراضي اللبنانية.

١٠ ـ حماية لبنان وصيانة استقلاله وسيادته:

إن حماية لبنان وصون استقلاله وسيادته هما مسؤولية وواجب وطني عام تكفلها المواثيق الدولية وشرعة حقوق الإنسان، لا سيما في مواجهة أي تهديدات أو أخطار يمكن أن تنال منهما أي جهة أتت. من هنا، فإن حمل السلاح ليس هدفاً بذاته وإنما وسيلة شريفة مقدّسة تمارسها أي جماعة تُحتلّ أرضها تماماً كما هي أساليب المقاومة السياسية.

وفي هذا السياق، فإن سلاح حزب الله يجب أن يأتي من ضمن مقاربة شاملة تقع بين حدّين: الحد الأوّل هو الاستناد إلى المبررات التي تلقى الإجماع الوطني والتي تشكّل مكامن القوة للبنان واللبنانيين في الإبقاء على السلاح، والحد الآخر هو تحديد الظروف الموضوعية التي تؤدي إلى انتفاء أسباب ومبررات حمله.

وبما أن إسرائيل تحتلّ مزارع شبعا وتأسر المقاومين اللبنانيين وتهدّد لبنان فإن على اللبنانيين تحمّل مسؤولياتهم وتقاسم أعباء حماية لبنان وصيانة كيانه وأمنه والحفاظ على استقلاله وسيادته من خلال:

١ ـ تحرير مزارع شبعا من الاحتلال الاسرائيلي.

٢ ـ تحرير الأسرى اللبنانيين من السجون الاسرائيلية.

٣ ـ حماية لبنان من الأخطار الاسرائيلية من خلال حوار وطني يؤدي إلى صياغة استراتيجيّة دفاع وطني يتوافق عليها اللبنانيّون وينخرطون فيها عبر تحمّل أعبائها والإفادة من نتائجها.

http://www.tayyar.org/tayyar/articles/php.

فهرس

بيانات سياسية